سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٣)

شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الرابع

٨١ ـ بابُ النّهي عَن سؤال الإمارة
واختيار ترك الولايات
إذا لم يتعين عليه أو تَدْعُ حاجة إليه

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

١ / ٦٧٤ ـ وعن أبي سعيدٍ عبدِ الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبدَ الرَّحمن بن سَمُرَةَ: لا تَسألِ الإمارَةَ، فَإنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَن غَيْرِ مَسأَلَة أعِنتَ عَلَيها، وَإنْ أعطِيتَها عَن مَسألَةٍ وُكِلْتَ إلَيْها، وإذا حَلَفتَ عَلَى يَمِينٍ، فرَأيتَ غَيرها خَيرًا مِنهَا، فَأتِ الَّذي هُوَ خَيرٌ وَكَفِّر عَن يَمِينِكَ» متفقٌ عليه(١).

الشرح

قال المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصالحين: باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه، أو تدْع حاجة إليه.

الإمارة معناها التأمر على الناس والاستيلاء عليهم. وهي كبرى

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها، رقم(٧١٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها، رقم(١٦٥٢).

وصغرى.

أما الكبرى: فهي التي تكون إمارة عامة على كل المسلمين؛ كإمارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة رسول الله ﷺ، وكإمارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وغيرهم من الخلفاء، هذه إمارة عامة وسلطة عامة.

وإمارة خاصة دون ذلك: تكون إمارة على منطقة من المناطق تشتمل على قرى ومدن، أو إمارة أخص من ذلك على قرية واحدة أو مدينة واحدة، وكلها يُنهى الإنسان أن يطلب فيها أن يكون أميرًا، كما سيأتي في حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

ثم صدَّر المؤلف رحمه الله هذا الباب بقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ يعني الجنة ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

وطلب الإمارة ربما يكون قصد الطالب أن يعلو على الناس، ويملك رقابهم، ويأمر وينهى، فيكون قصده سيئًا، فلا يكون له حظ من الآخرة والعياذ بالله، ولهذا نُهي عن طلب الإمارة.

وقوله: ﴿ وَلَا فَسَادًا ۚ ﴾ أي: فسادًا في الأرض بقطع الطريق وسرقة أموال الناس، والاعتداء على أعراضهم وغير ذلك من

الفساد، ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ عاقبة الأمر للمتقين، إما أن تظهر هذه العاقبة في الدنيا، وإما أن تكون في الآخرة. فالمتقون هم الذين لهم العاقبة سواء في الدنيا أو في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة.

ثم ساق المؤلف رحمه الله حديث عبد الرحمن بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال له: «يا عبد الرحمن بن سمرة» يا عبد الرحمن بن سمرة ناداه باسمه واسم أبيه من أجل أن ينتبه لما يُلقى إليه؛ لأن الموضوع موضوع ليس بالهين «لا تسأل الإمارة» يعني لا تطلب أن تكون أميرًا «فإنك إن أعطيتها عن مسألة» يعني بسبب سؤالك «وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها» والمعين هو الله.

فإذا أعطيتها بطلب منك، وكلك الله إليها وتخلَّى الله عنك والعياذ بالله، وفشلت فيها ولم تنجح ولم تفلح، وإن أعطيتها عن غير مسألة؛ بل الناس هم الذين اختاروك وهم الذين طلبوك؛ فإن الله تعالى يعينك عليها، يعني فاقبلها وخذها.

وهذا يشبه المال، فإن الرسول ﷺ قال لعمر: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»[(١)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب رزق الحكام والعاملين عليها، رقم(٧١٦٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إباحة الأخذ لم أعطى من غير مسألة، برقم(١٠٤٥).

ولهذا ينبغي للإنسان الموفق أن لا يسأل شيئًا من الوظائف، إن رُقي بدون مسألة فهذا هو الأحسن وهذا له أن يأخذ، أما أن يطلب ويلح، فإنه يُخشى أن يكون داخلاً في قول الرسول ﷺ: «**ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك**».

فالورع والاحتياط أن لا تطلب شيئًا في ترقية أو في انتداب أو غير ذلك، إن أعطيت فخذ، وإن لم تعط فالأحسن والأورع والأتقى أن لا تطالب، كل الدنيا ليست بشيء، وإذا رزقك الله رزقًا كفافًا لا فتنة فيه؛ فهو خيرٌ من مال كثير تفتن فيه، نسأل الله السلامة.

«**لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فكفِّر عن يمينك وآت الذي هو خير**»، يعني إذا حلفت أن لا تفعل شيئًا، ثم تبين لك أن الخير في فعله؛ فكفِّر عن يمينك وافعله، وإذا حلفت أن تفعل شيئًا ثم بدا لك أن الخير في تركه؛ فاتركه وكفِّر عن يمينك.

وإنما قال له النبي ﷺ ذلك؛ لأنه إذا كان الإنسان أميرًا فحلف على شيء فربما تملي عليه أنفة الإمارة ألا يتحول عن حلفه، ولكن ينبغي ـ وإن كان أميرًا ـ إذا حلف على شيء ورأى الخير في تركه أن

يتركه، أو حلف أن لا يفعل شيئًا ورأى الخير في فعله أن يفعله، وهذا شامل للأمير وغيره.

إذا حلفت على شيء ورأيت أن الخير في خلافه؛ فكفِّر عن يمينك وافعل الخير. مثال ذلك: رجلٌ حلف ألا يزور قريبه؛ لأنه صار بينه وبينه شيء فقال: والله لا أزوره؛ فهذا حلف على قطع الرحم؛ وصلة الرحم خيرٌ من القطيعة، فنقول: يجب عليك أن تكفِّر عن يمينك وأن تزور قريبك؛ لأن هذا من الصلة، والصلة واجبة.

مثال آخر: رجلٌ حلف ألا يكلم أخاه المسلم ـ يعني حلف أن يهجر أخاه ـ نقول: هذا خطأ، كفِّر عن يمينك وكلِّمه.

وهكذا كل شيء تحلف عليه ويكون الخير بخلاف ما حلفت؛ فكفِّر عن يمينك وافعل الخير، وهذه قاعدة في كل الأيمان، ولكن الذي ينبغي للإنسان ألا يتسرع في الحلف؛ فإن كثيرًا من الناس يتسرعون في الحلف، أو في الطلاق، أو ما أشبه ذلك، ويندمون، فنقول: لا تتعجل. لا تتسرع، إذا كنت عازمًا على الشيء فافعله أو اتركه بدون يمين وبدون طلاق، ثم إن ابتليت بكثرة الحلف فاقرن حلفك بقولك: إن شاء الله، فإنك إذا حلفت وقلت: إن شاء الله، فأنت في حلٍّ حتى لو خالفت ما حلفت عليه فإنه لا يضر.

فلو قلت: والله إن شاء الله لا أفعل هذا الشيء، ثم فعلته فليس عليك شيء؛ لأن من قال في يمينه إن شاء الله؛ فلا حنث عليه، والله الموفق.

* * *

٢/٦٧٥ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا أبا ذَرٍّ إنِّي أرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أحِبُّ لَكَ مَا أحِبُّ لِنَفسي، لا تَأمَّرَنَّ عَلى اثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ» رواه مسلم[١].

٣/٦٧٦ ـ وعنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تَستَعمِلُنِي؟ فَضَرَبَ بَيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أمانَةٌ، وإنَّهَا يَومَ القِيامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلاَّ مَنْ أخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عَلَيْهِ فِيهَا» رواه مسلم[٢].

٤/٦٧٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرةَ رضي اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَة» رواه البخاري[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرّق أمر المسلمين، رقم(١٨٢٥).
(٢) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، رقم(٧١٩٨).
(٣) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم(٧١٤٨).

الشرح

قال الحافظ النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين، في باب النهي عن سؤال الإمارة فيما نقله عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «**إنك امرؤ ضعيف وإني أحب لك ما أحب لنفسي، فلا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**» هذه أربع جمل بيَّن الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي ذرّ ما بيّن:

الأولى: قال له: «**إنك امرؤ ضعيف**»، وهذا القول مصارحة أمام الإنسان لا شك أنه ثقيل على النفس، وأنه قد يؤثر فيك أن يقول لك مثلُ النبي ﷺ: إنك امرؤ ضعيف، لكن الأمانة تقتضي هكذا، أن يُصرح للإنسان بوصفه الذي هو عليه؛ إن قويًّا فقوي، وإن ضعيفًا فضعيف.

هذا هو النصح: «**إنك امرؤ ضعيف**»، ولا حرج على الإنسان إذا قال لشخص مثلاً: إن فيك كذا وكذا، من باب النصيحة لا من باب السب والتعيير، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إنك امرؤ ضعيف**».

الثانية: قال: «**وإني أحب لك ما أحب لنفسي**» وهذا من حسن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، لما كانت الجملة الأولى فيها شيء من الجرح قال: «**وإني أحب لك ما أحب لنفسي**» يعني: لم أقل لك ذلك إلا أني أحب لك ما أحب لنفسي.

الثالثة: «فلا تأمرنَّ على اثنين»، يعني: لا تكن أميرًا على اثنين، وما زاد فهو من باب أولى.

والمعنى أن النبي ﷺ نهاه أن يكون أميرًا؛ لأنه ضعيف، والإمارة تحتاج إلى إنسان قوي أمين، قوي تكون له سلطة وكلمة حادة؛ إذا قال فعل، لا يكون ضعيفًا أمام الناس؛ لأن الناس إذا استضعفوا الشخص لم يبق له حرمة عندهم، وتجرأ عليه لكع بن لكع، وصار الإنسان ليس بشيء، لكن إذا كان قويًّا حادًّا في ذات الله لا يتجاوز حدود الله عزَّ وجلَّ، ولا يقصر عن السلطة التي جعلها الله له؛ فهذا هو الأمير حقيقة.

الرابعة: «ولا تولين مال يتيم» واليتيم هو الذي مات أبوه قبل أن يبلغ، نهاه الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتولى على مال اليتيم؛ لأن مال اليتيم يحتاج إلى عناية ويحتاج إلى رعاية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وأبو ذر ضعيف لا يستطيع أن يرعى هذا المال حق رعايته؛ فلهذا قال: «ولا تولين مال يتيم» يعني لا تكن وليًّا عليه دعه لغيرك.

ففي هذا دليلٌ على أنه يشترط للإمارة أن يكون الإنسان قويًّا وأن يكون أمينًا؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إنها أمانة»،

فإذا كان قويًّا أمينًا فهذه هي الصفات التي يستحق بها أن يكون أميرًا.
فإن كان قويًّا غير أمين، أو أمينًا غير قوي، أو ضعيفًا غير أمين؛ في هذه الأقسام الثلاثة لا ينبغي أن يكون أميرًا.

ولكن يجب أن نعلم أن الأشياء تتقيد بقدر الحاجة، فإذا لم نجد إلا أميرًا ضعيفًا أو إلا أميرًا غير أمين، ولا يوجد في الساحة أحد تنطبق عليه الأوصاف كاملة؛ فإنه يُولى الأمثل فالأمثل، ولا تترك الأمور بلا إمارة؛ لأن الناس محتاجون إلى أمير، محتاجون إلى قاضٍ، محتاجون إلى من يتولى أمورهم، فإن أمكن وجود من تتم فيه الشروط فهذا هو الواجب، وإلاّ فإنه يُولى الأمثل فالأمثل؛ لقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

وتختلف الأنظار فيما إذا كان لدينا رجلان: أحدهما أمين غير قوي، والثاني قوي غير أمين، كل منهما معيب، لكن في باب الإمارة يفضل القوي وإن كان فيه ضعف في الأمانة؛ لأن القوي ربما يكون أمينًا، لكن الضعيف الذي طبيعته الضعف فإن الطبع لا يتحول ولا يتغير.

وعليه فإننا نؤمِّر القوي؛ لأن هذا أنفع للناس، فالناس يحتاجون إلى سلطة وإلى قوة، وإذا لم تكن قوة ولا سيما مع ضعف في الدين ضاعت الأمور، والله الموفق.

٨٢ـ باب حَثّ السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

١/ ٦٧٨ ـ وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ مِن نَبيٍّ، وَلاَ استَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عليهِ، وبِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتحُضُّهُ عليهِ، والمَعصُومُ من عَصَمَ اللهُ» رواه البخاري[1].

٢/ ٦٧٩ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «إذَا أرَادَ اللهُ بِالأمِيرِ خَيرًا؛ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإنْ ذَكَرَ أعَانَهُ، وَإذَا أرَادَ بِهِ غَيرَ ذلك؛ جَعَلَ له وَزِيرَ سُوءٍ، إن نَسِي لم يُذَكِّرْه، وَإنْ ذَكَرَ لم يُعِنْهُ» رواه أبوداود بإسناد جيد على شرط مسلم[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، رقم (٧١٩٨).
(٢) رواه أبوداود، كتاب الخراج والإمارة، باب في اتخاذ الوزير، رقم(٢٩٣٢).

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله تعالى: باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح، وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم، ثم ذكر المؤلف قول الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

الأخلاء: جمع خليل، والخليل هو الذي أحبك وتحبه حبًّا عظيمًا، حتى يتخلل حبه جميع البدن، وفي ذلك يقول الشاعر:

قــد تخللــتَ مسلــك الــروح منــي
وبـــذا سُمـــي الخليـــل خليـــلاً

فإذا صدق الودُّ واشتد؛ فإن أعلى أنواع المحبة هي الخُلة، ولهذا اتخذ الله إبراهيم خليلاً، واتخذ محمدًا ﷺ خليلاً. ولا نعلم أنه اتخذ خليلاً من خلقه إلا هذين: إبراهيم ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم.

ولهذا نقول: من قال: إن إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، ومحمدًا حبيب الله، فقد هضم محمدًا ﷺ حقه؛ لماذا؟ لأنه إذا جعله حبيب الله فقط؛ فقد نزل رتبته؛ بل هو عليه الصلاة والسلام أعلى من الحبيب، فالله تعالى يحب المؤمنين، ويحب المقسطين، ويحب المتقين، فمحبته أوسع، لكن الخُلة لا تحصل لكل أحد.

فهؤلاء المساكين الجهال يقولون: محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله. سبحان الله! إن النبي ﷺ قال: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر**»(٢)، ومع هذا سئل أي الرجال أحب إليك؟ قال: «**أبو بكر**»(٣).

ففرق بين الخلة والمحبة؛ الخلة أعظم من المحبة.

فالأخلاء في الدنيا والأصدقاء في الدنيا هم على صداقتهم، لكنهم في الآخرة أعداء: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

فإن المتقين محبتهم في الله، والرجلان إذا تحابا في الله ـ اجتمعا عليه وتفرقا عليه ـ كانا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله، جعلنا الله منهم.

ويدل لهذا أن الأخلاء أعداء إلا المتقين قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل العباس ..، رقم(١٤١).
(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، رقم(٤٦٦، ٤٦٧)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم(٥٣٢).
(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا، رقم(٣٦٦٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم(٢٣٨٤).

أَخۡتَهَاۖ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: تقطعت بهم المحبة، فكانت المحبة بينهما في الدينا، وفي الآخرة تتلاشى وتتقطع.

ثم إنه يجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى يبتلي العبد، فتارة ييسره لأخلاء صدق يدعونه للخير؛ يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر، ويعينونه على ما يعجز عنه. وتارة يُبتلى بقوم خلاف ذلك، ولهذا جاء في الحديث «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مثل الجليس الصالح كحامل المسك إما أن يبيعك» يبيع لك مسكًا «وإما أن يحذيك» أي يعطيك مجانًا «وإما أن تجد منه رائحة طيبة»[٢] أما الجليس السوء والعياذ بالله، فإنه «كنافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك» بما يتطاير عليك من شرر النار، «وإما أن تجد منه رائحة كريهة».

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم(٤٨٣٣)، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، رقم(٢٣٧٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الذبائح، باب المسك، رقم(٥٥٣٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم(٢٦٢٨).

وفي حديث عائشة الذي ساقه المؤلف رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه» والعياذ بالله.

وكذلك أخبر النبي ﷺ أن الله ما بعث من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة خير تأمره بالخير وتحثه عليه، وبطانة سوء تدله على السوء وتأمره به. قال: «والمعصوم من عصم الله» وهذا شيء مشاهد، تجد الأمراء بعضهم يكون صالحًا في نفسه، حريصًا على الخير، لكن يقيض الله له قرناء سوء والعياذ بالله فيصدونه عما يريد من الخير، ويزينون له السوء ويوشون به عباد الله.

وتجد بعض الأمراء يكون في نفسه غير صالح، لكن عنده بطانة خير تدله على الخير وتحثه عليه، وتدله على ما يوجب المحبة بينه وبين رعيته حتى يستقيم وتصلح حاله، والمعصوم من عصمه الله.

وإذا كان هذا في الأمراء ففتش في نفسك أنت. فإذا رأيت من أصحابك أنهم يدلونك على الخير ويعينونك عليه، وإذا نسيت ذكروك، وإذا جهلت علَّموك، فاستمسك بحجزهم وعضّ عليهم بالنواجذ.

وإذا رأيت من أصحابك من هو مهمل ولا يبالي هلكت أم بقيت؛ بل ربما يسعى لهلاكك، فاحذره فإنه السم الناقع والعياذ بالله، لا تقرب هؤلاء؛ بل ابتعد عنهم، وفرَّ منهم فرارك من الأسد، فالإنسان الموفق هو الذي لا يكون بليدًا كالحجر بل الذي يكون فطنًا ذكيًّا كالزجاجة يُرى ما وراءها من صفائها، فيكون عنده يقظة شفافة بحيث يرى ويعرف ما ينفعه وما يضره، فيحرص على ما ينفعه ويجتنب ما يضره. ونسأل الله لنا وللمسلمين التوفيق.



٨٣ـ باب النّهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرّض بها

١ / ٦٨٠ ـ عن أبي موسى الأشعَرِيِّ رضي الله عنه قال: دَخَلتُ على النَّبِيِّ ﷺ أنَا وَرَجُلانِ من بني عمِّي، فقالَ أحَدُهُمَا: يا رسولَ الله أمِّرنَا عَلى بَعض مَا وَلاَّكَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وقال الآخرُ مِثل ذلكَ، فقال: «إنَّا وَاللهِ لا نُوَلِّي هذَا العَمَلَ أحَدًا سَأَلَه، أو أحَدًا حَرَصَ عليه» متفقٌ عليه[(١)].

الشرح

هذا الباب الذي ذكره المؤلف الحافظ النووي رحمه الله: النهي عن تولية من طلب الإمارة أو حرص عليها. وقد سبق في حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها».

كذلك أيضًا لا ينبغي لولي الأمر إذا سأله أحد أن يُؤمره على بلد أو على قطعة من الأرض فيها بادية أو ما أشبه ذلك، حتى وإن كان

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم (٧١٤٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب في الأمر بالتيسير، رقم(١٧٣٣).

الطالب أهلاً لذلك؛ لأن النبي ﷺ كما في حديث أبي موسى الذي ذكره المصنف لما سأله الرجلان أن يؤمرهما على بعض ما ولاه الله عليه، قال: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه»؛ يعني لا نولي أحدًا شيئًا سأل أن يتأمر عليه أو حرص عليه، وذلك لأن الذي يطلب أو يحرص على ذلك ربما يكون غرضه بهذا أن يجعل لنفسه سلطة لا أن يصلح الخلق، فلما كان قد يُتهم بهذه التهمة؛ منع النبي ﷺ أن يُولَّى من طلب الإمارة. وقال: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه»

وكذلك أيضًا لو أن أحدًا سأل القضاء؛ فقال لولي الأمر في القضاء كوزير العدل مثلاً: ولني القضاء في البلد الفلاني، فإنه لا يولى، وأما من طلب النقل من بلد إلى بلد أو ما أشبه ذلك فلا يدخل في هذا الحديث؛ لأنه قد تولى من قبل ولكنه طلب أن يكون في محل آخر، إلا إذا علمنا أن نيته وقصده هي السلطة على أهل هذه البلدة فإننا نمنعه. فالأعمال بالنيات.

فإن قال قائل: كيف تجيبون عن قول يوسف عليه الصلاة والسلام للعزيز: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

فإننا نجيب بأحد جوابين:

الأول: إما أن يُقال إن شرع من قبلنا إذا خالفه شرعنا؛ فالعمدة على شرعنا، بناء على القاعدة المعروفة عند الأصوليين «شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه» وقد ورد شرعنا بخلافه: أننا لا نولي الأمر أحدًا طلب الولاية عليه.

الثاني: أو يُقال: إن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى أن المال ضائع وأنه يُفرط فيه ويُلعب فيه، فأراد أن ينقذ البلاد من هذا التلاعب، ومثل هذا يكون الغرض منه إزالة السوء، سوء التدبير وسوء العمل، ويكون هذا لا بأس به؛ فمثلاً إذا رأينا أميرًا في ناحية لكنه قد أضاع الإمرة وأفسد الخلق، فلنا أن نقول: ولونا على هذه البلدة لأجل دفع الشر الذي فيها ويكون هذا لا بأس به، ويكون متمشيًا مع القواعد.

ويدل على هذا حديث عثمان بن أبي العاص، أنه قال للنبي ﷺ: اجعلني إمام قومي؛ يعني في الصلاة، فقال: «**أنت إمامهم**»[(١)] فولي الأمر ينظر ما هو السبب في أن هذا الرجل طلب أن يكون أميرًا، طلب أن يكون قاضيًا، طلب أن يكون إمامًا، ثم يعمل بما يرى أن فيه المصلحة، والله الموفق.

* * *

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب أخذ الأجر على التأذين، رقم(٥٣١).

كتاب الأدب

٨٤ـ باب الحياء وفضله والحثّ على التخلّق به

١/٦٨١ ـ عنِ ابْنِ عُمَرَ رضيَ الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أخَاهُ في الحَيَاءِ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «دَعْهُ فَإنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإيمانِ» متفقٌ عليه[١].

٢/٦٨٢ ـ وعن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الحَياءُ لا يَأتي إلا بخَيْرٍ» متفقٌ عليه[٢].

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» أوْ قَالَ: «الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»[٣].

الشرح

قال المؤلف النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين: كتاب: الأدب، باب: الحياء وفضله والحث عليه.

الأدب: الأخلاق التي يتأدب بها الإنسان، وهي أنواع كثيرة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم(١٢٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم(٣٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم(٦١١٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم(٣٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم(٣٧) [٦١].

منها: الكرم، والشجاعة، وطيب النفس، وانشراح الصدر، وطلاقة الوجه، وغير ذلك كثير.

فالأدب هو عبارة عن أخلاق يتخلق بها الإنسان يمدح عليها، ومنها الحياء.

والحياء صفة في النفس تحمل الإنسان على فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين، فتجده إذا فعل شيئًا يخالف المروءة؛ استحيا من الناس، وإذا فعل شيئًا محرمًا؛ استحيا من الله عزَّ وجلَّ، وإذا ترك واجبًا؛ استحيا من الله، وإذا ترك ما ينبغي فعله؛ استحيا من الناس.

فالحياء من الإيمان، ولهذا ذكر ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر برجل من الأنصار يعظ أخاه في الحياء، يعني أنه يحثه عليه ويرغبه فيه، فبيَّن النبي عليه الصلاة والسلام أن الحياء من الإيمان.

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(١)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم(٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم(٣٥).

وإذا كان عند الإنسان حياء وجدته يمشي مشيًا مستقيمًا، ليس بالعجلة التي يذم عليها، وليس بالتماوت الذي يذم عليه أيضًا، كذلك إذا تكلم تجده لا يتكلم إلا بخير وبكلام طيب، وبأدب، وبأسلوب رفيع حسب ما يقدر عليه.

وإذا لم يكن حييًّا فإنه يفعل ما شاء، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(١).

وكان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها(٢).

العذراء: المرأة التي لم تتزوج، وعادتها أن تكون حيية، فالرسول عليه الصلاة والسلام أشدّ حياء من العذراء في خدرها، ولكنه لا يستحي من الحق، يتكلم بالحق ويصدع به ولا يبالي بأحد.

أما ما لا تضيع به الحقوق فإن النبي ﷺ كان أشد الناس حياءً عليه الصلاة والسلام. فعليك يا أخي باستعمال الحياء والأدب والتخلق بالأخلاق الطيبة التي تمدح عليها بين الناس، والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، رقم(٦١٢٠).
(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم(٦١١٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم(٢٣٢٠).

٣/٦٨٣ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأفَضَلُهَا: قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وأدْنَاهَا: إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ» متفقٌ عليه(١).

«البِضْعُ»: بكسر الباءِ، ويجوز فتحها، وَهُوَ مِنَ الثَّلاثَةِ إِلى الْعَشَرَةِ «وَالشُّعْبَةُ»: القِطْعَةُ وَالخَصْلَةُ. «وَالإماطَةُ»: الإزَالَةُ. «والأذَى»: مَا يُؤذِي كَحَجَرٍ وَشَوْكٍ وَطينٍ وَرَمَادٍ وقَذَرٍ وَنحُوِ ذلكَ.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة**»؛ شك من الراوي هل قال النبي ﷺ: «**بضع وسبعون**»، أو قال: «**بضع وستون**»؟ «**فأفضلها**» وفي لفظ: «**فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» هذا هو الشاهد لهذا الباب؛ باب الحياء وفضله.

في هذا الحديث بيّن الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإيمان

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم(٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم(٣٥).

شعب كثيرة؛ بضع وستون أو بضع وسبعون، ولم يبيّنها الرسول عليه الصلاة والسلام لأجل أن الإنسان يجتهد بنفسه ويتتبع نصوص الكتاب والسنة حتى يجمع هذه الشعب ويعمل بها، وهذا كثيرٌ أي أنه يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة يُبهمها الله ورسوله من أجل امتحان الخلق ليتبين الحريص من غير الحريص.

فمثلاً ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان أو في السبع الأواخر من رمضان، لكن لا يعلم أي ليلة هي، من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي رجاء هذه الليلة، ولو عُلمت بعينها لاجتهد الناس في تلك الليلة وكسلوا عن بقية الليالي.

ومن ذلك ساعة الإجابة في يوم الجمعة «**فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه**»(١) هذه أيضًا مبهمة من أجل أن يحرص الناس على التحري والعمل.

كذلك في الليل، في كل ليلة ساعة إجابة لا يوافقها أحد يدعو الله سبحانه وتعالى إلا استجاب له.

كذلك أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «**أن لله تسعة وتسعين**

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، رقم(٩٣٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، رقم(٧٥٧).

اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»[١] ولم يعدها، والحديث الوارد في سردها حديثٌ ضعيف، لا تقوم به حجة.

وعلى هذا فإن قول الرسول ﷺ هنا: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة»، ترك تعيينها من أجل أن نحرص نحن على تتبعها من الكتاب والسنة، حتى نجمع هذه الشعب، ثم نقوم بالعمل بها، وهذا من حكمة النبي ﷺ التي آتاها الله عزَّ وجلَّ له.

يقول الرسول ﷺ هذه الشعب: «أفضلها» و«أعلاها قول لا إله إلا الله» هذه الكلمة العظيمة لو وزنت بها السموات السبع والأرضون السبع وجميع المخلوقات لرجحت بهن؛ لأنها أعظم كلمة، وهي كلمة التوحيد التي إذا قالها الإنسان صار مسلمًا، وإذا استكبر عنها صار كافرًا، فهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.

ولذلك كانت أعلى شعب الإيمان وأفضل شعب الإيمان: «لا إله إلا الله»؛ أي لا معبود حق إلا الله عزَّ وجلَّ، فكل المعبودات من دون الله، فإنها باطلة إلا الله وحده لا شريك له، فهو الحق كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد، رقم(٦٤١٠)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، بدون رقم.

والإيمان بهذا التوحيد العظيم ـ أنه لا معبود حق إلا الله ـ يتضمن الإيمان بأنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر للخلق إلا الله، ولا يملك الضر والنفع إلا الله.

ويتضمن كذلك الإيمان بأسماء الله وصفاته إذ لا يُعبد إلا من عُلم أنه أهل للعبادة، ولا أهل للعبادة سوى الخالق عزَّ وجلَّ؛ لهذا كانت هذه الكلمة أعلى شعب الإيمان وأفضل شعب الإيمان، ومن خُتم له بها في الحياة الدنيا فإنه يكون من أهل الجنة، فإن «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»[1]، نسأل الله أن يختم لنا ولكم بها إنه على كل شيء قدير.

«أعلاها قول لا إله إلا الله»، «وأدناها» يعني الشيء الهين «إماطة الأذى عن الطريق»؛ الأذى: ما يؤذي المارة من شوك، أو خرق، أو خشب، أو حجر أو غير ذلك، إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وهذا يدل على سعة الإيمان وأنه يشمل الأعمال كلها.

«والحياء شعبة من الإيمان»؛ الحياء انكسار يكون في القلب، وخجل لفعل ما لا يهتم به الناس، أو ما لا يستحسنه الناس. الحياء من الله، والحياء من الخلق من الإيمان. الحياء من الله يوجب للعبد أن يقوم بطاعة الله، وأن ينتهي عما نهى الله، والحياء من الناس

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب في التلقين، رقم(٣١١٦).

يوجب للعبد أن يستعمل المروءة، وأن يفعل ما يجمله ويزينه عند الناس، ويتجنب ما يدنسه ويشينه، فالحياء من الإيمان.

وسئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[١]، فإذا جمعت هذا الحديث إلى الحديث الآخر ـ يعني هذا الحديث الذي نتكلم عليه الآن، والحديث الآخر الإيمان أن تؤمن بالله ـ تبيَّن لك أن الإيمان كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة يشمل العقيدة، ويشمل القول، ويشمل الفعل؛ ويشمل عمل القلب عقيدة القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، أربعة.

«**لا إله إلا الله**» هي قول اللسان، «**إماطة الأذى عن الطريق**» عمل الجوارح، «**الحياء**» عمل القلب، «**الإيمان بالله وملائكته وكتبه**» اعتقاد القلب.

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يتضمن كل هذه الأربعة: اعتقاد القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة كثيرة.

في هذا الحديث حث على إماطة الأذى عن الطريق؛ لأنه إذا كان من الإيمان فافعله؛ يزدد إيمانك، ويكمُل إيمانك، فإذا وجدت

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم(٨).

أذًى في الطريق؛ حجرًا أو زجاجًا أو شوكًا أو غير ذلك، فأزله فإن ذلك من الإيمان، حتى السيارة إذا جعلتها في وسط الطريق وضيقت على الناس فقد وضعت الأذى في طرق الناس، وإزالة ذلك من الإيمان، وإذا كان إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، فوضع الأذى في الطريق من الخسران والعياذ بالله، ومن نقص الإيمان، ولذلك يجب أن يكون الإنسان حيَّ القلب، يشعر بشعور الناس.

تجد بعض الناس الآن يوقف السيارة في أي مكان بالطول أو بالعرض دون اهتمام سواءً كان المكان ضيقًا أو واسعًا. وليست هذه خصال المؤمن، بل إن المؤمن هو الذي يكون حيَّ القلب، يشعر بشعور الناس، يحب للناس ما يحب لنفسه، كيف تأتي مثلاً وتوقف سيارتك في عرض الطريق ولا تبالي أضيقت الطريق على الناس أم لم تضيقه؟!

أحيانًا يسدون الطريق، يقفون عند أبواب المساجد، ويكون الطريق ضيقًا، فإذا خرج الناس يوم الجمعة ضيقوا عليهم، هذا خطأ كبير، فإماطة الأذى عن الطريق صدقة.

فعلى هذا ينبغي للإنسان أن يقوم بإماطة الأذى عن الطريق، وإذا كان لا يستطيع ـ كما لو كانت أحجارًا كبيرة أو أكوامًا من الرمل أو ما أشبه ذلك ـ فليبلغ المسؤولين، ليبلغ البلدية مثلاً؛ لأنها

المسؤولة عن هذا، يبلغها حتى يكون ممن تعاونوا على البر والتقوى.

الحياء شعبة من الإيمان، فإذا كان الإنسان حييًا لا يتكلم بما يدنسه عند الناس، ولا يفعل ما يدنسه عند الناس؛ بل تجده وقورًا ساكنًا مطمئنًّا، فهذا من علامة الإيمان. والله الموفق.

* * *

٤/٦٨٤ ـ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإذَا رَأى شَيئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. متفقٌ عليه[1].

قال العلماء: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وروينا عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله قال: الحياء رؤية الآلاء ـ أي النعم ـ ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء.

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله في باب الحياء وفضله فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ «كان أشد حياءً من العذراء في خدرها».

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم(٦١٠٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم(٢٣٢٠).

العذراء: هي المرأة التي لم تتزوج وهي أشد النساء حياءً؛ لأنها لم تتزوج ولم تعاشر الرجال فتجدها حيية في خدرها، فرسول الله ﷺ أشدُّ حياءً منها، ولكنه ﷺ إذا رأى ما يكره عُرف ذلك في وجهه، يتغير وجهه، لكن يستحي عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يكون حييًا لا يتخبط، ولا يفعل ما يخجل، ولا يفعل ما ينتقد عليه، ولكن إذا سمع ما يكره أو رأى ما يكره، فإنه يتأثر، وليس من الرجولة أن لا تتأثر بشيء؛ لأن الذي لا يتأثر بشيء يعني البليد الذي لا يحس، لكن تتأثر ويمنعك الحياء أن تفعل ما يُنكر، أو أن تقول ما يُنكر.

ثم إن الحياء لا يجوز أن يمنع الإنسان من السؤال عن دينه فيما يجب عليه؛ لأن ترك السؤال عن الدين فيما يجب ليس حياءً، ولكنه خور، فالله عزَّ وجلَّ لا يستحي من الحق.

قالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[1] فكانت المرأة تأتي تسأل النبي ﷺ عن الشيء الذي يستحي من ذكره الرجال، لكن باب الدين لابد أن يسأل الإنسان عن دينه ولا يستحيي.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض..، رقم(٣٣٢).

ولهذا لما جاء ماعز بن مالك رضي الله عنه إلى النبي عليه الصلاة والسلام جاء يُقر بالزنا يقول إنه زنى، فأعرض عنه النبي عليه الصلاة والسلام، ثم جاء ثانية وقال إنه زنى، فأعرض عنه، ثم جاء ثالثة وقال إنه زنى، فأعرض عنه النبي عليه الصلاة والسلام يريد أن يتوب فيتوب الله عليه.

فلما جاء الرابعة ناقشه النبي عليه الصلاة والسلام قال: «أبك جنون؟» قال: لا يا رسول الله قال: «أتدري ما الزنا؟» قال: نعم، الزنا أن يأتي الرجل من المرأة حرامًا ما يأتي الرجل من زوجته حلالاً، فقال له: «أنكتها»[(١)]؛ لا يكني، صرح مع أن هذا مما يُستحى منه، لكن الحق لا يُستحى منه، قال له: «أنكتها» قال: نعم، قال: «حتى غاب ذلك منك في ذلك منها. قال: نعم. قال: كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟» قال: نعم[(٢)]. فهذا شيء يُستحى منه لكن في باب الحق لا تستحي.

جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ تسأله فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر...، رقم(٦٨٢٤).
(٢) هذه رواية أبي داود، كتاب الحدود، باب رجم ماعز بن مالك، رقم(٤٤٢٨).

احتلمت؟ قال: «**نعم إذا هي رأت الماء**»[١].

هذا السؤال ربما يخجل منه الرجل أن يسأله، ولا سيما في المجلس، لكن أم سليم لم يمنعها الحياء من أن تعرف دينها وتتفقه فيه.

وعلى هذا فالحياء الذي يمنع من السؤال عما يجب السؤال عنه حياء مذموم، ولا ينبغي أن نسميه حياءً؛ بل نقول إن هذا خور وجبن، وهو من الشيطان، فدينك اسأل عنه ولا تستح.

أما الأشياء التي لا تتعلق في الأمور الواجبة فالحياء خيرٌ من عدم الحياء، «**وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»[٢].

ومما يجانب الحياء ما يفعله بعض الناس الآن في الأسواق من الكلام البذيء السيء، أو الأفعال السيئة أو ما أشبه ذلك، فلذلك يجب على الإنسان أن يكون حييًا إلا في أمرٍ يجب عليه معرفته فلا يستحي من الحق، والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ...، رقم(٦٠٩١)، ومسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، رقم(٣١٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، رقم(٦١٢٠).

٨٥ ـ بابُ حفظ السرِّ

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

١/٦٨٥ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إلى المَرْأةِ وَتُفْضِي إلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» رواه مسلم[١].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله: باب حفظ السر.

السر هو ما يقع خفية بينك وبين صاحبك. ولا يحل لك أن تفضي هذا السر أو أن تبينه لأحد، سواء قال لك لا تبينه لأحد، أو عُلم بالقرينة الفعلية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد، أو عُلم بالقرينة الحالية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد.

مثال الأول: اللفظ؛ أن يحدثك بحديث ثم يقول: لا تخبر أحدًا، هو معك أمانة.

ومثال الثاني: أن يحدثك وهو في حال تحديثه إياك يلتفت؛

---

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، رقم(١٤٣٧).

يخشى أحدًا يسمع؛ لأن معنى التفاته أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد.

ومثال الثالث: القرينة الحالية؛ أن يكون هذا الذي أخبرك به، أو حدثك به من الأمور التي يستحى من ذكرها أو يخشى من ذكرها أو ما أشبه ذلك، فلا يحل لك أن تبيّن وتبدي هذا السر.

ثم استدل المؤلف رحمه الله لذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ يعني إذا عاهدتم على شيء بلسان الحال أو بلسان المقال، فإنه يجب عليكم أن توفوا بالعهد، ومن العهود: الشروط التي تقع بين الناس في البيع والشراء، والإجارة والاستئجار والرهن وغير ذلك، فإن هذه الشروط من العهد.

وكذلك ما يجرى بين المسلمين والكفار من العهد، فإنه يجب على المسلمين أن يوفوا به.

والمعاهدون من الكفار، بيّن الله في سورة التوبة أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

قسم لا يزالون يوفون بالعهد، فهؤلاء يجب أن نوفي بعهدهم.

وقسم ثانٍ نقضوا العهد، فهؤلاء لا عهد بيننا وبينهم؛ لأنهم نقضوا العهد، قال الله تعالى: ﴿أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].

وقسم ثالث لم ينقضوا العهد ولم يتبين لنا أنهم سيستمرون في الوفاء به؛ بل نخاف منهم أن يخونوا وينقضوا العهد، فهؤلاء قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، يعني قل لهم: إنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يكون الأمر صريحًا.

فالمهم أن جميع ما يشترط بين الناس فإنه من العهود، ومن ذلك التزام الموظفين بأداء عملهم، فإن الموظف قد التزم بالشروط التي تشترطها الحكومة على الموظفين؛ من الحضور في أول الدوام وعدم الخروج إلا بعد انتهاء الدوام، والنصح في العمل، وما أشبه ذلك مما هو معروف في ديوان الخدمة.

فالواجب الوفاء بهذه العهود وإلا فاترك الوظيفة وكن حرًّا فيما تعمل؛ لأن الوظيفة لم يلزموك بها؛ لكن أنت الذي أتيت وتوظفت، فيجب أن تلتزم بما تقتضيه شروط هذه الوظيفة من كل شيء، وإلا فدعها وكن حرًّا فيما تريد، ولا أحد يحاسبك إلا الله عزَّ وجلَّ.

ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من أشر الناس منزلة يوم القيامة» أشر: هذه لغة قليلة؛ لأن اللغة الكثيرة حذف الهمزة، فخير وشر الأكثر فيهما في اللغة حذف الهمزة، لا يُقال أخير ولا أشر إلا قليلاً، وإنما يُقال خير وشر. قال

الله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]، حَذَفَ الهمزة في خير وشر لكن يأتي ذكرها أحيانًا بناء على الأصل.

فهنا «**إن من أشر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه**» يعني بذلك الزوجة «**فيصبح ينشر سرها**» أو هي أيضًا تصبح تنشر سره، فيقول فعلت في امرأتي البارحة كذا. فعلت كذا وفعلت كذا، والعياذ بالله، فالغائب كأنه يشاهد. كأنه بينهما في الفراش، والعياذ بالله، يخبره بالشيء السر الذي لا تحب الزوجة أن يطلع عليه أحد.

أو الزوجة كذلك تخبر النساء بأن زوجها يفعل بها كذا وكذا، وكل هذا حرام ولا يحل، وهو من شر الناس منزلة عند الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة.

فالواجب أن تحفظ الأمور السرية في البيوت وفي الفرش وفي غيرها؛ وألا يطلع عليها أحد أبدًا. فإن من حَفَظَ سر أخيه حفظ الله سره، والجزاء من جنس العمل، والله الموفق.

*　*　*

٤ /٦٨٨ ـ وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: أَتَى عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ وأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي في حاجَةٍ، فَأَبْطَأتُ عَلى أمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ لحَاجَةٍ. قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قلتُ: إِنَّهَا سِرٌّ: قالتْ : لا تُخْبِرَنَّ بِسِرِّ رسول الله ﷺ أحَدًا. قال أنَسٌ: وَالله لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أحَدًا لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم[١]. وروى البخاري بَعْضَهُ مُخْتَصَرًا[٢].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله تعالى في باب حفظ السر فيما نقله عن ثابت البناني رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ مر به وهو يلعب مع الصبيان فسلم عليهم، يعني سلم على الصبيان وهم يلعبون ـ لأن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس خلقًا، فكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم ـ ثم دعا أنس بن مالك رضي الله عنه وأرسله في حاجة.

فأبطأ على أمه ـ وأمه أم سليم امرأة أبي طلحة ـ، فلما جاء إليها سألته: ما الذي أبطأ بك؟، قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة؛ يعني أرسلني بها. قالت: ما حاجته؟ قال: ما كنت لأخبر بسر رسول الله

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن جعفر، رقم(٢٤٨٢).
(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب حفظ السرّ، رقم(٦٢٨٩).

ﷺ، فقالت: لا تخبرن أحدًا بسر رسول الله ﷺ. قال أنس لثابت ـ وكان ممن يلازمه ـ: لو كنت مخبرًا أحدًا بذلك لأخبرتك به؛ أي بالحاجة التي أرسله النبي ﷺ بها.

ففي هذا الحديث فوائد:

أولاً: حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه الجم وأنه ـ على شرفه ومكانته وجاهه عند الله وعند خلقه ـ يُتواضع حتى يسلم على الصبيان وهم يلعبون في السوق. ومن منا يفعل ذلك إلا من شاء الله.

ثانيًا: من فوائد هذا الحديث أنه يسن للإنسان أن يسلم على من مر به ولو كان من الصبيان؛ لأن السلام دعاء تدعو لأخيك: السلام عليك. ورده دعاء لك يقول: عليك السلام، ولأنك إذا سلمت على الصبيان عودتهم التربية الحسنة حتى ينشئوا عليها ويعيشوا عليها، ويكون لك أجر في كل ما اقتدوا بك فيه، فكل شيء يقتدي بك الإنسان من أمور الخير لك فيه أجر.

ثالثًا: **ومن فوائد هذا الحديث أيضًا**: جواز إرسال الصبي بالحاجة لكن بشرط أن يكون مأمونًا فيها، أما إذا كان غير مأمون؛ بأن يكون الصبي كثير اللعب ولا يهتم بالحوائج فلا تعتمد عليه.

رابعًا: ومنها ما ذكره الفقهاء رحمهم الله أن الصبي إذا جاءك

بحاجة وقال هذه من أبي هذه من أمي وما أشبه ذلك، فلك أن تقبلها وإن كان هو بنفسه لا يملك أن يتبرع من ماله بشيء، لكن إذا جاءك على أنه مرسل وقال: هذا من أبي؛ جاءك مثلاً بتمر، جاءك ببطيخ، جاءك بثوب، بأي شيء، إذا جاءك فاقبله ولا تقل: هذا صبي ربما سرقها، ربما كذا، أخذًا بالظاهر.

خامسًا: ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: مراعاة الوالدة والأهل، وأن الإنسان إذا أراد أن يقضي حاجة وخاف أن يبطىء عليهم، أن يخبرهم إذا لم تفت الحاجة بذلك؛ يعني أنك إذا خرجت من أهلك فينبغي أن تقول خرجت للجهة الفلانية حتى يطمئنوا ولا تنشغل خواطرهم، والإنسان لا يدري ربما يذهب إلى الجهة الفلانية ويصاب بحادث أو مرض أو غيره، فإذا لم يكن معلومًا؛ بقي أمره مشكلاً عند أهله، فينبغي إذا أردت أن تذهب إلى شيء غير معتاد أن تخبرهم بوجهتك، أما الشيء المعتاد مثل الخروج للمسجد وما أشبهه فلا بأس.

لكن إذا أردت أن تخرج إلى شيء غير معتاد كأن تذهب إلى بلد قريب من بلدك قلت: اليوم أذهب إلى المكان الفلاني. أو تريد أن تذهب في نزهة قل: أذهب اليوم في نزهة، أخبرهم حتى يطمئنوا.

سادسًا: ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: أنه لا يجوز للإنسان أن

يبدي سر شخص حتى لأمه وأبيه. فلو أن إنسانًا أرسلك في حاجة، ثم قال لك أبوك: ما الذي أرسلك به؟، لا تخبره ولو كان أباك، أو قالت أمك: ما الذي أرسلك به؟، لا تخبرها ولو كانت أمك؛ لأن هذا من أسرار الناس ولا يجوز إبداؤها لأحد.

سابعًا: ومنها حسن تربية أم سليم لابنها حيث قالت: لا تخبرن أحدًا بسرِّ رسول الله ﷺ وإنما قالت له ذلك ـ مع أنه لم يخبرها ولم يخبر غيرها ـ تأييدًا له وتثبيتًا له وإقامة للعذر له؛ لأنه أبى أن يخبرها؛ لأنه سر رسول الله ﷺ، فقالت: لا تخبرن به أحدًا، كأنها تقول: أنا أوافقك على هذا فاستمسك به.

ثامنًا: ومنها إظهار محبة أنس لثابت البناني رحمه الله؛ لأنه ملازم له، ولهذا تجده يروي عنه كثيرًا، ولهذا قال له لو: كنت مخبرًا أحدًا بذلك لأخبرتك، وهذا يدل على المحبة بين أنس وبين تلميذه ثابت.

وهكذا أيضًا ينبغي أن تكون المودة بين التلاميذ ومعلمهم متبادلة؛ لأنه إذا لم يكن بين التلميذ والمعلم مودة؛ فإن التلميذ لا يقبل كل ما قاله معلمه، وكذلك المعلم لا ينشط لتعليم تلميذه ولا يهتم به كثيرًا، فإذا صارت المودة بينهم متبادلة حصل بهذا خير كثير، والله الموفق.

٨٦ـ باب الوفاء بالعَهْد وإنجاز الوَعد

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله تعالى: باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد.

العهد: ما يعاهد الإنسان به غيره، وهو نوعان: عهد مع الله، وعهد مع عباد الله.

فأما العهد مع الله عزَّ وجلَّ، فإن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقد أخذ الله العهد على عباده جميعًا أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ لأنه ربهم وخالقهم.

وأما العهد مع عباد الله؛ فالعهود التي تقع بين الناس؛ بين الإنسان وبين أخيه المسلم، بين المسلم وبين الكفار، وغير ذلك من العهود المعروفة. فقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ يعني أن الوفاء بالعهد مسؤول عنه الإنسان يوم القيامة، يُسأل عن عهده هل وفى به أم لا؟

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ يعني ولا تخلفوا العهد.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ والإنسان إذا عاهد ولم يف فقد قال ما لا يفعل.

يعني لو قلت لشخص: عاهدتك ألا أخبر بالسر الذي بيني وبينك، أو عاهدتك ألا أخبر بما صنعت في كذا وكذا ثم نقضت وأخبرت، فهذا من القول بما لا يفعل ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ﴾ يعني كبر بغضًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، فإن الله يبغض هذا الشيء ويحب الموفين بالعهد إذا عاهدوا.

* * *

١/٦٨٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» متفقٌ عليه(١).

زَادَ في روايةٍ لمسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مسلِمٌ»(٢).

٢/٦٩٠ ـ وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كان مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خصلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفقٌ عليه(٣).

٣/٦٩١ ـ وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَ مالُ الْبَحْرَيْنِ أعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكذَا» فَلَمْ يَجيء مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النبيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْن أَمَرَ أَبُو بَكْر رضي الله عنه فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأتِنَا، فَأتَيْتُهُ وقُلتُ لَهُ: إنَّ النبي ﷺ قال لي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لي حَثْيَةً، فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسِمائَةٍ، فقال لي: خُذْ مِثْلَيْهَا. متفقٌ عليه(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة النفاق، رقم(٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم(٥٩).
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم(٥٩) [١٠٩].
(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة النفاق، رقم(٣٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم(٥٨).
(٤) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم(٢٦٨٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ، رقم(٢٣١٤).

الشرح

نقل المؤلف الحافظ النووي رحمه الله في رياض الصالحين في باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث**» آيته يعني علامته ثلاث: «**إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» يعني هذه من علامات المنافقين.

إذا رأيت الرجل يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، ويخون إذا اؤتمن، فهذه من علامات المنافقين؛ لأن أصل المنافق مبني على التورية والستر، يستر الخبث ويظهر الطيب، يستر الكفر ويظهر الإيمان.

والكاذب كذلك يخبر بخلاف الواقع، والواعد الذي يعد ويخلف كذلك، وكذلك الذي يخون إذا اؤتمن فهذه علامات النفاق والعياذ بالله.

وفي هذا التحذير من الكذب وأنه من علامات المنافقين، فلا يجوز للإنسان أن يكذب، لكن إن اضطر إلى التورية وهي التأويل فلا بأس؛ مثل أن يسأله أحد عن أمر لا يحب أن يطلع عليه غيره فيحدث بشيء خلاف الواقع، لكن يتأول فهذا لا بأس به.

وأما إخلاف الوعد فحرام، يجب الوفاء بالوعد سواء وعدته

مالاً، أو وعدته إعانة تعينه في شيء، أو أي أمر من الأمور إذا وعدت فيجب عليك أن تفي بالوعد.

وعلى هذا ينبغي للإنسان أن يحدد في المواعيد ويضبطها فإذا وعدك في المكان الفلاني، فليحدد الساعة الفلانية من أجل إذا تأخر الموعود وانصرف الواعد يكون له عذر، حتى لا يربطه في المكان كثيرًا.

وقد اشتهر عند بعض السفهاء أنهم يقولون أنا أواعدك ولا أخلفك؛ وعدي إنجليزي، يظنون أن الذين يوفون بالوعد هم الإنجليز، ولكن الوعد الذي يُوفى به هو وعد المؤمن، ولهذا ينبغي أن تقول إذا وعدت أحدًا وأردت أن تؤكد: إنه وعد مؤمن، حتى لا يخلفه؛ لأنه لا يخلف الوعد إلا المنافق.

«وإذا اؤتمن خان» يعني إذا ائتمنه الناس على أموالهم أو على أسرارهم أو على أولادهم أو على أي شيء من هذه الأشياء؛ فإنه يخون والعياذ بالله، فهذه أيضًا من علامة النفاق.

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ففيه: «أربعٌ من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها» فالمراد به أن هذه الأربع لا تجتمع إلا في المنافق الخالص، وإن كان المؤمن قد يحصل له واحدة

منها، لكنه لا يكون منافقًا خالصًا؛ بل يكون فيه خصلة من نفاق حتى يدعها.

وهذه الأربع هي:

«إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب» وسبق الكلام على هاتين الجملتين.

والثالثة: قال: «وإذا عاهد غدر» ـ وهو قريب من قوله فيما سبق «إذا وعد أخلف» ـ أي إذا عاهد أحدًا غدر به، ولم يف بالعهد الذي عاهده عليه.

والرابعة: «إذا خاصم فجر» والخصومة: هي المخاصمة عند القاضي ونحوه، فإذا خصم فجر. والفجور في الخصومة على نوعين:

أحدهما: أن يدَّعي ما ليس له.

والثاني: أن ينكر ما يجب عليه.

مثال الأول: ادعى شخص على آخر فقال عند القاضي: أنا أطالب هذا الرجل بألف ريال ـ وهو كاذب ـ وحلف على هذه الدعوى، وأتى بشاهد زور، فحكم له القاضي، فهذا قد خاصم ففجر؛ لأنه ادعى ما ليس له، وحلف عليه.

ومثال الثاني: أن يكون عند شخص ألف ريال فيأتيه صاحب

الحق فيقول: أوفني حقي، فيقول: ليس عندي لك شيء، فإذا اختصما إلى القاضي ولم يكن للمدَّعِي بينة، حلف هذا المنكر الكاذب في إنكاره أنه ليس في ذمته له شيء، فيحكم القاضي ببراءته، فهذه خصومة فجور والعياذ بالله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان**»(١) نعوذ بالله.

هذه الخصال الأربع إذا اجتمعت في المرء كان منافقًا خالصًا؛ لأنه استوفى خصال النفاق والعياذ بالله، وإذا كان فيه واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها.

وفي هذا الحديث دليلٌ على التحذير البليغ من هذه الصفات الأربع: الخيانة في الأمانة، والكذب في الحديث، والغدر بالعهد، والفجور في الخصومة.

وفيه أيضًا دليلٌ على أن الإنسان قد يجتمع فيه خصال إيمان وخصال نفاق؛ لقوله: «**كان فيه خصلة من النفاق**»، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن الإنسان يكون فيه خصلة نفاق، وخصلة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ...﴾، رقم(٦٦٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، رقم(١٣٨).

إيمان، وخصلة فسوق، وخصلة عدالة، وخصلة عداوة، وخصلة ولاية؛ يعني أن الإنسان ليس بالضرورة أن يكون: إما كافرًا خالصًا أو مؤمنًا خالصًا؛ بل قد يكون فيه خصال من الكفر وهو مؤمن، وخصال من الإيمان.

ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لو قد جاء مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا**» مال البحرين يعني مال الإحساء وما جاورها، كلها تسمى البحرين في ذلك العهد. «**لو قد جاء لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا**» يقول: بيديه عليه الصلاة والسلام، وهذا وعد من رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله أن يعطيه من مال البحرين هكذا وهكذا وهكذا.

فلما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أن يأتي مال البحرين وكان الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه بإجماع الصحابة؛ بايعوه كلهم على أنه هو الخليفة، بعد رسول الله ﷺ.

فجاء مال البحرين في خلافة أبي بكر، فقال رضي الله عنه: «**من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين**» عدة: يعني وعد، أو دين: يعني على الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه ربما يكون الرسول اشترى من أحد شيئًا فلزمه دين، أو وعد أحدًا شيئًا، وفعلاً توفي الرسول عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند رجل يهودي

في المدينة بثلاثين صاعًا من الشعير[١] اشتراها لأهله عليه الصلاة والسلام؛ فهو ﷺ ليس عنده مال، ليس جابيًا، للمال ولا يَبقى عنده المال إلا بمقدار ما يفرقه على المسلمين.

الحاصل أن أبا بكر نادى: من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين» يعني فليأتنا، فجاء جابر رضي الله عنه إلى أبي بكر وقال: إن النبي ﷺ قال: «لو قد جاء مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا» فقال: خذ، فأخذ بيديه فعدها فإذا هي خمسمائة، فقال: خذ مثليها؛ لأن الرسول قال هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات، فأعطاه أبو بكر رضي الله عنه العدة التي وعده إياها رسول الله ﷺ.

وفي هذا الحديث من الفوائد:

جواز تخصيص بعض المسلمين بشيء من بيت المال؛ لأن النبي ﷺ خصص جابرًا، ولكن بشرط ألا يكون ذلك لمجرد الهوى؛ بل للمصلحة العامة أو الخاصة.

وفيه دليلٌ على كرم النبي ﷺ حيث يحثو المال حثيًا، ولا يعده عدًّا لأنه قال بيديه، وهذا يدل على الكرم وأن المال ليس يساوي عنده شيئًا صلوات الله وسلامه عليه، بخلاف الذي جمع مالاً

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفاة النبي ﷺ، رقم(٤٤٦٧)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر، رقم(١٦٠٣).

وعدده، يعدد «الهللات» قبل «الريالات» من حرصه على المال.

وفي هذا دليلٌ أيضًا على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب؛ لأنه وعد وتُوفي قبل أن يفي بالوعد؛ لأن المال لم يأتِ.

وفيه أيضًا دليلٌ على فضيلة أبي بكر رضي الله عنه لمبايعة الصحابة له.

وفيه دليلٌ أيضًا على قبول دعوى المدعي إذا لم يكن له من يرد دعواه، إذا لم يكن منازع وكان هذا المدعي ثقة، أما إذا كان له منازع، فإن البينة على المدعي واليمين على من أنكر. وفي هذه القصة لا منازع لجابر رضي الله عنه؛ لأن أبا بكر هو المسؤول عن بيت المال، وقد عرض على الناس: من كان له عدة أو دين فليأتنا، فجاء جابر ولم يقل له أبو بكر: أين البينة على أن الرسول ﷺ وعدك؟ ما طلب منه البينة؛ لأنه واثق به ولا منازع له.

وفيه دليلٌ أيضًا على اعتبار الشيء بنظيره، وأن الإنسان إذا وزن شيئًا في إناء وكان وزنه مثلاً مائة كيلو، فله أن يملأ هذا الإناء مرة ثانية ويعتبره مائة كيلو إذا تساوى الموزون في الخفة والثقل؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه لما عدّ الحثية الأولى اعتبر الحثية الثانية والثالثة بمثلها في العدد.

فإذا فرضنا أن شخصًا وجب عليه خمسمائة صاع مثلاً، ثم كال في إناء عشرة أصواع، وأراد أن يعتبر الباقي بهذا الإناء، فإن ذلك لا بأس به؛ لأنه إذا تساوى الشيء فإنه لا بأس أن يُعتبر هذا الاعتبار لفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. والله الموفق.



٨٧ـ باب المحافظة على ما اعتاده من الخير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

«وَالأنْكَاثُ»: جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ المَنْقُوضُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] وقال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

١/٦٩٢ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الله، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْل!» متفقٌ عليه[1].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله تعالى، في كتاب رياض الصالحين، باب المحافظة على ما اعتاده من الخير. يعني أن الإنسان إذا اعتاد فعل الخير فينبغي أن يداوم عليه، فمثلاً إذا اعتاد

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يكره من ترك قيام الليل...، رقم(١١٥٢)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به...، رقم(١١٥٩) [١٨٥].

ألا يدع الرواتب - يعني الصلوات النوافل التي تتبع الصلوات الخمس - فليحافظ على ذلك، إذا كان يقوم الليل فليحافظ على ذلك، إذا كان يصلي ركعتين من الضحى فليحافظ على ذلك، وكل شيء من الخير إذا اعتاده فإنه ينبغي أن يحافظ عليه.

وكان من هدي النبي ﷺ أن عمله ديمة، يعني يداوم عليه؛ إذا عمل عملاً أثبته ولم يغيره؛ وذلك لأن الإنسان إذا اعتاد الخير وعمل به ثم تركه، فإن هذا يؤدي إلى الرغبة عن الخير؛ لأن الرجوع بعد الإقدام شر من عدم الإقدام، يعني لو أنك لم تفعل الخير؛ لكان أهون مما إذا فعلته ثم تركته، وهذا شيء مشاهد مجرب.

وذكر المؤلف رحمه الله تعالى عدة آيات من القرآن، كلها تدل على أن الإنسان ينبغي أن يحافظ على ما اعتاده من الخير، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ يعني لا تكونوا كالمرأة الغازلة التي تغزل الصوف، ثم إذا غزلته وأتقنته نقضته أنكاثًا ومزقته؛ بل أديموا على ما عملتم عليه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي أنهم كانوا يعملون العمل الصالح لكن طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وتركوا العمل، فلا تكونوا مثلهم.

وأما الأحاديث فذكر منها المؤلف رحمه الله حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**» كلمة فلان يكنى بها عن الإنسان البشر الرجل. والمرأة يُقال لها فلانة، وهذه الكلمة «فلان» يحتمل أنها من كلام الرسول ﷺ وأن الرسول لم يذكر اسمه لعبد الله بن عمرو سترًا عليه؛ لأن المقصود القضية دون صاحبها، ويحتمل أن الرسول ﷺ عينه لكن أبهمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأيًّا كان فالمهم العمل.

والقضية أن رجلاً كان يقوم من الليل، ثم ترك قيام الليل، فلم يثبته ولم يداوم عليه، مع أن قيام الليل في الأرض سنة، فلو لم يفعله الإنسان لم يُلم عليه؛ يعني لو لم يقم من الليل ما لامه أحد ولا قال له: «لماذا لم تقم من الليل؟»؛ لأنه سنة، لكن كونه يقوم ثم يرجع ويترك، هذا هو الذي يلام عليه. ولهذا قال الرسول ﷺ: «**لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**».

ومن ذلك وهو أهم وأعظم أن يبدأ الإنسان بطلب العلم الشرعي، ثم إذا فتح الله عليه بما فتح، تركه، فإن هذا كفرُ نعمةٍ أنعمها الله عليه، فإذا بدأت بطلب العلم فاستمر إلا أن يشغلك عنه شيء على وجه الضرورة، وإلا فداوم؛ لأن طلب العلم فرض

كفاية، وكل من طلب العلم فإن الله تعالى يثيبه على طلبه ثوابَ الفرض. وثواب الفرض أعظم من ثواب النافلة، كما جاء في الحديث الصحيح أن الله تعالى قال: «**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه**»(١) فطلب العلم فرض كفاية إذا قام به الإنسان قام بفرض عن عموم الأمة، وقد يكون فرض عين فيما إذا احتاج الإنسان إليه في نفسه، كمن أراد أن يصلي فلابد أن يتعلم أحكام الصلاة، ومن كان عنده مال فلابد أن يتعلم أحكام الزكاة، والبائع والمشتري لابد أن يتعلما أحكام البيع والشراء، ومن أراد أن يحج فلابد أن يتعلم أحكام الحج؛ هذا فرض عين.

أما بقية العلوم فهي فرض كفاية، فإذا شرع الإنسان في طلب العلم فلا يرجع وإنما يستمر إلا أن يصده عن ذلك أمر ضروري، ولهذا كان المنافقون هم الذين إذا بدأوا بالعمل تركوه.

في غزوة أحد خرج مع النبي ﷺ نحو ألف رجل وكان منهم الثلث تقريبًا من المنافقين ولما كانوا في أثناء الطريق بين المدينة وأحد، رجع المنافقون؛ لأنهم لم يخرجوا لله، رجعوا وقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم(٦٥٠٢).

فالحاصل أنه ينبغي للمسلم إذا منَّ الله عليه بعمل مما يُتعبد به الله من عبادات خاصة كالصلاة، أو عبادات متعدية للغير كطلب العلم ألا يتقاعس وألا يتأخر، بل يستمر؛ فإن ذلك من هدي النبي ﷺ ومن إرشاده بقوله: «**يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**». والله الموفق.



٨٨ـ باب استحِباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١/٦٩٣ ـ عَنْ عَدِيٍّ بن حاتمٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» متفقٌ عليه[١].

٢/٦٩٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» متفقٌ عليه[٢]. وهو بعض حديث تقدم بطولِه.

٣/٦٩٥ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيئًا، وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجِهٍ طَلِقٍ» رواه مسلم[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب طيب الكلام، رقم(٦٠٢٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم(١٠١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، رقم(٢٨٩١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من، رقم(١٠٠٩).

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم(٢٦٢٦).

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله تعالى: باب (استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء) يعني إذا لاقى الإنسان أخاه، فإنه ينبغي له أن يلاقيه بالبشر وطلاقة الوجه وحسن المنطق؛ لأن هذا من خُلق النبي ﷺ، ولا يعد هذا تنزلاً من الإنسان، ولكنه رفعة للإنسان وأجر له عند الله عزَّ وجلَّ، واتباع لسنة النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ كان دائم البشر، كثير التبسم صلوات الله وسلامه عليه.

فالإنسان ينبغي له أن يلقى أخاه بوجه طلق، وبكلمة طيبة؛ لينال بذلك الأجر والمحبة والألفة، والبُعد عن التكبر والترفع على عباد الله.

ثم ذكر المؤلف آيات منها قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ واخفض جناحك: يعني تنازل وتواضع للمؤمنين؛ لأن المؤمن أهل لأن يُتواضع له.

أما الكفار فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، لكن الذي يُتلقى بالبشر وطلاقة الوجه هو المؤمن، أما الكافر فإن

كان يُرجى إسلامه إذا عاملناه بطلاقة الوجه والبشر، فإننا نعامله بذلك رجاء إسلامه وانتفاعه بهذا اللقاء.

وأما إذا كان هذا التواضع وطلاقة الوجه لا يزيده إلا تعاليًا على المسلم وترفعًا عليه؛ فإنه لا يقابل بذلك.

ثم إن طلاقة الوجه توجب سرور صاحبك؛ لأنه يُفرق بين شخص يلقاك بوجه معبس وشخص يلقاك بوجه منطلق، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، فهذا من المعروف؛ لأنه يدخل السرور على أخيه، ويشرح صدره.

ثم إذا قارن ذلك بالكلمة الطيبة صار بذلك مصلحتان: طلاقة الوجه، والكلمة الطيبة التي قال عنها النبي ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» يعني اجعلوا بينكم وبين النار وقاية «**ولو بشق تمرة**»؛ بالصدقة يعني لو أن تصدقوا بنصف تمرة، فإن ذلك يقيكم من النار إذا قبلها الله عزَّ وجلَّ.

«**فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»؛ كلمة طيبة مثل أن تقول له: كيف أنت؟ كيف حالك؟ كيف إخوانك؟ كيف أهلك؟ وما أشبه ذلك؛ لأن هذه من الكلمات الطيبة التي تدخل السرور على صاحبك، كل

كلمة طيبة فهي صدقة لك عند الله وأجر وثواب وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «البر حسن الخلق»(١) وقال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»(٢)، والله الموفق.



(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، رقم(٢٥٥٣).
(٢) رواه الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم(١١٦٢)، وأبوداود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم(٤٦٨٢).

٨٩ ـ باب استحباب بيان الكلام وإيضاحهِ للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك

١/٦٩٦ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ كانَ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلاثًا حتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإذَا أتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا. رواه البخاري[١].

٢/٦٩٧ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ كَلامُ رسول الله ﷺ كَلامًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أبوداود[٢].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين، باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك.

يعني أنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بيّن، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئًا؛ بل يكون كلامه فصلاً بينًا واضحًا حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، رقم(٩٤).
(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، رقم(٤٨٣٩).

بعض الناس تجده يسرع في الكلام ويغمغم في الكلام حتى إن الإنسان يحتاج إلى أن يقول: ماذا تقول؟ . هذا خلاف السنة، فالسنة أن يكون الكلام بيِّنًا واضحًا يفهمه المخاطب، وليس من الواجب أن يكون باللغة الفصحى؛ بل ولا من المستحب إذا كان الناس ينتقدون ذلك ويرون أن ذلك تنطع.

إنما تخاطب الناس بلسانهم، وليكن كلامك بينًا واضحًا، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاثًا حتى تُفهم عنه.

فقوله: «حتى تُفهم عنه» يدل على أنها إذا فهمت بدون تكرار فإنه لا يكررها، وهذا هو الواقع، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام نسمع عنه أحاديث كثيرة يقولها في خطبه وفي المجتمعات ولا يكرر ذلك.

لكن إذا لم يفهم الإنسان؛ بأن كان لا يعرف المعنى جيدًا فتكرر عليه حتى يفهم، أو كان سمعه ثقيلاً لا يسمع، أو كان هناك ضجة، فهنا يستحب أن تكرر حتى يفهم عنك.

وكان ﷺ إذا سلم على قوم «سلم عليهم ثلاثًا» يعني أنه لا يكرر أكثر من ثلاث؛ يسلم مرة فإذا لم يجب سلم الثانية، فإذا لم يجب سلم الثالثة، فإذا لم يجب تركه.

وكذلك في الاستئذان كان ﷺ يستأذن ثلاثًا، يعني إذا جاء للإنسان يستأذن في الدخول على بيته، يدق عليه الباب ثلاث مرات، فإذا لم يجب انصرف، فهذه سنته عليه الصلاة والسلام أن يكرر الأمور ثلاثًا ثم ينتهي.

وهل مثل ذلك إذا دق جرس الهاتف ثلاث مرات؟، يحتمل أن يكون من هذا الباب، وأنك إذا اتصلت بإنسان ودق الجرس ثلاث مرات وأنت تسمعه ولم يجبك، فأنت في حل إذا وضعت سماعة الهاتف.

ويحتمل أن يُقال: إن الهاتف له حكم آخر وأنك تبقى حتى تيأس من أهل البيت؛ لأنهم ربما لا يكونون حول الهاتف عند اتصالك، فربما يكونون في طرف المكان ويحتاجون إلى خطوات كثيرة حتى يصلوا إلى الهاتف، والهاتف سريع في تكرار الصوت؛ فلهذا ربما يُقال: إنه يقيد بالثلاث وربما يقال يقيد بحيث تيأس من الإجابة، يعني أنك إذا اتصلت وتكرر صوت الجرس ولم يجب فقد أيست وتغلق الهاتف.

ثم ذكر المؤلف حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان كلامه «فصلاً» يعني مفصلاً، لا يدخل الحروف بعضها على بعض، ولا الكلمات بعضها على بعض، حتى لو شاء العادُّ أن يحصيه

لأحصاه من شدة تأنيه ﷺ في الكلام.

وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يكون كلامه متداخلاً بحيث يخفى على السامع؛ لأن المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب، وكلما كان أقرب إلى الإفهام كان أولى وأحسن.

ثم إنه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة؛ يعني إذا جعل كلامه فصلاً بينًا واضحًا، وكرره ثلاث مرات لمن لم يفهم، ينبغي أن يستشعر في أنه متبع لرسول الله ﷺ حتى يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم.

وهكذا جميع السنن اجعل على بالك أنك فيها متبع لرسول الله ﷺ حتى يتحقق لك الإتباع وثوابه، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

٩٠ ـ باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالِم والواعظ حاضرِي مجلسه

١/٦٩٨ ـ عن جَرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ثُمَّ قال: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» متفقٌ عليه[(١)].

الشرح

قال المؤلف النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين، باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه.

وقد سبق لنا أن النبي ﷺ كان إذا سلم سلم ثلاثًا، والمراد: إذا لم يسمع المسلَّم عليه؛ فإنه يسلم أول مرة، فإذا لم يجب سلم ثانية، فإذا لم يجب سلم الثالثة، ثم تركه.

أما إذا ردّ السلام عليه من أول مرة فإنه لا يعيد السلام مرة ثانية.

أما هذا الباب ففيه أنه ينبغي للإنسان أن يكون حسن الإصغاء إلى كلام جليسه، إذا لم يكن يتكلم بمحرم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المعلم، باب الإنصات للعلماء، رقم(١٢١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ. . ، رقم(٦٥).

وحسن الإصغاء يكون بالقول وبالفعل.

أما بالقول: فبألا يتكلم إذا كان جليسه يتكلم، فيحصل بذلك التشويش، أن يكون كل واحدٍ يتكلم مع جليسه، والذي ينبغي في المجالس أن يكون الكلام كلامًا واحدًا حتى ينتفع الناس جميعًا بما يتكلم به بعضهم.

وأما الإصغاء بالفعل: فينبغي إذا كان الإنسان يحدثك أن تقبل إليه بوجهك، وألا تلتفت يمينًا وشمالاً؛ لأنك إذا التفت يمينًا وشمالاً وهو يحدثك نسبك إلى الكبرياء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [القمان: ١٨]، فينبغي أن تصغي إليه وأن تقابله بوجهك حتى يعرف أنك قد أحسست به، وأنك قد اهتممت بكلامه، إلا إذا كان يتكلم بشيء محرم، كغيبة، أو كلام لغو، أو ما أشبه ذلك من الأشياء المحرمة، فإنك لا تصغي إليه؛ بل انهه عن ذلك الشيء.

فإن استمر يتكلم بالكلام المحرم ولم يصغ إلى قولك وإلى نصحك؛ فالواجب عليك أن تقوم من مكانك وأن تفارقه؛ لأن الله يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «**استنصِت الناس**» يعني سكِّتهم حتى يستمعوا لما يقوله النبي ﷺ.

ثم قال النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» يضرب هنا بالرفع، ولا يجوز جزمها على أنها جواب النهي، بل هي بالرفع لأنها حال، يعني لا ترجعوا بعدي كفارًا حال كونكم يضرب بعضكم رقاب بعض، وفي هذا دليلٌ على أن قتال المؤمنين بعضهم بعضًا كفر، وقد أيد هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(١) لكنه كفر لا يخرج من الملة، والدليل على أنه لا يخرج من الملة قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] والله الموفق.



(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم(٦٠٤٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب، رقم(٦٤).

٩١ ـ بابُ الوَعظ والاقتصاد فيه

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

١/٦٩٩ ـ وعن أبي وَائِلٍ شقيق بن سَلَمَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُذَكِّرُنَا في كُلِّ خميسٍ مَرَّة، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فقال: أما إِنَّهُ يَمْنَعني مِنْ ذلكَ أني أكْرَهُ أنْ أمِلَّكُمْ وَإِنِّي أتخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بها مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. متفقٌ عليه[1].

«يَتَخَوَّلُنَا»: يَتَعَهَّدُنَا.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين، باب الوعظ والاقتصاد فيه.

الوعظ: هو ذكر الأحكام الشرعية مقرونة بالترغيب أو الترهيب، يعني أن تقول للإنسان مثلاً: إنه يجب عليك كذا وكذا فاتَّقِ الله، وقم بما أوجب الله عليك وما أشبه ذلك.

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة، رقم(٧٠)، ومسلم، كتاب صفة القيامة، باب الاقتصاد في الموعظة، رقم(٢٨٢١).

وأعظم واعظ هو كتاب الله عزَّ وجلَّ فإن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، فأعظم ما يُوعظ به: كتابُ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه جامع بين الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار، والمتقين والمهملين، فهو أعظم كتاب يوعظ به.

ولكن إنما يكون كذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

أما من قست قلوبهم والعياذ بالله فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وهكذا المؤمن كلما قرأ آية من كتاب الله؛ ازداد إيمانًا بالله، واستبشر بما جعل الله في قلبه من النور من هذا الكتاب العظيم ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥]، نعوذ بالله من ذلك.

فينبغي للإنسان أن يعظ الناس بالقرآن، وبالسنة، وبكلام الأئمة، وبكل ما يلين القلوب ويوجهها إلى الله عزَّ وجلَّ.

ثمَّ ذكر المؤلف رحمه الله أنه ينبغي الاقتصاد في الموعظة،

يعني: ألا تكثر على الناس فتملهم، وتكره إليهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم؛ لأن النفوس إذا ملت كلّت، وتعبت، وسئمت، وكرهت الحق وإن كان حقًّا، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخول الناس في الموعظة، لا يكثر عليهم؛ لئلا يملوا ويسأموا ويكرهوا ما يُقال من الحق.

ثم صدر المؤلف هذا الباب بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ ادع إلى سبيل ربك: يعني إلى دين الله؛ لأن سبيل الله هو دين الله حيث إنه يوصل إلى الله تعالى، فإنَّ من سلك هذا الدين؛ أوصله إلى الله سبحانه وتعالى، ولأن هذا الدين وضعه الله عزَّ وجلَّ وشرعه لعباده، ولهذا أضيف إليه فقيل: سبيل الله.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ بثلاثة أمور:

أولاً: الحكمة؛ وذلك بأن تنزل الأمور منازلها، في الوقت المناسب، والكلام المناسب، والقول المناسب؛ لأن بعض الأماكن لا ينبغي فيها الموعظة، وبعض الأزمنة لا ينبغي فيها الموعظة، وكذلك بعض الأشخاص لا ينبغي أن تعظهم في حال من الأحوال؛ بل تنتظر حتى يكون متهيئًا لقبول الموعظة، ولهذا قال

﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ قال العلماء: الحكمة: وضع الأشياء في مواضعها.

ثانيًا: **الموعظة الحسنة**، يعني اجعل دعوتك مقرونة بموعظة حسنة، موعظة تلين القلب وترققه وتوجهه إلى الله، بشرط أن تكون حسنة؛ إن كان الترغيب فيها أولى فبالترغيب، وإن كان الترهيب والتخويف فيها أولى فبالتخويف والترهيب.

وكذلك تكون حسنة من حيث الأسلوب والصياغة، تكون حسنة مقبولة. كذلك حسنة من حيث الإقناع، بحيث تأتي بموعظة تكون فيها أدلة مقنعة؛ أدلة شرعية، وأدلة عقلية تسند بالأدلة الشرعية؛ لأن بعض الناس يقنع بالأدلة الشرعية كالمؤمنين الخلّص، فإن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومن الناس من لا يكتفي بالأدلة الشرعية؛ بل يحتاج أن تسند الأدلة الشرعية عنده بأدلة عقلية، ولهذا يستدل الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة بالأدلة العقلية على ما أوحاه إلى نبيه من الأدلة الشرعية.

انظر مثلاً إلى البعث بعد الموت؛ فالبعث بعد الموت أنكره الكفار وقالوا من يحيي العظام وهي رميم؟، كيف يموت الإنسان وتأكل الأرض عظامه ولحمه وجلده، كيف يبعث؟، فأجاب الله:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، من الذي خلق هذه العظام أول مرة؟، هو الله، وإعادة الخلق أهون من ابتدائه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١]، هذه أدلة عقلية؛ الاستدلال بالمبدأ على المعاد.

وكذلك يستدل الله عزَّ وجلَّ على إمكان البعث بإحياء الأرض بعد موتها، فإن الله تعالى ينزل المطر على أرض هامدة قاحلة، ليس فيها حياة ولا نبات، فتصبح الأرض مخضرة بهذا المطر. من الذي أحيا هذا النبات إلا الله؟ فالذي أحيا هذا النبات بعد يبسه وموته قادر على إحياء الموتى.

ولابد من حياة أخرى؛ لأنه ليس من الحكمة أن الله ينشىء هذا الخلق ويمدهم بالنعم والرزق، وينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، ويشرع الجهاد لأعداء الله ثم تكون المسألة مجرد دنيا زائلة، هذا خلاف الحكمة؛ بل لابد من حياة أخرى هي الحياة الحقيقية كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤].

الحياة الحقيقية: هي حياة الآخرة ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ يعني إذا وعظت موعظة

حسنة وصار الإنسان يجادل ولم يقبل فجادل، لا تنسحب، لكن جادل بالتي هي أحسن من حيث الأسلوب، ومن حيث العرض، ومن حيث الإقناع، إذا استدل عليك بدليل فحاول إبطال دليله، فإذا كان إبطال دليله يطول فانتقل إلى دليل آخر، ولا تأخذ في الجدال معه؛ بل انتقل إلى دليل آخر لا يستطيع مجادلتك فيه.

انظر إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما حاجه الرجل في الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ يعني وأنت لا تستطيع أن تحيي وتميت ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ كيف يحيي ويميت هذا المجادل المعاند؟ يؤتى بالرجل المستحق للقتل فيقول: لا تقتلوه، ويُؤتى بالرجل لا يستحق القتل فيقول: اقتلوه، هكذا موّه للناس.

فقال إبراهيم: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ولم يجادله على قوله أنا أحيي وأميت، وإلا لو جادله لقال: أنت لم تحي ولم تُمت. أنت تفعل سبب الموت فيموت، وهو القتل، وترفع موجب القتل فلا يقتل، لكنه عدل عن هذا ـ لأنه يكون فيه مجادلة ـ إلى شيء لا يستطيع الخصم أن يتحرك قال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فلم يستطع ردًّا، ولهذا قال: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالحاصل أن الله يقول: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويُفهمُ من الآية أنَّ من لا يستطيع المجادلة بالتي هي أحسن فلا يجادل؛ لأنه قد يأتي إنسان مؤمن حقًّا وليس عنده إشكال لما معه من الإيمان، لكن يجادله خصم يعجز عن مقارعته، ففي هذه الحال لا تجادل؛ لأنك إن فعلت فلن تجادل بالتي هي أحسن، بل اتركه إلى وقت آخر أو إلى أن يأتي أحد أقوى منك في المجادلة فيجادله، والله أعلم.

* * *

٢/٧٠٠ ـ وعن أبي الْيَقْظَان عَمَّار بن يَاسر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُل، وَقِصرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فقْهِهِ، فَأطِيلوا الصَّلاةَ، وأقْصِروا الخُطْبَةَ» رواه مسلم[1].

«مَئِنَّةٌ» بميم مفتوحة، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشدَّدة، أي: عَلامَةٌ دَالَّةٌ عَلى فِقْهِهِ.

٣/٧٠١ ـ وعن مُعَاويَةَ بن الحَكَم السُّلَمي رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أنا أصَلِّي مَعَ رسول الله ﷺ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم(٨٦٩).

فَرَمَاني القَوْمِ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْت: وَاثُكْلَ أُمِّيَاه! ما شَأنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأيْدِيهِمْ عَلَى أفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأيتُهُمْ يُصَمِّتُونَني لكِنِّي سَكَتُّ. فَلَمَّا صلَّى رسول الله ﷺ، فَبأبي هُوَ وَأمِّي، مَا رأيْت مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْه، فَوَ الله ما كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَني، قال: «إنَّ هذِهِ الصَّلاةَ لا يصْلُح فِيها شَيءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّمَا هُو التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءةُ القُرآنِ» أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، إنِّي حَدِيث عَهْدٍ بجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ الله بالإسلامِ، وَإنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأتُونَ الْكُهَّانَ؟ قال: «فلا تأتهم»، قلت: ومنا رجالٌ يَتَطيّرون؟ قال: «ذاك شيءٌ يَجِدونَه في صُدورِهِم، فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ» رواه مسلم[١].

الشرح

قال المؤلف النووي رحمه الله في باب الوعظ والاقتصاد فيه، وعدم الملل والسآمة على الناس فيما يعظ به.

وسبق الكلام عن الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا الباب، وهي قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

ثم ذكر المؤلف أحاديث منها حديث عمار بن ياسر، أن النبي

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، رقم(٥٣٧).

ﷺ قال: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه**» يعني صلاة الجمعة.

فصلاة الجمعة لها خطبتان قبلها، فيقول النبي ﷺ: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه**» وهذا وإن كان ظاهرًا في خطبة الجمعة فهو عام أيضًا، حتى الخطب العارضة، لا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس، كلما قصر كان أحسن لوجهين:

الوجه الأول: ألا يمل الناس.

والوجه الثاني: أن يستوعبوا ما قال.

لأن الكلام إذا طال ضيع بعضه بعضًا. فإذا كان قصيرًا مهضومًا مستوعبًا انتفع الناس به، وكذلك لا يلحقهم الملل.

وأما طول الصلاة فالمراد أن تكون كصلاة النبي ﷺ ليست طويلة؛ لأن النبي ﷺ أنكر على معاذ إطالته في صلاة العشاء، وأنكر على الرجل الآخر إطالته في صلاة الفجر، وقال: «**أيها الناس إن منكم منفرين**»(١).

فالمراد بطول الصلاة هنا الطول الذي يوافق صلاة رسول الله ﷺ، هذا إذا كان الإنسان إمامًا، أما إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، رقم(٧٠٢)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، رقم(٤٦٦).

ولا أحد يمنعه؛ لأنه يعامل نفسه بنفسه، ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام: «فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة» أطيلوها كما ورد واقصروا الخطبة، لكن لابد من خطبة تثير المشاعر ويحصل بها الموعظة والانتفاع.

ثم ذكر المؤلف حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه؛ أنه بينما كان مع النبي ﷺ يصلي إذا عطس رجل من القوم فقال: الحمد لله، فقال له معاوية: يرحمك الله؛ لأنك إذا سمعت العاطس يحمد الله بعد عطاسه، وجب عليك أن تشمته؛ فتقول: يرحمك الله، حتى ولو كنت تقرأ أو تطالع أو تراجع.

أما في الصلاة فلا يجوز؛ لأن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، ولهذا أنكر الناس بأعينهم على معاوية، فرموه بأبصارهم، فقال: واثكل أمّياه. ماذا صنعت؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم يسكتونه، فسكت ومضى في صلاته، فلما انصرف من الصلاة دعاه النبي ﷺ فقال: فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا أحسن تعليمًا منه لا قبله ولا بعده، والله ماكهرني ولا شتمني ولا ضربني، وإنما خاطبه بلطف وقال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فهذه موعظة قصيرة مفيدة، انتفع بها معاوية، ونقلها إلى من بعده.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنه لا بأس أن يلتفت المصلي أو ينظر إذا كان ذلك لمصلحة أو حاجة، وإلا فالأفضل أن يكون نظره إلى موضع سبجوده، وفي حال الجلوس يكون نظره إلى موضع إشارته؛ لأن الجالس في التشهد أو بين السجدتين يرفع إصبعه قليلاً ويشير بها عند الدعاء، فيكون نظره إلى موضع إشارته، وأما في حال القيام والركوع فينظر إلى موضع سجوده.

وقال بعض العلماء: ينظر تلقاء وجهه، والأمر في هذا واسع؛ إن شاء نظر إلى موضع سجوده، وإن شاء نظر تلقاء وجهه، لكن إذا حصلت حاجة والتفت فإن ذلك لا بأس به.

وفيه أيضًا أن العمل اليسير في الصلاة لا يضر؛ لأن الصحابة جعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ذلك، إلا أنه قال «إذا رابكم شيء فليسبح الرجال، ولتصفح النساء»[(١)].

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب الإمام يأتي قومًا فيصلح بينهم، رقم (٧١٩٠)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام، رقم(٤٢١).

وفيه دليلٌ على أن الكلام في الصلاة لا يجوز، وأنه مبطل لها، إلا إذا كان الإنسان جاهلاً أو ناسيًا أو غافلاً، فمثلاً لو أن أحدًا سلَّم عليك وأنت تصلي، أو دقَّ الباب وأنت تصلي فقلت غافلاً: ادخل. أو قلت: عليكم السلام ناسيًا أو غافلاً، فصلاتك صحيحة؛ لأن الله لا يؤاخذ الإنسان بالجهل أو بالنسيان أو بالغفلة ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

ومن فوائد الحديث: حسن تعليم النبي ﷺ، وأنه يعلِّم بالرفق واللين، وهذا هديه ﷺ وهو أسوة أمته، فالذي ينبغي للإنسان أن ينزِّل الناس منازلهم، فالمعاند المكابر يخاطب بخطاب يليق به، والجاهل الملتمس للعلم يخاطب بخطاب يليق به.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين، وإنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، والصلاة كما نعلم فيها قراءة قرآن، وفيها تكبير، وفيها تسبيح، وفيها دعاء، وفيها تشهد، حسب ما هو معروف عند المسلمين.

ومن فوائد هذا الحديث: الثناء على الواعظ إذا كانت عظته جيدة وليس فيه عنف، وهذا يشجع أهل الوعظ على أن يلتزموا بهذه الطريقة.

وفي سياق حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وإن الله تعالى قد جاء بالإسلام. قال هذا الكلام ليبين حاله من قبل وحاله من بعد، وليتحدث بنعمة الله عليه، حيث كانوا في جاهلية لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، إلا ما جرت به العادات بينهم.

ومَنَّ الله علينا بهذا الإسلام، وهو النور المبين، والفرقان العظيم، فبيَّن الحق من الباطل، وبيَّن النافع من الضار، وبيَّن الإيمان من الكفر، والتوحيد من الشرك إلى غير ذلك مما منَّ الله به على هذه الأمة بالإسلام.

ثم قال رضي الله عنه: «وإن منا رجالاً يأتون الكُهَّان. قال: **«فلا تأتهم»**.

الكهان كانوا رجالاً تنزل عليهم الشياطين بما يسمعون من خبر السماء، ثم يحدثون الناس بما أخبرت به الشياطين، ويضيفون إلى الخبر الحق أشياء كثيرة من الكذب، فإذا صدقوا في واحد من مائة، اتخذهم الناس حكامًا؛ ولهذا يأتون إليهم ويتحاكمون إليهم أي إلى الكهان.

فالكاهن عبارة عن رجل يأتيه الشيطان يخبره بما سمع من خبر السماء، ويضيف إلى هذا الخبر أشياء كثيرة من الكذب، يأتون إليهم

الناس ويقولون ما حالنا؟ ما مستقبلنا؟ يسألونهم عن أمور مستقبلة عامة أو خاصة، فيخبرونهم بما سمعوا من أخبار الشياطين.

قال النبي ﷺ: «فلا تأتهم»، كلمة واحدة: لا تأت الكهان. وهل نظن أن معاوية أو غيره من الصحابة إذا قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام لا تفعلوا أن يفعلوا؟ كلا، لا نظن ذلك، فإنهم ليسوا كحال كثير من الناس اليوم يُكرّر عليه النهي ولكنه لا ينتهي، أو يتأول ويقول: النهي للكراهة، أو النهي للأدب أو لخلاف الأولى، أو ما أشبه ذلك.

ثم اعلم أن الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المسقبل، وإذا أتاه الإنسان فله ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يأتيه يسأله ولا يصدقه، فهذا ثبت في صحيح مسلم أنه لا تقبل له صلاة أربعين يومًا[(١)].

الحال الثانية: أن يأتيه يسأله ويصدقه، فهذا كافر؛ لقوله ﷺ: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد»[(٢)]، ووجه كفره أن تصديقه إياه يتضمن تكذيب قول الله جلَّ وعلا: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، لأن الكاهن

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة...، رقم(٢٢٣٠).
(٢) رواه الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، رقم(١٣٥).

يخبر عن الغيب في المستقبل، فإذا صدقته فمضمونه: أنه تكذيب لهذه الآية فيكون كفرًا، ولهذا جاء في الحديث: «من أتى كاهنًا فصدقه ـ يعني فسأله فصدقه ـ بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد».

الحال الثالثة: أن يسأل الكاهن ليُكذبه، وإنما يسأله اختبارًا، فهذا لا بأس به. وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد عما أضمر له. فقال: الدخ يعني الدخان، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «اخسأ فلن تعدو قدرك»[1].

فإذا سأله ليفضحه ويكشف كذبه وحاله للناس، فإن ذلك لا بأس به، بل قد يكون محمودًا مطلوبًا لما في ذلك من إبطال الباطل.

ثم سأله سؤالاً آخر قال: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم».

التطير: التشاؤم بالأشياء، وكان العرب يتشاءمون أكثر ما يتشاءمون في الطيور، حيث يهيج الطير، فإذا طار يمينًا فله حال، وإن طار يسارًا فله حال، وإن اتجه أمامًا فله حال، أو رجع فله حال. حسب اصطلاحات العرب وخرافاتهم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب القدر، باب يحول بين المرء وقلبه، رقم(٦٦١٨)، ومسلم، كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، رقم(٢٩٣٠).

فكانوا يتطيرون؛ يعني يجعلون الطيور هي التي تمضيهم أو تردهم، إذا طار الطير مثلاً عن اليسار قال: هذا نذير سوء فلا أسافر، وإذا طار يمينًا قال: هذا سفر مبارك. اليمين من اليمن والبركة، وهكذا اصطلاحات خرافية عندهم.

فكانوا يتشاءمون أكثر مما يتشاءمون في الطيور، وربما يتشاءمون في الأيام، وربما يتشاءمون في الشهور، وربما يتشاءمون فيما يسمعون من الأصوات، وربما يتشاءمون حتى في الأشخاص، حتى إنه يوجد الآن أناس إذا خرج من بيته أول ما يخرج ثم لاقاه شخص قبيح المنظر قال: هذا اليوم يوم سوء وتشاءم، وإذا لقي رجلاً جميل الوجه قال: هذا اليوم يوم خير فتفاءل.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**هذا شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**».

والإنسان إذا ركن إلى التطير تنغصت عليه حاله، وبقى دائمًا في غمٍّ وهمٍّ.

وكان العرب يتشاءمون من شهر شوال في النكاح، يقولون: الذي يتزوج في شهر شوال لا يوفق؛ هكذا يقول العرب، فكانت عائشة رضي الله عنها تقول: تزوجني النبي ﷺ في شوال؛ عقد عليها

في شوال، ودخل بها في شوال. فتقول: أيكم أحظى عنده مني[١]؟

لا شك أن عائشة أحب النساء إليه بعد أن تزوجها، ومع ذلك عقد عليها في شوال، ودخل عليها في شوال، والعرب لجهلهم يقولون: الذي يتزوج في شوال لا يوفق، ونحن الآن نشاهد أناسًا يتزوجون في شوال ولا يكون فيهم إلا الخير.

فالمهم أنه يجب عليك أن تمحو من قلبك التطير والتشاؤم، وأن تكون دائمًا متفائلاً، وتجعل الدنيا دائمًا أمامك واسعة، والطريق أمامك دائمًا مفتوحًا. فإن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة[٢].

فاجعل نفسك دائمًا في تفاؤل، والذي يريده الله سيكون، وكُن مسرورًا فرحًا، واسع الصدر فالدنيا أمامك واسعة، والطريق مفتوح، فهذا هو الخير.

أما التشاؤم والانقباض، وأن يجعل الإنسان باله في كل شيء، فإنها ستضيق عليه الدنيا.

---

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال...، رقم(١٤٢٣).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، رقم(٣٥٣٦).

وهذا من محاسن الإسلام أنه ألغى الطيرة وأثبت الفأل؛ لأن الفأل خير والطيرة شر، والله الموفق.



٩٢ـ بابُ الوقار والسّكينة

قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

١/٧٠٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: مَا رَأيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنْهَ لَهَوَاتُه، إنَّمَا كانَ يَتَبَسَّمُ. متفقٌ عليه[1].

«اللَّهَوَات» جَمْعَ لَهَاةٍ: وَهِيَ اللَّحْمَة الَّتي في أقْصَى سَقْفِ الْفَم.

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله تعالى، باب الوقار والسكينة.

الوقار: هو هيئة يتصف بها العبد يكون وقورًا، بحيث إذا رآه من يراه يحترمه ويعظمه.

والسكينة: هي عدم الحركة الكثيرة وعدم الطيش؛ بل يكون ساكنًا في قلبه، وفي جوارحه، وفي مقاله.

ولا شكَّ أن هذين الوصفين الوقار والسكينة من خير الخصال

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، رقم(٦٠٩٢)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، رقم(٨٩٩) [١٦].

التي يمنّ الله بها على العبد؛ لأن ضد ذلك أن يكون الإنسان لا سكينة عنده، ولا هيبة له، وليس وقورًا؛ بل هو مهين، قد وضع نفسه ونزلها.

وضد السكينة أن يكون الإنسان كثير الحركات، كثير التلفت، لا يُرى عليه أثر في سكينة قلبه ولا قوله ولا فعله، فإذا منَّ الله على العبد بالوقار والسكينة؛ فإنه ينال بذلك خُلقين كريمين.

وضد ذلك أيضًا العجلة؛ بأن يكون الإنسان عجولاً لا يتحرَّى ولا يتأنَّى، وليس له هم إلا القيل والقال اللذان نهى عنهما رسول الله ﷺ، فقد كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال[1].

فإذا لم يكن الإنسان متأنيًا ولا متثبتًا في الأمور، حصل منه زلل كثيرٌ، وصار الناس لا يثقون في قوله، وصار عند الناس من القوم الذين يُرد حديثهم ولا يُنتفع به.

ثم استشهد المؤلف بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾، رقم(١٤٧٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي...، رقم(١٧١٥).

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ : الذين منَّ الله عليهم بالرحمة ووفقهم للخير، هم الذين يمشون على الأرض هونًا. يعني إذا رأيتهم؛ رأيت رجلاً في مشيته وقار، بدون أن يعجل عجلة تقبح.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ : يعني قالوا قولاً يسلمون به من شرهم، وليس المعنى أنهم يلقون السلام؛ بل المعنى أنه إذا خاطبه الجاهل قال قولاً يسلم به من شره، إما أن يدافعه بالتي هي أحسن، وإما أن يسكت إذا رأى السكوت خيرًا.

والحاصل أنه يقول قولاً يسلم به؛ لأن الجاهل مُشْكِلٌ؛ إن خاصمته أو جادلته فربما يبدر منه كلام سيء عليك، وربما يبدر منه كلام سيىء على ما تدعو إليه من الخير، فيسب الدين وما أشبه ذلك والعياذ بالله.

فمن توفيق عباد الرحمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، يعني قالوا قولاً يسلمون به ولا يحصل لهم به إثم، وكذلك من أوصافهم ما ذكره في آخر الآيات.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ : يعني لا يشهدون القول الكذب، ولا الفعل القبيح.

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ الذي ليس فيه خير ولا شر. ﴿ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ أي سالمين منه.

وذلك أن الأشياء إما خير وإما شر وإما لغو، فالشر لا يشهدونه، واللغو يسلمون منه، ويمرون به كرامًا، والخير يرتعون فيه.

ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم»، يعني ليس يضحك ضحكًا فاحشًا بقهقهة، يفتح فمه حتى تبدو لهاته، ولكنه ﷺ كان يتبسم، أو يضحك حتى تبدو نواجذه أو تبدو أنيابه؛ لكن بتبسم لا بقهقهة حتى يفتح فمه وترى منه لهواته - يعني لهاته - وهذا من وقار النبي ﷺ.

ولهذا تجد الرجل كثير الكركرة الذي إذا ضحك قهقه وفتح فاه تجده يكون هينًا عند الناس، وضيعًا عندهم ليس له وقار، وأما الذي يكثر التبسم في محله، فإنه يكون محبوبًا تنشرح برؤيته الصدور وتطمئن به القلوب، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

٩٣ـ باب النّدب إلى إتيان الصَّلاة والعِلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

١/٧٠٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا أُقيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلا تَأتُوهَا وَأنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأتُوهَا وَأنتُمْ تمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَة، فَمَا أدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأتِمُّوا» متفقٌ عليه(١).

زاد مسلم في روايةٍ له: «فَإنَّ أحَدَكُمْ إذَا كَانَ يَعمِدُ إلَى الصَّلاَةِ فَهُوَ فِي صَلاَةٍ»(٢).

٢/٧٠٥ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا للإبِلِ، فَأشَارَ بِسَوطِهِ إلَيْهِم وقال: «أيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإنَّ البرَّ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، رقم(٩٠٨)، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي. . .، رقم(٦٠٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي. . .، رقم(٦٠٢) [١٥٢].

لَيْسَ بِالإيضَاعِ» رواه البخاري[١]. وروى مسلم بعضه[٢].

«الْبِرَّ»: الطَّاعَةُ: «وَالإيضَاعُ» بِضادٍ معجمةٍ قبلها ياءٌ وهمزةٌ مكسورةٌ: وهو الإسراع.

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله، باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار.

من المعلوم أن الصلاة هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي من أعظم شعائر الله. والإنسان إذا أقبل إلى الصلاة؛ فإنما يقبل إلى الوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ.

ومن المعلوم أن الإنسان إذا أتى إلى شخص يعظمه من بني آدم؛ فإنه يأتي إليه بأدب وسكينة ووقار، فكيف إذا أتى ليقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ؟

ولهذا ينبغي للإنسان أن يأتي إلى الصلاة في سكينة كما سيأتي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم استدل المؤلف رحمه الله لهذا الباب بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكينة، رقم(١٦٧١).

(٢) رواه مسلم مختصرًا، كتاب الحج، باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع...، رقم(١٢٨٢).

الذي يعظم شعائر الله فيرى أنها عظيمة في قلبه، ويقوم بما ينبغي من التعظيم لها بجوارحه؛ فإن هذا من تقوى القلوب، وعلامة على صلاح نيته وتقوى قلبه، وإذا اتقى القلب اتقت الجوارح؛ لقول النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»(١).

فعليك بتعظيم شعائر الله فإن ذلك تقوى لقلبك، وأيضًا يكون خيرًا لك عند الله عزَّ وجلَّ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون**» يعني إذا سمعتم الإقامة من خارج المسجد، وهذا يدل على أن الإقامة تسمع من خارج المسجد وهو الظاهر، وقد جاء في الحديث أن بلالاً قال للنبي ﷺ لا تسبقني بآمين(٢). مما يدل على أنه يقيم في مكان يسمعه الناس فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة**» تمشون مشيًا عاديًّا وعليكم السكينة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم(٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم(١٥٩٩).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام، رقم(٩٣٧).

وفي قوله ﷺ: «وأنتم تمشون» دليلٌ على أنه يمشي مشيًا معتادًا، وأنه لا يقارب الخطى كما استحبه بعض أهل العلم، فإن قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة[(١)]» لا يعني أنه يقارب الخطى، لكن يمشي مشيه المعتاد بدون إسراع، فإذا أتى الإنسان على هذا الوجه فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا».

إلا أن أهل العلم قالوا: إذا خشي فوات الركعة يعني فوات الركوع، فلا بأس أن يسرع قليلاً، سرعة لا تكون سرعة قبيحة، فإنه لا بأس بذلك، لكن لا ينبغي أن تكون سرعة تقبح، يكون لها جلبة وصوت.

يستفاد من هذا الحديث فوائد منها: تعظيم شأن الصلاة، وأن الإنسان ينبغي أن يأتي إليها بأدب وخشوع وسكينة ووقار.

ومنها: أنه لا بأس أن تسمع الإقامة من خارج المسجد وعلى هذا فإذا أقام المؤذن في مكبر الصوت ليسمع من كان خارج المسجد فلا بأس.

وإن كان بعض الناس قد اعترض على هذا وقال: إنه إذا أقام من

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق، رقم(٤٧٧).

خارج المسجد تكاسل الناس، وصاروا لا يحضرون إلا إذا سمعوا الإقامة، وربما تفوتهم الركعة الأولى، أو أكثر حسب قربهم من المسجد وبعدهم منه.

ولكن ما دام الأمر قد صار مثله في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن الإقامة تسمع من الخارج؛ فإننا نرى أنه لا بأس به، لكن الشيء الذي يُخشى منه الإثم: ما يفعله بعض الناس فينقل الصلاة نفسها عبر مكبر الصوت من المنارة، فإن هذا يشوش على من حوله، لا سيما في صلاة الليل، في الصلاة الجهرية، يشوش على أهل البيوت، ويشوش على المساجد القريبة، حتى إننا سمعنا بعض الناس إذا سمع مكبر الصوت من مسجد قريب يتابع بقلبه الإمام الذي في المسجد الثاني، وسمعنا أن بعضهم أمَّن على قراءة إمام المسجد الثاني، لما قال إمام المسجد الثاني: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال هؤلاء: آمين، وهذا ليس ببعيد؛ لأن القلب إذا انشغل بشيء أعرض عن غيره، فإذا كانوا يتابعون قراءة المسجد المجاور، وكانت قراءة الإمام جيدة في الصوت والأداء، فإن القلب قد يلهى عن الإمام الذي بين يديه.

وقد ثبت في موطأ الإمام مالك رحمه الله أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة وأصحابه في المسجد يصلون ويجهرون بالقراءة، فقال

عليه الصلاة والسلام: «إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بم يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»(١).

فجعل هذا أذية، ونهى عنه، والواقع شاهد بذلك، ولهذا نحن نرى أن الذين يفعلون هذا؛ يؤدون الصلاة من على المنارة عبر مكبر الصوت، نرى أنهم إذا كانوا يؤذون من حولهم فهم آثمون.

فإذا كان هذا العمل يكون فيه الإنسان إما آثمًا وإما سالمًا، فلا شك أن تركه أولى، وهو في الحقيقة لا فائدة منه؛ فالإمام إنما يصلي لأهل المسجد، ولا يصلي إلى مَن كان خارج المسجد.

ثم وفيه أيضًا أنه إذا كان الإنسان كسولاً. ثبطه الشيطان فينتظر إلى الركعة الأولى أو الثانية أو الثالثة، أو يقول له الشيطان اجلس حتى لا يبقى إلا ركعة فيحرم من الخير عن إتيان المسجد للصلاة ما دام أنه يسمع صوت قراءة الإمام وهكذا كلما أراد أن يقوم ثبطه الشيطان.

لهذا نوصي إخواننا ولاسيما الأئمة أن لا يفعلوا ذلك، وأن تسلم ذممهم ويسلم إخوانهم من أذيتهم حتى في البيوت أيضًا.

ربما بعض الناس يكون قد صلَّى ويحب أن ينام ويرتاح، قد

---

(١) رواه مالك في الموطأ(١/ ٨٠).

يكون مريضًا ساهرًا الليل كلّه فيزعجه هذا الصوت، وقد يكون المسجد قريبًا من السطوح في أيام القيظ وفيه الصبيان فيفزعهم صوت المكبر.

فالحاصل أن هذه المسألة ابتلي بها بعض الناس ـ نسأل الله أن يعافينا وإياهم ـ وصاروا يؤذون من بجوارهم من المساجد أو البيوت في أمر لا فائدة منه.

فإذا جئت والإمام راكع فكبِّر تكبيرة الإحرام وأنت قائم معتدل ثم اركع، وبذلك تدرك الركعة.

وإذا أتيت وهو قائم من الركوع فكبِّر وادخل معه واسجد معه، ولا تحسب هذه الركعة؛ لأن الإنسان إذا لم يدرك ركوع الإمام فاتته الركعة.

وإذا أتيت وهو ساجد فكبِّر للإحرام وأنت قائم ثم اسجد ولا تنتظر حتى يقوم، وإذا أتيت وهو جالس فكبِّر وأنت قائم واجلس، أي حال أدركت الإمام عليها فاصنع كما يصنع الإمام.

وإذا أتيت وهو في التشهد الأخير فانظر، فإن كان هناك جماعة فلا تدخل معه؛ لأنك لا تدرك صلاة الجماعة بإدراك التشهد، وإنما بإدراك ركعة كاملة؛ لقول النبي ﷺ: «**من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة**»

وإذا لم يكن معك جماعة، أو لا يمكنك أن تدرك مسجدًا آخر فادخل معه ولو في التشهد، ولا تحسب هذا شيئًا؛ لأنه فاتك الركوع.

وفي قوله ﷺ: «فأتموا» دليلٌ على أن المسبوق إذا قام يقضي؛ فإنه يقضي آخر صلاته لا أولها، فإذا أدرك الركعتين الأخيرتين من الظهر مثلاً وقام يقضي فإن الركعتين اللتين يقضيهما هما آخر صلاته، فلا يزيد على الفاتحة؛ لأن السنة في الركعتين الأخيرتين أن لا يزيد فيهما على الفاتحة.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دفع من عرفة فسمع وراءه جلبة وضربًا وزجرًا للإبل وأصواتًا للإبل؛ لأنهم كانوا في الجاهلية إذا دفعوا من عرفة أسرعوا إسراعًا عظيمًا يبادرون النهار قبل أن يظلم الجو، فكانوا يضربون الإبل ضربًا شديدًا، فأومأ النبي ﷺ إليهم بسوطه، وقال: «أيها الناس، عليكم بالسكينة» يعني الطمأنينة والهدوء «فإن البر ليس بالإيضاع» يعني أن البر والخير ليس بالإيضاع، أي ليس بالإسراع. والإيضاع نوع من السير السريع.

ففي هذا دليلٌ على أن الإنسان لا ينبغي له أن يسرع إذا تقدم إلى أماكن العبادة؛ لأن الذين يدفعون من عرفة يتجهون إلى مزدلفة، وهي مكان عبادة.

وبهذا يتم المؤلف رحمه الله ما ترجم به حيث قال: يأتي إلى الصلاة، ومجالس العلم، وغيرها من العبادة بسكينة.

فإذا أتيت إلى مجالس العلم والخير، فكن ساكنًا وقورًا مهيبًا، حتى لا تذل أمام الناس، وحتى يكون تعظيمك لهذه المجالس من تعظيم الله عزَّ وجلَّ، والله الموفق.



٩٤ ـ بابُ إكرام الضّيف

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود: ٧٨].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله: باب إكرام الضيف.

الضيف: هو الذي ينزل بك مسافرًا، لأجل أن تتلقاه بالإيواء والطعام والشراب وما يحتاج إليه.

الضيافة: خلق فاضل قديم منذ عهد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، إن لم يكن قبل ذلك.

وسيذكر المؤلف إن شاء الله في الأحاديث أحاديثَ متعددة حول إكرام الضيف، وإن إكرامه من الإيمان بالله واليوم الآخر، ولكنه ـ رحمه الله ـ كعادته يبدأ بالآيات الكريمة؛ لأن القرآن مقدم على السنة، فهو كلام الله والحديث كلام رسول الله ﷺ، وكلاهما حق

يجب تصديقه إن كان خبرًا، وامتثاله إن كان طلبًا.

فبدأ بالآيات رحمه الله فقال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ هل أتاك؟: الاستفهام هنا للتشويق من أجل أن ينتبه المخاطب، والخطاب في قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ إما للرسول ﷺ وإما له وللأمة؛ أي لكل من يصح خطابه.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ...﴾ وهؤلاء الضيف ملائكة أرسلهم الله عزَّ وجلَّ إلى إبراهيم، ثم إلى لوط.

وقوله: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ يعني الذين أكرمهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ قال العلماء إن قولهم: سلامًا يعني: نسلم سلامًا، وإن قوله: سلامٌ يعني: عليكم سلامٌ.

والثانية أبلغ من الأولى؛ لأن المشروع لمن حُيي بتحية أن يحيى بأحسن منها أو بمثلها كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

وإنما كانت الثانية أبلغ من الأولى؛ لأن الأولى جملة فعلية، والثانية جملة اسمية، تفيد الثبوت والاستمرار.

ثم قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: أنتم قوم؛ لأن أنتم صريح في الخطاب، وهذا قد يكون مستبشعًا عند بعض الناس، فكان من

حسن معاملته لضيفه أن قال ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ .

وكلمة ﴿ قَوْمٌ ﴾ يمكن أن يكون التقدير لها: هم قوم، أو أنتم قوم، أو هؤلاء قوم، ليست في الصراحة كقوله أنتم قوم، فلهذا حذف المبتدأ وصارت: قوم منكرون. ومعنى كونهم منكَرين: أنه لا يعرفهم؛ لأنهم أول مرة يلتقي بهم.

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ وكان عليه الصلاة والسلام كريمًا، ومعنى راغ: أي ذهب بخفية وسرعة ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ إلى بيته ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ جاء بعجل؛ وهو صغار البقر؛ لأن لحمه ترف ولذيذ، وكونه سمينًا يكون أحلى للحمه وأطيب، وفي الآية الأخرى: ﴿ حَنِيذٍ ﴾ ، أي محنوذ يعني مشوي لم يخرج من طعمه شيء وهذا ألذ ما يكون من اللحم.

﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ولم يضعه بعيدًا عنهم فيقول: تقدموا إلى الطعام، ولكن هو الذي قربه؛ لئلا يكون عليهم عناء ومشقة، ومع ذلك لم يقل: كلوا. لم يأمرهم أمرًا، ولكن قال: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ وهذا عرض وليس بأمر، وهذا أيضًا من حسن معاملته لضيوفه.

ثم إن هؤلاء الضيوف ذهبوا إلى لوط بصورة شبان مرد ذوي جمال وفتنة، وكان قوم لوط والعياذ بالله قد ابتلوا بداء اللواط، وهو إتيان الذكر الذكر، فلما ذهبوا إلى لوط انطلق بعضهم إلى بعض

يخبر بعضهم بعضًا ويقول: جاء إلى لوط مردان شبان ذوو جمال، فجاءوا يُهرعون إليه، أي يسرعون.

﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ يعني كانوا يعملون الفاحشة وهي اللواط.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓۖ ﴾ قال بعض العلماء: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى ﴾ يشير إلى بنات القوم ما هن بناته الخاصة من صلبه، ولكنه يعني بذلك بنات قومه؛ لأن النبي لقومه بمنزلة الأب لهم، كأنه يقول: عندكم النساء، وهذا كقوله في آية أخرى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦]، يعني من النساء ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾.

الحاصل أنه عليه الصلاة والسلام قال لهم: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾.

وقوله: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ ﴾ هذا من باب التفضيل الذي ليس في الجانب المفضل عليه منه شيء؛ لأن إتيان الذكور ليس فيه طهارة، كله خبث وخبائث، كما قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، ولكن ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ ﴾ لأن فروج النساء تحل بعقد النكاح.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ ولكن لم يكن منهم رجلٌ رشيد، والعياذ بالله.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]، يعني تعلم أننا نريد هؤلاء الشباب الذين جاءوا إليك.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، فقالت الرسل: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]، ثم أرشدوه إلى أن يسري بأهله ويدع البلدة.

وفي سورة القمر قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٧]. قيل: إن الملائكة صفقوهم على وجوههم فعميت أبصارهم، وقيل: إن الله أعمى أبصارهم في نفس الحال.

وعلى كل حال فإن قوله: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ يدل على أن الضيوف كانوا مكرمين عند لوط، كما هم مكرمون عند إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

والحاصل أنه إذا نزل بك ضيف؛ فإنه يجب عليك أن تضيفه يومًا وليلة، ولكن لا تفعل كما يفعل السفهاء، تذهب وتتكلف

وتصنع وليمة كبيرة، حتى إنا نسمع أنه عند الناس إذا نزل الضيف ذهب صاحب البيت من أجل أن يذبح له ذبيحة، فيقول الضيف: لا تذبح. عليَّ الطلاق لا تذبح. فيقول الثاني: عليَّ الطلاق أن أذبح، هذا خطأ ومنكر، إما أن تذبح أو لا تذبح لكن لا حاجة إلى اليمين.

وإذا اضطررت إلى اليمين فليس هناك حاجة إلى اليمين بالطلاق؛ لأن الذي يحلف بالطلاق أمره ليس بهين، فالأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وجمهور أتباعهم يرون أن الحلف بالطلاق طلاقٌ إذا حنث فيه الإنسان، يعني إذا قلت: عليَّ الطلاق لا تفعل كذا ففعل طلقت زوجتُك ولو أردتَ اليمين، هذا مذهب جمهور الأمة وجميع الأئمة المتبوعين من هذه الأمة. إذًا المسألة خطيرة وتهاون الناس اليوم بهذه المسألة خطأ كبير.

ما أسرع أن يقول: عليَّ الطلاق أن أفعل، عليَّ الطلاق لا أفعل، أو امرأتي طالق إن فعلت، أو امرأتي طالق إن لم أفعل، وهذا خطأ عظيم. كيف تقول هذا الكلام وأكثر الأئمة يرون أنك إذا حنثت طلقت زوجتك، لهذا يجب على الإنسان أن لا يتهاون في هذا الأمر ولا يحلف بالطلاق، بل إذا كان هناك حاجة فليحلف بالله سبحانه وتعالى، وإلا فلا يحلف، والله الموفق.

١/٧٠٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ؛ فَلْيُكرِمْ ضَيفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ؛ فليَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كانَ يؤمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ» متفقٌ عليه[1].

٢/٧٠٧ ـ وعن أبي شُرَيْح خُوَيلدِ بن عمرو الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ؛ فَلْيُكرِمْ ضيفَهُ جَائِزَتَهُ» قالوا: وما جَائِزَتُهُ يا رسول الله؟ قال: «يَومُه ولَيْلَتُهُ، والضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أيَّامٍ، فما كان وَرَاءَ ذلكَ فهو صَدَقَه عليه» متفقٌ عليه[2].

وفي رواية لمسلمٍ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أن يُقِيمَ عند أخِيه حتى يُؤْثِمَهُ» قالوا: يا رسول الله، وكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قال: «يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلاَ شَيءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ»[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم(٦١٣٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف. . .، رقم(٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم(٦١٣٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف. . .، رقم(٤٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب اللقطة، باب الحث على إكرام الجار والضيف. . .، رقم(٤٨) [١٥].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله في باب الضيافة وإكرام الضيف، حينما ذكر آيتين من كتاب الله بل آيات في موضعين، ذكر الأحاديث. وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه»، وهذا من باب الحث والإغراء على إكرام الضيف، يعني: أن إكرام الضيف من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تمام الإيمان بالله واليوم الآخر.

وذلك أن الذي يكرم ضيفه يثيبه الله تعالى على ذلك يوم القيامة، وربما أثابه يوم القيامة وفي الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى: ٢٠]، فيثيبه الله في الدنيا بالخلف يخلف عليه، وفي الآخرة بالثواب، ولهذا قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه».

وإكرام الضيف يختلف بحسب أحوال الضيف، فمن الناس من هو من أشراف القوم ووجهائهم فيُكرم بما يليق به، ومن الناس من هو من وسط القوم فيُكرم بما يليق به، ومنهم مَنْ دون ذلك.

فالحاصل أن النبي عليه الصلاة والسلام أطلق الإكرام فيشمل كل الإكرام، فمن الناس من إذا نزل بك ضيفًا لا يرضيه أن تأتي له بطعام عليه دجاجتان وما أشبه ذلك، يحتاج إلى أن تأتي له بطعام

عليه ذبيحة، ويكون من إكرامه أيضًا أن تدعو جيرانك وما أشبه ذلك. ومن الناس مَنْ هو دون ذلك.

الحاصل أن النبي ﷺ لم يقيد الإكرام بشيء؛ بل أطلق، فيكون راجعًا إلى ما يعده الناس إكرامًا.

قال: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليصل رحمه»، وفي حديث آخر «فليكرم جاره».

«فليصل رحمه»: الرحم هم الأقارب، وكلما كان القريب إليك أقرب؛ كان حقه أوجب، فعلى المرء أن يصل رحمه، ولم يبيّن النبي ﷺ بماذا يصله؟ فيرجع أيضًا إلى العرف، فمن الأقارب من تصله بالزيارة والإكرام البدني، ومن الأقارب من تصله بإعطاء المال لحاجته لذلك، ومن الأقارب من تكرمه بالطعام والكسوة، كل بحسب حاله، المهم أن تكرم أقاربك بما يعد إكرامًا.

فمثلاً إذا كان قريبك غنيًا كريمًا فهذا لا يمكن أن ترسل إليه طبقًا من طعام، إنما تكرمه بالزيارة والكلام اللين وما أشبه ذلك. أماإذا كان قريبك فقيرًا فطبق الطعام أحب إليه من غيره، فترسل له طبقًا من الطعام، أما إذا كان قريبك يحتاج إلى مال فالأفضل أن ترسل له المال، وهلم جرًّا. فكل إنسان يكرم بما يليق بحاله.

قال: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرًا أو

ليصمت»، هذه الحكمة ليتنا نسير عليها في حياتنا. «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرًا أو ليصمت»: قد يكون الخير في الكلام. وقد يكون في المقصود منه، في المقصود من الكلام يكون الخير، فمثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم مسألة من مسائل العلم والدين، الكلام هنا خير في نفسه.

والكلام الآخر الذي ليس في نفسه خير من حيث هو، لكن تتكلم به من أجل أن تدخل الأنس على مُجالسك وأن تشرح صدره، هذا أيضًا خير، وإن كان نفس الكلام ليس مما يتقرب به إلى الله، لكنه ليس إثمًا، وتقصد بذلك أن توسع صدر جليسك وأن تدخل عليه الأنس والسرور، فهذا أيضًا من الخير.

وعلم من هذا أن من لم يقل الخير؛ فإن إيمانه بالله واليوم الآخر ناقص، فكيف بمن يقول الشر؟ كيف بمن أصبح يأكل لحوم الناس ـ والعياذ بالله ـ ويسعى بينهم بالنميمة، ويكذب ويغش؟ بل كيف من أصبح يؤلب على أهل العلم ويسب أهل العلم، ويذمهم بأمر هم فيه أقرب إلى الصواب مما يدعي أو مما ظن؟ فإن هذا أعظم وأعظم؛ لأن الكلام في أهل العلم ليس كالكلام في عامة الناس.

الكلام في عامة الناس ربما يجرح الرجل نفسه، لكن الكلام في أهل العلم جرح في العلماء وجرح فيما يحملونه من الشريعة؛ لأن

الناس لن يثقوا بهم إذا كثر القول فيهم والخوض فيهم، ولهذا يجب عند كثرة الكلام وخوض الناس في أمر من الأمور أن يحرص الإنسان على كف لسانه، وعلى عدم الكلام حتى لو سئل؛ يقول: نسأل الله الهداية، نسأل الله أن يهدي الجميع، نسأل الله أن يجعل الخير في الواقع وما أشبه ذلك.

أما أن يتكلم ويطلق لسانه في أمور ليس لها أصل ألبتة، فهذا من عدم الإيمان بالله واليوم الآخر؛ ولا يكفر الإنسان بهذا لكن إيمانه ناقص؛ لأن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرًا أو ليصمت»، وكما قيل: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وقيل أيضًا في الحكمة: الصمت حكمة وقليل فاعله. وقيل أيضًا: من صمت نجا ومن تكلم فهو على خطر.

فلهذا الزم الصمت إلا في شيء ترى أنه خير، فالخير مطلوب، والله الموفق.



٩٥ - باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]. وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]. وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]. **والآيات في الباب كثيرة معلومة.**

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه رياض الصالحين، باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير.

البشارة تكون في الأمور التي تسر، وسميت بذلك لأن الإنسان إذا بشر بما يسره ظهر أثر ذلك في وجهه وبشرته، وقد تكون البشارة

فيما يسوء مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤].

والبشارة بما يسر تكون بشارة فيما يسر في الآخرة، وفيما يسر في الدنيا؛ أما البشارة فيما يسر في الآخرة فكثيرة، ذكرها الله في القرآن في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١، ٢٢]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]، هذا كله فيما يتعلق بأمور الآخرة.

ومن الأمور التي تبشر بالخير في أمور الآخرة: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له، مثل أن يرى إنسان رؤيا فقال ـ مثلاً ـ له في المنام: بشّر فلانًا بأنه من أهل الجنة فيبشره، فهذه بشرى.

كذلك أيضًا الإنسان إذا رأى من نفسه أنه ينقاد للخير والعمل الصالح ويرغب فيه ويحبه، وأنه يكره الشر، فهذه أيضًا بشرى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

وأما البشارة فيما يتعلق بأمر الدنيا فمثل قوله تعالى عن إبراهيم

الخليل: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، وفي آية أخرى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، والذي بشر به في الآية الأولى غير الذي بُشر به في الآية الثانية التي فيها: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾، هذا إسحاق، والتي فيها: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، هذا إسماعيل، عليهما السلام.

إسحاق أبو بني إسرائيل؛ لأن ابنه يعقوب، ويعقوب هو إسرائيل الذي من ذريته موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وأكثر الأنبياء المذكورين في القرآن كلهم من ذرية إسرائيل.

أما التي ذكر الله فيها ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ - وهي التي في سورة الصافات - فهذا إسماعيل أبو العرب، وليس من ذريته رسول إلا رسول واحد؛ لكنه ختم جميع الرسالات وبُعث إلى الناس كافة من بعثته إلى يوم القيامة، وغيره من الأنبياء يبعث إلى قومه خاصة. هذا الرسول الذي من بني إسماعيل هو محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وكذلك قال تعالى عن امرأة إبراهيم: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ هذا أيضًا بشارة للأنثى.

فالحاصل أن البشارة تكون في أمور الآخرة وفي أمور الدنيا، وينبغي للإنسان أن يكون متفائلًا مستبشرًا بالخير، وألا يرى الدنيا

أمامه كالحة مظلمة فيستحسر ويقنط.

وينبغي للإنسان أيضًا إذا حصل له خير أن يهنئ به وأن يُبشر به إذا كان مستقبلاً، يُهنئ بالخير إذا وقع، ويُبشر بالخير في المستقبل. بشّر أخاك، أدخل السرور عليه، حتى لو رأيت مثلاً إنسانًا مغتمًّا قد ضاقت عليه الدنيا وتكالبت عليه الأمور، فقل له: أَبْشِرْ بالفرج؛ لأن النبي ﷺ يقول: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»[1]، هذا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، لا ينطق عن الهوى.

فإذا رأيت أخاك مكروبًا، فقل له: أبشر. الفرج قريب، وإذا رأيته في عسرة فقل له: أبشر. اليسر قريب، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لن يغلب عسر يسرين» أين؟ في ألم نشرح لك صدرك ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، العسر ذكر مرتين واليسر ذكر مرتين، لكن حقيقة الأمر أن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة واليسر ذُكر مرتين، لماذا؟ قال العلماء إذا تكررت الكلمة معرفة بأل فهي واحدة، وإذا جاءت غير معرفة بأل فهي اثنان.

العسر كرر مرتين لكن بأل، فيكون العسر الثاني هو الأول، اليسر كرر مرتين لكن بدون أل فيكون اليسر الثاني غير اليسر الأول،

(١) رواه أحمد في المسند(١/ ٣٠٧).

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لن يغلب عسر يسرين» أدخل السرور على أخيك المكروب قل له: انتظر الفرج، كلما اشتدت الأمور فانتظر الفرج.

ربمـــا تكـــره النفـــوس مـــن الأمـــر
لـــه فـــرجـــة كحـــل العقـــال

يُقال إن الحجاج بن يوسف الثقفي وهو رجلٌ معروف ـ نسأل الله أن يعفو عنه ـ، رجل ظالم له سيئات كثيرة، تكلم عنده أحد الناس وقال له كلمة استنكرها الحجاج، وكان الحجاج جيدًا في اللغة العربية، فهو الذي شكل القرآن ـ وهذه من حسناته ـ، قال له الحجاج: ليس هذا في اللغة العربية، فُعلة لا تأتي في اللغة العربية، قال: هكذا سمعت من الأعراب. وكانوا يأخذون اللغة من الأعراب؛ لأن الأعراب في البادية ليسوا في المدن، والمدن دخل فيها الفرس والروم الذين أسلموا فتغير اللسان. فقال الحجاج له: اذهب عند الأعراب وائتني بشاهد من كلام العرب يدل على أن فُعلة موجودة في اللغة العربية، ولك مهلة كذا وكذا، فإن لم تأتني فأنا أضرب عنقك.

ذهب الرجل مكروبًا والحجاج ينفذ ما يقول، وذهب يطلب من الأعراب، فسمع أعرابيًّا يقول:

ربمـــا تكـــره النفـــوس مـــن الأمـــر
لـــه فُـــرجـــةٌ كحـــل العقـــال

ففرح بها فرحًا عظيمًا وجاء بها إلى الحجاج، فبينما هو في الطريق قيل له: إن الحجاج قد مات، فقال: والله ما أدري هل أنا أشد فرحًا بهذه الكلمة التي وجدتها عند الأعرابي أو بموت هذا الرجل.

فالحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يدخل السرور والبشرى على إخوانه حتى يفرحوا، وينشطوا، ويؤملوا، وينتظروا الفرج. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن له البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

* * *

١/٧٠٨ ـ عن أبي إبراهيمَ ـ وَيُقَال أبو محمد، ويقال أَبُو مُعَاوِيَةَ ـ عبدِ اللهِ بن أبي أَوْفَى رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، بِبَيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ. متفقٌ عليه[١].

«الْقَصَبُ» هُنَا: اللُّولُؤ المُجَوَّفُ. و«الصَّخبُ»: الصِّيَاحُ وَاللَّغطُ. «وَالنَّصَبُ»: التَّعَبُ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة، رقم(٣٨١٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، رقم(٢٤٣٣).

٢/٧٠٩ ـ وعن أبي موسى الأشْعَرِيّ رضي الله عنه أنَّهُ تَوَضَّأَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فقال: لألْزَمَنَّ رسول الله ﷺ، وَلأكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هذا، فَجَاءَ المَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: وَجَّهَ هاهُنَا، قال: فَخَرَجْتُ عَلَى أثَرِهِ أسْألُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْر أرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابَ حَتَّى قَضَى رسول الله ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوضَّأَ، فَقُمْتُ إلَيْهِ، فَإذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ إرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكشَفَ عَنْ سَاقِيْهِ وَدَلاهُمَا في البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ فَقُلْتُ: لأكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ الله ﷺ اليَوْمَ، فَجَاءَ أبُو بَكْرٍ رضيَ الله عنه فَدَفَعَ البابَ فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ فَقَالَ: أبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلتُ: يا رَسُولَ الله، هذَا أبُو بَكْرٍ يَسْتَأذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجَنَّة»، فَأقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأبي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ الله يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أبُو بَكْرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهُ في القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئْرِ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ الله ﷺ، وَكَشَفَ عنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ، وقَد تَركْتُ أخي يَتَوضَّأُ وَيَلْحَقُني، فَقُلْتُ: إنْ يُرِدِ الله بِفُلانٍ ـ يُريدُ أخَاهُ ـ خَيْرًا يَأتِ بِهِ، فَإذَا إنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وقُلْتُ: هذا عُمَرُ يَسْتأذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ»، فَجِئتُ عُمَرَ، فَقُلْتُ: أذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في

القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إنْ يُرِدِ الله بِفُلانٍ - يُرِيدُ أخَاهُ - خَيْرًا يَاتِ بِهِ، فَجَاءَ إنْسَانٌ فَحَرَّكَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، وجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوى تُصِيبُهُ»، فَجِئتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ ويُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِىءَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ. قَالَ: سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ: فَأوَّلْتُهَا قُبُورَهُم. متفقٌ عليه(١).

وزادَ في روايةٍ: «وَأمَرَنِي رسولُ اللهِ ﷺ بحِفْظِ البَابِ. وَفِيها: أنَّ عُثْمَانَ حِينَ بَشَّرَهُ حَمِدَ الله تَعالى، ثُمَّ قَالَ: الله المُسْتَعَانُ».

قوله: «وَجَّهَ» بفتحِ الواوِ وتشديدِ الجيمِ، أيْ: تَوَجَّهَ. وقوله: «بِئْرِ أرِيسٍ»: هو بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الراءِ، وبعْدَهَا ياءٌ مُثَنَّاةٌ مِن تحت سَاكِنَةٌ، ثُمَّ سِينٌ مهمَلَةٌ، وهو مصروفٌ، ومنهمْ مَنْ مَنَعَ صَرْفَهُ. «والقُفُّ» بضم القافِ وتشديد الفاءِ: هَوَ المَبْنِيُّ حَوْلَ البِئْرِ. قوله: «عَلَى رِسْلِكَ» بكسر الراء على المشهور، وقيل بفتحها، أيْ: ارْفُقْ.

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - في باب استحباب التبشير بالخير

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت...، رقم(٣٦٧٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، رقم(٢٤٠٣).

والتهنئة به آيات سبق الكلام عليها، وبيّنا أن البشارة قد تكون بخير في الدنيا، أو بخير في الآخرة.

ثم ذكر حديثين: حديث أبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ بشَّر خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة وكذلك حديث أبي موسى الأشعري وسيأتي إن شاء الله.

يقول: ببيت في الجنة من قصب، ليس فيه صخب ولا نصب. ولكن القصب الذي بُني منه قصر خديجة في الجنة ليس كالقصب الذي في الدنيا. الاسم هو الاسم والحقيقة غير الحقيقة، كما أنه في الجنة نخل ورمان وفاكهة ولحم طير وغير ذلك، فالاسم هو الاسم والحقيقة غير الحقيقة.

وهذا بابٌ يجب على الإنسان أن يتفطن له؛ فإن أمور الغيب التي لها نظير في الدنيا لا تماثل نظيرها في الدنيا.

فمثلاً في صفات الله عزَّ وجلَّ، لله عزَّ وجلَّ وجه كريم، موصوف بالجلال والإكرام، ونحن أيضًا لنا وجه، فالأمر لا يختلف في الاسم، لكن قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فوجهه يليق بجلاله وعظمته، ولا يمكن الإحاطة به؛ لا وصفًا، ولا تصورًا في الذهن، ولا نطقًا باللسان، فهو أعظم وأجل من أن تحيط به الأوصاف، وهكذا بقية صفاته عزَّ وجلَّ.

اسمها يوافق الاسم الذي نتصف به، ولكن الحقيقة غير الحقيقة.

كذلك أيضًا الجنة فيها - كما قلت - عسل، وماء، وخمر، ولحم، ونساء، وفاكهة، ورمان، وغير ذلك، لكن ليست كالذي في الدنيا؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، ولو كانت مثل ما في الدنيا لكنا نعلمها، لكنها ليست مثلها ولا قريبًا منها.

وكذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن الله أنه قال: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»(١) نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين ممن أعد الله لهم ذلك.

فخديجة رضي الله عنها بشَّرها النبي ﷺ بواسطة جبريل، هو الذي أخبر الرسول ﷺ: بشَّرها ببيت في الجنة من قصب، ولكن ليس القصب الذي في الجنة كالقصب الذي في الدنيا، ولا القصب الذي في الدنيا كالقصب الذي في الجنة، ثم قال: «**ليس فيه صخب ولا نصب**».

والصخب: الأصوات المزعجة الشديدة، والجنة ليس فيها

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٢٤٤)، ومسلم، كتاب الجنة، باب منه، رقم(٢٨٢٤).

صخب وأهلها كلهم ليس عندهم صخب ولا نصب ولا كلام لغو: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣].

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، كلامهم طيب؛ لأنهم جوار الطيب جلَّ وعلا، فهم طيبون في جنات عدن، مساكن طيبة عند الطيب جلَّ وعلا، كلهم طيبون، كما أن قلوبهم في الدنيا طيبة، وأفعالهم طيبة؛ لأن الله لا يقبل إلا الطيب، وأفعالهم مقبولة، فهم كذلك في الآخرة.

فقصر خديجة ليس فيه صخب، وليس فيه نصب، وليس فيه تعب، لا يحتاج إلى كنس القمامة ولا غيره؛ كله طيب. وهذه بشارة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

وأم المؤمنين خديجة هي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ، تزوجها وهو ﷺ ابن خمس وعشرين سنة، ولها أربعون سنة من زوج سابق قبله، وولدت له بناته الأربع وأولاده الثلاثة أو الاثنان، ولم يتزوج عليها أحدًا حتى ماتت رضي الله عنها، وكانت امرأة عاقلة ذكية حكيمة، لها مآثر طيبة معروفة يجدها من يراجع ترجمتها في كتب التاريخ، وكانت تسامي عائشة رضي الله عنها، يعني أنها هي وعائشة أفضل نساء الرسول عليه الصلاة والسلام وأحب نسائه إليه.

واختلف العلماء أيهما أفضل؛ فقيل: عائشة، وقيل: خديجة،

والصحيح أن لكل واحدة منهما مزية تختص بها، لا تشاركها فيها الأخرى.

لعائشة رضي الله عنها في آخر الرسالة، وبعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام، لها من نشر الرسالة والعلم والشريعة ما ليس لخديجة.

وخديجة لها في أول الرسالة ومناصرة النبي ﷺ ومعاضدته ما ليس لعائشة، فلكل واحدة منهما مزية.

أما الفضيلة فكفى بهما فخرًا أنهما أحب نساء النبي ﷺ إليه، ويكفي هذا، وأما الفضائل فكل واحدة لها فضيلة.

فعائشة ـ رضي الله عنها ـ لها من المزايا ما أشرنا إليه من قبل، وخديجة ـ رضي الله عنها ـ لها من المزايا ما أشرنا إليه من قبل، وأما الفضل عند الله عزَّ وجلَّ فيكفي كما قلت: أنهما أحب نساء النبي ﷺ إليه.

ويذكر أن رجلاً من أهل السنة ورجلاً من الرافضة، والرافضة يبغضون عائشة بغضًا شديدًا، والعياذ بالله، وأهل السنة يحبون عائشة، والرافضة يغلون في خديجة غلوًّا شديدًا خارجًا عن الشرع، يبغضون هذه بغضًا شديدًا ـ أي عائشة ـ ويغلون في خديجة غلوًّا شديدًا.

وأهل السنة والجماعة يحبونهما جميعًا ويعترفون بالفضل لهما جميعًا: لعائشة وخديجة.

تنازع رافضي وسني، يقول الرافضي: الأفضل خديجة، ويقول السني: الأفضل عائشة على قول بعض العلماء الذين ذهبوا وأطلقوا القول بأفضلية عائشة، والصحيح ما أشرت إليه سابقًا أن كل واحدة منهما لها مزية.

وقد جاء رجلان إلى ابن الجوزي ـ صاحب التبصرة المعروف ـ قالا: إنا ارتضيناك حكمًا. أيهما أفضل علي أو أبوبكر؟ قال: أفضلهما من كانت ابنته تحته.

من الأفضل الآن؟ الكلام محتمل إن أراد ابنته تحته ﷺ فالأفضل أبوبكر، وإن أراد من ابنة الرسول تحته فالأفضل علي.

فذهب الرجلان، كل يقول: حكم لي، وهذا يقول حكم لي؛ لأن الضمير يحتمل الرجوع إلى هذا وهذا، وهذا من ذكاء ابن الجوزي وتخلصه.

والخلاصة: أن أبابكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ بإجماع أهل السنة حتى علي بن أبي طالب يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، يعلن بهذا إعلانًا في خلافته لا يخشى أحدًا، لكن الرافضة تحرف الكلم عن مواضعه، ومن

المعلوم أن ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ من أهل السنة فلا شك أن أبا بكر عنده أفضل من علي؛ لكنه أتى بهذا الكلام المحتمل حتى يسلم من شر هذا الرافضي. والله أعلم.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه في يوم من الأيام توضأ في بيته وخرج يطلب النبي ﷺ ويقول: لألزمن رسول الله ﷺ يومي هذا. ألزمن يعني أكون معه ذاهبًا وآتيًا.

وفي هذا دليلٌ على أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضئًا لأجل أن يكون مستعدًّا للصلاة وهو خارج البيت، فإذا جاء وقت الصلاة وهو في مكان لا يوجد فيه ماء كان على طهارة وصلى، وإذا حضرت جنازة صلَّى عليها وهو خارج البيت، أو على الأقل يكون على طهر؛ لأن كون الإنسان على طهر أفضل من أن يكون على غير طهر، وربما جاءه الموت فيكون على طهر، فالإنسان ينبغي له ما استطاع أن يكون على طهر لا سيما إذا خرج من بيته.

فخرج رضي الله عنه يطلب النبيَّ ﷺ فأتى المسجد؛ لأن الرسول ﷺ إما في المسجد وإما في بيته في مهنة أهله، وإما في مصالح أصحابه عليه الصلاة والسلام، فلم يجده في المسجد، فسأل عنه فقالوا: وجَّه هاهنا، وأشاروا إلى ناحية أريس وهي بئر

حول قباء، فخرج أبو موسى في إثره حتى وصل إلى البئر، فوجد النبي ﷺ هنالك فلزم الباب رضي الله عنه.

فقضى النبي ﷺ حاجته وتوضأ ثم جلس على قُفّ البئر يعني على حافته، ودلى رجليه وكشف عن ساقيه. والظاهر والله أعلم أنه كان في ذلك الوقت في حر، وهذا البئر فيه ماء، والماء قريب وحوله الأشجار والنخل والظلال، وعادة أن الإنسان إذا حصل له مثل ذلك فعل مثل هذا الفعل؛ يعني يكشف عن ساقيه ليبرد، ويأتيه من برودة الماء الذي في البئر، وفي هذا الظل.

فجلس عليه الصلاة والسلام متوسطًا للقف أي حافة البئر، ودلّى رجليه، وكشف عن ساقيه، وكان أبو موسى على الباب يحفظه أي باب البئر، فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه، لكنه لم يأذن له أبو موسى حتى يستشير النبي ﷺ، فقال للنبي ﷺ: هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشِّره بالجنة، فأذن له وقال له: يبشرك رسول الله ﷺ بالجنة.

ويا لها من بشارة، يبشره بالجنة ثم يأذن له أن يدخل ليكون مع الرسول ﷺ.

فدخل ووجد النبي ﷺ متوسطًا القفّ فجلس عن يمينه؛ لأن النبي ﷺ يعجبه التيامن في كل شأنه، فجلس أبو بكر على يمينه

وصنع مثل ما صنع النبي ﷺ؛ دلى رجليه في البئر، وكشف عن ساقيه كراهة أن يخالف النبي ﷺ؛ في هذه الجلسة، وإلا فليس من المشروع أن الإنسان يجلس على بئر ويدلي رجليه ويكشف عن ساقيه، لكنه لا يحب أن يجلس مع النبي ﷺ على غير الهيئة التي كان النبي ﷺ عليها.

فقال أبو موسى ـ وكان قد ترك أخاه يتوضأ ويلحقه ـ: إن يرد الله به خيرًا يأت به، وإذا جاء واستأذن فقد يحصل له أن يُبشر بالجنة، ولكن استأذن الرجل الثاني، فجاء أبو موسى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: هذا عمر قال: ائذن له وبشِّره بالجنة، فأذن له، وقال له: يبشرك رسول الله ﷺ بالجنة.

فدخل فوجد النبي ﷺ وأبا بكر على القف، فجلس عن يسار الرسول عليه الصلاة والسلام والبئر ضيقة، ليست واسعة كثيرًا، فهؤلاء الثلاثة كانوا في جانب واحد.

ثم استأذن عثمان وصنع أبو موسى مثل ما صنع من الاستئذان فقال النبي ﷺ: «ائذن له وبشِّره بالجنة مع بلوى تصيبه»، فأذن له وقال: يبشرك الرسول ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك، فاجتمع في حقه نعمة وبلوى، فقال رضي الله عنه: الحمد لله المستعان، الله المستعان على هذه البلوى، والحمد لله على هذه البشرى، فدخل

فوجد القف قد امتلأ، لأنه ليس واسعًا كثيرًا، فذهب إلى الناحية التي تجاههم وجلس فيها، ودلى رجليه، وكشف عن ساقيه.

أوَّلها سعيد بن المسيب ـ أحد كبار التابعين ـ على أنها قبورهم؛ لأن قبور الثلاثة كانت في مكان واحد، فالنبي ﷺ وأبوبكر وعمر كلهم كانوا في حجرة واحدة، قبورهم واحدة، دفنوا جميعًا، وهم في الدنيا يذهبون جميعًا ويرجعون جميعًا، ودائمًا يقول النبي ﷺ: ذهبت أنا وأبوبكر وعمر، وجئت أنا وأبوبكر وعمر، فهما صاحباه والملازمان له، ويوم القيامة يخرجون من قبورهم جميعًا، فهم جميعًا في الدنيا والآخرة.

فجلس عثمان رضي الله عنه تجاههم، وبشره ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبه، وهذه البلوى هي ما حصل لعثمان رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه وخروجهم عليه، وقتلهم إياه في بيته رضي الله عنه، حيث دخلوا عليه في بيته في المدينة وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وكتاب الله بين يديه.

ويذكر بعض المؤرخين أن قطرة من الدم نزلت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، والله أعلم.

لكن على كل حال فإن عثمان رضي الله عنه كان معروفًا بكثرة

القراءة والتهجد، فدخل عليه أولئك المعتدون الظالمون فقتلوه، فقتل شهيدًا.

وبذلك تحقق قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما صعد على جبل أحد ـ وهو جبل معروف كبير في المدينة ـ هو وأبوبكر وعمر وعثمان، وارتج بهم الجبل، من آيات الله، ليس ارتجاج نقمة وخسف، لكن ارتجاج فرح، فلما ارتج بهم قال النبي ﷺ له: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[(١)] فالنبي رسول الله عليه الصلاة والسلام، والصديق أبو بكر، والشهيدان: عمر وعثمان.

وكلاهما رضي الله عنهما قتل شهيدًا؛ أما عمر فقتل وهو متقدم لصلاة الفجر بالمسلمين، قتل في المحراب، وأما عثمان فقتل وهو يتهجد في بيته في صلاة الليل، فرضي الله عنهما، وألحقنا وإياكم بهما في دار النعيم المقيم.

هذه القصة فيها بشارة؛ لأن الرسول قال: «**ائذن له وبشره بالجنة**»، لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعًا، وجعلنا وإياكم ممن يحشرون في زمرة محمد ﷺ.



(١) رواه البخاري، كتاب فضل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت..، رقم(٣٦٧٥).

٣/٧١٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنهُ قال: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رسولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَنَا أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رضيَ اللهُ عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بينِ أظْهُرِنَا فأبْطَأ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزع، فَخَرَجْتُ أبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَتَّى أتَيْتُ حَائِطًا للأنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أجِدُ لَهُ بَابًا، فَلَمْ أجِدْ، فَإذَا رَبيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئرٍ خَارِجَهُ ـ وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ ـ فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رسُولِ الله ﷺ فقال: «أبُو هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَال: «مَا شَأنُكَ؟»، قلتُ: كُنْتَ بَيْنَ أظهرنَا فَقُمْتَ فَأبْطَأتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأتَيْتُ هذَا الحائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهؤلاءِ النَّاسُ وَرَائي. فَقَالَ: «يَا أبا هُرَيْرَةَ» وَأعْطَانِي نَعْلَيْهِ فَقَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مَنْ وَرَاءِ هذَا الحائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بها قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ» وَذَكَرَ الحَدِيثَ بطُولِهِ، رواه مسلم(١).

«الرَّبِيعُ»: النَّهْرُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ الجَدْوَلُ ـ بفتحِ الجيمِ ـ كَمَا فَسَّرَهُ في الحَدِيثِ. وقولُه: «احْتَفَزْتُ» رويَ بالرَّاءِ وبالزَّاي، ومعناهُ بالزاي: تَضَامَمْتُ وتَصَاغَرْتُ حَتَّى أمْكَنَني الدُّخُولُ.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم(٣١).

الشرح

هذا الحديث الذي نقله المؤلف في رياض الصالحين، باب التبشير والتهنئة بالخير فيه أيضًا البشارة، فإن النبي ﷺ كان جالسًا في أصحابه في نفر منهم، ومعه أبو بكر وعمر، فقام النبي ﷺ ثم أبطأ عليهم، فخشوا أن يكون أحد من الناس اقتطعه دونهم؛ لأن النبي ﷺ مطلوب من جهة المنافقين ومن جهة غيرهم من أعداء الدين.

فقاموا فزعين، فكان أول من فزع أبا هريرة رضي الله عنه، حتى أتى حائطًا لبني النجار، فجعل يطوف به لعله يجد بابًا فلم يجد، ولعله أراد بابًا مفتوحًا فلم يجد، وإلا فمن المعلوم أن الحيطان لابد أن يكون لها أبواب، ولكن لعله أن يكون وجد بابًا مغلقًا، فوجد ثعلبًا، والثعلب الفتحة تكون في الجدار يدخل معها السيل فاحتبىٰ أبو هريرة فدخل حتى وجد النبي ﷺ.

فقال له: «أبو هريرة؟». قال: نعم. فأعطاه نعليه عليه الصلاة والسلام وقال له: «اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا به قلبه فبشره بالجنة» نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم في الحياة وعند الممات.

فخرج أبو هريرة رضي الله عنه ومعه النعلان نعلا رسول الله

ﷺ، وكأن النبي ﷺ أعطاه النعلين أمارة وعلامة على أنه صادق؛ لأن هذه بشارة عظيمة؛ وهي أن من قال: أشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة؛ لأن الذي يقول هذه الكلمة مستيقنًا بها قلبه لابد أن يقوم بأوامر الله ويجتنب نواهي الله؛ لأنه يقول لا معبود حق إلا الله، وإذا كان هذا معنى الكلمة العظيمة، فإنه لابد أن يعبد الله عزَّ وجلَّ.

أما من قالها بلسانه ولم يوقن بها قلبه والعياذ بالله، فإنها لا تنفعه، فهاهم المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله، لكنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، ويقومون ويصلون، لكنَّ الصلاة ثقيلة عليهم، وأثقلها صلاة العشاء والفجر، ويأتون للرسول عليه الصلاة والسلام يقولون نشهد إنك لرسول الله، ويؤكدون هذا.

ولكن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]؛ لم تستيقن قلوبهم بلا إله إلا الله ولا بأن محمدًا رسول الله، ولهذا لم تنفعهم، أما من استيقن بها قلبه فهذه البشرى.

ولكن لا يمكن لإنسان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويترك الفرائض أبدًا، ولهذا لا يكون هذا الحديث دليلاً على أن تارك الصلاة لا يكفر. لا، ليس فيه دلالة، لأن تارك الصلاة

يكفر ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأنه يقولها من غير يقين. كيف يقولها من يقين ويترك الصلاة ويحافظ على تركها والعياذ بالله؟ هذا لا يمكن.

ولكن قد يرد على القلب وساوس من الشيطان وساوس خطيرة في الله عزَّ وجلّ، وهذه الوساوس لا تضر المؤمن شيئًا، فإن النبي ﷺ قال: «**هذا صريح الإيمان**»(١). ومعنى هذا صريح الإيمان، ليس معناها أن الوساوس صريح الإيمان، لكن الوساوس دليلٌ على خالص الإيمان؛ لأن الشيطان يأتي إلى القلب الخالص الصريح الخالي من الشك ويُوقع عليه الوساوس لعله يشك، أو لعله يفسد إيمانه.

فيأتي إلى القلب فإذا دافعه الإنسان، وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الله هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، الله الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد وأعرض عن هذه الوساوس زالت عنه، والشيطان لا يمكن أن يأتي إلى قلب خراب ليفسده؛ لأن القلب الخراب خراب.

ويُذكر أن ابن مسعود أو ابن عباس رضي الله عنهما جاء إليه

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم(١٣٢).

ناس يقولون: إن اليهود يقولون: نحن لا نوسوس في الصلاة. فقال: وما يصنع الشيطان بقلب خراب؟

معنى هذا أن قلوبهم خربة، والقلوب الخربة لا يأتي الشيطان لأجل أن يخربها، إنما يأتي الشيطان للقلوب السليمة المخلصة من أجل أن يلقي عليها الوساوس والشكوك.

فدع هذه الوساوس والشكوك والتجئ إلى ربك وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ويزول عنك ذلك بإذن الله.

ففي هذا الحديث بشارة بالخير، وهو أن من شهد أن لا إله إلا الله موقنًا بها قلبه فليبشر بالجنة، والله الموفق.

* * *

٤/٧١١ ـ وعن ابنِ شُمَاسَةَ رضي الله عنه قالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العاصِ رضيَ اللهُ عنه، وَهُوَ في سِيَاقةِ المَوْتِ فَبَكى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجَهَهُ إلى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ فَأقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إنَّ أفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسُول الله، إنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى

أطْبَاقٍ ثَلاثٍ: لَقَدْ رَأيْتُنِي وَمَا أحَدٌ أشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ الله ﷺ مِنِّي، وَلاَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ أنْ أكونَ قدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ لَكُنْتُ مِنْ أهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ الله الإسْلامَ في قَلْبِي أتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فلأبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فقالَ: «مالكَ يَا عَمرو؟»، قلت: أرَدْتُ أن أشْتَرِطَ، قالَ: «تشْتَرِطُ مَاذَا؟»، قُلْتُ: أنْ يُغْفَرَ لي، قَالَ: «أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسْلاَمَ يَهْدِمُ ما كَانَ قَبلَهُ، وأَن الهِجرَةَ تهدِمُ ما كان قَبْلَهَا، وَأَنَّ الحَجَّ يَهدِمُ ما كَانَ قَبْلَهُ؟». وما كان أحَدٌ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ رسول الله ﷺ، وَلاَ أجَلَّ في عَيْنِي مِنْهُ، ومَا كُنتُ أطِيقُ أن أملأ عَيني مِنه إجلالاً له؛ ولو سُئِلتُ أن أصِفَهُ ما أطَقتُ؛ لأنِّي لم أكن أملأ عَينِي مِنه، ولو مُتُّ على تِلكَ الحَال لَرَجَوتُ أن أكُونَ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ، ثم ولِينَا أشيَاءَ ما أدري ما حَالِي فِيها؟ فإذَا أنا مُت فلا تَصحَبَنِّي نَائحَةٌ، ولا نارٌ، فإذا دَفَنتمُوني، فَشُنُّوا عليَّ التُّرابَ شَنًّا، ثم أقِيمُوا حَولَ قَبرِي قَدَرَ ما تُنحَرُ جَزورٌ، ويُقْسَمُ لحْمُهَا، حَتَّى أسْتَأنِسَ بِكُمْ، وأنظُرَ ما أرَاجِعُ بِهِ رسُلَ ربي. رواه مسلم(١).

قوله: «شُنُّوا» رُوِيَ بِالشينِ المعجمةِ وبالمهملةِ، أي: صبُّوهُ قليلاً قَلِيلاً، والله سبحانه أعلم.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام ما قبله وكذا الهجرة، رقم(١٢١).

الشرح

قال المؤلف النووي رحمه الله في سياق الأحاديث الواردة في التبشير والتهنئة بالخير في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، تلك القصة العظيمة أنه حضره بعض أصحابه وهو في سياق الموت، فبكى بكاءً شديدًا وحول وجهه نحو الجدار رضي الله عنه، وهو الآن في سياق الموت سيفارق الدنيا، فقال له ابنه: علام تبكي وقد بشرك النبي ﷺ بالجنة؟ فقال: يا بني إني كنت على أطباقٍ ثلاث، أطباق يعني أحوال، ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]، يعني حالاً بعد حال.

ثم ذكر هذه الأطباق الثلاث؛ أنه كان يُبغض النبي ﷺ بغضًا شديدًا، وأنه ليس على وجه الأرض أحدًا يبغضه كما يبغض النبي ﷺ، وأنه يود أنه لو تمكن منه فقتله، وهذا أشد ما يكون من الكفر، حتى ألقى الله الإسلام في قلبه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ابسط يدك فلأبايعك على الإسلام، وكان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا، فمدّ يده ولكن عمرو بن العاص كفّ يده، كف يده لا استكبارًا، ولكن استثباتًا لما سيذكره، فقال له: «مالك»؟ قال: يا رسول الله، إني أشترط ـ يعني على الإسلام ـ قال: «ماذا تشترط؟» قال: أشترط أن يُغفر لي.

هذا أكبر همه رضي الله عنه، يشترط أن الله يغفر له، ظن أنه لن يغفر الله لما كان له من سابقة. فقال له النبي ﷺ: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**» ثلاثة أشياء.

أما الإسلام فإنه يهدم ما قبله بنص الكتاب العزيز، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

والهجرة: إذا هاجر الإنسان من بلده التي كان يعيش فيها وهي بلد كفر، هدمت ما قبلها.

والحج يهدم ما قبله لقول النبي ﷺ: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(١).

فبايع رضي الله عنه وأحب النبي ﷺ حبًّا شديدًا حتى كان أحب الناس إليه، وحتى إنه لا يستطيع أن يحد النظر فيه إجلالاً للنبي عليه الصلاة والسلام. سبحان مقلب القلوب! بالأمس كان يبغضه بغضًا شديدًا، حتى يتمنى أن يقدر عليه فيقتله، وأما الآن ما يستطيع أن يرفع طرفه إليه إجلالاً له، ولا يستطيع أن يصفه لأنه لا يحيط به،

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم(١٧٧٣)، ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، رقم(١٣٤٩).

حيث إنه لم يدركه إداركًا جيدًا مهابة له ﷺ.

يقول رضي الله عنه: إنه لو مات على الطبق الأول؛ لكان من أهل النار، يقول: ولو مت على تلك الحال الثانية، لرجوت أن أكون من أهل الجنة. انظر الاحتياط فقد جزم أنه لو مات على الحال الأولى لكان من أهل النار، أما الحال الثانية فإنه لشدة خوفه قال: لو مت على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ولم يقل: لكنت من أهل الجنة؛ لأن الشهادة بالجنة أمرها صعب، نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها.

ثم إنه بعد ذلك تولى أمورًا رضي الله عنه، تولى إمارات وقيادات، وحصل ما حصل في قصة حرب معاوية وغيره، وكان عمرو بن العاص معروفًا أنه من أدهى العرب وأذكى العرب، فيقول: أخشى من هذا الذي حدث بعد الطبق الأوسط أن يكون أحاط بعمله.

ثم أوصى رضي الله عنه أنه إذا مات فلا تتبعه نائحة. النائحة: هي المرأة التي تنوح على الميت وتبكي عليه بكاءً يشبه نوح الحمام، وأمر رضي الله عنه إذا دفنوه أن يبقوا عند قبره قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى يراجع رسل ربه وهم الملائكة الذين يأتون إلى الميت إذا دفن. إذا دفن الميت فإنه يأتيه ملكان ويجلسانه

في قبره ويسألانه عن ثلاثة أسئلة، يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

أما المؤمن الذي ثبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ـ جعلنا الله وإياكم منهم بمنِّه وكرمه ـ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، يثبته الله في المقام الضنك.

وأما المنافق والعياذ بالله أو المرتاب الذي عنده الشك فيقول: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته؛ لأن الإيمان ما دخل إلى قلبه ولا وقر في قلبه، فهو يسمع ويقول، لكن ـ نسأل الله العافية ـ لم يلج الإيمان إلى قلبه، فيضرب بمرزبة، والمرزبة المطرقة العظيمة من حديد؛ يضرب بمزربة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان.

وقال النبي ﷺ: «ولو سمعها الإنسان لصعق»[1]، لو يسمع الناس من يعذب في قبره لصعقوا، ماتوا لأنه يصيح صيحة لا نظير لها في الدنيا؛ لأن الصياح في الدنيا مهما كان لا يموت أحد منه، لكن هذه صيحة عظيمة ليس لها نظير، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق.

فأمر عمرو بن العاص رضي الله عنه أهله أن يقيموا عليه قدر ما

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنازة، رقم(١٣٨٠).

تنحر الجزور ويقسم لحمها ليستأنس بهم، وهذا يدل على أن الميت يحس بأهله، وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا من دفنه(١). قرع النعال الخفي يسمعه الميت إذا انصرفوا من دفنه.

وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام في حديث حسن أنه كان إذا دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»(٢)، فيُستحب إذا دُفن الميت أن يقف الإنسان على قبره ويقول: اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له! لأن النبي ﷺ كان إذا سلم سلم ثلاثًا، وإذا دعا دعا ثلاثًا(٣).

نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الحاصل أن ابن عمرو بن العاص قال له: بشَّرك النبي ﷺ بالجنة، وهذا من باب البشارة بالخير والتهنئة به، والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم(١٣٧٤)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، رقم(٢٨٧٠).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند قبر الميت في وقت الانصراف، رقم(٣٢٢١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ...، رقم(١٧٩٤).

٩٦- باب وداع الصّاحب ووصيّته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣].

وأما الأحاديث:

١/٧١٢ - فمنها حَديثُ زيدِ بن أرْقَمَ - رضي الله عنه - الذي سبق في باب إكرامِ أهْلِ بَيْتِ رسول الله ﷺ - قال: قامَ رسول الله ﷺ فِينَا خَطِيبًا، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَال: «أمَّا بَعْدُ، ألا أيُّهَا النَّاسُ إنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أنْ يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّي فأجِيبَ، وأنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أوَّلُهمَا: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخذُوا بِكتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَاب الله، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قالَ: «وَأهْلُ بَيْتِي، أذَكِّرُكُمُ الله في أهْلِ بَيْتِي» رواه مسلم[1]. وقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ.

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب...، رقم(٢٤٠٨).

الشرح

قال النووي رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين، باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه.

وذلك أن الإنسان إذا سافر فإنه ينبغي لأقاربه وذويه وأصحابه أن يودعوه، وأن يوصوه بتقوى الله عزَّ وجلَّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي ﷺ إذا بعث جيشًا أو سرية وأمر عليهم أميرًا قال له: «أوصيك بتقوى الله ومن معك من المسلمين خيرًا»(١)، وذلك أن الإنسان يحتاج إلى أحد يساعده ويعينه على طاعة ربه ولا سيما عند السفر؛ لأن السفر محل الشغل والتقصير ولا سيما فيما سبق من الزمان، لما كانت الأسفار بعيدة على المطايا وعلى الأقدام، فالناس يحتاجون إلى وصية وإلى تثبيت وإلى إعانة.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الآيات الواردة في ذلك فقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وهذه الوصية هي قول الله عزَّ وجلَّ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث...، رقم(١٧٣١).

في إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]، ولم يتردد فأسلم لله وانقاد له.

ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب، يعني وصى بهذه الوصية، وهي أن يسلموا لله عزَّ وجلَّ ظاهرًا وباطنًا، فالإسلام الظاهر يكون بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والإسلام الباطن يكون بالإيمان بالله وملائكته وكتبه إلى آخره.

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ يعني أن إبراهيم ويعقوب كل منهما وصى بها بنيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ أي اختاره لكم ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ المعنى استدينوا الإسلام واثبتوا عليه إلى الممات ولا ترتدوا عنه.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ وهذا غاية التوحيد، وهذا من نصح يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه حيث أراد أن يعرف حالهم قبل أن يفارق الدنيا، ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

أما إبراهيم فهو أبوه يعني جده، وإسحاق أبوه من صلبه، وأما إسماعيل فهو عمه لكن أطلق عليه لفظ الآباء من باب التغليب؛ لأن

العم صنو الأب، كما قال النبي ﷺ لعمر: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»(١) يعني شريكه في الأصل والجذر. والصنو هو عبارة عن النخلتين يكون أصلهما واحدًا وهما قرينتان، ويسمى عند العامة القرائن.

وقوله: ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ من باب التوكيد ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

فهذه الوصية ينبغي للإنسان أن يوصي بها من أراد سفرًا، وأن يوصي بها أهله، وأن يتعاهدهم عليها؛ لأنها هي التي عليها بناء كل شيء، فلا دين بدون إخلاص، ولا عبادة بدون إخلاص، ولا اتباع بدون إخلاص، كل شيء مبناه على الإخلاص لله عزَّ وجلَّ.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممن يعبدك مخلصين لك الدين يا رب العالمين.

* * *

٢/٧١٣ - وعن أبي سُلَيْمَانَ مَالك بْنِ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه قال: أَتَيْنَا رسول الله ﷺ ونَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأقمْنَا عِنْدَهُ عشْرِينَ لَيلَةً، وكانَ رسولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَظَنَّ أنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أهْلَنَا، فَسَألَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أهْلِنَا، فَأخْبَرْنَاهُ، فقال: «ارْجِعُوا إِلَى أهْلِيكم، فَأقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّموهُم وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا صَلاةَ كَذَا في حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا في حينِ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، رقم(٩٨٣).

كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أكبَرُكُم» متفقٌ عليه[١].

زاد البخاري في رواية له: «وَصَلُّوا كمَا رَأيتُمُوني أصَلِّي».

قوله: «رَحِيمًا رَفيقًا» روِيَ بفاءٍ وقافٍ، وروِيَ بقافين.

الشرح

قال المؤلف النووي رحمه الله تعالى في كتابه رياض الصالحين، باب توديع الصاحب والمسافر والمفارق في أي فراق كان ووصيته من خلفه. قال في ذكر الأحاديث الواردة في هذا ما نقله عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، وهذا في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، وكانوا شبابًا، فأقاموا عند النبي ﷺ عشرين ليلة.

جاءوا من أجل أن يتفقهوا في دين الله، فلما رأى أنا قد اشتقنا أهلنا، يعني اشتقنا إليهم، سألهم وأخبروه عمّا وراءهم فقال: **«ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»** زاد البخاري: **«وصلُّوا كما رأيتموني أصلي»**.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة...، رقم(٦٣١)، ومسلم، كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، رقم(٦٧٤).

فهذا الحديث فيه فوائد:

منها: أن النبي ﷺ كان مشهورًا بالرحمة والرفق، فكان أرحم الناس بالناس، وكان أرفق الناس بالناس عليه الصلاة والسلام. رحيمًا رفيقًا، حتى إن الجارية من أهل المدينة ـ البنت الصغيرة ـ تمسك بيده ليذهب معها ليقضي حاجتها، وحتى العجوز كذلك، فكان عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس بالناس.

ومنها: أن الإنسان ينبغي له أن يكون شعوره شعور الآخرين، لا يكون أنانيًا إذا تمت له الأمور نسي من سواه، فإن رسول الله ﷺ كان مقيمًا في أهله مستريح البال مطمئن القلب مرتاح النفس، لكن هؤلاء الشببة الذين جاءوا يتعلمون الدين، كانت الفطرة والعادة والطبيعة أن الإنسان يشتاق إلى أهله، فلما رأى أنهم اشتاقوا إلى أهلهم وسألهم من خلفوا وراءهم وأخبروه، أمرهم أن يرجعوا إلى أهليهم.

فأنت ينبغي لك أن تشعر بشعور الآخرين وأن تفرض نفسك كأنك إياهم حتى تعاملهم بما تحب أن تعامل به نفسك.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يقيم في أهله ما أمكنه، ولا ينبغي أن يتغرب عنهم ولا أن يبتعد عنهم، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المسافر إذا سافر وقضى حاجته أن يرجع إلى أهله؛ لأن

بقاء الإنسان في أهله فيه خير كثير، فيه الألفة والمودة والمحبة، والتربية ومراعاة أحوالهم، والتأديب والتوجيه، فلهذا كان الذي ينبغي للإنسان أن لا يفارق أهله إلا عند الحاجة، ومتى انتهت حاجته رجع إليهم.

ومن فوائد الحديث: أن الإنسان مأمور بأن يعلم أهله ولهذا قال: «ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم»، يعلمونهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ، فالإنسان ينبغي له أن يعلم أهله ما يحتاجون إليه، إما أن يجعل جلسة خاصة لهم، أو إذا جلسوا على الطعام أو على الشراب أو في انتظار النوم أو ما أشبه ذلك يعلمهم.

ومن فوائد الحديث: أن الإنسان لا يقتصر على التعليم فقط، قال: «علموهم ومروهم» فيعلمهم ويأمرهم، وأهم ما يأمر به: الصلاة، وقد نص الرسول عليه الصلاة والسلام عليها فقال: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»(١)، فلابد من تعليم الأهل، ولابد من أمرهم وتأديبهم وتوجيههم.

ومن فوائد الحديث: وجوب الأذان وأنه فرض كفاية؛ لقوله: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم».

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم(٤٩٥)، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، رقم(٤٠٧).

ومنها: أنه لا يصح الأذان قبل الوقت، فلو أذن الإنسان قبل الوقت ولو بتكبيرة واحدة من الأذان، فإن أذانه لا يصح، ويجب عليه أن يعيده بعد دخول الصلاة، لقوله: «إذا حضرت الصلاة» والصلاة لا تحضر إلا إذا دخل وقتها.

وبهذا نعرف أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام لبلال: «إذا أذنت بالأوّل من الصبح فقل الصلاة خير من النوم؛ الصلاة خير من النوم»[(١)] المراد به الأذان الذي يكون بعد دخول الوقت؛ لأنه قال الأول لصلاة الصبح.

خلافًا لما فهمه بعض الناس من أن المراد بذلك الأذان الذي يكون قبل الفجر؛ لأن الأذان الذي يكون قبل الفجر أذان لقرب طلوعه، فقد بيَّن الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأذان الذي يكون قبل الفجر هو لإيقاظ النائم وإرجاع القائم. فقال: «إن بلالاً يؤذن ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر»[(٢)].

هكذا قال النبي ﷺ فبين في هذا الحديث أن الأذان الذي يكون

(١) رواه أحمد في المسند(٣/٤٠٨).
(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لا يمنعكم... رقم(١٩١٩)، ومسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم(١٠٩٣).

في آخر الليل، والذي يسميه الناس الأذان الأول هذا ليس للفجر وليس للصلاة؛ لأن الأذان للصلاة لا يكون إلا بعد دخول وقتها: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم»، وقد بيَّن الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذا الأذان ليس لصلاة الفجر بقوله: «**ليرجع قائمكم**» يعني يرده ليتسحر «**ويوقظ نائمكم**» ليتسحر.

ومن **فوائد هذا الحديث**: وجوب صلاة الجماعة لقوله: «وليؤمكم أكبركم» واللام هنا للأمر فصلاة الجماعة واجبة.

ومن **فوائد الحديث**: أن صلاة الجماعة واجبة على المسافرين كما هي واجبة على المقيمين؛ لأن هؤلاء وفد سيرجعون إلى أهلهم، فهم مسافرون، وأمرهم بالصلاة جماعة، وعلى هذا فإذا كان الإنسان في البلد وهو مسافر، فإنه يجب عليه أن يحضر الجماعة في المساجد.

وبعض العامة إذا قلت له: صلِّ مع الجماعة، قال: أنا مسافر، والمسافر ليس عليه صلاة جماعة. بل يجب أن تصلي مع الجماعة في المساجد ولو كنت مسافرًا، فأنت وأهل البلد سواء، قال النبي عليه الصلاة والسلام لرجل: «**أتسمع النداء؟**» قال: نعم. قال: «**فأجب**»[1].

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم(٦٥٣).

ومن فوائد هذا الحديث: تقديم الكبير في الإمامة لقوله ﷺ: «**وليؤمكم أكبركم**» وهذا لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**»[١]؛ لأن هؤلاء الشباب كلهم وفدوا في وقت واحد، والظاهر أنه ليس بينهم فرق بيّن في قراءة القرآن، وأنهم متقاربون، ليس بعضهم أقرأ من بعض ولهذا قال: «**وليؤمكم أكبركم**» لأنهم متساوون في القراءة أو متقاربون، فإذا تساووا في القراءة والسنة والهجرة، فإنه يرجع إلى الأكبر سنًّا ويقدمونه.

من فوائد الحديث: اعتبار الكبر في السن وأن الكبير في السن مقدم على غيره إذا لم يكن لغيره ميزة يَفضُل بها هذا الكبير في السن.

ومن فوائد الحديث: أنه ينبغي للإنسان الموجِّه للناس أن يوجههم لكل أمر وإن كان يظن أنه معلوم، ولهذا قال: «**صلوا صلاة كذا في حين كذا**» مع أنهم قد صلوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام وصلوا معه عشرين ليلة، وهم يعلمون ذلك، لكن من أجل التنبيه. قال: صلوا الظهر ـ مثلاً ـ في وقت كذا، صلوا العصر في وقت كذا، صلوا المغرب في وقت كذا، صلوا العشاء في وقت كذا، صلوا الفجر في وقت كذا.

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، رقم(٦٧٣).

ومن فوائد هذا الحديث: أن النبي ﷺ كان يعلم الناس بالقول وبالفعل، فعلَّم الذي صلَّى بغير طمأنينة بالقول، قال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع»[١] إلى آخره.

أما هؤلاء فقال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وهذا تعليم بالفعل، وكما فعل عليه الصلاة والسلام حينما صنع له المنبر، فصعد عليه وجعل يصلي بالناس وهو على المنبر، فيركع وهو على المنبر، فإذا أراد السجود نزل من المنبر وهو مستقبل القبلة ثم سجد، وقال لما سلم: «إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي»[٢].

ومن فوائد هذا الحديث: أنه ينبغي للإنسان؛ بل يجب على الإنسان أن يعرف كيف كان النبي ﷺ يصلي، فيقرأ من كتب العلم التي كتبها من يوثق بعلمه، كيف كان الرسول ﷺ يصلي، حتى ينفذ أمر الرسول في قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيًا في الأيمان، رقم(٦٦٦٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، رقم(٣٩٧) [٤٦].

(٢) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، رقم(٩١٧)، ومسلم، كتاب المساجد، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، رقم(٥٤٤).

٣/٧١٤ ـ وعن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه قال: اسْتَأذَنْتُ النبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ، وقال: «لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ» فقالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّني أنَّ لي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية قال: «أشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِك» رواه أبوداود، والترمذي[١]. وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ.

٤/٧١٥ ـ وعن سالم بن عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ أنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ يَقُولُ للرَّجُلِ إِذَا أرَادَ سَفَرًا: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أودِّعَكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يودِّعُنَا. فيَقُولُ: «أسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» رواه الترمذي[٢]. وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٥/٧١٦ ـ وعن عبدِ الله بن يزِيدَ الخَطْميِّ الصَّحَابيِّ رضي الله عنه قالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أرَادَ أنْ يُودِّعَ الجَيْشَ قالَ: «أسْتَودِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وأَمَانَتكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أعمَالِكُمْ».

حديث صحيحٌ، رواه أبوداود[٣] وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

٦/٧١٧ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله، إِنِّي أرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: «زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى»

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم(١٤٩٨)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، رقم(٣٥٦٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودع إنسانا، رقم(٣٤٤٣).
(٣) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع، رقم(٢٦٠١).

قال: زِدْنِي، قال: «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ»، قال: زِدْنِي، قال: «وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ» رواه الترمذي(١) وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين فيما يستحب من وداع الصاحب والدعاء له وطلب الدعاء منه، فذكر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أراد أن يعتمر، فاستأذن النبي ﷺ فأذن له. وقال: **«لا تنسنا يا أُخَيَّ من دعائك»** وفي رواية: **«أشركنا يا أُخَيَّ في دعائك»**، وذكر أن الترمذي أخرجه وقال إنه حسنٌ صحيحٌ ولكن الحقيقة أنه ضعيف وأنه لا يصح عن النبي ﷺ.

وطلب الدعاء من الغير ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يطلب من الغير الدعاء لصالح المسلمين. أي لشيء عام، فهذا لا بأس به، وقد دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يُغيثنا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: **«اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»** فأنشا الله سحابة فانتشرت وتوسعت وأمطرت، ولم ينزل النبي ﷺ من المنبر إلا والمطر يتحادر من لحيته، وبقي

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودّع إنسانًا، رقم(٣٤٤٤).

المطر أسبوعًا كاملاً.

وفي الجمعة الثانية دخل رجل آخر أو الأول فقال: يا رسول الله، غرق المال، وتهدم البناء، فادع الله يمسكها عنا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» وجعل يشير إلى النواحي حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت وتمايز السحاب، حتى خرج الناس يمشون في الشمس(١).

فإذا طلبت من شخص صالح مرجو الإجابة شيئًا عامًّا للمسلمين فهذا لا بأس به، لأنك لم تسأل لنفسك.

القسم الثاني: أن يطلب الدعاء من الرجل الصالح من أجل أن ينتفع الرجل الداعي بهذا الدعاء. ولا يهمه هو أن ينتفع، لكن يجب على هذا الرجل الذي طُلبَ منه الدعاء أن يلجأ إلى الله، وأن يسأل الله عزَّ وجلَّ، وأن يعلق قلبه بالله، وأن يعلم أن الله سبحانه وتعالى سميع الدعاء، المهم أن يكون القصد من طلب الدعاء مصلحة هذا الرجل، فهذا لا بأس به أيضًا؛ لأنك لم تسأله لمحض نفعك، ولكن لنفعه أيضًا، فهذا الرجل الصالح تريد أن يزداد خيرًا بدعاء الله عزَّ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، رقم(١٠٣٣)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم(٨٩٧).

وجلَّ، والتقرب إليه بالأجر والثواب.

القسم الثالث: أن يطلب الدعاء من الغير لمصلحة نفسه هو، فهذا قد أجازه بعض العلماء وقال: لا بأس أن تطلب من الرجل الصالح أن يدعو لك.

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: لا ينبغي إذا كان قصدك مصلحة نفسك فقط؛ لأن هذا قد يدخل في المسألة المذمومة؛ لأن النبي ﷺ بايع أصحابه ألا يسألوا الناس شيئًا[1]؛ لأنه ربما يعتمد هذا السائل الذي سأل من غيره أن يدعو له؛ على دعاء هذا الغير، وينسى أن يدعو هو لنفسه، فيقول: أنا قلت لفلان وهو رجل صالح ادعُ الله لي، وإذا استجاب الله هذا الدعاء فهو كافٍ فيعتمد على غيره، ولأنه ربما يلحق المسؤول غرور في نفسه، وأنه رجلٌ صالحٌ تطمح الناس إلى دعائه، فيحصل في هذا ضرر على المسؤول.

وعلى كل حال فإن هذا القسم الثالث مختلف فيه، فمن العلماء من قال: لا بأس أن تقول للرجل الصالح: يا فلان، ادع الله لي، ومنهم من قال لا ينبغي، والأحسن ألا تقول ذلك؛ لأنه ربما يمنّ عليك بهذا، وربما تذل أمامه بسؤالك، ثم إنك من الذي يحول بينك

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم(١٠٤٣).

وبين ربك؟ أنت يا أخي ادع الله بنفسك لنفسك أنت، لا أحد يحول بينك وبين الله عز وجل.

لماذا تذهب تفتقر إلى غيرك وتقول: ادع الله لي وأنت ليس بينك وبين ربك واسطة؟ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والله الموفق.



٩٧ـ بابُ الاستِخارة والمشاورة

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، أي يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.

١/٧١٨ ـ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأمُورِ كُلِّهَا كالسُّورَةِ مِنَ القُرآنِ، يَقُولُ: «إذا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثم ليقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأسألُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فَإنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أعْلَمُ، وَأنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمرَ خَيرٌ لي في دِينِي وَمَعَاشي وَعَاقِبَةِ أمْرِي» أوْ قالَ: «عَاجِلِ أمْرِي وآجِله، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي، ثمَّ بَارِكْ لي فِيهِ، وَإن كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ شرٌّ لي في دِينِي ومَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أمري» أو قال: «عَاجِلِ أمْرِي وآجِله، فاصْرِفهُ عَنِّي، واصْرِفْني عَنْهُ، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كانَ، ثمَّ ارْضِنِي بِهِ» قال: ويسمِّي حاجته. رواه البخاري[1].

الشرح

قال النووي رحمه الله تعالى في كتابه رياض الصالحين، باب

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، رقم(٦٣٨٢).

الاستخارة والمشاورة.

الاستخارة مع الله، والمشاورة مع أهل الرأي والصلاح، وذلك أن الإنسان لابد له من قصور أو تقصير، والإنسان خلق ضعيفًا، فقد تشكل عليه الأمور، وقد يتردد فيها، فماذا يصنع؟ لنفرض أنه همّ بسفر وتردد هل هو خير أم شر، أو همّ أن يشتري سيارة أو بيتًا، أو أن يصاهر رجلاً يتزوج ابنته أو ما أشبه ذلك، ولكنه متردد. فماذا يصنع؟ نقول: له طريقان:

الطريق الأول: استخارة ربّ العالمين عزَّ وجلَّ الذي يعلم ما كان وما يكون كيف كان يكون.

الطريق الثاني: ثم استشاره أهل الرأي والصلاح والأمانة، واستدل المؤلف رحمه الله على المشاورة بآيتين من كتاب الله هما قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ.

وقال الله له: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان النبي ﷺ وهو أسدُّ الناس رأيًا وأصوبهم صوابًا، يستشير أصحابه في بعض الأمور التي تشكل عليه، وكذلك خلفاؤه من بعده كانوا يستشيرون أهل الرأي والصلاح.

ولابد من هذين الشرطين فيمن تستشيره؛ أن يكون ذا رأي

وخبرة في الأمور وتأنٍّ وتجربة وعدم تسرع، وأن يكون صالحًا في دينه؛ لأن من ليس بصالح في دينه ليس بأمين، حتى وإن كان ذكيًّا ومحنكًا في الأمور فلا خير فيه، وليس أهلاً لأن يكون من أهل المشورة؛ لأنه إذا كان غير صالح في دينه فإنه ربما يخون والعياذ بالله، ويُشير بما فيه الضرر، أو يشير بما لا خير فيه، فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم.

ولنفرض أنه رجلٌ من أهل الفسق والمجون والفجور فلا يجوز أن تستشيره؛ لأن هذا يوقعك في حفرة هلاك.

كذلك لو كان رجلاً صالحًا دينًا أمينًا لكنه مغفل، لا يعرف الأمور، أو متسرع لا خبرة له، فهذا أيضًا لا تحرص على استشارته، لأنه ربما إذا كان مغفلاً لا يدري عن الأمور؛ يأخذ الأمور بظواهرها، ولا يعرف شيئًا مما وراء الظواهر، وكذلك إن كان متسرعًا فإنه ربما يحمله التسرع على أن يشير عليك بما لا خير فيه، فلابد من أن يكون ذا خبرة وذا رأي وصلاح في الدين.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]، يعني أمرهم المشترك الذي هو للجميع، كالجهاد مثلاً فإنه شورى بينهم. فإذا أراد - مثلاً - ولي الأمر أن يجاهد أو أن يفعل شيئًا عامًّا للمسلمين، فإنه يشاورهم.

ولكن كيف تكون المشورة؟

المشورة تكون إذا حدث له أمر يُتردد فيه، جمع من يرى أنهم أهل للمشورة برأيهم وصلاحهم واستشارتهم.

أما الاستخارة فهي مع الله عزَّ وجلَّ، يستخير الإنسان ربه إذا هم بأمر ولا هو يدري عاقبته ولا يدري مستقبله، فعليه بالاستخارة، استخارة رب العالمين.

والاستخارة معناها طلب خير الأمرين.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك، بأن يصلي الإنسان ركعتين من غير الفريضة في غير وقت النهي، إلا في أمر يخشى فواته قبل خروج وقت النهي، فلا بأس أن يستخير ولو في وقت النهي.

أما ما كان فيه الأمر واسعًا فلا يجوز أن يستخير وقت النهي، يعني بعد العصر لا يستخير، وبعد الفجر حتى ترتفع الشمس مقدار رمح لا يستخير، وعند زوالها حتى تزول لا يستخير، إلا في أمر قد يفوت عليه، يصلي ركعتين من غير الفريضة، ثم يسلِّم، وإذا سلَّم قال: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كان هذا الأمر ـ ويسميه ـ مثلاً: لنفرض أنه يريد أن يصاهر أناسًا يتزوج بنتهم، اللهم إن كنت تعلم أن زواجي

بهذه البنت خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: «عاجل أمري وآجله»، يعني إما أن تقول هذا أو هذا ـ فاقدره لي ويسره لي. وإن كنت تعلم أنه شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» وينتهي.

ثم بعد ذلك إن انشرح صدره بأحد الأمرين بالإقدام أو الإحجام، فهذا المطلوب، يأخذ بما ينشرح به صدره، فإن لم ينشرح صدره لشيء وبقي مترددًا أعاد الاستخارة مرة ثانية وثالثة.

ثم بعد ذلك المشورة إذا لم يتبين له شيء بعد الاستخارة، فإنه يشاور أهل الرأي والصلاح، ثم ما أشير عليه به فهو الخير إن شاء الله؛ لأن الله تعالى قد لا يجعل في قلبه بالاستخارة ميلاً إلى شيء معين حتى يستشير، فيجعل الله تعالى ميل قلبه بعد المشورة.

وقد اختلف العلماء هل المقدم المشورة أو الاستخارة؟

والصحيح أن المقدم الاستخارة، فقدم أولاً الاستخارة؛ لقول النبي ﷺ: «إذا هم أحدكم بالأمر فيصل ركعتين... إلى آخره» فقدِّم أولاً الاستخارة، ثم إذا كررتها ثلاث مرات ولم يتبين لك الأمر، فاستشر؛ ثم ما أشير عليك به فقد يكون هذا الذي جعله الله لك فخذ به، وإنما قلنا: إنه يستخير ثلاث مرات؛ لأن من عادة النبي ﷺ أنه

إذا دعا دعا ثلاثًا[١]، والاستخارة دعاء، وقد لا يتبين للإنسان خير الأمرين من أول مرة، قد يتبين في أول مرة، أو في الثانية، أو في الثالثة، وإذا لم يتبين فليستشر، والله الموفق.

* * *

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من...، رقم(١٧٩٤).

٩٨ ـ باب استحباب الذّهاب إلى العيد وعَيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

١/٧١٩ ـ عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنه قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خالفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاري[١].

قوله: «خَالفَ الطَّريقَ» يعني: ذَهَبَ في طَريقٍ، وَرَجَعَ في طريقٍ آخَرَ.

٢/٧٢٠ ـ وعن ابن عُمَرَ رضيَ الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ كانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدخُلُ مِنْ طَرِيقِ المُعَرَّسِ، وَإذَا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ العُلْيَا وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلى. متفقٌ عليه[٢].

الشرح

ثم ذكر النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين، باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد، رقم(٩٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب خروج النبي ﷺ على طريق...، رقم(١٥٣٣)، ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج...، رقم(١٢٥٧).

العبادة.

ومعنى الرجوع من طريق آخر: أن يذهب إلى العبادة من طريق ويرجع من الطريق الآخر؛ فمثلاً يذهب من الجانب الأيمن ويرجع من الجانب الأيسر، وهذا ثابتٌ عن النبي ﷺ في العيدين، كما رواه جابر رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا صلّى خالف الطرق؛ يعني خرج من طريق ورجع من طريق آخر.

واختلف العلماء لِمَ كان الرسول الله ﷺ يصنع ذلك؟

فقيل: ليشهد له الطريقان يوم القيامة؛ لأن الأرض يوم القيامة تشهد على ما عُمل فيها من خير وشر؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]، تقول الأرض يوم القيامة: عمل عليّ فلان كذا، وعمل كذا، وعمل كذا. فإذا ذهب من طريق ورجع من آخر؛ شهد له الطريقان يوم القيامة بأنه أدَّى صلاة العيد.

وقيل: من أجل إظهار الشعيرة؛ شعيرة العيد، حتى تكتظ الأسواق هنا وهناك. ومعلوم أن الناس لا يخرجون كلهم من طريق واحد ويرجعون من طريق واحد، تجد هذا يخرج من هذا الطريق، وهذا من هذا، وهذا من هذا، فإذا انتشر في طرق المدينة صار هناك إظهار لهذه الشعيرة؛ لأن صلاة العيد من شعائر الدين، والدليل

على ذلك أن الناس يؤمرون بالخروج إلى الصحراء إظهارًا لذلك، وإعلانًا لذلك.

وبعضهم قال: إنما خالف الطريق من أجل المساكين الذين يكونون في الأسواق، قد يكون في هذا الطريق ما ليس في هذا الطريق، فيتصدق على هؤلاء وهؤلاء.

ولكن الأقرب والله أعلم، أنه من أجل إظهار الشعيرة حتى تظهر شعيرة صلاة العيد وبالخروج إليها في جميع سكك البلد.

ثم اختلف العلماء رحمهم الله هل يلحق في ذلك صلاة الجمعة؟ لأن صلاة الجمعة صلاة عيد.

قالوا: تلحق بصلاة العيدين، فيأتي إلى الجمعة من طريق ويرجع من طريق آخر.

ثم توسع بعض العلماء وقالوا: يُشرع ذلك أيضًا في الصلوات الخمس، فيأتي مثلاً إلى صلاة الظهر من طريق ويرجع من طريق آخر، وهكذا في صلاة العصر وبقية الصلوات، قالوا: لأن ذلك كله حضور إلى الصلاة، فيُقاس على صلاة العيد.

وتوسع آخرون فقالوا: تُشرع مخالفة الطريق في كل شيء من التعبد، كل عبادة تذهب إليها فاذهب إليها من طريق وارجع إليها من طريق آخر، حتى عيادة المريض، إذا عدت مريضًا فاذهب إليه من

طريق وارجع من طريق آخر، وكذلك إذا شيعت جنازة، فاذهب من طريق وارجع من طريق آخر.

وكل هذه الأقيسة الثلاثة ضعيفة؛ لا قياس لصلاة الجمعة على العيدين، ولا بقية الصلوات على العيدين، ولا المشي في العبادة على العيدين، وذلك لأن العبادات ليس فيها قياس، ولأن هذه الأشياء كانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، كان في عهده الجمعة، والصلوات الخمس، وعيادة المريض، وتشييع الجنائز، ولم يحفظ عنه أنه كان ﷺ يخالف الطريق في هذا.

والشيء إذا وجد في عهد الرسول ﷺ ولم يسن فيه شيئًا، فالسنة ترك ذلك.

أما في الحج، فإن النبي ﷺ خالف الطريق في دخوله إلى مكة؛ دخل من أعلاها، وخرج من أسفلها، وكذلك في ذهابه إلى عرفة، ذهب من طريق ورجع من طريق آخر.

واختلف العلماء أيضًا في هذه المسألة، هل كان النبي ﷺ فعل ذلك على سبيل التعبد، أو لأنه أسهل لدخوله وخروجه؟ لأنه كان الأسهل لدخوله أن يدخل من الأعلى ولخروجه أن يخرج من الأسفل.

فمَنْ قال من العلماء بالأول قال: إنه سنة أن تدخل من أعلاها

أي أعلى مكة وتخرج من أسفلها، وسنة أن تأتي عرفة من طريق وترجع من طريق آخر.

ومنهم من قال: بل هذا حسب تيسر الطريق، فاسلك المتيسر سواء من الأعلى أو من الأسفل.

وعلى كل حال إن تيسر لك أن تدخل من أعلاها وتخرج من أسفلها فهذا طيب، فإن كان ذلك عبادة فقد أدركته، وإن لم يكن عبادة فلم يكن ضرر عليك فيه، وإن لم يتيسر كما هو الواقع في وقتنا الحاضر، حيث إن الطرق قد وجهت توجيهًا واحدًا، ولا يمكن للإنسان أن يخالف، فالأمر والحمد لله واسع، والله الموفق.



٩٩ـ باب استحباب تقديم اليَمين في كل ما هو من باب التكريم

كالوضوء والغسل والتَّيَمُّم، ولُبْس الثوب والنعل والخفّ والسراويل ودخول المسجد، والسِّوَاكِ، والاكتحال، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء، والأخذ والعطاء، وغير ذلك مما هو في معناه. ويُستحب تقديم اليسار في ضد ذلك؛ كالامتخاط والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف والنعل والسراويل والثوب، والاستنجاء وفعل المستقذرات، وأشباه ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٨، ٩].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب استحباب البداءة اليمين في كل ما من شأنه التكريم. والعكس بالعكس، فما يُقصد به الإهانة فإنه يبدأ باليد اليسرى.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى لهذا أشياء متعددة مثل

الوضوء والغسل والتيمم ولبس الثوب.

فالوضوء يبتدى فيه الإنسان باليمين، يبتدئ باليمنى قبل اليسرى، باليد اليمنى قبل اليد اليسرى، والرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى، هذا إذا كانا عضوين متميزين.

أما إذا كان عضوًا واحدًا كالوجه مثلاً، فإننا لا نقول ابدأ بيمين الوجه قبل يساره، بل يغسل الوجه مرة واحدة كما جاءت به السنة.

نعم لو فرض أن الإنسان لا يستطيع أن يغسل وجهه إلا بيد واحدة فهنا يبدأ باليمين، ربما يُقال: يُبدأ باليمين، وربما يُقال: يُبدأ من الأعلى، وكذلك مسح الأذنين لا تمسح الأذن اليمنى قبل اليسرى، بل يمسحان جميعًا، إلا إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يمسح بيديه جميعًا فيبدأ باليد اليمنى قبل اليسرى.

وكذلك في الغسل إذا أراد الإنسان أن يغتسل من الجنابة، فإنه يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يفيض الماء على رأسه ثلاث مرات حتى يُروى، ثم يغسل سائر جسده، ويبدأ بالشق الأيمن منه قبل الأيسر؛ لقول النبي ﷺ للنساء اللاتي كن يغسلن ابنته قال: **«ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»**[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل، رقم(١٦٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب في غسل الميت، رقم(٩٣٩) [٤٢].

فإذا كنت تحت الصنبور وهو يصب على رأسك وأنت تريد أن تغتسل، فإذا غسلت رأسك وأرويته فابدأ بغسل الجانب الأيمن من الجسد قبل الأيسر، هذا هو السنة.

كذلك في التيمم، ولكن التيمم جاءت به السنة؛ أن الإنسان يمسح وجهه بيديه جميعًا ثم يمسح كل واحدة بالأخرى، فلا يظهر فيها التيامن؛ لأن التيمم في عضوين فقط؛ في الوجه والكفين، وإذا كان في الوجه والكفين، فالوجه يمسح مرة واحدة، والكفان يمسح بعضهما ببعض.

كذلك لبس الثوب والنعل والخف والسراويل، كل هذه يبدأ فيها باليمين، إذا أردت أن تلبس الثوب فأدخل اليد اليمنى في كمها قبل اليد اليسرى، وفي السراويل أدخل الرجل اليمنى في كمها قبل أن تدخل الرجل اليسرى، وفي النعل إذا أردت أن تلبس البس الرجل اليمنى أدخلها في النعل قبل اليسرى، كذلك في الخف والجورب، ابدأ بالرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى، هذه هي السنة كما جاءت عن النبي ﷺ.

وكذلك دخول المسجد تبدأ بالرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى تقصد ذلك، فإذا أقبلت على المسجد فانتبه حتى تكون رجلك اليمنى هي الداخلة الأولى.

كذلك أيضًا السواك إذا أراد الإنسان أن يتسوك فيبدأ بالجانب الأيمن قبل الأيسر.

وكذلك الاكتحال إذا أراد أن يكتحل يبدأ بالعين اليمنى قبل اليسرى.

كذلك تقليم الأظفار يبدأ بالأيمن قبل الأيسر، فيبدأ مثلاً في اليمنى بالخنصر، ثم البنصر، ثم الوسطى، ثم السبابة، ثم الإبهام، وفي اليد اليسرى يبدأ بتقليم الإبهام، ثم السبابة، ثم الوسطى، ثم البنصر، ثم الخنصر، ويبدأ أيضًا بالقدم اليمنى في تقليم أظافرها قبل القدم اليسرى.

كذلك في قص الشارب ابدأ بالجانب الأيمن منه قبل الأيسر.

كذلك نتف الإبط وحلق الرأس، نتف الإبط سنة، فإذا أردت أن تنتف الآباط يعني تنتف الشعر، فابدأ بالإبط الأيمن قبل الأيسر، وكذلك في حلق الرأس ابدأ بالجانب الأيمن من الرأس قبل الأيسر.

وكذلك أيضًا السلام من الصلاة يلتفت الإنسان عن يمينه قبل أن يلتفت على يساره.

وكذلك الأكل والشرب فيأكل بيمينه ويشرب بيمينه، ولا يجوز أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك

وقال: «إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»(١).

فإذا رأيت رجلين أحدهما يأكل باليمين ويشرب باليمين، والثاني يأكل بالشمال ويشرب بالشمال، فالأول على هدي النبي ﷺ والثاني على هدي الشيطان، وهل يرضى أحد من الناس أن يتبع هدي الشيطان ويعرض عن هدي محمد ﷺ؟! لا أحد يريد ذلك أبدًا، لكن الشيطان يزين للناس الأكل بالشمال والشرب بالشمال، وربما بعض الناس يظن أن هذا تقدم وحضارة؛ لأن الغربيين الكفرة يقدمون اليسار على اليمين، ولهذا يجب على الإنسان أن يأكل باليمين وأن يشرب باليمين إلا للضرورة.

ويجب علينا أيضًا أن نعلم أولادنا الصغار أن يأكلوا باليمين ويشربوا باليمين، كذلك المصافحة يصافح باليمين ولا يصافح باليسار، فإن مد إليك يده اليسرى للمصافحة فلا تصافحه، اهجره لأنه خلاف السنة، إلا إذا كانت اليد اليمنى شلّاء لا يستطيع أن يحركها فهذا عذر.

كذلك استلام الحجر الأسود ـ وكذلك استلام الركن اليماني يكون باليمين، واستلام الحجر الأسود والركن اليماني أن تمسح

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، رقم(٢٠٢٠).

عليهما وهنا تمسح باليمين ونحن نرى الآن بعض الطائفين يمسح باليسرى.

والغالب أن هذا جهل منهم فإذا رأيت أحدًا يمسح الركن اليماني أو الحجر الأسود باليد اليسرى؛ فقل هذا ليس من الإكرام، ليس من إكرام بيت الله أن تمسح الركن اليماني أو الحجر الأسود باليد اليسرى؛ بل امسحهما باليد اليمنى.

كذلك الخروج من الخلاء، يعني إذا دخلت الحمام لقضاء الحاجة من بول أو غائط ثم خرجت؛ فقدم الرجل اليمنى؛ لأن خارج الخلاء أحق بالتكريم من الخلاء، فإذا خرجت فابدأ بالرجل اليمنى.

كذلك الأخذ والإعطاء وغير ذلك؛ الأخذ والإعطاء يعني إذا أردت أن تناول صاحبك شيئًا، فناوله باليمنى، وإذا أردت أن تأخذ منه شيئًا ناولك إياه فخذه باليمنى.

هذه أخلاق الإسلام، لكن بعض الناس يناولك باليسار ويأخذ منك باليسار، ظنًّا منه أن هذا هو التقدم؛ لأن الكفرة يأخذون باليسار ويعطون باليسار، وسبحان الله العظيم، أصحاب الشمال لهم الشمال؛ لأن الكفرة هم أصحاب الشمال، والمؤمنون هم أصحاب اليمين، ولهذا تجد الكافر دائمًا يفضل اليسار؛ لأنه أهل اليسار

وأهل الشمال، فهو من أهل اليسار في الدنيا وفي الآخرة والعياذ بالله.

إذًا كل هذه الأمور ابدأ فيها باليمين، وكذلك غيرها مما يقصد به التكريم، كل شيء للتكريم فإنه يبدأ فيه باليمين؛ لأن اليمين أكرم وأفضل، أما اليسار فبالعكس.

ثم ذكر المؤلف أشياء مما يُقدم فيها اليسار؛ كالامتخاط والبصاق، فإنه يكون باليسار.

الامتخاط: يعني إذا استنثر الإنسان ليخرج ما في أنفه من الأذى، فإنه يكون باليد اليسرى، وكذلك لو أراد أن يمسح المخاط، فإنه يكون باليد اليسرى.

وكذلك دخول الخلاء والخروج منه، فعند الدخول يقدم الرجل اليسرى، وأما الخروج منه؛ فقد سبق أنه يقدم الرجل اليمنى.

وكذلك إذا خرج من المسجد؛ فإنه يقدم الرجل اليسرى.

وكذلك إذا أراد أن يخلع النعل، أو أن يخلع الخف، أو أن يخلع الثوب، أو أن يخلع السراويل؛ فإنه يبدأ بإخراج الرجل اليسرى، وتكون اليمنى هي الأولى تنعل واليسرى هي الأولى تخلع.

كذلك الاستنجاء يكون باليد اليسرى، وقد نهى النبي ﷺ أن

يستنجئ الرجل بيمينه[١]؛ لأن اليمين محل الإكرام، ويُؤكل بها ويُشرب بها، فينبغي إبعادها عن القاذورات، وكذلك كل شيء مستقذر، فإنه يكون باليد اليسرى، وأما اليمنى فهي لما يكون فيه الإكرام، ولغيره مما لا إكرام فيه ولا إهانة. فاليسرى تكون للأذى واليمنى لما سواها.

واعلم أن الناس عند ما خرجت الساعات التي تعلق باليد، صاروا يلبسونها باليد اليسار من أجل أن تبقى اليد اليمنى ليس فيها ساعة يتأذى بها الإنسان عند الحركة؛ لأن حركة اليمنى أكثر من حركة اليسرى، ويحتاج الإنسان لحركة اليمنى أكثر، فكانوا يجعلونها في اليد اليسرى؛ لأنك ذلك أسهل ولأنه إذا كانت اليد اليمنى هي التي يكون فيها العمل غالبًا فربما تتعرض الساعة لشيء يضرها، فلذلك جعلوها باليسار.

وقد ظن بعض الناس أن الأفضل جعلها في اليمين بناء على تقديم اليد اليمنى، ولكن هذا ظن ليس مبنيًا على صواب؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتختم بيمينه ويتختم أحيانًا بيساره، وربما كان تختمه بيساره أكثر ليسهل أخذ الخاتم باليد اليمنى من اليد اليسرى.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم(٢٦٢).

والساعة أقرب ما تكون للخاتم فلا تفضل فيها اليمنى على اليسرى ولا اليسرى على اليمنى. الأمر في هذا واسع، إن شئت باليمين وإن شئت باليسار، كل هذا لا حرج فيه.

ثم ذكر المؤلف آيتين من كتاب الله هما قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾، وهذا يكون يوم القيامة. فإن الناس يؤتون كتبهم أي كتب أعمالهم التي كُتب فيها عمل الإنسان، إما باليمين وإما بالشمال، من أوتي كتابه بيمينه ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ فإنه يأخذه فرحًا مسرورًا يقول للناس: انظروا إليَّ. اقرءوا كتابيه، كما نشاهد الآن الطالب إذا أخذ ورقة النجاح صار يريها أصدقاءه وأقاربه فرحًا بها، وأما من أوتي كتابه بشماله فإنه على العكس من ذلك، يتمنى أنه لم يؤت الكتاب فضلاً عن أن يطلع عليه غيره.

أما الآية الثانية التي ذكرها المؤلف فهي قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، فذكر الله سبحانه وتعالى أن الناس يكونون يوم القيامة ثلاثة أقسام: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون، فالسابقون هم المقربون، وأصحاب الميمنة ناجون، وأصحاب المشأمة هالكون، فهم يوم القيامة ثلاث أصناف.

وهم كذلك عند خروج الروح من البدن ثلاثة أصناف. ذكر الله في سورة الواقعة أحوالهم يوم القيامة، وذكر في آخرها أحوالهم عند الاحتضار، فقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٩].

والمقربون هم السابقون الذين يسبقون إلى الخيرات في كل نوع من أنواع الخير ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠، ٩١].

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٠ ـ ٩٤]، وهؤلاء هم أصحاب المشأمة والعياذ بالله، فهم المكذبون الضالون، أعاذنا الله وإياكم من حالهم.

وأشار المؤلف رحمه الله في هاتين الآيتين إلى أن أهل اليمين هم أصحاب الفضائل الدائمة في الدنيا وفي الآخرة، ويأتي إن شاء الله بقية الكلام على هذا.

* * *

١/ ٧٢١ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالَت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأنِهِ كُلِّه: في طُهورِهِ، وَتَرَجُّلِه، وَتَنَعُّلِهِ. متفقٌ عليه[١].

٢/ ٧٢٢ ـ وعنها رضي الله عنه قالتْ: كانَتْ يَدُ رسول الله ﷺ اليُمْنَى لِطَهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ اليُسْرَى لِخَلائهِ وَمَا كَانَ مِنْ أذًى. حديثٌ صحيحٌ، رواه أبوداود[٢] وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

الشرح

نقل المؤلف رحمه الله تعالى في باب استحباب تقديم اليمين فيما من شأنه التكريم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله، في شأنه كله أي في جميع أحواله، يعجبه: يعني يسره ويستحسن البداءة باليمين في كل شيء، في طهوره وتنعله وترجله.

في طهوره: يعني إذا تطهر يبدأ باليمين، فيبدأ بغسل اليد اليمنى قبل اليسرى، وبغسل الرجل اليمنى قبل اليسرى، وأما الأذنان فإنهما عضو واحد داخلان في الرأس، فيمسح بهما جميعًا إلا إذا كان لا يستطيع أن يمسح إلا بيد واحدة، فهنا يبدأ بالأذن اليمنى للضرورة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل، رقم(١٦٨)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره، رقم(٢٦٨) [٦٧].

(٢) رواه أبوداود، كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين، رقم(٣٣).

وقولها: «ترجله»: الترجل يعني تسريح الشعر ومشطه ودهنه، وكان الرسول ﷺ كعادة الناس في ذلك الوقت لا يأخذ رأسه إلا في حج أو عمرة، لكن أحيانًا يأخذ منه وأحيانًا يبقيه، فأحيانًا يكون إلى شحمة أذنيه، وأحيانًا ينزل حتى يضرب على منكبيه، فكان ﷺ يتعاهده بالتنظيف والتسريح والدهن حتى يبقى نظيفًا، لا يكون فيه الغبار ولا القمل ولا غير ذلك مما يستقذر.

وكذلك أيضًا يعجبه التيمن في «تنعله»: أي إذا لبس النعل فإنه يبدأ باليمين قبل اليسار، وإذا خلع يبدأ باليسار قبل اليمين، وكذلك الثوب إذا لبسه يبدأ بإدخال الكم اليمين قبل اليسار، وكذلك السروال يبدأ بإدخال الرجل اليمنى قبل اليسرى، والعكس في الخلع.

وفي الحديث الثاني رضي الله عنها أنها بينت ما كان النبي ﷺ يستعمل فيه اليمين ويستعمل فيه اليسار، فذكرت أن الذي يستعمل فيه اليسار ما كان فيه أذًى، كالاستنجاء والاستجمار والاستنشاق والاستنثار وما أشبه ذلك، كل ما فيه أذًى فإنه تُقدَّم فيه اليسرى، وما سوى ذلك؛ فإنه تُقدَّم فيه اليمنى تكريمًا لها؛ لأن الأيمن أفضل من الأيسر كما سبق، والله الموفق.

* * *

٣/٧٢٣ ـ وعن أم عَطِيَّة رضيَ الله عنها أن النبي ﷺ قال لَهُنَّ في غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رضي الله عنها: «ابْدَأنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا» متفقٌ عليه[(١)].

٤/٧٢٤ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذَا انْتَعَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَبْدأ باليُمْنى، وإذَا نَزَعَ فَلْيَبْدأ بِالشِّمَالِ. لِتَكُنِ اليُمْنى أوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وآخِرَهُمَا تُنْزَعُ» متفقٌ عليه[(٢)].

٥/٧٢٥ ـ وعن حَفْصَةَ رضيَ الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يجْعَلُ يَمِينه لطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لِمَا سِوَى ذلكَ. رواه أبوداود وغيره[(٣)].

٦/٧٢٦ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا لَبِسْتُمْ، وَإذَا تَوَضّأتُمْ، فَابْدَؤُوا بأيَامِنكُم» حديثٌ صحيح، رواه أبوداود والترمذي[(٤)] بإسناد صحيح.

٧/٧٢٧ ـ وعن أنسٍ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى مِنًى:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل، رقم(١٦٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب في غسل الميت، رقم(٩٣٩) [٤٢، ٤٣].

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب ينزع نعله اليسرى، رقم(٥٨٥٦)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب استحباب لبس النعل في اليمين. . . ، رقم(٢٠٩٧).

(٣) رواه أبوداود، كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين. . . ، رقم(٣٢).

(٤) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في الانتعال، رقم(٤١٤١)، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، رقم(١٧٦٦).

فَأتَى الجَمْرَةَ فرَمَاهَا، ثُمَّ أتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى، وَنَحَرَ، ثُمَّ قال للحِلاق: «خُذْ» وَأشَارَ إلى جَانِبِه الأيْمَنِ، ثُمَّ الأيْسَرِ، ثمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ: متفقٌ عليه(١).

وفي رواية: لمَّا رَمَى الجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسَكَهُ وَحَلَقَ: نَاوَلَ الحَلاقَ شِقَّهُ الأيْمَنِ فَحَلَقَهُ، ثمَّ دَعَا أبَا طَلْحَةَ الأنصَارِي رضي الله عنه، فَأعطَاهُ إيَّاهُ، ثمَّ نَاوَلَهُ الشقَّ الأيْسَرَ فقال: «احْلقْ» فَحَلَقَهُ فَأعْطَاهُ أبَا طَلْحَةَ فقال: «اقسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ».

الشرح

هذه الأحاديث في بيان استحباب البداءة باليمين فيما طريقه التكريم، وتقديم اليسار فيما طريقه الأذى والقذر؛ كالاستنجاء والاستجمار وما أشبه ذلك، فذكر المؤلف عن أم عطية رضي الله عنها، وكانت أم عطية رضي الله عنها من نساء الأنصار، وكان لها أعمال جليلة؛ منها أنها تغسِّل الأموات من النساء، فلما ماتت زينب بنت محمد ﷺ فحضرن ليغسلنها، فقال لهن النبي ﷺ: **«ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»**.

وكيفية تغسيل الميت أن يبدأ أولاً بخلع ثيابه بعد أن يوضع على

(١) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، رقم(١٧٠)، ومسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم. . .، رقم(١٣٠٥).

عورته ما يسترها، ثم يضع الغاسل خرقة على يده فينجيه، يعني يغسل فرجه القبل والدبر حتى ينظفه، ثم بعد ذلك يزيل هذه الخرقة ويغسِّل كفيه كما يتوضأ الإنسان في العادة، ثم يأخذ خرقة مبلولة بالماء، فينظف أسنانه وفمه وينظف منخريه بدلاً عن المضمضة والاستنشاق، ولا يدخل الماء في فمه ولا في أنفه؛ لأنه إذا فعل ذلك نزل الماء إلى جوفه وربما يخرج فيؤذيهم عند التغسيل، ثم بعد هذا يغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه، ويغسل رجليه، وضوءًا كاملاً.

ثم بعد ذلك يغسل رأسه برغوة السدر، لأنه لابد أن يكون عنده ماء فيه سدر مطحون يضربه بيديه حتى يكون له رغوة، فيأخذ الرغوة ويغسل بها الرأس، ثم يغسل ببقية السدر بقية البدن.

على أن المرأة لا يغسِّلها إلا نساء، حتى أبوها لا يغسلها ولا ابنها ولا أحد من محارمها، إلا النساء أو الزوج.

والرجل لا يغسله إلا الرجال، لا تغسله أمه ولا بنته ولا أحد من النساء إلا زوجته، فالزوج يغسّل زوجته والزوجة تغسِّل زوجها، وما سوى ذلك لا يغسل الذكر الأنثى ولا الأنثى الذكر.

حضرت النساء لتغسيل زينب بنت رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «ابدأن بميامنها» يعني بالأيمن قبل الأيسر؛ اليد اليمنى قبل اليسرى،

والرجل اليمنى قبل اليسرى، والشق الأيمن قبل الشق الأيسر، و «مواضع الوضوء منها»، ففعلن ذلك، وجعلن رأسها ثلاثة قرون، يعني ثلاث جدايل: الجانب الأيمن قرن، والأيسر قرن، ووسط الرأس قرن، وألقينه خلفها، ثم أعطاهن النبي ﷺ حقوه يعني إزاره، وقال: «أشعرنها إياه» يعني الففنه على جسدها مباشرة، تبركًا بإزار النبي ﷺ ففعلن ذلك.

والشاهد من هذا قوله: «ابدأن بميامنها».

ثم ذكر المؤلف أحاديث فيها معنى ما تقدم، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه في لبس الثوب والنعل، وكذلك حديث حفصة رضي الله عنها، وحديث أبي هريرة الثاني.

ثم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في قصة حلق النبي ﷺ في حجة الوداع. فإن النبي ﷺ في حجة الوداع لما بات بمزدلفة وصلى الفجر، وجلس يدعو حتى أسفر جدًّا ودفع قبل أن تطلع الشمس، ووصل إلى جمرة العقبة وقد ارتفع النهار، وصار للشمس حرارة، فرمى الجمرة يوم العيد.

وذهب ﷺ إلى منزله فدعا بالحلاق فحلق رأسه؛ وأشار ﷺ إلى الشق الأيمن فبدأ الحلاق بالشق الأيمن، وكان النبي ﷺ يتعاهد شعر الرأس، فكان شعر رأسه كثيرًا، فبدأ بالشق الأيمن فحلقه، ثم

دعا أبا طلحة رضي الله عنه الأنصاري وأعطاه شعر الشق الأيمن كله، ثم حلق بقية الرأس ودعا أبا طلحة وأعطاه إياه، وقال: «**اقسمه بين الناس**» فقسمه، فمن الناس من ناله شعرة واحدة، ومنهم من ناله شعرتان، ومنهم من ناله أكثر حسب ما تيسر، وذلك لأجل التبرك بهذا الشعر الكريم؛ شعر النبي ﷺ.

وكون أبي طلحة خصه الرسول بالجانب الأيمن كله يدل على أن من الناس من يختص بخصيصة يخصه الله بها، وإن كان في الصحابة من هو أفضل منه؛ فأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وكثير من الصحابة أفضل من أبي طلحة، لكن فضل الله عزَّ وجلَّ يؤتيه من يشاء، وكان الصحابة يتبركون بشعر النبي ﷺ وبثيابه وبعرقه، لكن غيره لا يُتَبَرَّكُ بشعره ولا بثيابه ولا بعرقه.

وكان عند أم سلمة رضي الله عنها ـ إحدى زوجات الرسول ﷺ ـ شعرات من شعر الرسول ﷺ، وضعتها في جُلجِل يعني طابوق من الفضة، وجعلته من الفضة تكريمًا لشعر الرسول ﷺ، فكان الناس إذا مرض عندهم مريض جاءوا إليها فصبت على الشعر ماء وحركته به، ثم أعطته المريض فيشفي بإذن الله ببركة شعر النبي ﷺ.

لكن هذا ـ كما قلت ـ ليس لغيره، فإن الصحابة لم يتبركوا بشعر أبي بكر وهو أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ، ولا بشعر عمر،

ولا غيره من الصحابة، وكذلك من دونهم لا يُتبرك بشعره ولا بعرقه ولا بثيابه، إنما ذلك خاص برسول الله ﷺ.

والشاهد من حديث أنس أن النبي ﷺ أشار إلى الحلاق أن يبدأ بالجانب الأيمن. فإذا حججت وأردت أن تحلق أو تقصر فابدأ بالجانب الأيمن، وكذلك لو حلقت حلقًا عاديًا فابدأ بالجانب الأيمن، والله الموفق.



كتاب أدب الطعام

١٠٠ ـ باب التسمية في أوله والحمد في آخره

١/٧٢٨ ـ عن عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «سَمِّ اللهَ وَكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَليكَ» متفقٌ عليه(١).

٢/٧٢٩ ـ وعن عائشةَ رضيَ الله عنها قالَتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا أكلَ أحَدُكُمْ فَليَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تعالى، فإنْ نسِيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى في أوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَهُ».

رواه أبوداود، والترمذي(٢)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

قال المؤلف النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين: «كتاب أدب الطعام» الطعام ما يطعمه الإنسان، أي ما يتذوق طعمه، ويكون شرابًا ويكون أكلاً، والدليل على أن الشراب يسمى طعمًا أو طعامًا قوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ثم قال: باب التسمية في أوله والحمد في آخره. ثم ذكر حديث

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام...، رقم(٥٣٧٦)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٢٠٢٢).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، رقم(٣٧٦٧)، والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، رقم(١٨٥٨).

عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، وكان ربيب النبي ﷺ يعني ابن زوجته أم سلمة، فإنه قُدِّم للنبي ﷺ طعام، وكان غلامًا صغيرًا فجعلت يده تطيش في الصحفة من هنا ومن هنا، وكان النبي ﷺ لا يدع مجالاً يحتاج إلى التعليم إلا علم، حتى الصغار، فقال له: «يا غلام سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك».

فهذه ثلاثة آداب في الأكل علمها النبي ﷺ هذا الغلام.

أولاً: قال: «سم الله»، يعني قل: بسم الله، ولا حرج أن يزيد الإنسان: الرحمن الرحيم، لأن هذين الاسمين أثنى الله بهما على نفسه في البسملة في القرآن الكريم؛ بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم فلا حرج، وإن اقتصر على بسم الله كفى.

والتسمية على الأكل واجبة إذا تركها الإنسان فإنه يأثم ويشاركه الشيطان في أكله، ولا أحد يرغب أن يشاركه عدوه في أكله، فلا أحد يرضى أن يشاركه الشيطان في أكله، فإذا لم تقل: بسم الله فإن الشيطان يشاركك فيه.

فإن نسيت أن تسمي في أوله وذكرت في أثنائه فقل: بسم الله أوله وآخره، كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ في الحديث الذي روته عائشة وأخرجه أبوداود والترمذي.

ثانيًا: قال: «كل بيمينك» والأكل باليمين واجب، ومن أكل بشماله فهو آثم عاصٍ للرسول ﷺ، ومن يعصِ الرسول فقد عصى الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.

ثالثًا: «كل مما يليك» يعني إذا كان معك مشارك فكل من الذي يليك، لا تأكل من جهته، ومن الذي يليه، فإن هذا سوء أدب، قال العلماء: إلا أن يكون الطعام أنواعًا، مثل أن يكون فيه قرع وباذنجان ولحم وما أشبه ذلك، فلا بأس أن تتخطى يدك إلى هذا النوع، كما كان الرسول ﷺ يتتبع الدُّبَّاء من الصحفة ويأكلها. والدباء يعني القرع.

وكذلك لو كنت تأكل وحدك فلا حرج أن تأكل من الطرف الآخر؛ لأنك لا تؤذي أحدًا في ذلك، لكن لا تأكل من أعلى الصحفة؛ لأن البركة تنزل في أعلاها، ولكن كُلْ من الجوانب.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنه ينبغي لنا أن نعلم الصبيان والغلمان آداب الأكل والشرب، وكذلك آداب النوم، فضلاً عن الأمور الأخرى كالصلاة، فإن الرسول ﷺ قال: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»[١]، والله الموفق.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم(٤٩٥)، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، رقم(٤٠٧).

٣/ ٧٣٠ ـ وعن جابرٍ رضيَ الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِذَا دخل الرَّجلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ تعالى عِنْدَ دُخُولِهِ وعِنْدَ طَعَامِهِ، قال الشَّيْطانُ لأصْحَابِهِ: لا مَبِيتَ لَكُم ولا عَشَاءَ، وإذا دخَلَ، فَلَمْ يَذكُرِ اللهَ تَعَالى عِنْد دخُولِهِ، قال الشَّيْطَانُ: أَدْركتُمُ المَبيتَ؛ وإذا لمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالى عِنْدَ طَعَامِهِ قال: أَدْرَكْتُمُ المَبيتَ والعَشَاءَ» رواه مسلم[1].

الشرح

هذا الحديث ذكره المؤلف النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين في سياق أدب الطعام، عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء**»؛ ذلك لأن الإنسان ذكر الله.

وذكر الله تعالى عند دخول البيت أن يقول: «**بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسألك خير المولج، وأسألك خير المخرج**»[2]، هذا الذكر عند دخول المنزل، سواءٌ في الليل أو في النهار.

وأما الذكر عند العشاء فأن يقول: «**بسم الله**».

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب. . .، رقم(٢٠١٨).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا دخل بيته، رقم(٥٠٩٦).

فإذا ذكر الله عند دخوله البيت، وذكر الله عند أكله عند العشاء، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، لأنه أي هذا البيت وهذا العشاء حُمِيَ بذكر الله عزَّ وجلَّ، حماه الله تعالى من الشياطين.

إن دخل ولم يذكر اسم الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا قدم إليه الطعام ولم يذكر اسم الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء.

وفي هذا حث على أن الإنسان ينبغي له إذا دخل بيته أن يذكر اسم الله، والذكر الوارد في ذلك: «**بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج**»، ثم يستاك؛ لأن النبي ﷺ إذا دخل بيته فأول ما يبدأ به السواك، ثم يسلم على أهله.

أما عند العشاء فيقول: «**بسم الله**». وبذلك يحترز من الشيطان الرجيم مبيتًا وعشاءً، فإن ذكر اسم الله عند الدخول دون العشاء شاركه الشيطان في عشائه، وإن ذكر اسم الله عند العشاء دون الدخول شاركه الشيطان في المبيت دون العشاء، وإن ذكر اسم الله عند الدخول وعند العشاء فإن الشيطان لا يكون له مبيت ولا عشاء، والله الموفق.

٤/٧٣١ ـ وعن حُذَيْفَةَ رضيَ الله عنه قال: كنَّا إذَا حَضَرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أيدِينَا حَتَّى يَبْدَأ رسولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَه. وإنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كأنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبتْ لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثمَّ جَاءَ أعْرَابِيٌّ كَأنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللهِ تَعَالَى عليه، وإنَّهُ جَاءَ بهذِهِ الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأعَرَابيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفسي بِيَدِهِ إنَّ يَدَه في يَدي مَعَ يَدَيْهِمَا»، ثمَّ ذَكَرَ اسمَ الله تعالى وأكلَ. رواه مسلم[1].

الشرح

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين في باب أدب الطعام فيما نقله عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وذلك لكمال احترامهم للنبي ﷺ، فلا يضعون أيديهم في الطعام حتى يضع يده.

فحضر مع رسول الله ﷺ ذات يوم طعامًا فلما بدؤوا ـ أو قدم لهم ـ جاءت جارية، يعني طفلة صغيرة كأنما تدفع دفعًا، يعني كأنها

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٢٠١٧).

تركض، فأرادت أن تضع يدها في الطعام بدون أن تسمي فأمسك النبي ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كذلك كأنما يدفع دفعًا، فجاء ليضع يده في الطعام فأمسك النبي ﷺ بيده، ثم أخبر النبي ﷺ أن هذا الأعرابي وهذه الجارية جاء بهما الشيطان لأجل أن يستحل الطعام بهما إذا أكلا بدون تسمية.

وهما قد يكونان معذورين لجهلهما؛ هذه لصغرها وهذا أعرابي، لكن الشيطان أتى بهما من أجل أنهما إذا أكلا بدون تسمية شارك في الطعام.

ثم أقسم النبي ﷺ أن يد الشيطان في أيديهما في يد النبي ﷺ.

وهذا الحديث يدل على فوائد:

منها: احترام الصحابة لرسول الله ﷺ وأدبهم معه.

ومنها: أنه ينبغي إذا كان هناك شخص كبير على الطعام ألا يتقدم أحدٌ قبل أكله، بل يجعلون الكبير هو الذي يأكل أولاً؛ لأن التقدم بين يدي الكبير غير مناسب وغير أدب.

ومنها: أن الشيطان يأمر الإنسان ويحثه ويزجره على فعل ما لا ينبغي، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ

وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١]، فدلَّ هذا على أن الشيطان له إمرة على بني آدم، والمعصوم من عصمه الله.

ومنها: أن الإنسان إذا أتى في أثناء الطعام فليسمِّ ولا يقل سمَّى الأولون قبلي.

ولكن إذا كان جميعًا وبدؤوا بالطعام جميعًا، فهل يكفي تسمية الواحد؟

والجواب: إذا كان الواحد سمى سرًّا فإن تسميته لا تكفي؛ لأن الآخرين لم يسمعوها، وإن سمى جهرًا ونوى عن الجميع فقد يقال إنها تكفي، وقد يُقال الأفضل أن كل إنسان يسمي لنفسه، وهذا أكمل وأحسن.

ومن فوائد هذا الحديث: أن للشيطان يدًا؛ لأن النبي ﷺ أمسك بيده.

ومنها أيضًا: أن هذا الحديث آيةٌ من آيات الرسول ﷺ، حيث أعلمه الله تعالى بما حصل في هذه القصة، وأن الشيطان دفعهما: دفع الأعرابي والجارية، وأنه أمسك بأيديهم؛ أي بأيدي الثلاثة بيده الكريمة صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها: أنه إذا جاء أحد يريد أن يأكل ولم تسمعه سمَّى فأمسك بيده حتى يسمي؛ لأن النبي ﷺ أمسك بأيديهم ولم يقل: سميا؛ بل

أمسك بأيديهم حتى يكون ذلك ذكرى لهم؛ يذكرون هذه القصة ولا ينسون التسمية في المستقبل.

ومن فوائد هذا الحديث:

تأكد التسمية عند الأكل، والصحيح أن التسمية عند الأكل واجبة، وأن الإنسان إذا لم يسمِّ فهو عاصٍ لله عزَّ وجلَّ، وراضٍ بأن يشاركه في طعامه أعدى عدو له وهو الشيطان، فلذلك كانت التسمية واجبة، فإن نسيت التسمية في أوله وذكرت في أثنائه فقل: بسم الله أوله وآخره، والله الموفق.

* * *

٥/٧٣٢ ـ وعن أُمَيَّةَ بنِ مخشِي الصَّحابيِّ رضيَ الله عنه قال: كانَ رسُولُ الله ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يأكُلُ، فَلَمْ يُسمِّ اللهَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إلى فِيهِ، قالَ: بِسمِ الله أوَّلَهُ وآخِرَهُ، فَضَحِكَ النبيُّ ﷺ، ثم قال: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسم اللهِ اسْتَقَاءَ مَا في بَطنِهِ».

رواه أبو داود، والنسائي[1].

٦/٧٣٣ ـ وعن عائشةَ رضيَ الله عنها قالتْ: كانَ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، رقم(٣٧٦٨)، والنسائي في الكبرى كما في تقريب تحفة الأشراف (١/ ٢٦).

يَأكُلُ طَعَامًا في سِتَّةٍ مِنْ أصحَابِهِ، فَجَاءَ أعْرَابيٌّ، فأكَلهُ بِلُقْمَتَيْنِ فقال رسولُ الله ﷺ: «أما إنَّهُ لوْ سَمَّى لكَفَاكُمْ».

رواه الترمذي[١]، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٧/٧٣٤ - وعن أبي أمامة رضيَ الله عنه أن النبيَّ ﷺ كانَ إذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قال: «الحَمْد للهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُباركًا فِيه، غَيْرَ مَكْفِي وَلاَ مُوَدَّعٍ، وَلاَ مُسْتَغْنىً عنْهُ رَبُّنَا» رواه البخاري[٢].

٨/٧٣٥ - وعن مُعَاذِ بن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أكَلَ طَعَامًا فقال: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أطْعَمَني هذا ورَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه أبوداود، والترمذي[٣]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه الأحاديث في كتاب أدب الطعام ساقها الحافظ النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين، وفيها دلالة على أمور:

أولاً: أن الإنسان إذا لم يسمِّ الله على طعامه؛ فإن الشيطان يأكل معه؛ لحديث أمية بن مخشي، أن رجلاً أكل طعامًا فلم يسمِّ، فلما

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، رقم(١٨٥٨).
(٢) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، رقم(٥٤٥٨).
(٣) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب منه، رقم(٤٠٢٣)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن أم قومًا وهم له كارهون. . .، رقم(٣٤٥٨).

بقي لقمة واحدة كأنه ذكر فسمَّى الله تعالى، فضحك النبي ﷺ، وأخبر أن الشيطان كان يأكله معه، فلما ذكر اسم الله قاء الشيطان ما أكله. وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى؛ أن الشيطان يُحرم أن يأكل معنا إذا سمينا في أول الطعام، وكذلك إذا سمينا في آخره وقلنا: بسم الله أوله وآخره، فإن ما أكله يتقيؤه فيُحرم إياه.

وفيه دليلٌ على أن الشيطان يأكل؛ لأنه أكل من هذا الطعام ـ وهو كذلك ـ، فالشيطان يأكل ويشرب ويشارك الآكل والشارب إذا لم يسمِّ الله تعالى على أكله وشربه.

وكذلك ذكر حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يأكل في ستة نفر من أصحابه، فجاء أعرابي فدخل معهم فأكل الباقي بلقمتين، هذا كأنه جائع والله أعلم، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه لو سمَّى لكفاكم**» لكنه لم يسم، فأكل الباقي كله بلقمتين ولم يكفه.

وهذا يدل على أن الإنسان إذا لم يسمِّ نُزعت البركة من طعامه؛ لأن الشيطان يأكل معه، فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه؛ لأن البركة تنزع منه.

وبقية الأحاديث فيها دليلٌ على أن الإنسان ينبغي له إذا أكل أكلاً أن يحمد الله سبحانه وتعالى، وأن يقول: الحمد لله الذي أطعمنيه من غير حول ولا قوة. لولا أن الله تعالى يسَّر لك هذا الطعام ما

حصل لك، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٧].

فالإنسان لولا أن الله يسَّر له الطعام من حين أن يبذر، ثم ينبت، ثم يحصد، ثم يُحضر إليه، ثم يطحن، ثم يعجن، ثم يطبخ، ثم يسر الله له الأكل، ما تيسر له ذلك.

ولهذا قال بعض العلماء: إن الطعام لا يصل إلى الإنسان ويقدم إليه إلاَّ وقد سبق ذلك نحو مائة نعمة من الله لهذا الطعام، ولكننا أكثر الأحيان في غفلة عن هذا، نسأل الله أن يطعمنا وإياكم الطعام الحلال، وأن يرزقنا شكر نعمته، إنه على كل شيء قدير.

وقوله: «**غير مكفي ولا مستغنى عنه ربنا**»، أي إننا لا نستغني عن الله عزَّ وجلَّ، ولا أحد يكفينا دونه، فهو سبحانه حسبنا وهو رازقنا جل وعلا، والله الموفق.

* * *

١٠١- باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه

١/٧٣٦ - عن أبي هُريرة رضيَ الله عنهُ قالَ: «مَا عَابَ رسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أكَلَهُ، وَإنْ كرهه تَرَكَهُ» متفقٌ عليه(١).

٢/٧٣٧ - وعن جابرٍ رضيَ الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ سَألَ أهْلَهُ الأُدْمَ فقالُوا: ما عِنْدَنَا إلاَّ خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأكُلُ ويقول: «نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ» رواه مسلم(٢).

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين، باب لا يعيب الطعام، واستحباب مدحه.

الطعام: ما يطعمه من مأكول ومشروب، والذي ينبغي للإنسان إذا قدم له الطعام أن يعرف قدر نعمة الله سبحانه وتعالى بتيسيره، وأن يشكره على ذلك، وألا يعيبه؛ إن كان يشتهيه وطابت به نفسه فليأكله، وإلا فلا يأكله، ولا يتكلم فيه بقدح أو بعيب.

ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب النبي ﷺ طعامًا قط. يعني لم يعب أبدًا فيما مضى طعامًا، ولكنه إذا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعامًا...، رقم(٥٤٠٩)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب لا يعيب الطعام، رقم(٢٠٦٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل والتأدم به، رقم(٢٠٥٢).

اشتهاه أكله وإلا تركه، إن جاز له أكله وإلا تركه ولا يعيبه.

مثال ذلك: رجلٌ قدم له تمر وكان التمر رديئًا، فلا يقل: هذا تمر رديء، يُقال: إن اشتهيته فكل وإلا فلا تأكله، أما أن تعيبه وهو نعمة أنعم الله بها عليك ويسرها لك، فهذا لا يليق.

كذلك إذا صُنع طعام فقدم إليه، ولكنه لم يعجبه فلا يعيبه، يُقال: إن كان هذا الطبخ قد أعجبك فكل، وإلا فاتركه، ولكن لا بأس أن يقول لأهله: أنتم اليوم أكثرتم الملح، أو أكثرتم الحار، أو الطعام حار أو ما أشبه ذلك؛ لأن هذا الثاني ليس عيبًا للطعام؛ بل هو تنبيه للذي صنعه أن يلاحظ الطعام ويصنعه على ما ينبغي.

وأما مدح الطعام والثناء عليه فذكر حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم، فقالوا: ما عندنا شيء إلا الخل. والخل عبارة عن ماء يوضع فيه التمر حتى يكون حلوًا، فجيء إليه بالخل فجعل يأتدم به، يعني يغط فيه الخبز ويأكله، ويقول: «**نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل**».

وهذا ثناء على الطعام؛ لأن الخل وإن كان شرابًا يشرب، لكن الشراب يسمى طعامًا، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وإنما سمي طعامًا؛ لأن له طعمًا يطعم.

وهذا أيضًا من هدي النبي ﷺ أنه إذا أعجبه الطعام أثنى عليه، وكذلك مثلاً لو أثنيت على الخبز، قلت: نعم الخبز خبز فلان أو ما أشبه ذلك، فهذا أيضًا من سنة الرسول ﷺ، والله الموفق.

* * *

١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

١/ ٧٣٨ ـ عن أبي هُريرة رضيَ الله عنهُ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «إذَا دُعي أحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ؛ فَإنْ كَانَ صَائمًا فَلْيُصلِّ، وَإنْ كانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ» رواه مسلم[1].

قال العُلَمَاء: مَعَنَى «فَلْيُصلِّ»: فَلْيَدْعُ، ومعنى «فَلْيَطْعَم»: فَلْيَأكُلْ.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: في كتابه رياض الصالحين، باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال فيمن دُعي إلى طعام وهو صائم، قال: «**فإن كان صائمًا فليصل، وإن كان مفطرًا فليطعم**».

«**فليصل**»: يعني فليدعُ؛ لأن الصلاة هنا يراد بها الدعاء، كما هو في اللغة العربية أن الصلاة هي الدعاء، أما في الشرع، فالصلاة هي العبادة المعروفة، إلا إذا دلَّ الدليل على أن المراد بها الدعاء فهو على ما دلَّ عليه الدليل.

---

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة...، رقم(١٤٣١).

فالإنسان إذا دعي إلى طعام وحضر فلا يكفي الحضور؛ بل يأكل لأن الرجل الذي دعاك لم يصنع الطعام إلا ليؤكل، فقد تكلف لك وصنع طعامًا أكثر من طعام أهله، ودعاك إليه، فإذا قلنا: لا تأكل، أو قلنا لا حرج عليك إن تركت الأكل لزم من هذا أن يبقى طعامه لم يؤكل، فمثلاً لو دعا عشرة وصنع لهم طعامًا، وقلنا إن الواجب الحضور دون الأكل، ثم قاموا ولم يأكلوا أو قدم الطعام وقال: تفضلوا ولم يأكلوا؛ لصار في ذلك مفسدة لماله، ومضيعة لماله، وصار في قلبه على الحاضرين شيء؛ لماذا لم يأكلوا طعامي؟!

فنقول: إذا دعاك داعٍ فالسنة أن تجيبه إلا إذا كان الداعي هو الزوج في وليمة العرس، فإن الواجب أن تجيبه إلى دعوته، ولا يحل لك أن تمتنع؛ لقول النبي ﷺ: «**من لم يجب فقد عصى الله ورسوله**»(١) يعني دعوة الوليمة أما غيرها من الدعوات فأنت بالخيار.

مثال ذلك: لو أن إنسانًا دعاك في طعامٍ؛ لأنه قدم من سفر، أو

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب مَن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، رقم(٥١٧٧)، ومسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة...، رقم(١٤٣٢).

لأنه دعا أصحابه، أو ما أشبه ذلك، فأنت بالخيار؛ إن شئت فأجب وإن شئت فلا تجب، لكن الأفضل أن تجيب، وهذا الذي عليه جمهور العلماء.

وقال بعض العلماء: يجب أن تجيب في دعوة الطعام في العرس وغيره، إلا لسبب شرعي.

فإذا حضرت فإن كنت مفطرًا فكل، وإن كنت صائمًا فادعُ لصاحب الطعام، وأخبره بأنك صائم، حتى لا يكون في قلبه شيء، وإن رأيت أنك إذا أفطرت وأكلت صار أطيب لقلبه فأفطر، إلا أن يكون الصوم صوم فريضة، فلا تفطر.

فتبين الآن أن المسألة ثلاثة أحوال:

أولاً: إذا دعاك وأنت مفطر فكل.

ثانيًا: إذا دعاك وأنت صائم صوم فريضة فلا تأكل ولا تفطر.

ثالثًا: إذا دعاك وأنت صائم صوم نفل فأنت بالخيار؛ إن شئت فأفطر وكل، وإن شئت فلا تأكل، وأخبره بأنك صائم، واتبع في ذلك ما هو الأصلح؛ إذا رأيت أن من الخير أن تفطر فأفطر وكل، وإلا فلزوم الصيام أولى، والله أعلم.

أما البطاقات فلا تجب الإجابة فيها، إلا إذا علمت أن الرجل أرسل إليك البطاقة بدعوة حقيقية؛ لأن كثيرًا من البطاقات ترسل إلى

الناس من باب المجاملة، ولا يهمه حضرت أم لم تحضر، لكن إذا علمت أنه يهمه أن تحضر لكونه قريبًا لك أو صديقًا لك فأجب، والله الموفق.



١٠٣- باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره

١/٧٣٩ - عن أبي مسعود البَدْريِّ رضيَ الله عنه قال: دَعَا رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البابَ، قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا تَبِعَنَا؛ فَإنْ شِئْتَ أنْ تَأذَنَ لَهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ» قال: بل آذَنُ لهُ يا رسول الله. متفقٌ عليه[(١)].

الشرح

قال الحافظ النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين في كتاب أدب الطعام: باب ما يقوله من دعي إلى طعامٍ فتبعه غيره.

ثم ذكر حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، أن رجلاً دعا النبي ﷺ إلى طعام خامس خمسة، يعني حدد العدد بأنهم خمسة، فتبعهم رجل فكانوا ستة، فما بلغ النبي ﷺ منزل الداعي استأذن للرجل السادس؛ قال ﷺ: «**إن هذا تبعنا، فإن شئت أن تأذن له، وإن شئت رجع**»، ففي هذا دليلٌ على فوائد:

أولاً: أنه يجوز للإنسان إذا دعا قومًا أن يحدد العدد ولا حرج في ذلك، وبعض الناس يقول: إنه إذا حدد العدد فإنه بخيل، لماذا

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه، رقم(٥٤٣٤)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب، رقم(٢٠٣٦).

يحدد ولكن يُقال: قد يكون الإنسان قليل ذات اليد، يحتاج أن يحدد لأجل أن يصنع الطعام الذي لا يزيد عن كفايتهم، ولا سيما في مكان يكون فيه عامة الناس فقراء، أما الأغنياء فالحمد لله لا يحددون.

وفيه أيضًا دليل على جواز اتباع الرجل للمدعوين لعله يحصل على طعام؛ لأن النبي ﷺ لم يمنع هذا الرجل من اتباعهم بل استأذن له، ولأنه ورد أيضًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حين استتبع النبي ﷺ من أجل أن يشبع بطنه(١).

وفيه أيضًا دليلٌ على أنه إذا جاء مع الإنسان من لم يدع فإنه يستأذن له، خصوصًا إذا كنت تظن أن صاحب البيت دعاك لغرض خاص لا يحب أن يطلع عليه أحد، فحينئذٍ لابد أن تستأذن.

وفيه أيضًا دليل على أنه لا حرج على صاحب البيت إذا لم يأذن للذي تبع المدعو؛ لأنه لو كان في ذلك حرج ما استأذنه النبي ﷺ، فلما استأذنه دلَّ على أنه بالخيار؛ إن شاء أذن وإن شاء قال: ارجع.

وذلك أن الإنسان إذا استأذن على شخص فصاحب البيت بالخيار؛ إن شاء أذن له وإن شاء قال ارجع، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ ﴾ [النور: ٢٨].

فلا يكن في صدرك حرج ولا في نفسك ضيق إذا استأذنت على

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم (١١٨).

شخص وقال: ارجع أنا الآن مشغول. خلافًا لبعض الناس إذا استأذن على إنسان وقال له: ارجع أنا مشغول، صار في قلبه شيء، وهذا خطأ؛ لأن الناس لهم حاجات خاصة في بيوتهم، وقد يكون لهم تعلقات بأناس آخرين أهم، فإذا استأذنت على شخص في البيت، وقال لك: الآن عندي عمل؛ فارجع، بكل راحة وبكل طمأنينة؛ لأن هذا هو الشرع، والله الموفق.

* * *

١٠٤ـ باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

١ / ٧٤٠ ـ عن عمر بن أبي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قال: كنْتُ غلامًا في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ، وكانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «يَا غُلامُ سَمِّ اللهَ تَعَالى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» متفقٌ عليه(١).

قوله: «تَطِيشُ» بكسر الطاء وبعدها ياءٌ مثناة من تحت، معناه: تتحرَّك وتمتدّ إلى نواحي الصَّحْفَةِ.

٢ / ٧٤١ ـ وعن سَلَمَةَ بنِ الأكوَعِ رضيَ الله عنه أن رَجُلاً أكلَ عِنْدَ رسولِ الله ﷺ بِشماله، فقال: «كُلْ بِيَمينكَ» قال: لا أستطيعُ قالَ: «لا اسْتَطَعْتَ»! ما مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَهَا إلى فِيهِ. رواه مسلم(٢).

الشرح

قال النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين: باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم(٥٣٧٦)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٢٠٢٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٢٠٢١).

وقد سبق لنا الكلام على أن الأكل باليمين والشرب باليمين واجب؛ وأنه يحرم على الإنسان أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، وأن من أكل بشماله أو شرب بشماله؛ فإنه عاصٍ وآثم. عاصٍ لله ورسوله، وآثم ومشابه للشيطان ولأولياء الشيطان من الكفار.

والواجب على المسلم أن يأكل باليمين إلا لعذر، كما لو كانت اليمين مشلولة أو ما أشبه ذلك، فاتقوا الله ما استطعتم.

ولهذا ذكر المؤلف حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لرجل يأكل بشماله: «**كل بيمينك**»، قال: لا أستطيع، قال النبي ﷺ: «**لا استطعت**»؛ يعني دعا عليه أن يعجز أن يرفع يده اليمنى إلى فمه؛ لأنه ما منعه إلا الكبر والعياذ بالله، فدعا عليه الرسول ﷺ فلم يرفعها بعد ذلك إلى فمه.

ويحتمل قوله: ما منعه إلا الكبر؛ يعني إلا التكبر عن أمر الرسول ﷺ، ويحتمل أنه: ما منعه إلا الكبر؛ يعني ما منعه أن يأكل بيمينه إلا الكبر، وأيًّا كان فإن دعاء الرسول ﷺ عليه بهذه الدعوة التي أوجبت أن تنشلّ يده حتى لا ترتفع إلى فمه، دليلٌ على أن الأكل بالشمال حرامٌ.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأكل بشماله ويشرب

بشماله[1]، فأنت الآن أمامك هدي النبي ﷺ وهدي الشيطان، فهل تأخذ بهدي الرسول أو بهدي الشيطان؟! وكل مؤمن يقول آخذ بهدي الرسول ﷺ، والرسول ﷺ يأكل بيمينه وأمر بالأكل باليمين، ويشرب بيمينه وأمر بالشرب باليمين، والشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، فاختر أي الطريقين شئت.

ولهذا كان أولياء الشيطان من اليهود والنصارى والمشركين لا يعرفون الأكل إلا بالشمال، ولا الشرب إلا بالشمال؛ لأنهم أولياء الشيطان، تولاَّهم الشيطان والعياذ بالله، واستحوذ عليهم، فإياك أن تكون مثلهم.

بعض الناس إذا كان يأكل وأراد أن يشرب يمسك الكأس باليسار ويشرب، وهذا لا يجوز؛ لأن الحرام لا يباح إلا للضرورة، وهذا ليس فيه ضرورة، أمسك الكأس من أسفله باليد اليمنى، ثم إن غالب كئوس الناس من البلاستيك يُشرب بها ثم ترمى ولا تغسل، لكن لنفرض أنها من الحديد أو من الزجاج أمسكه من أسفله، فلا يتلطخ، وحتى لو تلطخ؛ فإنه يغسل ولا مانع.

ولكن لا يجوز للإنسان أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، فإن فعل؛ فهو عاصٍ لله ورسوله؛ عاصٍ للرسول؛ لأن الرسول نهى عن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٢٠٢٠).

ذلك، وعاص لله؛ لأن معصية الرسول معصية لله، قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: ٨٠]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦]، والرسول لا يتكلم من عند نفسه؛ بل يتكلم لأنه رسول رب العالمين سبحانه وتعالى.

وذكر المؤلف رحمه الله حديث عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ، وهو ابن أبي سلمة ابن أم سلمة، وأم سلمة مات عنها زوجها أبو سلمة رضي الله عنه، وكانت تحبه حبًّا عظيمًا وهو ابن عمها، وحضر النبي ﷺ وفاته، ودخل عليه النبي ﷺ وقد شخص بصره أي انفتح انفتاحًا كبيرًا، فقال ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»[1]؛ لأن الروح بإذن الله جسم لطيفٌ خفيفٌ يخرج من البدن، ولا يمكن أن نشاهده؛ بل يشاهده الميت، فيشاهد نفسه خرجت من جسده.

قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله لما سمعوا كلام الرسول ﷺ عرفوا أنه مات، فضجوا كعادة الناس فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» لأنه في الجاهلية إذا مات الميت دعوا بالويل والثبور:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، كتاب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، رقم(٩٢٠).

واثبوراه واويلاه وما أشبه ذلك، فقال ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**».

ثم أغمض النبي ﷺ بصره، يعني رد أجفانه بعضها إلى بعض؛ لئلا تبقى عيناه مفتوحتين، وهكذا ينبغي أن يغمض الميت إذا مات؛ لأنه إذا برد لا تستطيع أن تغمض عينيه، فما دام حارًّا؛ فأغمض عينيه.

وقال ﷺ: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين**». ويا لها من دعوات كُلنا يتمناها.

«**اللهم اغفر لأبي سلمة**»: يعني ذنوبه، «**وارفع درجته في المهديين**»: أي في جنات النعيم ـ جعلني الله وإياكم من أهلها ـ، «**وافسح له في قبره**»: أي وسع له في قبره، «**ونور له فيه**» لأن القبر ظلمة إلا من نوره الله عليه، نور الله قبورنا وقبوركم، «**واخلفه في عقبه**»: يعني كن خليفته في عقبه.

وكانت أم سلمة رضي الله عنها قد سمعت من النبي ﷺ أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة فقال: «**اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها؛ آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرًا منها**»[(١)]، فقالت ذلك لما مات زوجها وابن عمها وأحب الناس إليها» قالت: اللهم

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧).

آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، ثم جعلت تفكر تقول في نفسها: من خيرٌ من أبي سلمة؟ فهي مؤمنة بأن الله سيخلف لها خيرًا منه، لكن تقول: من خيرٌ من أبي سلمة؟

فما أن انتهت عدتها من وفاة زوجها حتى خطبها النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ خيرًا لها من أبي سلمة بلا شك.

ثم إن الله استجاب دعوة الرسول ﷺ لما قال في أبي سلمة: «**اخلفه في عقبه**»، خلفه الله في عقبه، وجعل خليفة أبيهم رسول الله ﷺ، وهو نعم الخليفة، خلف أبا سلمة في أهله وفي أولاده.

وكان منهم عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه وكان صغيرًا غلامًا، جلس مع الرسول ﷺ يأكل فجعلت يده تطيش في الصحفة؛ صبي صغير لم يتعلم تطيش يده يمنة ويسرة، يأكل مما يليه ومن وسط الصحفة ومن الجانب الآخر.

فقال له النبي ﷺ: «**يا غلام؛ سمِّ الله**» يعني قل: بسم الله عند الأكل، «**وكل بيمينك وكل مما يليك**».

فعلم الرسول ﷺ هذا الغلام ثلاث سنن: «**سمِّ الله**» والتسمية على الأكل واجبة، «**وكل بيمينك**» والأكل باليمين واجب، «**وكل مما يليك**» تأدبًا مع صاحبك؛ لأن من سوء الأدب أن تأكل من حافة صاحبك؛ فكل مما يليك، فعلمه النبي ﷺ ثلاث سنن في أكلة

واحدة، وهذه من بركات النبي ﷺ؛ أن يجعل الله فيه بركة فيعلم في كل مناسبة.

وكذلك ينبغي لطالب العلم وغير طالب العلم، كل من عَلِمَ سنة ينبغي أن يبينها في كل مناسبة، ولا تقل: أنا لست بعالم. نعم لست بعالم لكن عندك علم، قال النبي ﷺ: «**بلِّغوا عني ولو آية**»(١) واحدة، فينبغي للإنسان في مثل هذه الأمور أن ينتهز الفرص، كلما سمحت الفرصة لنشر السنة فانشرها يكن لك أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، والله الموفق.



(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم(٣٤٦١).

١٠٥- باب النهي عن القِران بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته

١/٧٤٢ - عن جَبَلَةَ بن سُحَيْمَ رضي الله عنه قال: أصَابَنَا عام سَنَةٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فرُزِقْنَا تَمْرًا، وَكَانَ عَبْدُ الله بن عمر رضي الله عنهما يَمُرُّ بنا وَنَحْنُ نَأكُلُ، فيقولُ: لا تُقَارِنُوا، فإن النبي ﷺ نَهى عنِ القِرانِ، ثم يقولُ: «إلاَّ أنْ يَسْتَأذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ» متفقٌ عليه(١).

*   *   *

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب القران في التمر، رقم(٥٤٤٦)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب نهي الآكل مع جماعة عن قران تمرتين ونحوهما، رقم(٢٠٤٥).

١٠٦ـ باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

١/٧٤٣ ـ عن وَحْشِيِّ بن حرب رضيَ الله عنه أن أصحابَ رسول الله ﷺ قالُوا: يا رسولَ الله، إنَّا نأكُلُ وَلا نَشْبَعُ؟ قال: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ» قالُوا: نَعَمْ. قال: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فيه» رواه أبوداود[1].

الشرح

هذان بابان ذكرهما النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين.

أما أولهما فهو في النهي عن القران بين التمرتين ونحوهما مما يؤكل أفرادًا إذاكان مع جماعة إلا بإذن أصحابه، يعني الشيء الذي جرت العادة أن يؤكل واحدة واحدة كالتمر، إذا كان معك جماعة فلا تأكل تمرتين جميعًا؛ لأن هذا يضر بإخوانك الذين معك، فلا تأكل أكثر منهم إلا إذا استأذنت، وقلت: تأذنون لي أن آكل تمرتين في آن واحد، فأذنوا لك؛ فلا بأس.

وكذلك ما جاء في العادة بأنه يؤكل أفرادًا، كبعض الفواكه الصغيرة التي يلتقطها الناس حبة حبة ويأكلونها، فإن الإنسان لا

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع على الطعام، رقم(٣٧٦٤).

يجمع بين اثنتين إلا بإذن صاحبه الذي معه، مخافة أن يأكل أكثر مما يأكل صاحبه.

أما إذا كان الإنسان وحده فلا بأس أن يأكل التمرتين جميعًا، أو الحبتين مما يؤكل أفرادًا؛ لأنه لا يضر بذلك أحدًا، إلا أن يخشى على نفسه من الشّرق أو الغصص، فإن العامة يقولون: من كبر اللقمة غص، فإذا كان يخشى أنه لو أكل تمرتين جميعًا أو حبتين جميعًا مما يؤكل أفرادًا أن يغص فلا يفعل؛ لأن ذلك يضر بنفسه، والنفس أمانة عندك؛ لا يحل لك أن تفعل ما يؤذيها أو يضرها.

ثم ذكر المؤلف ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه نهى عن القران، يعني أن يقرن الإنسان بين تمرتين إلا أن يستأذن من كان معه فلا بأس.

أما الباب الثاني فهو في الذي يأكل ولا يشبع، والذي يأكل ولا يشبع له أسباب:

منها: أن لا يسمي الله على الطعام؛ فإن الإنسان إذا لم يسم الله على الطعام؛ أكل الشيطان معه، ونزعت البركة من طعامه.

ومنها: أن يأكل من أعلى الصحفة فإن ذلك أيضًا مما ينزع البركة من الصحفة؛ لأن النبي ﷺ نهى أن يأكل الإنسان من أعلى الصحفة فإن فيه البركة، فيأكل من الجوانب.

ومنها: التفرق على الطعام، فإن ذلك أيضًا من أسباب نزع البركة؛ لأن التفرق يستلزم أن كل واحد يُجعل له إناءٌ خاصٌ، فيتفرق الطعام، وتنزع بركته، وذلك لو أنك جعلت لكل إنسان طعامًا، يعني في صحن واحدٍ، أو في إناء واحد لتفرق الطعام، لكن إذا جعلته كله في إناءٍ واحد اجتمعوا عليه وصار في القليل بركة.

وهذا يدل على أنه ينبغي للجماعة أن يكون طعامهم في إناءٍ واحد، ولو كانوا عشرة أو خمسة يكون طعامهم في صحن واحد بحسبهم، فإن ذلك من أسباب نزول البركة، والتفرق من أسباب نزع البركة، والله الموفق.



١٠٧ - باب الأمر بالأكل من جانب القصعة
والنهي عن الأكل من وسطها

١/٧٤٤ - عن ابن عباس رضيَ الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «البَرْكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ» رواه أبوداود، والترمذي[1]، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢/٧٤٥ - وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضيَ الله عنه قال: كان للنبيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لها: الْغَرَّاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ، يعني وقد ثُرِدَ فيها، فَالتَفُّوا عليها، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ الله ﷺ، فقالَ أعرابيٌّ: ما هذه الجِلْسَةُ؟ قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا»، ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فيها» رواه أبوداود[2] بإسنادٍ جيدٍ.

«ذِرْوَتَهَا»: أعْلاَهَا: بكسر الذال وضمها.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة، رقم(٣٧٧٢)، والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهة الأكل من وسط الطعام، رقم(١٨٠٥).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة، رقم(٣٧٧٣).

الشرح

هذا الباب الذي عقده النووي رحمه الله في رياض الصالحين في كتاب أدب الطعام يفيد ما أشرنا إليه فيما سبق، وهو أنه ينبغي للناس أن يأكلوا من حواف القصعة، يعني من جوانبها لا من وسطها ولا من أعلاها.

ففي حديث عبد الله بن عباس، وعبد الله بن بسر رضي الله عنهما ما يدل على ذلك، وأن الإنسان إذا قدم إليه الطعام فلا يأكل من أعلاه؛ بل يأكل من الجانب، وإذا كان معه جماعة فليأكل مما يليه، ولا يأكل مما يلي غيره.

وفي قوله ﷺ: «البركة تنزل وسط الطعام» يدل على أن الإنسان لو أكل من أعلاها ـ أي من الوسط ـ نزعت البركة من الطعام.

قال أهل العلم: إلا إذا كان الطعام أنواعًا، وكان نوعٌ منه في الوسط وأراد أن يأخذ منه شيئًا فلا بأس، مثل أن يوضع اللحم في وسط الصحفة فإنه لا بأس أن تأكل من اللحم ولو كان في وسطها؛ لأنه ليس له نظير في جوانبها، فلا حرج، كما أن النبي ﷺ كان يتتبع الدباء يلتقطها من الصحفة كلها، والدباء هي القرع.

وفي حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه دليلٌ على استحباب ركعتي الضحى؛ لقوله فلما سجدوا الضحى؛ أي لما صلوا صلاة

الضحى، وصلاة الضحى سنة، ووقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، يعني من ربع ساعة من طلوع الشمس إلى قبيل الزوال يعني إلى أن يبقى على الظهر عشر دقائق، كل هذا وقت لها.

وهي سنة ينبغي للإنسان أن يحافظ عليها لأنها ـ أي ركعتي الضحى ـ تغني عن الصدقات التي تصبح على كل عضو من أعضاء البدن، كما أخبر النبي ﷺ بأنه يصبح على كل سُلامى من الناس صدقة كل يوم[١].

لكن ليست صدقة مال فقط؛ بل التسبيح صدقة، والتكبير صدقة، والتهليل صدقة، وقراءة القرآن صدقة، والأمر بالمعروف صدقة، والنهي عن المنكر صدقة، ومعونة الرجل على متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وإتيان الرجل زوجته صدقة، كل شيء يتقرب به العبد إلى الله فهو صدقة، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى، وهذا يدل على أن سنة الضحى سنة في كل يوم.

وفيه أيضًا دليلٌ على أن الإنسان عند الأكل لا يأكل متكئًا وإنما يأكل مستوفزًا؛ يعني وهو جاث على ركبتيه حتى لا يكثر من الأكل؛

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، رقم (٣٧٠٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى...، رقم (٧٢٠).

لقول النبي ﷺ في الإكثار من الأكل: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، فإن كان لا محالة: فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه**»(١)، هذا هو الأكل النافع الطبيعي وإذا جعت فكل، فالأمر ليس مقصورًا على ساعاتٍ معينة.

لو قال الإنسان لو اقتصرت على ثلث وثلث وثلث، يمكن أن أجوع قبل أن يأتي وقت العشاء. نقول: إذا جعت فَكُل، الشيء موجود، لكن كونك تأكل هذا الخفيف يكون أسهل للهضم وأسهل للمعدة، المعدة تهضمه براحة، وإذا اشتهيت فكل، وهذا من الطب النبوي.

لكن لا بأس بالشبع أحيانًا لأن النبي ﷺ أقرَّ أبا هريرة رضي الله عنه حينما سقاه اللبن وقال: «**اشرب. اشرب. اشرب**»، حتى قال: والله لا أجد له مسلكًا؛ يعني لا أجد له مكانًا، فأقره النبي ﷺ على ذلك(٢)، وإنما الذي ينبغي أن يكون الأكثر في أكلك كما أرشد إليه النبي ﷺ، ثلثٌ للطعام وثلثٌ للشراب وثلثٌ للنفس، والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم(٢٣٨٠).
(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ، رقم (٦٤٥٢).

١٠٨- باب كراهية الأكل متكئًا

١/٧٤٦ - عن أبي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بنِ عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا آكُلُ مُتَّكِئًا» رواه البخاري(١).

قال الخَطَّابيُّ: المُتَّكِئُ هُنَا: هو الجالِسُ مُعْتَمِدًا على وِطاءٍ تحته، قال: وأرَادَ أنَّهُ لا يَقْعُدُ عَلَى الْوِطَاءِ وَالْوَسَائِدِ كَفِعْلِ مَنْ يُريدُ الإكْثَارَ مِنَ الطَّعَامِ؛ بل يَقْعُدُ مُسْتوفزًا لا مُسْتَوْطِئًا، وَيَأكُلُ بُلْغَةً. هذا كلامُ الخَطَّابي، وَأَشَارَ غَيْرُهُ إلى أنَّ المُتَّكِئَ هو المائلُ على جَنْبِهِ، والله أعلم.

٢/٧٤٧ - وعن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: رَأيْتُ رسول الله ﷺ جَالسًا مُقْعِيًا يأكُلُ تمْرًا. رواه مسلم(٢).

«المُقْعِي»: هو الذي يُلصِقُ أليتَيْهِ بالأرضِ، وَيَنْصِبُ سَاقَيْهِ.

الشرح

قال الحافظ النووي رحمه الله في رياض الصالحين في آداب الطعام: باب كراهية الأكل متكئًا.

الأكل ينقسم بالنسبة للجلوس له إلى قسمين: قسم منهيٌّ عنه، وليس من هدي النبي ﷺ، وهو أن يأكل الإنسان متكئًا؛ إما على اليد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئًا، رقم(٥٣٩٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب تواضع الأكل وصفة قعوده، رقم(٢٠٤٤).

اليمنى أو على اليد اليسرى، وذلك لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء، وهذا معنى نفسي.

ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر، حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا فلا يكون على طبيعته، فربما حصل في مجاري الطعام أضرار من ذلك.

ولهذا قال النبي ﷺ في حديث أبي جحيفة عبد الله بن وهب السواري رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**لا آكل متكئًا**»، يعني ليس من هديي أن آكل متكئًا، وذلك للسببين الذين ذكرناهما: سبب معنوي يكون بالنفس وهو الكبرياء، وسبب حسي يتعلق بالبدن وهو الضرر الذي ينتج عن الأكل على هذا الوجه.

وذكر المؤلف حديث أنس أنه رأى النبي ﷺ يأكل تمرًا مقعيًا، والإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه هذا هو الإقعاء، وإنما أكل النبي ﷺ كذلك؛ لئلا يستقر في الجلسة فيأكل أكلاً كثيرًا؛ لأن الغالب أن الإنسان إذا كان مقعيًا لا يكون مطمئنًا في الجلوس فلا يأكل كثيرًا، وإذا كان غير مطمئن فلا يأكل كثيرًا، وإذا كان مطمئنًا فإنه يأكل كثيرًا، هذا هو الغالب، وربما يأكل الإنسان كثيرًا وهو غير مطمئن، وربما يأكل قليلاً وهو مطمئن، لكن من أسباب تقليل الأكل ألا يستقر الإنسان في جلسته، وألا يكون مطمئنًا الطمأنينة

الكاملة.

والحاصل أن عندنا جلستين: الجلسة الأولى الاتكاء؛ وهذه ليست من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا، وكل أنواع الجلوس الباقية جائزة، ولكن أحسن ما يكون ألا تجلس جلسة الإنسان المطمئن المستقر؛ لئلا يكون ذلك سببًا لإكثار الطعام، وإكثار الطعام لا ينبغي، والأفضل أن يجعل الإنسان ثلثاً للأكل، وثلثاً للشراب، وثلثاً للنفس، هذا أصح ما يكون في الغذاء، فإن تيسر فهذا هو المطلوب، ولا بأس أن يشبع الإنسان أحيانًا، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها واستحباب لعق القصعة، وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها وجواز مسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

١/٧٤٨ - عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلاَ يَمسَحْ أصَابِعَهُ حتى يَلعَقَهَا أو يُلْعِقَها» متفقٌ عليه[١].

٢/٧٤٩ - وعن كعْبِ بن مالك رضي الله عنه قال: رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ يَأكُلُ بِثلاثِ أصابِعَ، فإذَا فَرَغَ لَعِقَها. رواه مسلم[٢].

٣/٧٥٠ - وعن جابرٍ رضيَ الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ أمر بِلَعْقِ الأصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وقال: «إنَّكُمْ لا تَدرُون في أيِّ طَعَامِكُم البَرَكَةُ» رواه مسلم[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل، رقم(٥٤٥٦)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة، رقم(٢٠٣١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة، رقم(٢٠٣٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة، رقم(٢٠٣٣).

٤/٧٥١ ـ وعنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذَا وَقَعت لُقمَةُ أحَدِكُمْ، فَليَأخُذْهَا فَلْيُمِطْ ما كان بها مِن أذًى وليَأكُلْهَا، ولا يَدَعْها للشَّيْطَانِ، ولا يَمسَحْ يَدَهُ بِالمِنْدِيلِ حتَّى يَلعَقَ أصَابِعَهُ فإنه لا يَدرِي في أيِّ طعامِهِ البرَكَةُ» رواه مسلم(١).

٥/٧٥٢ ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَحضرُ أحدكم عِندَ كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِندَ طَعَامِهِ؛ فَإذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكم فَليَأخذهَا فَلْيُمِط ما كانَ بها مِن أذى، ثُمَّ لِيَأكُلْهَا، ولا يَدعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقَ أصَابِعَهُ؛ فإنه لا يدري في أيِّ طعامِهِ البرَكَةُ» رواه مسلم(٢).

٦/٧٥٣ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أكَلَ طَعَامًا، لعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاثَ، وقالَ: «إذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحدِكم فَليَأخذهَا، وليُمِط عنها الأذَى، وليأكُلْهَا، ولا يَدعْهَا للشَّيْطَانِ» وَأمرَنَا أن نَسلُتَ القَصعَةُ وقال: «إنَّكُمْ لا تَدرُون في أيِّ طَعَامِكم البَرَكَةُ» رواه مسلم(٣).

٧/٧٥٤ ـ وعن سعيد بنِ الحارثِ رضي الله عنه أنه سأل جابرًا

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة، رقم(٢٠٣٣) [١٣٤].
(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة، رقم(٢٠٣٣) [١٣٥].
(٣) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة، رقم(٢٠٣٤).

رضيَ الله عنه عنِ الوضوءِ ممَّا مَسَّتِ النَّارُ، فقال: لا، قد كُنَّا زَمَنَ النبي ﷺ لا نجِدُ مِثل ذلك الطعام إلا قليلاً، فإذا نحن وجدناه، لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلي ولا نتوضأ. رواه البخاري[1].

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصالحين في آداب الطعام تضمنت مسائل متعددة:

المسألة الأولى: أنه ينبغي للإنسان أن يأكل بثلاثة أصابع: الوسطى والسبابة والإبهام؛ لأن ذلك أدلّ على عدم الشره، وأدل على التواضع، ولكن هذا في الطعام الذي يكفي فيه ثلاثة أصابع، أما الطعام الذي لا يكفي فيه ثلاثة أصابع مثل الأرز، فلا بأس بأن تأكل بأكثر، لكن الشيء الذي تكفي فيه الأصابع الثلاثة اقتصر عليها، فإن هذا سنة النبي ﷺ.

المسألة الثانية: أنه ينبغي للإنسان إذا انتهى من الطعام أن يلعق أصابعه قبل أن يمسحها بالمنديل، كما أمر بذلك النبي ﷺ؛ يلعقها هو أو يُلْعقها غيره، أما كونه هو يلعقها فالأمر ظاهر، وكونه يُلعقُها

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل، رقم(٥٤٥٧).

غيره هذا أيضًا ممكن، فإنه إذا كانت المحبة بين الرجل وزوجته محبة قوية، يسهل عليه جدًّا أن تلعق أصابعه أو أن يلعق أصابعها، فهذا ممكن.

وقول بعض الناس: إن هذا لا يمكن أن يقوله النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كيف يلعق الإنسان أصابع غيره؟ نقول: إن النبي عليه الصلاة والسلام لا يقول إلا حقًّا، ولا يمكن أن يقول شيئًا لا يمكن، فالأمر في هذا ممكن جدًّا.

وكذلك الأولاد الصغار أحيانًا الإنسان يحبهم ويلعق أصابعهم بعد الطعام هذا شيء ممكن، فالسنة أن تلعقها أو تُلعقُها غيرك، والأمر ولله الحمد واسع، والرسول ﷺ لم يقل: فليلعقها غيره حتى نقول هذا إجبار للناس على شيء يشق عليهم، الأمر واسع، العقها أنت، أو ألعقها غيرك.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**»، قد تكون البركة ونفع الطعام الكثير بهذا الجزء الذي تلعقه من أصابعك.

حتى ذكر لي بعض الناس عن بعض الأطباء، أن الأنامل ـ بإذن الله ـ تفرز إفرازات عند الطعام تعين على هضم الطعام في المعدة، وهذه من الحكمة ونحن نفعلها سنة، إن حصلت لنا هذه الفائدة

الطبية حصلت، وإن لم تحصل فلا يهمنا، الذي يهمنا امتثال أمر النبي عليه الصلاة والسلام.

المسألة الثالثة: أنه ينبغي للإنسان أن يلعق الصحفة أو القدر أو الإناء الذي فيه الطعام، إذا انتهيت فالحس حافته كما أمر بهذا النبي عليه الصلاة والسلام، فإنك لا تدري في أي طعامك البركة.

ومع الأسف أن الناس يتفرقون عن الطعام بدون تنفيذ هذه السنة، فتجد حافات الآنية عليها الطعام كما هي. والسبب في هذا الجهل بالسنة، ولو أن طلبة العلم إذا أكلوا مع العامة وجهوهم إلى هذه السنة وغيرها من سنن الأكل والشرب لانتشرت هذه السنن، لكن نسأل الله أن يعاملنا بعفوه، فنحن نتجاوز كثيرًا ونتهاون في الأمر، وهذا خلاف الدعوة إلى الحق.

المسألة الرابعة: أن الإنسان إذا سقطت منه اللقمة فلا يتركها؛ بل يأخذها، وإذا كان فيها أذًى يمسحه؛ لا يأكل الأذى، لأن الإنسان ليس مجبرًا على أن يأكل شيئًا لا يشتهيه، يمسح الأذى، مثل لو كان فيها عود أو تراب أو ما أشبه ذلك، امسحه ثم كله، لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ولا يدعها للشيطان**»؛ لأن الشيطان يحضر ابن آدم في كل شؤونه، إن أراد أن يأكل حضره، وإن أراد أن يشرب حضره، وإن أراد أن يأتي أهله حضره؛ حتى

يشاركه، كما في الآية الكريمة: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤]، فهو يشارك أهل الغفلة.

فإذا قلت وأنت تأكل: بسم الله، منعته من الأكل، لم يقدر على الأكل معك وقد سميت على الطعام أبدًا، أما إذا لم تقل: بسم الله، فإنه يأكل معك، فإذا قلت: باسم الله، فإن الشيطان يترقب اللقمة إذا سقطت بالأرض، فإن رفعتها أنت فهي لك، وإن تركتها أكلها هو، فصار إذا لم يشاركك في الطعام شاركك فيما يسقط من الطعام، ولهذا احبس هذا عنه، فإذا سقطت اللقمة أو التمرة أو ما أشبه ذلك في الأرض فخذها، وإذا كان علق بها أذًى من تراب أو عيدان أو ما أشبه ذلك فأزل ذلك الأذى ثم كلها ولا تدعها للشيطان.

المسألة الخامسة: الوضوء من الطعام المطبوخ الذي مسته النار؛ كالخبز والأرز والجريش وغيرها، هل يتوضأ الإنسان إذا أكله أم لا؟ قال بعض العلماء: إنه يجب على من أكل شيئًا مطبوخًا على النار أن يتوضأ؛ لأن النبي ﷺ أمر بالوضوء مما مست النار[1]، ولكن الصحيح أنه لا يجب، كما في حديث جابر الذي في صحيح البخاري الذي أورده المؤلف رحمه الله، فالصحيح أنه لا يجب بل هو سنة، يعني الأفضل أن تتوضأ ولو كنت على وضوء؛ إذا أكلت

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب الوضوء مما مست النار، رقم(٣٥٢).

شيئًا مطبوخًا على النار فالأفضل أن تتوضأ ولو كنت على وضوء، والصحيح أنه ليس بواجب، ولكنه سنة؛ لأن آخر الأمرين من النبي ﷺ ترك الوضوء مما مست النار[1]، يعني عدم الالتزام به.

ويدل لهذا أيضًا أن النبي ﷺ سئل: نتوضأ من لحوم الإبل قال: «نعم»؟. قال: نتوضأ من لحوم الغنم قال: «إن شئت»[2]؛ لأن لحم الإبل إذا أكله الإنسان انتقض وضوؤه لو كان على وضوء فلابد أن يتوضأ، ولكن لا يجب غسل الفرج؛ لأنه ما بال ولا تغوط، إنما يجب الوضوء، سواء كان اللحم نيئًا أو مطبوخًا وسواء أكلت الهبر أو الكبد أو القلب أو الكرش أو الأمعاء، أي شيء تأكله من البعير فإنه يجب عليك أن تتوضأ؛ لأنه كله ناقض للوضوء، أما غيره فإذا أكلته مطبوخًا فالأفضل أن تتوضأ ولا يجب عليك ذلك.

هذه من الآداب، والحقيقة أن هذا الكتاب ـ رياض الصالحين ـ للنووي رحمه الله كتاب جامع نافع، ويصدق عليه أنه رياض الصالحين ففيه من كل زوج بهيج، فيه أشياء كثيرة من مسائل العلم ومسائل الآداب لا تكاد تجدها في غيره؛ فنسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الطهارة، باب في ترك الوضوء مما مست النار، رقم(١٩٢)، والنسائي، كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما غيرت النار، رقم (١٨٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب الوضوء من لحوم الإبل، رقم(٣٦٠).

١١١- بابُ أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التنفس في الإناء واستحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

١/٧٥٧ - عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانَ يتنَفَّسُ في الشَّرَابِ ثَلاثًا. متفقٌ عليه[١].

يعني: يَتَنَفَّسُ خَارِجَ الإناء.

٢/٧٥٨ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِير، وَلكنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلاثَ، وسَمُّوا إذا أنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدوا إذا أنْتُمْ رَفَعْتُمْ» رواه الترمذي[٢]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٣/٧٥٩ - وعن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ نَهَى أن يُتَنَفَّسَ في الإناء. متفقٌ عليه[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب النهي عن التنفس في الإناء، رقم(٥٦٣١)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب كراهة التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس، رقم(٢٠٢٨).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في التنفس في الإناء، رقم(١٨٨٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب النهي عن التنفس في الإناء، رقم(٥٦٣٠)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب كراهة التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس، رقم(٢٠٣٠).

يعني: يُتَنَفَّسُ في نفس الإناءِ.

٧٦٠/٤ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِي بِلَبنٍ قد شِيبَ بمَاءٍ، وعَنْ يمِينِهِ أعْرَابيٌّ، وعَنْ يَسَارِهِ أبو بَكرٍ رضي الله عنه، فَشَرِب، ثُمَّ أعْطَى الأعْرَابيَّ وقال: «الأيمنَ فالأيمنَ» متفقٌ عليه(١).

قوله: «شِيبَ» أي: خُلِط.

٧٦١/٥ ـ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وعن يَسَارِهِ أشْيَاخٌ، فقال للغُلامِ: «أتَأذَنُ لي أنْ أعطِي هؤُلاءِ؟» فقال الغلامُ: لا والله، لا أوثِرُ بِنَصِيبي مِنكَ أحَدًا، فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يده. متفقٌ عليه(٢).

قوله: «تَلَّهُ» أي: وَضَعَهُ، وهذا الغُلامُ هو ابْنُ عباس رضي الله عنهما.

الشرح

هذا الحديث ذكره الحافظ النووي رحمه الله في رياض الصالحين، في باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب الأيمن فالأيمن في الشرب، رقم(٥٦١٩)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب كراهة التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس، رقم(٢٠٢٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب الأيمن فالأيمن في الشرب، رقم(٥٦٢٠)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب كراهة التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس، رقم(٢٠٣٠).

الإناء، وكراهة التنفس في الإناء، واستحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ.

وقد بين المؤلف في الباب السابق ما يتعلق بالطعام، فقد سبق جمل كثيرة من آداب الأكل، ولله سبحانه وتعالى على عباده نعم لا تحصى كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فالأكل والشرب من نعم الله سبحانه وتعالى.

ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من حرمها، نسأل الله ألا يحرمنا وإياكم إياها، فمن حرمها وذاق الجوع وذاق العطش عرف قدر نعمة الله تعالى بالأكل والشرب، وهذه إحدى الحكم من الصيام؛ أن الإنسان يمسك عن الأكل والشرب حتى يعرف قدر نعمة الله عليه بتيسير الأكل والشرب.

وللشرب آداب:

منها: أن يسمي الله عزَّ وجلَّ إذا شرب، فيقول عند الشرب: بسم الله.

ومنها: أن يتنفس في الشرب ثلاثًا؛ لقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثًا. كيف يتنفس ثلاثًا؟ يعني يشرب، ثم يفصل الإناء عن فمه، ثم يشرب، ثم يفصله عن فمه، ثم يشرب الثالثة؛ ولا يتنفس في الإناء؛ لحديث أبي قتادة

رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «نهى أن يتنفس الإنسان في الإناء» ؛ لأن النفس في الإناء مستقذر على من يشرب من بعده، وربما يخرج مع النفس أمراض في المعدة، أو في المريء، أو في الفم فتلتصق في الإناء، وربما يشرق إذا تنفس في الإناء، فلهذا نهى النبي ﷺ أن يتنفس الإنسان في الإناء، بل يتنفس ثلاثة أنفاس كل نفس يُبعد فيه الإناء عن فمه.

وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن هذا أهنأ وأبرأ وأمرأ؛ أهنأ: لأنه يشرب بمهلة. وأبرأ: يعني أبرأ من العطش، وأسلم من المرض. وأمرأ: أسهل في النزول إلى الأمعاء.

ووجه ذلك أن العطش عبارة عن حرارة المعدة لقلة الماء أو لغير ذلك، وأحيانًا يكون لمرض، فإذا جاءها الماء دفعة واحدة ربما يضر، فإذا راسله الإنسان عليها مراسلة صار هذا أبرأ في إزالة العطش، وفي السلامة من المرض والأثر الذي يحصل بورود الماء على المعدة دفعة واحدة.

ولهذا ينبغي أيضًا إذا شرب أن لا يعب الماء عبًّا، وإنما يمصّه مصًّا، لا يعبه عبًّا فيأخذ جرعات كبيرة؛ بل يمصّه مصًّا حتى يأتي المعدة شيئًا فشيئًا، فيمصّه في النفس الأول، ثم يطلق الإناء، ثم يمصه في النفس الثاني، ثم يطلق الإناء، ثم في النفس الثالث، هذه

هي السنة.

وأما التناول يعني بمن يبدأ في إعطاء الإناء إذا أراد أن يعطي الشراب أحدًا؟؛ مثال ذلك: رجل دخل ومعه شراب؛ معه شاي أو قهوة بمن يبدأ؟ نقول: إذا كان من الناس قد طلب الشراب فقال: هات الماء مثلاً، فإنه يبدأ به هو الأول، وإذا لم يكن أحد طلبه، فإنه يبدأ بالأكبر ثم الأكبر، يناوله من على يمينه.

وإذا كان الإناء مخصوصًا لكل واحد إناء كالكئوس مثلاً، فيبدأ بالأكبر ثم يعطي الذي عن يساره؛ لأن الذي عن يساره هو الذي عن يمين الصابّ، والصاب هو الذي سيناول، فيبدأ بمن على يمينه. والذي على يمين الصابّ هو الذي عن يسار الشارب؛ لأن الصاب مستقبل للشارب، فيكون من على يسار الشارب هو الذي على يمين الصاب.

مثال ذلك: إنسان طلب الماء، فجيء إليه بالماء وشرب منه، وأراد أن يناوله أحدًا بعده، إن كان الذي جاء بالشراب واقفًا على رأسه يقول: أعطني الإناء إذا فرغت فيعطيه إياه، وإن لم يكن فإنه إذا انتهى يعطيه الذي على يمينه، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا شريفًا أم وضيعًا.

والدليل على هذا أن النبي ﷺ أتي بشراب فشرب وعلى يمينه

رجل من الأعراب، وعلى يساره أبو بكر وعمر فلما فرغ النبي ﷺ ناوله الأعرابي، فقال عمر: هذا أبو بكر. يريد من الأعرابي أن يكرم أبا بكر ويقول: خذه يا أبا بكر؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه معروف مشهور بين الصحابة، أنه أخص أصحاب النبي ﷺ بالنبي، ولكن الأعرابي أخذ الإناء فشرب، فهنا نجد أن النبي ﷺ فضل المفضول على الفاضل؛ لأن أبا بكر أفضل من الأعرابي، لكن فضله عليه لأنه عن يمينه وقال: «**الأيمن فالأيمن**».

والقصة الثانية: أُتي النبي ﷺ بشراب. بلبن مشوب بماء يعني: مخلوط بماء فشرب منه، وعلى يمينه غلام، وعلى يساره الأشياخ الكبار، فلما شرب قال للذي على يمينه وهو الغلام: «**أتأذن لي**» ـ يعني أن أعطي هؤلاء ـ أن أعطيه الأشياخ، فقال: والله يا رسول الله ما أنا بالذي أوثر بنصيبي عليك أحدًا، يعني ما أوثرهم عليّ، أنا أحب أن أشرب فضلتك، فتلّه رسول الله ﷺ في يده، يعني أعطاه الإناء في يده.

فهذا دليلٌ على أنه إذا كان الذي على اليمين أصغر سنًّا فإنه يفضل على الذي على اليسار ولو كان أكبر سنًّا. والأول يدل على أنه إذا كان الذي على اليمين أقل قدرًا، فإنه يعطى ويقدم على الذي هو أعظم قدرًا إذا كان على اليسار؛ لقول الرسول: «**الأيمنون الأيمنون**

الأيمنون، ألا فيمنوا ألا فيمنوا ألا فيمنوا» هكذا جاء الحديث. لكن هذا فيمن إذا شرب يريد أن يناول من على يمينه أو على يساره.

أما ما يفعله الناس اليوم؛ يأتي الرجل بالإبريق ويدخل المجلس، فهنا يبدأ بالأكبر؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يبدأ به فيعطيه أولاً، ولأنه لما أراد أن يناول عليه الصلاة والسلام المسواك أحد الرجلين اللذين وقفا، قيل له: «كبّر كبّر»(١)، وقد ورد أيضًا في ذلك أحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، أنك إذا دخلت المجلس تبدأ بالأكبر لا بمن على اليمين، والله الموفق.



(١) رواه أبوداود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يستاك بسواك غيره، رقم(٥٠).

١١٢ـ بابُ كراهة الشّرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

١/٧٦٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخدْرِيِّ رضي الله عنه قال: نَهَى رسول الله ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأسْقِيَةِ. يعني أنْ تُكسَرَ أفْوَاهُهَا، ويُشْرَب منْها. متفقٌ عليه(١).

٢/٧٦٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نَهَى رسول الله ﷺ أن يُشْرَبَ مِنْ فِي السِّقاءِ أو القِرْبَةِ. متفقٌ عليه(٢).

٣/٧٦٤ ـ وعن أمِّ ثابتٍ كَبْشَةَ بِنْتِ ثَابتِ أخْتِ حَسَّان بْن ثابتٍ رضي الله عنهما قالت: دخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ، فَشَرِبَ من في قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائمًا، فَقُمْتُ إلى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ. رواه الترمذي(٣)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وَإِنَّما قَطَعَتْهَا، لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رسول الله ﷺ، وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وَتَصُونَهُ عَنِ الابْتِذَالِ، وَهذا الحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى بَيَانِ الجَوَازِ،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب اختناث الأسقية، رقم(٥٦٢٥)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٢٠٢٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب اختناث الأسقية، رقم(٥٦٢٧)، ولم أعثر عليه في مسلم.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الرخصة في ذلك، رقم(١٨٩٢).

والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل. والله أعلم.

الشرح

من آداب الشرب ألا يشرب الإنسان من فم القربة أو السقاء؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، والحكمة من هذا أن المياه فيما سبق ليست بتلك المياه النظيفة، فإذا صارت في القربة أو في السقاء، فإنه يكون فيها أشياء مؤذية عيدان أو حشرات أو غير ذلك مما هو معروف لمن كانوا يستعملون هذا من قبل، فلهذا نهى النبي ﷺ «**عن اختناث الأسقية**» يعني أن الإنسان يكسر أفواهها ثم يشرب.

وذُكر أن رجلاً شرب مرة فخرجت حية من القربة، وهذا لا شكَّ أنه على خطر، إما أن تلدغه أو تؤذيه، لهذا ينهى عن الشرب من فم القربة، وليس من ذلك الشرب من الصنبور، أو من الجرار التي يخزن فيها الماء؛ لأن هذه معلومة ونظيفة، فهو كالشرب من الأواني، لكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس أن يشرب الإنسان من فم القربة، مثل أن يكون محتاجًا إلى الماء وليس عنده إناء، فإنه يشرب من في القربة، وعلى هذا فيكون النهي عن ذلك كما قال المؤلف رحمه الله للكراهة وليس للتحريم.

ويُستفاد من الحديث الأخير، أنه يجوز أن يشرب الإنسان قائمًا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، مع أن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله

وسلَّم نهى عن الشرب قائمًا، لكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس كما في هذه الحالة، القربة معلقة، والمعلقة تكون عالية عن القاعد، وليس عنده إناء، فشرب النبي ﷺ من هذه القربة المعلقة قائمًا.

وفي الحديث أيضًا دليل على جواز التبرك بآثار النبي ﷺ وهو كذلك، وقد كان الصحابة يتبركون بعرق النبي ﷺ، ويتبركون بريقه، ويتبركون بثيابه، ويتبركون بشعره، أما غيره ﷺ فإنه لا يتبرك بشيء من هذا منه، فلا يتبرك بثياب الإنسان ولا بشعره ولا بأظفاره ولا بشيء من متعلقاته، إلا النبي ﷺ، والله الموفق.



١١٣ـ باب كراهة النفخ في الشراب

١/٧٦٥ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ الله عنه أنَّ النبي ﷺ نَهَى عَنِ النَّفخِ في الشَّرَابِ، فقالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أراها في الإِنَاءِ؟ فقال: «أهْرِقْهَا» قال: إنِّي لا أرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قال: «فَأَبِنِ القَدَدَ إذًا عَنْ فِيكَ» رواه الترمذي(١) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢/٧٦٦ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يُتَنَفَّسَ في الإِنَاءِ، أوْ يُنْفَخَ فِيه. رواه الترمذي(٢)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

قال المؤلف النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين في آداب الطعام والشراب: باب كراهة النفخ في الشراب.

ثم ذكر حديثين فيهما النهي عن النفخ في الشراب؛ وذلك لأن الإنسان إذا نفخ ربما يحصل من الهواء الذي يخرج منه، أشياء مؤذية أو ضارة كمرض ونحوه، فلهذا نهى النبي ﷺ عن النفخ فيه، فسأله

(١) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب، رقم(١٨٨٧).
(٢) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، ما جاء في كراهية النفخ في الشراب، رقم(١٨٨٨).

الرجل قال: يا رسول الله، القذاة ـ يعني تكون في الشراب ـ يعني مثل العود الصغير أو ما أشبه ذلك، فينفخه الإنسان من أجل أن يخرج، فقال النبي ﷺ: «أهرقها» يعني صب الماء الذي فيه القذاة ولا تنفخ فيه.

ثم سأله: أنه لا يروى بنفس واحد فقال: **«أبن الإناء عن نفسك»** المعنى أنه يشرب ويحتاج إلى تنفس، فأمره النبي ﷺ أن يبين الإناء عن فمه يعني يفصله، ثم يتنفس، ثم يعود فيشرب، إلا أن بعض العلماء استثنى من ذلك ما دعت الحاجة إليه، كما لو كان الشراب حارًّا ويحتاج إلى السرعة، فرخص في هذا بعض العلماء، ولكن الأولى ألا ينفخ حتى وإن كان حارًّا، إذا كان حارًّا وعنده إناء آخر، فإنه يصبه في الإناء ثم يعيده مرة ثانية حتى يبرد.

وفي هذا دليلٌ على أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع الوجوه، كل شيء قد علمنا إياه رسول الله ﷺ، كما قال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»(١). حتى الطيور في السماء لنا منها علم بتعليم الله ورسوله إيانا.

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٥).

علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة[١]، يعني حتى الجلوس على قضاء الحاجة لبول أو غائط. قال: أجل، وذكر ما علمه النبي ﷺ في ذلك: ألا نستقبل القبلة بغائط ولا بول، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وألا نستنجي برجيع أو عظم.

فالمهم أن شريعتنا ولله الحمد كاملة من كل وجه، ليس فيها نقص، ولا تحتاج إلى أحد يكملها، وفيه ردٌّ على السفهاء الذين يزعمون أن الشريعة الإسلامية إنما تنظم العبادة بين الله وبين الخلق فقط، وأما المعاملات بين الناس بعضهم بعضًا، فإن الشريعة لا تعتني بها، فيقال: تبًّا لكم، وسفهًا لعقولكم، أطول آية في كتاب الله العزيز كلها في المداينة، في التعامل بين الناس، وهل بعد هذا اعتناء؟!

وما أكثر الآيات التي في القرآن الكريم في تنظيم المال وإصلاحه وما أشبه ذلك، وكذلك في السنة، فالشريعة الإسلامية ولله الحمد كاملة من كل وجه، نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم التمسك بها ظاهرًا وباطنًا.

* * *

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم (٢٦٢).

١١٤ـ بابُ بيان جواز الشّرب قائمًا وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا

١/٧٦٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَقَيْتُ النَّبيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائمٌ. متفقٌ عليه[١].

٢/٧٦٨ ـ وعنِ النزَّالِ بنِ سَبْرَةَ رضيَ الله عنه قالَ: أتَى عَليٌّ رضيَ الله عنهُ بابَ الرَّحْبَةِ فَشَرِبَ قائمًا، وقالَ: إنِّي رَأيْتُ رَسولَ الله ﷺ فَعَلَ كما رَأيْتُمُوني فَعَلْتُ. رواهُ البخاري[٢].

٣/٧٦٩ ـ وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا نَأكُلُ عَلَى عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ نَمْشي، ونَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ. رواهُ الترمذي[٣]، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤/٧٧٠ ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيهِ عن جدِّه رضيَ الله عنه قال: رَأيْتُ رسُولَ الله ﷺ يَشْرَبُ قَائمًا وَقَاعِدًا. رواه الترمذي[٤]، وقال:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب قائمًا، رقم(٥٦١٧)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب في الشرب من زمزم قائمًا، رقم(٢٠٢٧).
(٢) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب قائمًا، رقم(٥٦١٥).
(٣) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في النهي عن الشرب قائمًا، رقم(١٨٨٠).
(٤) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الرخصة في الشرب قائمًا، رقم(١٨٨٣).

حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٥/٧٧١ ـ وعن أنَسٍ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ نَهى أنْ يشرَب الرَّجُلُ قَائمًا. قال قتادة: فَقُلْنَا لأنَس: فالأكْلُ؟ قالَ: ذلكَ أشَرُّ ـ أو أخْبَثُ ـ رواهُ مسلم[١].

وفي رواية له أنَّ النبيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائمًا[٢].

٦/٧٧٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «لاَ يَشْرَبَنْ أحَدٌ مِنْكُمْ قَائمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَستَقئْ» رواه مسلم[٣].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب بيان جواز الشرب قائمًا، وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا.

الأكل والشرب الأفضل فيهما أن يكون الإنسان قاعدًا؛ لأن هذا هو هدي النبي ﷺ، ولا يأكل وهو قائم ولا يشرب وهو قائم.

أما الشرب وهو قائم فإنه صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذلك. وسئل أنس بن مالك عن الأكل قال: ذاك أشر وأخبث، يعني معناه أنه إذا نهى عن الشرب قائمًا فالأكل قائمًا من باب أولى.

لكن في حديث ابن عمر الذي أخرجه الترمذي وصححه قال:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائمًا، رقم(٢٠٢٤) [١١٣].
(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائمًا، رقم(٢٠٢٤) [١١٢].
(٣) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائمًا، رقم(٢٠٢٦).

كنا في عهد النبي ﷺ نأكل ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام. فهذا يدل على أن النهي ليس للتحريم ولكنه لترك الأولى، بمعنى أن الأحسن والأكمل أن يشرب الإنسان وهو قاعد وأن يأكل وهو قاعد، ولكن لا بأس أن يشرب وهو قائم وأن يأكل وهو قائم. والدليل على ذلك حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم.

زمزم هي عين الماء التي حول الكعبة، وسببها أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ترك هاجر أم إسماعيل وابنها إسماعيل في مكة وليس فيها أحد، ليس فيها سكان، وليس فيها كعبة، وليس فيها أحد، بل وليس فيها زروع، هي واد غير ذي زرع، وجعل عندهما وعاء من تمر وسقاء من ماء وانصرف؛ لأن الله أمره أن يبقيهما هناك، فلما انصرف لحقته هاجر وقالت له: كيف تذهب وتتركنا؟ هل أمرك الله بذلك؟ قال: نعم، قالت: إذا كان الله أمرك بذلك فإنه لن يضيعنا، وهذا يدل على كمال إيمان هاجر رضي الله عنها.

وقصتها هذه نظير قصة أم موسى بن عمران: كان فرعون مسلطًا على بني إسرائيل، يقتل أبناءهم، ويبقي نساءهم؛ إذلالاً لهم، وقد قيل إن المنجمين قالوا له: إنه سيظهر من بني إسرائيل رجل يكون

هلاكك على يده، فصار يقتل أبناءهم.

فخافت أم موسى عليه، فأوحى الله إليها وحي إلهام لا وحي نبوة، أنها إذا خافت عليه تجعله في تابوت ـ صندوق من الخشب ـ، وتلقيه في البحر، وهذا شيء شديد على النفس، أن تضع ولدها في تابوت وتلقيه في البحر، لكنها مؤمنة واثقة بوعد الله عزَّ وجلَّ، ففعلت؛ جعلته في التابوت وألقته في البحر، فرآه جند فرعون، فأخذوه ليقتلوه، فلما رأته زوجة فرعون ألقى الله محبته في قلبها وقالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ٩].

واضطربت أم موسى، أصبح فؤادها فارغًا، يعني ما كأن شيئًا وراءه، قد فرغ قلبها على ولدها مع إيمانها بالله، ولكن الله عزَّ وجلَّ بقدرته جعل هذا الابن كلما عرضت عليه امرأة لترضعه أبى أن يرضعها؛ لا يرضى أن يرضع من أي امرأة، فإذا أخت موسى قد أرسلتها والدته تنظر ماذا حدث له، فرأت الناس يبحثون عن مرضعة لهذا الصبي فقالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١٢]، فرده الله إلى أمه قبل أن يرضع من أي امرأة؛ الله أكبر، قدرة الله عزَّ وجلَّ، يعني أن الولد ما رضع من أحد سوى أمه مع أنها قد ألقته في البحر لكن رده الله عليها.

فهاجر رضي الله عنها لما قال لها إبراهيم: إن الله أمرني بهذا قالت: إذًا لا يضيعنا، ثم بقيت هي وطفلها في هذا المكان الذي ليس فيه أحد من بني آدم، وجعلت تأكل من التمر وتشرب من الماء، وتدر اللبن على الولد ويرضع، حتى نفد التمر والماء وجاعت الأم، ومعلوم أن الأم إذا جاعت لا يكون فيها لبن، وجعل الطفل يصيح ويبكي.

فبحثت بما ألهمها الله عن أقرب جبل لها تصعد عليه لعلها تسمع صوتًا أو ترى أحدًا، فوجدت أقرب مكان إليها الصفا ـ والمشاهد الآن أن أقرب جبل للكعبة هو الصفا ـ، فصعدت عليه وتسمعت فما وجدت أحدًا، فنزلت وقالت: أذهب إلى الجهة الثانية؛ وأقرب جبل إليها في الجهة الثانية هو المروة، فصعدت على المروة تسمع تريد أحدًا، فلم تجد أحدًا، وكان بين الصفا والمروة شعيب، وادٍ مجرى سيل، ومعروف أن الشعيب يكون نازلاً عن الأرض، فكانت إذا نزلت في الشعيب ركضت ركضًا عظيمًا، تركض من أجل أن تسمع الولد وتلتفت إليه وتراه، فعلت هذا سبع مرات.

فلما أكملت سبع مرات إذا هي تسمع شيئًا، فقالت: أغث إن كان عندك غواث؛ سمعت حسًّا وإذا هو جبريل، أمره ربه عزَّ وجلَّ أن ينزل إلى الأرض فيضرب بعقبه أو بجناحه مكان زمزم، فضربه

مرة واحدة، فخرج هذا الماء ينبع، فجعلت تحوطه تحجر عليه، خافت أن يسيح في الأرض وينقص، وشربت من الماء وإذا الماء يكفي عن الطعام والشراب وهو ماء، فجعلت تشرب من هذا الماء وترضع الولد، وفرج الله عزَّ وجلَّ عنها.

وكان حولها أناس ولكنهم كانوا بعيدين عنها من جرهم، قبيلة من العرب كانوا حولها، فرأوا الطيور تهوي إلى هذا المكان مكان زمزم الذي فيه الماء، والطير يرى من بعيد، فقالوا: لا نعرف أن هناك ماءً حتى تأوي الطيور إليه، لكنهم قالوا: لا يمكن للطيور أن تأوي إلا إلى ماء، فتبعوا هذه الطيور حتى وصلوا إلى المكان، وإذا المكان عين تنبع، فنزلوا حول المرأة وأنست بهم، وكبر إسماعيل وتزوج منهم.

بعد مدة جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فدخل على أهل إسماعيل وعلى هاجر، وسأل زوجة إسماعيل كيف حالكم؟ فشكت الحال وتضجرت، فقال لها: إذا جاء زوجك فقولي له: يغير عتبة بابه فجاء إسماعيل وأخبرته بالذي حدث، قال: هل جاءكم أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ صفته كذا وكذا وإنه قال: أقرئيه السلام وقولي له: يغير عتبة بابه. ماذا يريد إبراهيم بهذه الكلمة؟ يريد أن يطلقها؛ لأن المرأة شكَّاية، شكت زوجها وشكت سوء أحوال

المعيشة التي تعيش فيها هي مع زوجها. فقال: هذا أبي وأنت العتبة، فالحقي بأهلك.

ثم تزوج غيرها، ثم جاء إبراهيم مرة أخرى بعد أن غاب عنه مدة، ودخل على بيت ابنه إسماعيل ووجد الزوجة فسألها عن حالهم، فأثنت على حالهم وقالت: نحن بخير، وأثنت على الحال، فقال لها: أقرئي زوجك مني السلام وقولي له: يمسك بعتبة بابه، فلما جاء إسماعيل سأل هل جاء أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ صفته كذا وكذا، وأنه يقرئك السلام ويقول: يمسك عتبة بابه، قال: ذاك أبي، وأنت عتبة الباب، وأمرني أن أمسكك.

فالحاصل أن زمزم ماء مبارك «طعام طعم، وشفاء سقم»(١)، و«ماء زمزم لما شرب له»(٢) إن شربته لعطش رويت، وإن شربته لجوع شبعت، حتى إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث أن الإنسان إذا كان مريضًا وشربه للشفاء شفي، وإذا كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظًا، وإذا شربه لأي غرض ينفعه، فعلى كل حال هذا الماء ماء مبارك.

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، رقم(٢٤٧٣).
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٥٧).

وجاء النبي ﷺ في حجة الوداع ليشرب وكان الذي له السقاية هو العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وكانت قبائل قريش قد اقتسمت خدمة الحجاج، فالعباس كان له السقاية فلما جاء النبي ﷺ ليشرب، قال العباس لابنه الفضل بن العباس: اذهب إلى أمك. قل لها تعطينا الماء الذي عندها، يعني ماء من زمزم. لكن قال الرسول ﷺ: لِمَ؟ قال: لك يا رسول الله هذا يغمس الناس فيه أيديهم، يعني نريد أن نعطيك ماء نظيفًا فقال: لا، أشرب مما يشرب الناس منه، وشرب قائمًا. فدل ذلك على جواز الشرب قائمًا، وكذلك حديث علي رضي الله عنه أنه شرب قائمًا، وقال: إن النبي ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت، فدل ذلك على أن الشرب قائمًا لا بأس به، لكن الأفضل أن يشرب قاعدًا.

بقي أن يُقال: إذا كانت البرادة في المسجد ودخل الإنسان المسجد، فهل يجلس ويشرب أو يشرب قائمًا؟ لأنه إن جلس خالف قول النبي ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**»[(١)]، وإن شرب قائمًا ترك الأفضل. فنقول: الأفضل أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين...، رقم(٤٤٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحية المسجد بركعتين...، رقم(٧١٤).

يشرب قائمًا؛ لأن الجلوس قبل صلاة الركعتين حرامٌ عند بعض العلماء، بخلاف الشرب قائمًا فهو أهون، وعلى هذا فيشرب قائمًا ثم يذهب ويصلي تحية المسجد، والله الموفق.



١١٥ ـ باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا

١/٧٧٣ ـ عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «سَاقي القَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا».

رواه الترمذي[(١)]، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله في كتاب رياض الصالحين: باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا.

يعني الذي يسقي القوم ماءً أو لبنًا أو قهوة أو شايًا، ينبغي أن يكون هو آخرهم شربًا؛ من أجل أن يكون مؤثرًا على نفسه، ومن أجل أن يكون النقص ـ إن كان ـ على نفس الساقي، وهذا لا شك أنه أحسن امتثالاً لأمر النبي ﷺ، وأخذًا بأدب النبي ﷺ، لكنه إذا كان لا يشتهي أن يشرب فليس بلازم أن يشرب بعدهم، إن شاء شرب، وإن شاء لم يشرب.

الحاصل أن يكون هو الأخير إذا أراد أن يشرب، لما في ذلك من الإيثار وامتثال أمر النبي ﷺ، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يخدم إخوانه بسقيهم، وإذا كان صاحب البيت فليقدم

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء أن ساقي القوم آخرهم شربًا، رقم(١٨٩٤).

إليهم الشراب أو الأكل، كما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٦، ٢٧].

فصاحب البيت يقرب الأكل ويناول الشراب، ويكون هو آخر القوم، ثم هل الأفضل أن يشاركهم في الطعام سواء كان في الغداء أو في العشاء أو في الإفطار، أو الأفضل أن ينصرف ولا يشاركهم؟ هذا يرجع إلى عادة الناس، فإذا كانت مشاركته أطيب لقلوب الحاضرين الضيوف وأكثر إيناسًا فليأكل معهم، وإذا كان الأمر بالعكس وجرت العادة أنه لا يأكل الإنسان مع ضيوفه فلا يأكل.

فهذا أمر يرجع إلى العرف؛ إن كان العرف أن من إكرام الضيف ألا تأكل معه وأن تجعله حرًّا يأكل ما شاء فلا تأكل، وإن كان الأمر بالعكس فكل، ولقد قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه**»(١)، ولم يبين نوع الإكرام فيرجع في ذلك إلى ما جرى به عرف الناس، والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ...، رقم(٦٠١٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم البيت، رقم(٤٧).

... جواز الشرب
من جميع الأواني لطاهرة غير الذهب والفضة
وجواز الكرْع - وهو الشرب بالفم من النهر وغيره -
بغير إناء ولا يد، وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة
في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

١/٧٧٤ - عَنْ أنسٍ رضي الله عنه قال: حَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَقَامَ مَنْ كانَ قَرِيبَ الدَّارِ إلى أهلِهِ، وَبَقِيَ قَومٌ فَأتيَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأ القَوْمُ كُلُّهُمْ. قالوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وزِيَادَةً. متَّفقٌ عليه[١]. هذه رواية البخاري.

وفي روايةٍ له ولمسلم: أنَّ النبيَّ ﷺ دَعَا بإِنَاءٍ منْ مَاءٍ، فأتيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فيهِ شَيءٌ مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أصَابِعَهُ فِيهِ. قَالَ: أنس: فَجَعَلْتُ أنْظُرُ إلى الماءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أصابِعِهِ، فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضّأ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إلى الثَّمَانِينَ.

٢/٧٧٥ - وعن عبد الله بنِ زيدٍ رضي الله عنه قال: أتَانَا النَّبيُّ ﷺ، فَأخْرَجْنَا لَهُ مَاءً في تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأ. رواه البخاري[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب، رقم(١٩٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، رقم(٢٢٧٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين...، رقم(١٩٧).

«الصُّفر»: بضم الصاد، ويجوز كسرها؛ وهو النحاس، و«التَّوْر»: كالقدح، وهو بالتاء المثناة من فوق.

٣/٧٧٦ ـ وعن جابر رضيَ الله عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأنْصارِ، ومَعَهُ صاحِبٌ لَهُ، فقالَ رسُولُ الله ﷺ: «إنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ في شَنَّةٍ وَإلا كَرَعْنَا» رواه البخاري[١].

«الشَّنُّ»: القِرْبَة.

٤/٧٧٧ ـ وعن حذيفة رضيَ الله عنه قالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الحَرِيرِ والدِّيبَاجِ والشُّرْبِ في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وقال: «هَيَ لَهُمْ في الدُّنْيَا، وهيَ لَكُمْ في الآخِرَةِ» متفقٌ عليه[٢].

٥/٧٧٨ ـ وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «الَّذِي يَشْرَبُ في آنِيَة الفِضَّةِ إنَّمَا يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ» متفقٌ عليه[٣].

وفي روايةٍ لمسلم: «إنَّ الَّذِي يَأكُلُ أوْ يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ».

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب الكرع في الحوض، رقم(٥٦٢١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، رقم(٥٦٣٣)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب، رقم(٢٠٦٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، رقم(٥٦٣٤)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب، رقم(٢٠٦٥).

وفي روايةٍ لَه: «مَنْ شَرِبَ في إنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ».

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين، في باب الأواني واستعمالها في الشرب.

وليُعلَم أن هناك قاعدة نافعة، وهي أن الأصل في كل ما خلق الله في الأرض أنه حلال، الأصل فيه الحل، إلا ما قام الدليل على تحريمه، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]، كل ما في الأرض فهو لنا من حيوان وأشجار وأحجار وكل شيء، كل الذي في الأرض حلال أحله الله لنا إلا ما قام الدليل على تحريمه.

وبناءً على هذه القاعدة العظيمة التي بينها الله لنا في كتابه، فإن كل من ادَّعى أن هذا حرام فعليه الدليل، إذا قال مثلاً: إن هذا الحيوان حرام، نقول: هات الدليل، وإلا فالأصل أنه حلال. إذا قال: هذه الآنية حرامٌ، قلنا: هات الدليل، وإلا فالأصل أنها حلال. إذا قال: هذا الشجر حرام، قلنا: هات الدليل، وإلا فالأصل أنه حلال؛ لأن الذي يقول: إنه حلال معه أصل من الله عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾، وقال عزَّ وجلَّ:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، فهذا هو الأصل.

ولهذا قال المؤلف رحمه الله: باب جواز الشرب من جميع الأواني: من خشب أو حجر أو غير ذلك، إلا الذهب والفضة، فإن الذهب والفضة لا يجوز فيهما الأكل ولا الشرب، ودليل هذا حديث حذيفة بن اليمان وأم سلمة رضي الله عنهما: أما حديث حذيفة بن اليمان فقد صرح رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن الشرب في آنية الذهب والفضة، وكذلك حديث أم سلمة، وبين النبي ﷺ الحكمة من ذلك فقال: «هي لهم في الدنيا ـ يعني الكفار ـ وهي لكم في الآخرة».

فالكفار في الآخرة في نار جهنم والعياذ بالله، إذا استغاثوا من العطش فقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]، يؤتى إليهم بالماء كالمهل وهو كرديء الزيت المحمي والعياذ بالله، إذا قربوه إلى وجوههم ليشربوا منه فإنه يشوي وجوههم، ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، والعياذ بالله.

لكن أهل الجنة ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦]، يسقون بآنية الذهب

والفضة، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الأكل والشرب فيهما؛ لأنهما آنية الجنة.

ونهى عن لبس الحرير للرجال؛ لأن الحرير للمؤمنين في الجنة، والرجال لا يليق بهم لبس الحرير في الدنيا. وكذلك النساء، لولا أن الله تعالى رخَّص لهن في لباس الحرير من أجل مصلحتهن ومصلحة أزواجهن، حتى تتجمل المرأة لزوجها، فيحصل بذلك مصلحة للجميع، ولولا هذا لكان الحرير حرامًا على النساء كما هو حرام على الرجال؛ لأنه لباس أهل الجنة.

فالحاصل أن جميع الأواني من زجاج وخزف وخشب وأحجار وغير ذلك، الأصل فيها الحل حتى لو كانت من أغلى المعادن، فإنها حلال إلا الذهب والفضة، والعلة في ذلك ليس كما قال بعض الفقهاء: إنها الخيلاء وكسر قلوب الفقراء وما أشبه ذلك؛ لأنه لو كان هكذا لكان كل إناء يكسر قلوب الفقراء يحرم فيه الأكل والشرب، لكن العلة بيَّنها الرسول عليه الصلاة والسلام: «**هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة**»، وهذا خاص بآنية الذهب والفضة.

لو أن الإنسان شرب في آنية من معدن أغلى من الذهب والفضة لم يكن هذا حرامًا إذا لم يصل إلى حد السرف، ولكن لو أكل أو شرب في الذهب والفضة كان ذلك حرامًا؛ لأن النبي ﷺ نهى عن

ذلك وبين السبب.

وفي حديث أم سلمة دليلٌ على أن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ توعد مَنْ فعل ذلك: «إنما **يجرجر في بطنه نار جهنم**»؛ والجرجرة: صوت الطعام والشراب وهو ينحدر في البلعوم، فإذا أكل أو شرب في إناء الذهب والفضة، فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وهذا يدل على أنه من كبائر الذنوب؛ لأن فيه الوعيد، وكل ذنب فيه وعيد، فإنه من كبائر الذنوب.

والمطلي بالذهب والفضة قال العلماء: إنه كالخالص، لا يجوز أن يأكل فيه ولا أن يشرَب فيه، والله الموفق.



كتاب اللباس

١١٧ـ باب استحباب الثوب الأبيض
وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود
وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين: كتاب اللباس.

وهذا من أحسن الترتيب فإن الأكل والشرب لباس الباطن، والثياب لباس الظاهر. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]، فقال: ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾؛ لأن الجوع عري الباطن، فخلوا البطن من الطعام عري لها. ﴿وَلاَ تَعْرَى﴾ من لباس الظاهر ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا﴾ هذا حرارة الباطن ﴿ وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ هذا حرارة الظاهر، ولهذا أشكل على بعض الناس قال: لماذا لم يقل إن لك ألا تجوع فيها ولا تظمأ، وأنك لا تعرى فيها ولا تضحى؟ ولكن من تفطن للمعنى الذي أشرنا إليه، تبين له بلاغة القرآن. ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا﴾: هذا

انتفاء العري في الباطن. ﴿وَلاَ تَعْرَى﴾ : انتفاؤه في الظاهر. و﴿لاَ تَظْمأَ﴾ هذا انتفاء الحرارة في الباطن. ﴿وَلاَ تَضْحَى﴾ يعني لا تتعرض للشمس الحارة؛ فيه انتفاء للحرارة في الظاهر.

كذلك المؤلف رحمه الله بدأ بآداب الأكل، ثم بآداب الشرب، ثم باللباس الذي هو كسوة الظاهر، وافتتح هذا الكتاب بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦]، فذكر الله تعالى نوعين من اللباس: نوعًا ظاهرًا ونوعًا باطنًا، أو نوعًا حسيًّا ونوعًا معنويًّا، وذكر أن الحسي قسمان: قسم ضروري توارى به العورة، وقسم كمالي ـ وهو الريش ـ، لباس الزينة.

والله سبحانه وتعالى من حكمته أن جعل بني آدمي محتاجين للباس لمواراة السوأة، يعني لتغطية السوأة، حتى يتستر الإنسان، وكما أنه محتاج للباس يواري سوأته الحسية، فهو محتاج للباسٍ يواري سوأته المعنوية وهي المعاصي، وهذا من حكمة الله تعالى.

ولهذا نجد غالب المخلوقات ـ سوى الآدمي ـ لها ما يستر جلدها من شعر أو صوف أو وبر أو ريش؛ لأنها ليست بحاجة إلى أن تتذكر العري المعنوي، بخلاف بني آدم؛ فإنهم محتاجون إلى أن يتذكروا العورة المعنوية وهي عورة الذنوب، حمانا الله وإياكم منها.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ أي عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ أي: ثياب زينة وجمال زائدة عن اللباس الضرورية، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ هذا هو اللباس المعنوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي خير من اللباس الظاهر؛ سواء كان مما هو ضروري، كالذي يواري السوأة أم من الكمالي.

وإذا كان لباس التقوى خيرًا من لباس الظاهر، فيجب على الإنسان أن يفكر، حيث تجدنا نحرص على نظافة اللباس الظاهر - فالإنسان إذا أصاب ثوبه بقعة أو وسخ ذهب يغسلها بالماء والصابون، وبما يقدر عليه من المنظف - لكن لباس التقوى كثيرٌ من الناس لا يهتم به، يتنظف أو يتسخ لا يهتم به.

مع أن هذا كما قال الله عزَّ وجلَّ هو الخير، وهو إشارة إلى أنه يجب الاعتناء بلباس التقوى أكثر مما يجب الاعتناء بلباس البدن الظاهر الحسي؛ لأن لباس التقوى أهم، وهنا قال: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ولم يقل: ولباس التقوى هو خير؛ لأن ذلك اسم إشارة، وجيء بها للبعيد إشارة إلى علو مرتبة هذا اللباس، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]، ولم يقل هذا الكتاب، إشارة إلى علو مرتبة القرآن، كذلك قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ إشارة إلى علو مرتبة لباس التقوى.

فينبغي للإنسان أن يعتني بهذا اللباس، بأن يتقي الله عزَّ وجلَّ، وأن يفكر دائمًا في سيئاته ومعاصيه، وتنظيف السيئات والمعاصي أسهل من تنظيف الثياب الظاهرة، الثياب الظاهرة تحتاج إلى عمل وتعب وأجرة وتحضير ماء ومنظف، لكن هذا أمره سهل جدًّا ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، استغفار وتوبة يمحوان كلَّ ما سلف؛ لقول النبي ﷺ لعمرو بن العاص: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها...**[1]» نسأل الله تعالى أن يتوب علينا بمنّه وكرمه.

* * *

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١].

١/ ٧٧٩ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ البَيَاضَ؛ فَإِنَّها مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فيها مَوْتَاكُمْ» رواه أبوداود، والترمذي[2] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة، رقم (١٢١).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الطب، باب في العلاق، رقم(٣٨٧٨)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من الأكفان، رقم(٩٩٤).

٢/٧٨٠ - وعنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «الْبسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ البَياضَ؛ فَإِنَّها أطْهَرُ وأطْيَبُ، وكَفِّنُوا فيها مَوْتَاكُمْ» رواه النسائي، والحاكم[١] وقال: حديثٌ صحيحٌ.

٣/٧٨١ - وعن البراءِ رضي الله عنه قال: كَانَ رسُولُ الله ﷺ مَرْبُوعًا وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ في حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأيْتُ شيئًا قطُّ أحسَنَ مِنهُ. متفقٌ عليه[٢].

الشرح

وذكر المؤلف رحمه الله آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾، السرابيل: هي الدروع، يعني مثل لباسنا هذا يسمى سرابيل: القمص والدروع وشبهها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾. أما السرابيل التي تقينا البأس فهي سرابيل الحديد، الدروع من الحديد، وكانوا في السابق يلبسونها عند الحرب وعند القتال؛ لأنها تقي الإنسان السهام الواردة إليه؛ فإنها عبارة عن حلق

---

(١) رواه النسائي، كتاب الزينة، باب الأمر بلبس البيض من الثياب، رقم (٥٣٢٢)، والحاكم في المستدرك، (٤/ ١٨٥)

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الثوب الأحمر، رقم(٥٨٤٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ. . ، رقم(٢٣٣٧).

من حديد منسوج، كما قال الله تعالى وهو يعلم داود: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، فيضعون هذه الدروع بأنها إذا لبسها الإنسان وجاءته السهام أو الرماح أو السيوف، ضربت على هذا الحديد ووقته الشر.

أما قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ فهي الثياب من القطن وشبهها تقي الحر، وقد يقول قائل: لماذا لم يقل تقيكم البرد؟ أجاب العلماء عن ذلك بأن هذا على تقدير شيء محذوف أي تقيكم الحر وتقيكم البرد، لكنه ذكر الحر؛ لأن السورة مكية نزلت في مكة وأهل مكة ليس عندهم برد، فذكر الله منته عليهم بهذه السرابيل التي تقي الحر، وقيل: إنه ليس في الآية شيء محذوف، وأن الدروع التي تقي البأس تقي الإنسان حر السهام ونحوها، والسرابيل الخفيفة التي تقي الحر الجوي؛ وتلك تقي الحر الذي يأتي من السهام ونحوها، وذلك أن الإنسان في الجو الحار لو لم يكن عليه سرابيل تقيه الحر للفحه الحر واسود جلده وتأذى وجف، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل هذه السرابيل التي تقي الحر من نعمته تبارك وتعالى.

ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحديث سمرة في أن النبي ﷺ حث على لبس الثياب البيض وقال: «إنها من خير ثيابكم» وقال: «كفنوا فيها موتاكم». وصدق النبي عليه الصلاة

والسلام؛ فإن الثوب الأبيض خير من غيره، من جهة الإضاءة والنور، ومن جهة أنه إذا اتسخ أدنى اتساخ ظهر فيه، فبادر الإنسان إلى غسله.

أما الثياب الأخرى فربما تتراكم فيها الأوساخ، والإنسان لا يشعر بها ولا يغسلها، وإذا غسلها فلا يدري؛ هل تنظفت أم لا؟، فلهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم**».

وهو شامل للبس الثياب البيض: القمص، والأزر، والسراويل، كلها ينبغي أن تكون من البياض، فإنه أفضل، ولكن لو أنه لبس من لون آخر فلا بأس، بشرط ألا يكون مما يختص لبسه بالنساء، فإن كان مما يختص لبسه بالنساء فإنه لا يجوز أن يلبسه الرجل؛ لأن النبي ﷺ لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، وكذلك بشرط ألا يكون أحمر؛ لأن الأحمر قد نهى عنه النبي ﷺ إذا كان أحمر خالصًا، فإن كان أحمر وفيه بياض فلا بأس.

وعلى هذا يحمل الحديث الثالث الذي ذكره المؤلف أن النبي ﷺ كان مربوعًا، وأنه كان عليه حلة حمراء، هذه الحلة الحمراء ليس معناه أنها كلها حمراء، لكن معناه أن أعلاها حمر، مثل ما تقول مثلاً الشماغ أحمر وليس كله أحمر، بل فيه بياض كثير، لكن

نقطة ووشمه الذي فيه أحمر، كذلك الحلة الحمراء يعني أن أعلامها حمر، أما أن يلبس الرجل أحمر خالصًا ليس فيه شيء من البياض، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك، والله الموفق.

* * *

٤/٧٨٢ ـ وعن أبي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال: رَأيْت النَّبيَّ ﷺ بمكَّةَ وَهُوَ بالأبْطَحِ في قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِن أدمٍ، فَخَرَجَ بلالٌ بِوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ ونَائلٍ، فَتَوضأ وَأَذَّنَ بِلالٌ، فَجَعَلْتُ أتَتَبَّعُ فَاهُ هاهَنا وهاهُنَا، يَقُولُ يَمينًا وشِمالاً: حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الفلاحِ، ثُمَّ رُكِزَتْ لهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى؛ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْه الكَلْبُ والحِمَارُ لا يُمْنَعُ. متفقٌ عليه[١]. «العَنَزَةَ» بفتح النون: نحو العُكَّازَةِ.

٥/٧٨٣ ـ وعن أبي رِمْثَةَ رِفاعَة التَّيْمِي رضي الله عنه قال: رَأيْتُ رسول الله ﷺ وعلَيْه ثوبانِ أخْضَرانِ. رواه أبوداود، والترمذي[٢] بإسنادٍ صحيحٍ.

٦/٧٨٤ ـ وعن جابر رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ يَوْمَ

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الأحمر، رقم(٣٧٦)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، رقم(٥٠٣).

(٢) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في الخضرة، رقم(٤٠٦٥)، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الثوب الأخضر، رقم(٢٨١٢).

فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. رواه مسلم[١].

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها النووي رحمه الله في رياض الصالحين في كتاب اللباس، وقد سبق ذكر شيء من هذه الأحاديث، وهنا حديث وهب بن عبد الله السوائي أبي جحيفة رضي الله عنه، أنه رأى النبي ﷺ في قبة له حمراء من أَدَم أو من أُدُم، لكن الصواب من أَدَم.

وذلك في الأبطح في حجة الوداع، فإن النبي ﷺ لما قدم مكة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، قدمها في ضحى يوم الأحد، الرابع من ذي الحجة، ونزل إلى المسجد الحرام فطاف وسعى ثم خرج إلى الأبطح، فنزل فيه هناك إلى اليوم الثامن، وكان في هذه القبة التي ضربت له عليه الصلاة والسلام.

يقول: فخرج، يعني حين زالت الشمس، فخرج النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه. وهذه الحلة حلة حمراء يعني أن أعلامها حمر ليست سودًا ولا خضرًا؛ لأن الأحمر الخالص قد ثبت نهي النبي ﷺ عن لبسه، فتحمل هذه على أن المراد أن أعلامها يعني خطوطها ونقشها حمر.

خرج بلال رضي الله عنه بِوَضوءِ النبي عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم(١٣٥٨).

يعني بما بقي من مائه الذي توضأ به، فجعل الناس يأخذون منه من ناضحٍ ونائلٍ، يعني بعضهم أخذ كثيرًا وبعضهم أخذ قليلاً؛ يتبركون بفضل وضوئه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فخرج النبي ﷺ، من هذه القبة، وأذن بلال، ثم ركزت العنزة لرسول الله ﷺ، والعنزة: رمح في طرفه زج، يعني رمح في طرفه حديدة محددة، كان النبي ﷺ يصحبها معه في السفر، ركزت العنزة من أجل أن يصلي إليها؛ لأن الإنسان إذا كان في السفر فإنه ينبغي أن يصلي إلى شيء قائم؛ كعصا يركزها في الأرض أو ما أشبه ذلك.

يقول: فتقدم فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، وهذا يدل على جواز الجمع للمسافر وإن كان نازلاً، لكن الأفضل ألا يجمع إلا من حاجة؛ كما لو كان سائرًا يمشي أو كان نازلاً ولكنه يحتاج إلى راحة؛ فيجمع جمع تأخير أو جمع تقديم، وإلا فالأفضل للنازل ألا يجمع.

ثم ذكر وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة كيف كان أذان بلال؛ يقول: جعلت أتتبع فاه هاهنا وهاهنا؛ يعني: يمينًا وشمالاً، يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

واختلف العلماء رحمهم الله: هل يقول حي على الصلاة على اليمين، حي على الصلاة على اليسار، ثم حي على الفلاح على

اليمين، حي على الفلاح على اليسار، أم أنه يجعل حي على الصلاة كلها على اليمين، وحي على الفلاح كلها على اليسار؟، والأمر في هذا واسع، وإن فعل هذا أو هذا فكله على خير ولا بأس به.

ثم ذكر حديثين آخرين؛ أحدهما: أن النبي ﷺ كان عليه لباس أخضر، والثاني: كان عليه عمامة سوداء، وهذا يدل أيضًا على جواز لباس الأخضر ولباس الأسود، والله أعلم.

* * *

٧٨٥/٧ ـ وعن أبي سعيد عمرو بن حُرَيْثٍ رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قدْ أرْخَى طَرَفيها بَيْنَ كتفيهِ. رواه مسلم[(١)].

وفي روايةٍ له: أن رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَة سَوْدَاءُ.

٧٨٦/٨ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثْوابٍ بيضٍ سَحُوليَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فيها قَميصٌ ولا عِمَامَةٌ. متفقٌ عليه[(٢)].

«السَّحولية» بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين: ثيابٌ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم(١٣٥٩) [٤٥٣].

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الثياب البيض لكفن، رقم(١٢٦٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب في كفن الميت، رقم(٩٤١).

تُنْسب إلى سَحُولٍ: قَرْيَةٍ باليمن: «والكرسف»: القطن.

٩/٧٨٧ ـ وعنها رضي الله عنها قالت: خَرَجَ رسول الله ﷺ ذات غَدَاةٍ، وعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أسْوَد. رواه مسلم(١).

«المِرط» بكسر الميم: وهو كساءٌ، «والمرحل» بالحاء المهملة: هو الذي فيه صورةُ رحال الإبل، وهي الأكْوَارُ.

١٠/٧٨٨ ـ وعن المُغِيرةِ بن شُعبَةَ رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ ذات ليلَةٍ في مسيرٍ، فقال لي: «أمَعَكَ مَاءٌ؟» قلت: نَعَمْ، فَنَزَل عن راحِلَتِهِ فَمَشى حتى توارى في سَوادِ اللَّيل، ثم جاءَ فأفْرَغْتُ علَيْهِ مِنَ الإداوَةِ، فَغَسَلَ وَجَهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فلم يَسْتَطِعْ أنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ منها حتى أخْرجَهُما مِنْ أسْفَلِ الجَبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيهِ وَمَسَحَ بِرَأسِهِ، ثم أهْوَيْت لأنزعَ خُفَّيْهِ فقال: «دَعْهُمَا فإنِّي أدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَين» مَسَحَ عَلَيْهِمَا. متفقٌ عليه(٢).

وفي رواية: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شامِيَّةٌ ضَيِّقةُ الكُمَّيْن.

وفي روايةٍ: أنَّ هذه القضيَّةَ كانت في غَزْوةِ تَبُوكَ.

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها النووي رحمه الله في كتاب اللباس،

(١) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس...، رقم(٢٠٨١).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب لبس جبة الصوف في الغزو، رقم(٥٧٩٩)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، رقم(٢٧٤) [٧٩].

فيها الإشارة ـ كما سبق ـ إلى أنه يجوز للإنسان أن يلبس ما شاء من الثياب، البيض، والسود، والخضر، والصفر، والحمر، إلا أن الأحمر الخالص قد ثبت فيه النهي عن النبي ﷺ، فلا يلبس الأحمر الخالص إلا مشوبًا بلون آخر.

وفي هذا الحديث حديث عمرو بن حريث، أنه رأى النبي ﷺ وعليه عمامة سوداء، وسبق أنه ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء، فهو يدل على جواز لبس العمامة السوداء، وكذلك الشماغ الذي نقشه أسود أو أخضر أو أحمر كل هذا جائز.

وفيه دليلٌ على جواز لبس العمامة، وأن من الأفضل أن يجعل الإنسان لها ذؤابة، والذؤابة أن يرخي طرفيها من خلف، كما فعل النبي ﷺ. والعمامة التي ليس لها ذؤابة تسمى العمامة الصماء؛ لأنه ليس لها طرف مرخي، وكلاهما جائز، وكلاهما أيضًا يجوز المسح عليه على القول الراجح.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف؛ ليس فيها قميص ولا عمامة، ففيه دليلٌ على أن الأفضل أن يكفن الأموات في الثياب البيض، وهذا إن تيسر، لكن لو فرض أنه لم يتيسر فيكفن الميت في مثل ما يلبسه الحي، من أي لون كان إلا الأحمر الخالص.

وفي حديث عائشة دليلٌ على أن الميت لا يجعل عليه قميص ولا عمامة، وإنما توضع القطع واحدة فوق الأخرى، ثم يوضع عليها الميت، ثم تلف القطع العليا عليه، ثم الوسطى، ثم السفلى، ثم تثنى من عند رأسه ومن عند الرجلين، وتربط وتحزم حتى يدخل القبر؛ لأن الميت ـ أحسن الله لي ولكم الخاتمة ـ إذا مات ينتفخ، فإذا انتفخ وقد ربط فربما يتفجر، فتفك الحزائم من أجل ألا يتفجر.

وفي حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ في غزوة تبوك نزل من بعيره وأخذ الإداوة ـ والإداوة: إناء يوضع فيه الماء ـ يشبه ما يعرفه الناس بالطهارة سابقًا فأخذ الإداوة عليه الصلاة والسلام وانطلق حتى توارى في سواد الليل؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أشد الناس حياءً، فلا يحب أن يراه أحد وهو جالس على قضاء حاجته، وإن لم تر عورته.

وهذا من كمال الأدب؛ أنك إذا أردت أن تقضي حاجتك فابعد عن الناس حتى تتوارى عنهم، لا من أجل ألا يروا عورتك؛ لأن ستر العورة واجب ولا يجوز أن تتكشف أمام الناس، لكن هذا فوق ذلك، يعني الأفضل ألا يُرى الإنسان وهو على حاجته، وهذا من هدي النبي ﷺ، لأن هديه أكمل الهدى.

ثم أراد أن يتوضأ وكان عليه جبة من صوف ضيقة الأكمام،

لبسها عليه الصلاة والسلام لأن الوقت كان باردًا؛ لأن تبوك قريبة من الشام والشام باردٌ؛ فلذلك كان عليه الجبة عليه الصلاة والسلام، فلما توضأ وغسل وجهه وأراد أن يخرج ذراعيه من الكم، وكان ضيقًا صفيقًا فلم تستطع يده أن تخرج، فأخرجها من أسفل وغسلها عليه الصلاة والسلام.

ولما أراد أن يغسل قدميه أهوى المغيرة بن شعبة لينزع خفيه، قياسًا على أن الرسول لم يمسح على الكمين لما كانا ضيقين لم يمسح عليهما، وإنما أخرج يده من أسفل حتى غسلها، فظن المغيرة بن شعبة أن الخفين مثل ذلك، وأنها تنزع من أجل غسل الرجل، ولكن النبي ﷺ قال له: «**دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين**» فمسح عليهما، وقوله: «**أدخلتهما طاهرتين**» أي لبستهما على طهارة، فمسح عليهما.

ففي هذا الحديث عدة فوائد:

منها: أن رسول الله ﷺ بشر يناله ما ينال البشر في الأمور الطبيعية، يبرد كما يبرد الناس، ويحتر كما يحتر الناس، ولهذا رآه مرة معاوية وقد فك أزرار القميص ـ لأنه والله أعلم كان محترًّا ففك الأزرار، فظن معاوية رضي الله عنه أن هذا من السنة، وهو ليس من السنن المطلقة، لكن من السنة إذا كان فيه تخفيف على البدن؛ لأن

كل ما يخفف عن البدن فهو خير.

فإذا كان الإنسان محترًّا وأراد أن يفتح الأزرار التي من الأعلى فلا بأس ويكون هذا من السنة، أما بدون سبب فإنه ليس من السنة؛ لأنه لو كان من السنة لكان وضع الأزرار عبثاً لا فائدة منه؛ والدين الإسلامي ليس فيه شيء عبث، فكله جد.

ومن فوائد هذا **الحديث**: أنه لا حرج على الإنسان أن يتوقى ما يؤذيه من حر أو برد، كما فعل النبي ﷺ؛ بل الأفضل للإنسان أن يتوقى ما يؤذيه؛ لأن هذا من تمام الرعاية للنفس أن تتوقى ما يؤذيكَ، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: الأكل إذا خفت أن يؤذيك صار حرامًا عليك؛ الأكل الذي هو الغذاء إذا خفت أن يؤذيك؛ إما بكثرته وإما بكونك أكلت قريبًا فتخشى أن تتأذى بالأكل الجديد، فإنه يحرم عليك، بمعنى أنك تأثم لو أكلته؛ لأن الإنسان يجب أن يرعى نفسه حق الرعاية.

ومن **فوائد الحديث**: أنه لا يجوز أن يمسح على حائل سوى الخفين أو العمامة، فلو كان على الإنسان ثوب ضيق الأكمام ولا تخرج اليد إلا بصعوبة وقال: أمسح على هذا الثوب كما أمسح على الخف، قلنا: هذا لا يجوز، لابد أن تخرج يدك حتى تغسلها، حتى لو فرض أنها لم تخرج إلا بشق الكم فإنه يشق حتى يؤدي الإنسان ما

فرض الله عليه من غسل اليد ﴿وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ﴾ [المائدة: ٦].

ومن فوائد الحديث: بيان جهل بعض الناس الذين يظنون أن ما يسمى بالمانيكير ـ وهي صبغ الأظافر ـ يقولون: إنها مثل الخفين، إذا وضعتها المرأة على طهارة تغسلها يومًا وليلة وهذا خطأ ليس بصحيح، فالمانيكير يجب أن يزال عند الوضوء حتى يصل الماء إلى الأظافر وأطراف الأصابع.

ومن فوائد هذا الحديث: جواز استخدام الأحرار؛ لأن المغيرة رضي الله عنه كان يخدم النبي ﷺ، ولكن لا شك أن خدمة الرسول ﷺ شرف، كل يفخر بخدمة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان للنبي ﷺ خدم من الأحرار؛ كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأنس بن مالك وغيرهما؛ فالمغيرة كان يخدم النبي ﷺ.

ومن فوائد الحديث: جواز إعانة المتوضئ على وضوئه يعني تصب عليه، أو تقرب له الإناء وما أشبه ذلك. وكذلك لو فرض أنه لا يستطيع أن يغسل أعضاءه فاغسلها أنت، فلو فرض أن في يده كسرًا أو شللاً أو ما أشبه ذلك، فلا حرج أن تغسل أعضاءه أنت.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان إذا كان لابسًا خفين أو جوارب على طهارة، فإنه يمسح عليهما، وأن المسح أفضل من

الغسل، المسح على الخفين إذا كان الإنسان لبسهما على طهارة أفضل من أن يخلعهما ويغسل قدميه؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**دعهما** -أي اتركهما لا تخلعهما- **فإني أدخلتهما طاهرتين**» فمسح عليهما.

ومن **فوائد هذا الحديث**: ما ذهب إليه بعض العلماء من أن المسح على الخفين يكون مرة واحدة على القدمين جميعًا؛ إذ إن المغيرة لم يذكر أنه بدأ باليمنى قبل اليسرى، فاستنبط بعض العلماء من ذلك أن المسح على الخفين يكون باليدين جميعًا مرة واحدة، ولكن لا حرج أن الإنسان يفعل هذا أو يمسح على الرجل اليمنى قبل اليسرى؛ لأن المسح بدل عن الغسل، والغسل تقدم فيه اليمنى على اليسرى والبدل له حكم المبدل، فإن فعل الإنسان هذا أو هذا فلا حرج والأمر في هذا واسع.

ومن **فوائد الحديث**: أنه لا يجوز المسح على الخفين أو الجوربين إلا إذا كان لبسهما على طهارة، فإن لبسهما على غير طهارة؛ وجب عليه أن يخلعهما عند الوضوء ويغسل قدميه، والله الموفق.

  

١١٨ ـ بابُ استِحباب القميص

١ / ٧٨٩ ـ عن أمِّ سَلمةَ رضي الله عنها قالت: كان أحبَّ الثِّيابِ إلى رسول الله ﷺ القَميصُ. رواه أبوداود، والترمذي[1]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

* * *

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، رقم(٤٠٢٥)، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في القمص، رقم(١٧٦٢).

١١٩ـ بابُ صفة طول القميص والكمّ والإزار وطرف العمامة، وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

١/ ٧٩٠ ـ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ الأنصارِيَّةِ رضي الله عنها قالت: كان كُمُّ قِميصِ رسول الله ﷺ إلى الرُّسُغِ. رواه أبو داود، والترمذي[(١)] وقال: حديثٌ حسنٌ.

٢/ ٧٩١ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فقال أبو بكر: يا رسول الله إنَّ إزاري يَسْتَرْخي إلا أنْ أتَعَاهَدهُ، فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّكَ لَسْتَ مِمنْ يَفْعَلُهُ خُيلاَءَ». رواه البخاري، وروى مسلم بعضه[(٢)].

٣/ ٧٩٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلى مَنْ جَرَّ إزَارَهُ بَطَرًا» متفق عليه[(٣)].

٤/ ٧٩٣ ـ وعنه عن النبي ﷺ قال: «مَا أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإزَارِ

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، رقم(٤٠٢٧)، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في القمص، رقم(١٧٦٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت...»، رقم(٣٦٦٥)، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم جر الثوب خيلاء...، رقم(٢٠٨٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه خيلاء، رقم(٥٧٨٨)، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم جر الثوب خيلاء...، رقم(٢٠٨٧).

ففي النَّارِ». رواه البخاري[١].

٧٩٤/٥ - وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القِيَامةِ، ولا يَنْظُرُ إلَيْهِم، ولا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مِرارٍ، قال أبو ذرٍّ: خابُوا وخَسروا! مَنْ هُمْ يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلفِ الكاذِبِ» رواه مسلم[٢]. وفي روايةٍ له: «المُسْبِلُ إزَارَهُ».

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها النووي رحمه الله في رياض الصالحين في أدب اللباس، فيها أحاديث تدل على أن أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص، وذلك أن القميص أستر من الإزار والرداء، وكانوا في عهد الرسول ﷺ يلبسون الإزار والرداء أحيانًا، وأحيانًا يلبسون القميص، وكان النبي ﷺ يحب القميص؛ لأنه أستر، ولأنه قطعة واحدة يلبسها الإنسان مرة واحدة، فهي أسهل من أن يلبس الإزار أولاً ثم الرداء ثانيًا.

ولكن مع ذلك لو كنت في بلد يعتادون لباس الأزر والأردية ولبست مثلهم فلا حرج، المهم ألا تخالف لباس أهل بلدك فتقع في

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار، رقم(٥٧٨٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، رقم(١٠٦).

الشهرة وقد نهى النبي ﷺ عن لباس الشهرة.

وفي هذه الأحاديث أيضًا دليلٌ على أن كم القميص يكون إلى الرسغ، والرسغ هو الوسط بين الكوع والكرسوع؛ لأن الإنسان له مرفق وهو المفصل الذي بين العضد والذراع، وله كوع وكرسوع ورسغ، فالكوع: هو طرف الذراع مما يلي الكف من جهة الإبهام. والكرسوع: طرف عظم الذراع مما يلي الكف من جهة الخنصر، وأما الرسغ فهو ما بينهما، وعلى هذا قول الناظم:

وعظمٌ يلي الإبهام كوعُ وما يلي
الخنصر الكرسوع والرسغ ما وسط
وعظم يلي إبهام رجلٍ ملقبٌ ببوع
فخذ بالعلم واحذر من الغلط

والعوام إذا أرادوا ضرب المثل بالإنسان الأبله، قالوا: هذا رجل لا يعرف كوعه من كرسوعه.

وأكثر الناس يظنون أن الكوع: هو المرفق الذي إليه منتهى الوضوء؛ ولكن ليس كذلك، فما عند مفصل الكف من الذراع؛ مما يلي الخنصر فهو الكرسوع، وما يلي الإبهام فهو الكوع، وما بينهما فهو الرسغ. والنبي عليه الصلاة والسلام كان كم قميصه إلى الرسغ.

ثم ذكر المؤلف حديث ابن عمر، وحديث أبي هريرة رضي الله

عنهما في إسبال الثياب، وإسبال الثياب يقع على وجهين.

الوجه الأول: أن يجر الثوب خيلاء.

والوجه الثاني: أن ينزل الثوب أسفل من الكعبين من غير خيلاء.

أما الأول وهو الذي يجر ثوبه خيلاء، فإن النبي ﷺ ذكر له أربع عقوبات والعياذ بالله: لا يكلمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه ـ يعني نظر رحمة ـ ولا يزكيه، وله عذاب أليم. أربع عقوبات ـ نسأل الله العافية ـ يعاقب بها إذا جره خيلاء.

ولما سمع أبو بكر بهذا الحديث قال: يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي عليَّ إلا أن أتعاهده، يعني فهل يحق عليّ هذا الوعيد؟ فقال ﷺ: «**إنك لست ممن يصنع هذا خيلاء**» فزكاه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه لا يصنع هذا خيلاء، وإنما العقوبة على من فعله خيلاء.

أما من لم يفعله خيلاء، فعقوبته أهون، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما أسفل من الكعبين ففي النار**»، ولم يذكر إلا عقوبة واحدة، ثم هذه العقوبة أيضًا لا تعم البدن كله، إنما تختص بما فيه المخالفة؛ وهو ما نزل من الكعب، فإذا نزل ثوب الإنسان أو مشلحه أو سرواله إلى أسفل من الكعب، فإنه

يعاقب على هذا النازل بالنار، ولا تشمل النار كلّ الجسد، إنما يكوى بالنار والعياذ بالله بقدر ما نزل.

ولا تستغرب أن يكون العذاب على بعض البدن الذي حصلت فيه المخالفة، فإنه ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ رأى أصحابه توضئوا ولم يسبغوا الوضوء، فنادى بأعلى صوته «**ويل للأعقاب من النار**»[١] فهنا جعل العقوبة على الأعقاب، يعني العراقيب التي لم يسبغوا وضوءها، فالعقاب بالنار يكون عامًّا؛ كأن يحرق الإنسان كله بالنار والعياذ بالله، ويكون في بعض البدن الذي حصلت فيه المخالفة، ولا غرابة في ذلك.

وبهذا نعرف ضعف قول النووي رحمه الله: تحريم الإسبال خيلاء وكراهته لغير الخيلاء، والصحيح أنه حرام ما نزل من الكعبين سواء أكان خيلاء أم غير خيلاء؛ بل الصحيح أنه من كبائر الذنوب؛ لأن كبائر الذنوب: كل ذنب جعل الله عليه عقوبة خاصة به وهذا عليه عقوبة خاصة؛ ففيه الوعيد بالنار إذا كان لغير الخيلاء، وفيه الوعيد بالعقوبات الأربع إذا كان خيلاء، لا يكلمه الله يوم القيامة،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين، رقم(١٦٣)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، رقم(٢٤٠).

ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

وختم المؤلف بحديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» قرأها ثلاث مرات، وإنما فعل النبي عليه الصلاة والسلام هذا من أجل أن ينتبه الإنسان؛ لأن اللفظ إذا جاء مجملاً ـ ولا سيما مع التكرار ـ ينتبه الإنسان، ما هذا؟ حتى إذا جاءه التفصيل والبيان ورد على نفس متشوقة تطلب البيان.

فقال أبو ذر: يا رسول الله خابوا وخسروا من هؤلاء؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب**».

الأول المسبل: يعني الذي يجر ثوبه خيلاء.

والثاني المنان: الذي يمن بما أعطى، إذا أحسن إلى أحد بشيء جعل يمن عليه: فعلت بك كذا، وفعلت بك كذا، وفعلت بك كذا.

والمن من كبائر الذنوب؛ لأن عليه هذا الوعيد، وهو مبطل للأجر لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والثالث المنفِّق سلعته بالحلف الكاذب: يعني الذي يحلف وهو كاذب ليزيد ثمن السلعة، فيقول: والله لقد اشتريتها بعشرة، وهو لم يشترها إلا بثمانية، أو يقول: أعطيت فيها عشرة، وهو لم

يعط فيها إلا ثمانية، فيحلف على هذا، فهذا ممن يستحق هذه العقوبات الأربع؛ لا يكلمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم. نسأل الله العافية، والله الموفق.

* * *

٧/٧٩٦ ـ وعن أبي جُرَيٍّ جَابِرِ بن سُلَيْم رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَجلاً يصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأيْهِ؛ لا يَقُولُ شَيئًا إلا صَدَروا عنه؛ قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ. قلتُ: عَليك السلامُ يا رسولَ الله ـ مَرَّتيْن ـ قال: «لا تَقُل عَلَيْكَ السَّلامُ؛ عَلَيك السَّلام تحيةُ الموتى ـ قُل: السَّلام عَلَيك» قال: قلتُ: أنت رسول الله؟ قال: أنَّا رسول الله الذي إذا أصابَك ضُرٌّ فَدَعَوْتَه كَشَفَه عَنْكَ، وإذا أصابَك عَامُ سَنَة فَدَعَوْتَه أنبَتَها لكَ، وإذا كُنتَ بأرْضٍ قَفْرٍ أوْ فَلاةٍ، فَضَلَّت رَاحِلَتُكَ، فَدَعَوْته رَدَّها عَلَيْكَ» قال: قلتُ: اعْهدْ إليَّ. قال: «لا تَسُبَّنَّ أحدًا» قال: فَما سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، ولا عَبدًا، ولا بَعيرًا، ولا شاةً «ولا تَحقِرنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا، وأنْ تُكلِّم أخاك وأنْت مُنْبسِطٌ إليه وجهُك؛ إنَّ ذلك مِنَ المعرُوف. وارفع إزَارَكَ إلى نِصْف السَّاق، فإن أبَيتَ فَإلى الكَعْبَين، وإيَّاك وإسْبَالَ الإزَارِ فَإنَّها من المَخِيلةِ وإنَّ الله لا يحبُّ المَخيلَةَ، وإن امْرؤٌ شَتَمَكَ وعيَّرك بما يَعْلَمُ فِيكَ فلا تُعَيِّرهُ بما تَعْلَمُ فيه؛ فإنَّما وبالُ ذلك عليه» رواه أبوداود والترمذي[1] بإسناد

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، رقم(٤٠٨٤)، =

صحيح، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

ذكر المؤلف النووي رحمه الله في رياض الصالحين في كتاب اللباس، وما يتعلق بالإزار ونحو ذلك عن جابر بن سُليم رضي الله عنه أنه قدم المدينة فرأى رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه؛ يعني أنهم يأخذون بما يقول وبما يوجه؛ لأنه رسول الله ﷺ، فسأل من هذا؟ لأنه رجل لا يعرف النبي ﷺ قالوا: رسول الله، فجاء إليه فقال: أنت رسول الله؟ قال: نعم.

ولكنه قال: عليك السلام؛ فقدم الخبر فقال النبي ﷺ: «**لا تقل عليك السلام؛ عليك السلام تحية الموتى، ولكن قل السلام عليك**» ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**عليك السلام تحية الموتى**»، يعني أنهم كانوا في الجاهلية يسلمون على الأموات هكذا، كما قال الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عامر
ورحمته ما شاء أن يترحم

فكانوا في الجاهلية إذا سلَّموا على الأموات يقولون عليك

= والترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئًا. . .، رقم(٢٧٢٢).

السلام، لكنَّ الإسلام نسخ هذا وصار السلام يُقال لمن ابتُدئ به، السلام عليك، حتى الموتى كان النبي ﷺ يخرج إليهم إلى المقبرة يسلم عليهم فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، ولا يقول: عليكم السلام.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**قل السلام عليك**» دليلٌ على أن الإنسان إذا سلم على الواحد يقول: السلام عليك، وهكذا جاء أيضًا في حديث الرجل الذي يسمَّى المسيء في صلاته، أنه جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: السلام عليك؛ بالإفراد، وهذا هو الأفضل.

وقال بعض العلماء: تقول: السلام عليكم، تريد بذلك أن تسلم على الإنسان الذي سلمت عليه ومن معه من الملائكة، ولكن الذي وردت به السنة أولى وأحسن؛ أن تقول: السلام عليك، إلا إذا كانوا جماعة فإنك تسلم عليهم بلفظ السلام عليكم.

ثم إن النبي ﷺ بين له أنه رسول رب العالمين وهو سبحانه الذي يكشف الضر ويجلب النفع، فإذا ضاعت البعير في فلاة من الأرض فدعوت الله سبحانه وتعالى ردها عليك، يقول: «**وإذا أصابك سنة**» يعني جدبًا في الأرض وعدم نبات، «**فدعوته أنبتها لك**» أنبت الأرض لك، وكذلك إذا أصابك الضر فدعوت الله كشفه

عنك، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا﴾ [النمل: ٦٢].

فبيَّن له أنه ـ أي الله عزّ وجلَّ ـ يجلب لعباده الخير، وأنه إذا دعاه عبده لم يخب، وهكذا كل دعاء تدعو به ربك فإنك لا تخيب، لو لم يأتك من هذا إلا أن الدعاء عبادة تؤجر عليه؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لكفى.

وإذا لم يكن هناك موانع تمنع إجابة الدعاء، فإن الله تعالى إما أن يعطيك ما سألت وتراه رأى العين؛ تدعو الله بالشيء فيحصل، وإما أن يكشف عنك من الضر ما هو أعظم، وإما أن يدخر ذلك لك عنده، وإلا فلن يخيب من دعا الله عزَّ وجلَّ أبدًا.

ولكن إياك أن تستبطئ الإجابة فتقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي؛ فإن الشيطان قد يلقي في قلبك هذا ويقول: كم دعوت الله من مرة وما جاءك مطلوبك؟ ثم يقنطك من رحمة الله والعياذ بالله، وهذه من كبائر الذنوب، القنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب.

ولا تقنط من رحمة الله ولو تأخرت إجابة الدعاء، فأنت لا تدري ما هو الخير؟ ما أمرك الله تعالى بالدعاء إلا وهو يريد أن يستجيب لك، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[غافر: ٦٠]، لكنك تستعجل، انتظر وألح على الله بالدعاء، فربما أن الله عزَّ وجلَّ يؤخر إجابتك لأجل أن تكثر من الدعاء فتزداد حسناتك، وتعرف قدر نفسك، وتعرف قدر حاجتك إلى الله عزَّ وجلَّ، فهذا خير.

فإياك أن تستعجل، وألح على الله في الدعاء، والله سبحانه وتعالى يحبّ الملحين في الدعاء المبالغين فيه؛ لأن الإنسان يدعو من إليه المنتهى عزَّ وجلَّ، من بيده ملكوت كل شيء.

وسواء كان ذلك في صلاتك أو في خلواتك، ادع الله بما شئت حتى وأنت تصلي، ادع الله بما شئت؛ لأن النبي ﷺ قال: «أما السجود فأكثروا فيه من الدعاء»[١]، وقال حين ذكر التشهد: «ثم ليتخير من الدعاء ما شاء»[٢]، فليس للإنسان أحد سوى الله، فليلجأ إليه في كل دقيق وجليل، حتى إنه جاء في الحديث «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع»[٣]، شراك النعل أدنى شيء يُسأله الله عزَّ وجلَّ؛ لأن السؤال عبادة والتجاء إلى الله عزَّ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقم(٤٧٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد...، رقم(٨٣٥)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم(٤٠٢) [٥٨].

(٣) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ليسأل الحاجة مهما صغرت، رقم (٣٩٧٣).

وجلَّ وإنابة إليه وارتباط به سبحانه وتعالى، يكون قلبك دائمًا مع الله سبحانه وتعالى، فأكثر من الدعاء.

ثم إن النبي ﷺ أمر جابر بن سليم ألا يحقرنَّ من المعروف شيئًا، كل معروف افعله سواء كان قولاً أو فعلاً أو جاهًا أو أي شيء، لا تحقر شيئًا من المعروف، فإن المعروف من الإحسان، والله سبحانه وتعالى يحب المحسنين.

فلو ساعدت إنسانًا على تحميل عفشه في السيارة؛ فهذا معروف، لو أدنيت له شيئًا يحتاج إليه؛ فهذا من المعروف، لو أعطيته القلم يكتب به؛ فهذا من المعروف، لو أعطيته حافظة من أجل أن يحفظ بها شيئًا من الأشياء؛ فهذا من المعروف، لا تحقرن من المعروف شيئًا، أَحْسِنْ فإن الله يحب المحسنين.

واعلم أن هناك قاعدة إذا ذكرها الإنسان سَهُل عليه الإحسان، وهي ما ثبت عن النبي ﷺ من قوله: «**ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»[1]، وما ظنك إذا كان الله في حاجتك؟ هل تتعثر الأمور؟ الجواب: لا، إذا كان الله في حاجتك فإنه يساعدك على حاجتك ويعينك عليها، فلا شك أنها سوف تتسهل، فأنت كلما

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، رقم(٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم(٢٥٨٠).

كنت في حاجة أخيك كان الله في حاجتك، فأكثر من المعروف، أكثر من الإحسان، ولا تحقرن شيئًا ولو كان قليلاً، قال النبي ﷺ: «**لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**»[1]، أي لا تحقر ولو هذا الشيء القليل.

ثم قال النبي ﷺ لجابر بن سليم: «**وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف**». لما قال: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا**» بين أن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق لا معبس ولا مكفهر، بل يكون منبسطًا؛ وذلك لأن هذا يدخل السرور على أخيك، وكل ما أدخل السرور على أخيك فإنه معروف وإحسان، والله يحب المحسنين، وهذا لا شك أنه خير، إلا أنه في بعض الأحيان قد يكون المرء الذي يخاطبك من المصلحة ألا تلقاه بوجه منبسط؛ كأن يكون قد فعل شيئًا لا يحمد عليه، فلا تلقه بوجه منبسط تعزيرًا له، لأجل أن يرتدع ويتأدب، ولكل مقام مقال.

ثم إن النبي ﷺ أمره أن يرفع إزاره إلى نصف الساق، فإن أبى فإلى الكعبين، وهذا يدل على أن رفع الإزار إلى نصف الساق أفضل، ولكن لا حرج أن ينزل إلى الكعبين؛ وذلك لأن هذا من باب

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا تحقرن جارة لجارتها، رقم(٦٠١٧)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل...، رقم(١٠٣٠).

الرخصة، وليس بلازم أن الإنسان لابد أن يرفع إزاره إلى نصف الساق، أو يرى أن ذلك حتم عليه، وأن الذي لا يرفع قد خالف السنة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «فإن أبيت فإلى الكعبين» ولم يقل فإن أبيت فعليك كذا وكذا من الوعيد، فدل ذلك على أن الأمر في هذا واسع.

وقد مرَّ علينا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: «إن أحد شقي إزاري يسترخي عليَّ إلا أن أتعاهده».

وقلنا إن هذا يدل على أن إزار أبي بكر رضي الله عنه كان نازلاً عن نصف الساق، وأن هذا لا بأس به، فلا ينبغي للإنسان أن يشدد على نفسه أو على الناس، بحيث يرى أنه لزام عليه أن يجعل سرواله أو ثوبه أو مشلحه إلى نصف الساق، فالأمر في هذا واسع، هو سنة ولكن مع ذلك الأمر فيه واسع ولله الحمد بترخيص النبي ﷺ.

ثم حذر النبي ﷺ جابر بن سليم من المخيلة، يعني أن يختال في مشيته أو ثوبه أو عمامته أو مشلحه أو كلامه أو أي شيء يفعله خيلاء، فإن الله لا يحب ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]، فالإنسان ينبغي له أن يكون متواضعًا دائمًا في لباسه ومشيته وهيئته وكل أحواله؛ لأن مَنْ تواضع لله رفعه الله.

فهذه الآداب التي علمها النبي ﷺ أمته، ينبغي للإنسان أن

يتأدب بها؛ لأنه يحصل على أمرين:

أولاً: امتثال أمر النبي ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النساء: ١٣].

ثانيًا: التأدب بهذه الآداب الراقية التي لا يستطيع أحد من البشر أن يوجه الناس إلى آداب مثلها أبدًا، لأن الآداب التي جاء بها الشرع هي خير الآداب.

ثم إن النبي ﷺ قال: «**وإن امرؤٌ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم، فإنما وبال ذلك عليه**» وذلك أن الإنسان ينبغي له أن يعفو ويصفح ولا يجعل كل كلمة يسمعها يبني عليها في الحكم على الناس، تغاضَ عن الشيء واعف واصفح، فإن الله تعالى يحب العافين عن الناس ويثيبهم على ذلك، وأنت إذا عيرته أو سببته بما تعلم فيه طال النزاع، وربما حصل بذلك العداوة والبغضاء، فإذا كففت وسكت هدأت الأمور.

وهذا شيء مجرب؛ أن الإنسان إذا سابّ أحدًا طال السباب بينهما وحصل تفرق وتباغض، وإذا سكت فإنه قد يكون أنفع، كما قال الله تبارك وتعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، يعني قالوا قولاً يسلمون به، إما

أن يقولوا مثلاً: جزاك الله خيرًا، أعرض عن هذا، اترك الكلام وما أشبه ذلك.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يعني ما عفى وسهل من أخلاق الناس، ولا تُرد من الناس أن يكونوا على أكمل حال بالنسبة لك، الناس ليسوا على هواك، لكن خذ منهم ما عفى وما سهل، وما صعب فلا تطلبه، ولهذا قال: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الجاهل إذا سبَّك أو شتمك أو ما أشبه ذلك، فأعرض عنه، فإن هذا هو الخير وهو المصلحة والمنفعة.

* * *

٨/٧٩٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رجُل يُصَلِّي مُسْبِلٌ إزَارَه، قال رسول الله ﷺ: «اذهَب فتوضَّأ» فَذَهَبَ فَتَوَضَّأ، ثم جاءَ فقال: «اذْهَبْ فَتَوَضَّأ» فقال له رجُلٌ: يا رسول الله، ما لكَ أمَرْتَهُ أَن يَتَوَضَّأ ثم سَكَتَّ عنه، قال: «إنه كانَ يَصَلِّي وهو مُسْبِلٌ إزَارَهُ، وإن الله لا يَقْبَلُ صَلاةَ رَجُلٍ مُسبِلٍ».

رواه أبوداود[1] بإسناد صحيح على شرط مسلم.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، رقم(٤٠٨٦).

الشرح

في الأحاديث السابقة بين النبي ﷺ أن من جرَّ ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه، ولا يكلمه يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب أليم، وأن ما أسفل من الكعبين ففي النار، و بيَّنا أن هذا من كبائر الذنوب، وأنه لا يحل للإنسان أن يلبس ثوبًا نازلاً عن الكعب، وأما ما كان على حذاء الكعب يعني على وزن الكعب فلا بأس به، وكذلك ما ارتفع إلى نصف الساق، فما بين نصف الساق إلى الكعب كله من الألبسة المرخص فيها.

والإنسان في حل وفي سعة إذا لبس إزارًا أو سروالاً أو قميصًا أو مشْلحًا يكون فيما بين ذلك، وأما ما نزل عن الكعب فحرام بكل حال؛ بل هو من كبائر الذنوب.

ثم اختلف العلماء رحمهم الله فيما لو صلى الإنسان وهو مسبل، يعني قد نزل ثوبه أو سرواله أو إزاره أو مشلحه الذي يستر ولا يشف، اختلف في هذا أهل العلم، هل تصح صلاته أو لا تصح؟

فمن العلماء من قال: إنها لا تصح صلاته؛ لأنه ليس ثوبًا محرمًا، والله سبحانه وتعالى إنما أباح لنا أن نلبس ما أحل لنا، فإن قوله: ﴿۞ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ﴾ [الأعراف: ٣١]

يعني ثيابكم، يريد بها ما أباح لنا وما أحله لنا، وأما ما حرمه علينا فلسنا مأمورين به، بل نحن منهيون عنه.

واستدل الذي يقولون بأن الله لا يقبل صلاته إذا أسبل، بهذا الحديث الذي ذكره المؤلف عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ رأى رجلاً مسبلاً فقال له النبي ﷺ: «اذهب فتوضأ»، فذهب فتوضأ، ثم رجع فقال: «اذهب فتوضأ»، ثم سأل النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله ما لك أمرته أن يتوضأ؟ قال: «إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة مسبل». وهذا نصٌّ صريحٌ في أن الله لا يقبل صلاة المسبل؛ يعني فتكون صلاته فاسدةً، ويُلزم بإعادتها.

والمؤلف يقول: رواه أبوداود بإسناد صحيح على شرط مسلم. ولكن هذا فيه نظر، فإن الحديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ.

والصحيح من أقوال العلماء أن صلاة المسبل صحيحة، ولكنه آثم، ومثل ذلك أيضًا من لبس ثوبًا محرمًا عليه؛ كثوب سرقه الإنسان فصلَّى به، أو ثوب فيه تصاوير؛ فيه صليب مثلاً، أو فيه صور حيوان، فكل هذا يحرم لبسه في الصلاة وفي خارج الصلاة، فإذا صلى الإنسان في مثل هذا فالصلاة صحيحة، لكنه آثم بلبسه.

هذا هو القول الراجح في هذه المسألة؛ لأن النهي هنا ليس نهيًا خاصًّا بالصلاة، فلبس الثوب المحرم عام في الصلاة وغيرها، فلا

يختص بها فلا يبطلها، هذه هي القاعدة التي أخذ بها جمهور العلماء رحمهم الله، وهي القاعدة الصحيحة.

وهذا الحديث لو صحَّ لكان فاصلاً للنزاع، لكنه ضعيف، فمن ضعفه قال: صلاة المسبل صحيحة. ومن صححه قال: صلاة المسبل غير صحيحة، وعلى كل حال فإن الإنسان يجب عليه أن يتقي الله عزَّ وجلَّ وألا يتخذ من نعمته وسيلة لغضبه ـ والعياذ بالله ـ فإن من بارز الله بالعصيان وقيل له: إن الثوب النازل عن الكعب حرامٌ ومن كبائر الذنوب ولكنه لم يبال بهذا، فهذا استعان بنعمة الله على معصية الله، نسأل الله لنا ولكم العافية.

* * *

٩/٧٩٨ ـ وعن قيس بن بشرٍ التَّغْلِبيِّ قال: أخبرْني أبي ـ وكان جَلِيسًا لأبي الدّرداء ـ قال: كان بِدِمشقَ رَجُلٌ من أصحَابِ النبي ﷺ يقال له سهل بن الحَنْظَلِيَّة، وكان رجُلاً مُتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إنَّمَا هو صَلاةٌ، فَإذَا فَرَغَ فَإنَّما هو تَسبيحٌ وتكبيرٌ حتى يأتي أهْلَهُ، فمرَّ بنَا ونحنُ عِنْدَ أبي الدَّرداء.

فقال له أبو الدَّرداء: كَلِمةً تَنْفَعُنَا ولا تَضُرُّكَ، قال: بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنهم فَجَلَسَ في المَجْلِس الذي يَجلِسُ فيه رسول الله ﷺ، فقال لِرَجُلٍ إلى جَنْبِهِ: لَوْ رَأيتَنَا حِينَ التَقَيْنَا نحنُ

والعَدُو، فَحَمَلَ فُلانٌ وَطَعَنَ، فقال: خُذْها مِنِّي، وأنا الغُلامُ الغِفَارِيُّ، كَيْف تَرَى في قولِهِ؟ قال: مَا أرَاهُ إلا قَدْ بَطَلَ أجرُهُ. فَسَمِعَ بذلكَ آخَرُ فقال: مَا أرى بِذلك بَأسًا، فَتَنَازَعَا حتى سَمِعَ رسول الله ﷺ فقال: «سُبْحَان الله؟ لا بَأسَ أن يُؤجَرَ ويُحْمَدَ» فَرَأيْتُ أبَا الدَّرداء سُرَّ بذلك، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأسَه إليْهِ وَيَقُولُ: أنْت سَمِعْتَ ذلك مِنْ رسول الله ﷺ؟! فيقول: نعَمْ. فما زالَ يعيدُ عَلَيْهِ حتى إنِّي لأقولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى ركبَتَيْه.

قال: فَمَرَّ بنَا يَوْمًا آخَرَ، فقال له أبُو الدَّرداءِ: كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «المُنْفِقُ عَلى الخَيْلِ كالبَاسِطِ يَده بالصَّدقة لا يَقْبِضُها».

ثم مَرَّ بِنَا يومًا آخرَ، فقال له أبُو الدَّدراء: كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا ولا تَضُرُّكَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ خُريمٌ الأسيدِي! لَولاَ طُولُ جُمَّتِهِ وَإسْبَالُ إزَارِهِ!» فَبَلَغَ خُرَيْمًا، فَعَجَّلَ، فَأخَذَ شَفرةً فَقَطَعَ بها جُمَّتَهُ إلى أذنيْه، ورَفَعَ إزَارَهُ إلى أنْصَافِ سَاقَيْهِ.

ثمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أبُو الدِّرداء: كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا ولا تَضُرُّكَ، قال: سَمِعْتُ رسُول الله ﷺ يقولُ: «إنَّكُمْ قَادِمُون عَلَى إخْوانِكُمْ، فَأصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وأصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حتى تَكونُوا كأنَّكُمْ شَامَةٌ في النَّاسِ؛ فَإنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ».

رواه أبوداود[١] بإسنادٍ حسنٍ، إلا قَيْسَ بن بشر، فاخْتَلَفُوا في تَوثيقِهِ وتَضْعِيفِهِ، وقد روى له مسلم.

الشرح

أما الحديث الذي ذكره أخيرًا؛ ففيه عبر في قصة ابن الحنظلية رضي الله عنه، حيث كان رجلاً يحب التفرد، ما هو إلا صلاة ثم تسبيح ثم في شأن أهله، يعني أنه لا يحب أن يذهب عمره سدًى مع الناس في القيل والقال والكلام الفارغ الذي ليس فيه فائدة، يصلي ويسبح ويكون في أهله.

فمرَّ ذات يوم بأبي الدرداء رضي الله عنه وهو جالس مع أصحابه، فقال له أبو الدرداء رضي الله عنه: كلمة تنفعنا ولا تضرك؛ يعني أعطنا كلمة أو قل لنا كلمة تنفعنا ولا تضرك، فذكر ابن الحنظلية أن النبي ﷺ بعث سرية ثم قدمت السرية. والسرية يعني الجيش القليل، أقل من أربعمائة نفر، يذهبون يقاتلون الكفار إذا لم يسلموا، فقدموا إلى النبي ﷺ فجلس أحدهم في المكان الذي يجلس فيه الرسول عليه الصلاة والسلام، وجعل يتحدث عن السرية وما صنعته، وذكر رجلاً راميًا يرمي ويقول: خذها وأنا الغلام الغفاري؛ يفتخر.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، رقم(٤٠٨٩).

والحرب لا بأس أن الإنسان يفتخر فيها أمام العدو، ولهذا جاز للإنسان في مقابلة الأعداء، أن يمشي الخيلاء وأن يتبختر في مشيته، وأن يضع على عمامته ريش النعام وما أشبه ذلك، مما يعد مفخرة؛ لأن هذا يغيظ الأعداء، وكل شيء يغيظ الكفار فلك فيه أجر عند الله، حتى الكلام الذي يغيظ الكافر ويذله هو عز لك عند الله عزَّ وجلَّ وأجر.

هذا الغلام الغفاري يفتخر ويقول: خذها، يعني خذ الرمية وأنا الغلام الغفاري. فقال بعض الحاضرين: بطل أجره؛ لأنه افتخر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ﴾ وهذا صحيح أن الله لا يحب كل مختال فخور إلا في الحرب، فقال الآخر: لا بأس في ذلك.

فصار بينهم كلام، فخرج النبي ﷺ وهم يتنازعون فقال: «**سبحان الله**» يعني تنزيهًا لله عزَّ وجلَّ عن كل عيب ونقص؛ لأن الله تعالى كامل الصفات من كل وجه، ليس في علمه قصور، ولا في قدرته قصور، ولا في حكمته قصور، ولا في عزته قصور، كل صفاته جلَّ وعلا كاملة من جميع الوجوه.

قال: «**سبحان الله**»؛ يعني كيف تتنازعون في هذا؟ «**لا بأس أن يحمد ويؤجر**»، يعني يجمع الله له بين خيري الدين والدنيا، يُحمد بأنه رجل شجاع رامٍ وأنه يؤجر عند الله عزَّ وجلَّ، فلا بأس في هذا.

وكان عامر بن الأكوع رضي الله عنه لما لحق القوم في عهد الرسول ﷺ كان يقول:

خـــذهـــا وأنـــا الابـــن الأكـــوع

واليـــوم يـــوم الـــرضـــع

فلا بأس أن يفتخر الإنسان في حال الحرب بنفسه وقوته وعشيرته وما أشبه ذلك.

ومر ابن الحنظلية بأبي الدرداء يومًا آخر فقال له أبو الدرداء: كلمة تنفعنا ولا تضرك، يعني علمنا كلمة تنفعنا ولا تضرك، فأخبره أن النبي ﷺ قال: «**المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها**»؛ لأن الخيل في ذلك الوقت هي المركوب الذي يركب عليه في الجهاد في سبيل الله، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها، فيكون الإنفاق على الخيل من الصدقات؛ لأنها تستعمل في الجهاد في سبيل الله.

ثم مر به مرة أخرى فقال: كلمة تنفعنا ولا تضرك، فأخبره أن النبي ﷺ أثنى على رجل إلا أنه قال «**لولا طول جمته وإسبال إزاره**»، الجمة: الشعر؛ يعني أنه عنده شيء من الخيلاء.

هذا الرجل قد أطال شعره وأطال ثوبه، فسمع الرجل بذلك فقص جمته حتى صارت إلى كتفه وقصر ثوبه.

وفي هذا دليلٌ على أن طولها، أي طول الجمة ـ يعني الشعر للرجال ـ من المخيلة، وأن الشعر للرجل لا يتجاوز الكتف أو شحمة الأذن أو ما أشبه ذلك؛ لأن الذي يحتاج إلى التجمل بالرأس هي المرأة، وفي هذا إشارة إلى أن الرجال لا يجوز لهم أن يتشبهوا بالنساء في الشعر أو في غير الشعر؛ لأن النبي ﷺ لعن المتشبيهن من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[١].

والله سبحانه وتعالى جعل الذكور جنسًا والإناث جنسًا، وأحلَّ لكل واحد منهما ما يناسبه، فلا يجوز أن يلحق الرجال بالنساء، ولا أعلم أن أحدًا من المسلمين ألحق النساء بالرجال في كل شيء.

لكن الكفار الذين انتكسوا ونكس الله فطرتهم وطبيعتهم هم الذين يقدمون النساء، ويقولون لابد أن تشارك المرأة الرجل حتى لا يحصل فرق، ولا شك أن هذا خلاف الفطرة التي جبل الله عليها الخلق، وخلاف الشريعة التي جاءت بها الرسل، فالنساء لهن خصائص والرجال لهم خصائص.

ثم إن الرجل سمع بذلك فقص جمته، وفيه دليلٌ على امتثال

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء، رقم (٢٧٨٤)، وأبوداود، كتاب اللباس، باب في لباس النساء، رقم (٤٠٩٧)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب في المخنثين، رقم (١٩٠٤).

الصحابة رضي الله عنهم لأمر النبي ﷺ واسترشادهم بإرشاده، وأنهم يتسابقون إلى ما يقول، وهذا علامة الإيمان.

أما المتباطئ في تنفيذ أمر الله ورسوله، فإن فيه شبهًا من المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، تجده مثلاً يُخْبَرُ عن حكم الله ورسوله في شيء، ثم يتباطأ ويتثاقل وكأنما وضع على رأسه صخرة والعياذ بالله، ثم يذهب إلى كل عالم لعله يجد رخصة، مع أن العلماء قالوا: إن تتبع الرخص من الفسق والعياذ بالله، والمتتبع للرخص فاسق، حتى إن بعضهم قال: إن من تتبع الرخص فقد تزندق أي صار زنديقًا.

فعلى الإنسان إذا بلغه أمر الله ورسوله من شخص يثق به في علمه وفي دينه ألا يتردد، وأقول في علمه ودينه؛ لأن من الناس من هو دَيِّن ملتزم متقٍ لكن ليس عنده علم، تجده يحفظ حديثًا من أحاديث الرسول ثم يقوم يتكلم في الناس وكأنه إمام من الأئمة، وهذا يجب الحذر منه ومن فتاواه، لأنه قد يخطئ كثيرًا لقلة علمه.

ومن الناس من يكون عنده علم واسع لكن له هوى والعياذ بالله، يفتي الناس بما يرضي الناس لا بما يرضي الله، وهذا يسمَّى عالم الأمة. فالعلماء ثلاثة أقسام: عالم ملة، وعالم دولة، وعالم أمة.

أما **عالم الملة** فهو الذي ينشر دين الإسلام، ويفتي بدين الإسلام عن علم، ولا يبالي بما دلَّ عليه الشرع أوافق أهواء الناس أم لم يوافق.

وأما **عالم الدولة** فهو الذي ينظر ماذا تريد الدولة فيفتي بما تريد الدولة، ولو كان في ذلك تحريف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأما **عالم الأمة** فهو الذي ينظر ماذا يرضي الناس، إذا رأى الناس على شيء أفتى بما يرضيهم، ثم يحاول أن يحرف نصوص الكتاب والسنة من أجل موافقة أهواء الناس نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من علماء الملة العاملين بها.

فالحاصل أن الإنسان يجب عليه ألا يغرر بدينه وألا يغتر؛ بل يكون مطمئنًا حتى يجد من يثق به في علمه ودينه ويأخذ دينه منه. كما قال أحد السلف: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

لأن هذا العلم دين وطريق إلى الله عزَّ وجلَّ، ثم إن هؤلاء المغرمين بالكفار وتقليدهم والعياذ بالله تجدهم يقلدون الكفار في الملابس، فإذا جاءت هذه المجلات التي يسمونها البردة وغيرها اشتروها مباشرة وذهبوا بها إلى أهل البيت، وقالوا: انظروا إلى هذه الملابس، فتجد صورًا خليعة وألبسة مخالفة للشريعة، والنساء

لقصرهن نظرًا ونقصهن عقلاً ودينًا، إذا رأت شيئًا يعجبها يمليه عليها هواها قالت لزوجها: أريد مثل هذا، فيصبح الشعب المسلم في زيِّه كزي الشعب الكافر والعياذ بالله، وهذه مسألة خطيرة فإنه «من تشبه بقوم فهو منهم»(١).

ومن ذلك الآن ما تفعله النساء برؤوسهن، كان النساء إلى عهد قريب تفرح المرأة إذا طال شعرها، والخاطب إذا خطب امرأة كان يسأل عن شعرها أطويل هو أم قصير؟ أما الآن فصار الأمر بالعكس، المرأة تقص رأسها حتى يكون قريبًا من رأس الرجل أو مثل رأس الرجل، نسأل الله العافية.

ثم بدأن أيضًا بقصد التقليد يستعملن ما يسمى «بالخنفسة» تجد المرأة تقص سوالف رأسها ـ مقدم الرأس ـ والباقي يبقى مقصرًا مشرفًا، كل هذا بسبب الغفلة من الرجال وإهمال واجب المسؤولية والرعاية.

إذا رأيت أهلك مقصرين في واجب لله عزَّ وجلَّ مُرهم به، واجبرهم عليه، وإذا رأيتهم يخالفون الشرع في شيء من الأمور الأخرى فألزمهم بالشرع؛ لأنك مسؤول والذي أعطاك هذه المسؤولية وهذه الإمارة على أهلك هو الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم(٤٠٣١).

«**الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته**»[(١)].

الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، ولم يقل: راعٍ وسكت، لو كان كذلك لهان الأمر، لكن قال: ومسؤول عن رعيته، فانظر ماذا يكون جوابك إذا وقفت يوم القيامة بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فعلينا أن ننتبه إلى هذه الأمور، قبل أن يجرفنا السيل الجرار الذي لا يبقي ولا يذر والعياذ بالله، ثم تنقلب عاداتنا وأحوالنا كأحوال النصارى.

ثم ذكر في بقية الحديث أن النبي ﷺ أرشدهم إلى أن يخرج الرجل على وجه يرضي قال: «**إنكم قادمون على إخوانكم**» يعني فأصلحوا أحوالكم وأصلحوا ثيابكم؛ لأنه من المعروف فيما سبق أن المسافر تكون ثيابه رثة، ويكون شعره شعثاً، ويكون عليه الغبار، ليس الأمر كاليوم، فاليوم تسافر ـ ولله الحمد ـ بالطائرات نظيفة ونزيهة وليس فيها شيء، لكن فيما سبق كان الأمر على العكس من هذا، فأمرهم أن يصلحوا أحوالهم؛ يعني الشعر الشعث

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، رقم(٥١٨٨)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر...، رقم(١٨٢٩).

يُرَجَّل ويصلح، وكذلك يتنظف الإنسان ويلبس الثياب التي ليست ثياب سفر، حتى يلقى الناس دون أن يشمئزوا منه.

وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يلاحظ نفسه في هذه الأمور ولا يكون غافلاً، حتى جمال الثياب؛ فإنه لما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر**» قالوا: يا رسول الله كلنا يُحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله جميلٌ يحب الجمال**» يعني يحب التجمل، ليكن ثوبك حسنًا ونعلك حسنًا وهيئتك حسنة.

«**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(١)، وبطر الحق يعني رده؛ أن الإنسان يستكبر عن الحق، يُقال: هذا حق؛ فيعرض والعياذ بالله. وغمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم وألا يراهم شيئًا. قال رجل لابنه يا بني كيف ترى الناس؟ قال: أراهم ملوكًا. قال: هم يرونك كذلك. وقال آخر لابنه: كيف ترى الناس قال: لا أراهم شيئًا. قال: هم كذلك يرونك. يعني إذا رأيت الناس ملوكًا فهم يجعلونك ملكًا، وإذا لم ترهم شيئًا لا تكون أنت شيئًا عندهم، فالناس ينظرون إليك بقدر ما تنظر إليهم، والله الموفق.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم(٩١).

١٠ / ٧٧٩ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِزْرَةُ المُسلِمِ إلى نِصْفِ السَّاقِ، وَلاَ حَرَجَ ـ أَوْ لا جُنَاحَ ـ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، فَمَا كانَ أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَينِ فَهُوَ في النَّار، ومَنْ جَرَّ إزَارَهُ بَطرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليهِ».

رواه أبوداود[1] بإسناد صحيح.

١١ / ٨٠٠ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مَرَرْتُ على رَسُولِ الله ﷺ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ، فقال: «يَا عَبْدَ اللهِ، ارْفَعْ إزارَكَ» فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قالَ: «زِدْ»، فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْد. فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إلى أيْنَ؟ فَقَالَ: إلى أنْصَافِ السَّاقَيْنِ» رواه مسلم[2].

١٢ / ٨٠١ ـ وعنه رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خيلاء لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليْهِ يومَ القِيَامَةِ» فقالت أمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّساءُ بِذُيُولهنَّ؟ قال: «يُرْخِينَ شِبْرًا». قالت: إذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قال: «فَيَرْخِينَهُ ذِرَاعًا لا يَزِدْنَ».

رواه أبوداود، والترمذي[3] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في قدر الإزار، رقم(٤٠٩٣).
(٢) رواه مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم جر الثوب خيلاء، رقم(٢٠٨٦).
(٣) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في قدر الذيل، رقم(٤١١٩)، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في جر ذيول النساء، رقم(١٧٣١).

الشرح

هذه أحاديث ثلاثة ساقها الحافظ النووي رحمه الله في رياض الصالحين في آداب اللباس، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أزرة المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج، أو قال: لا جناح فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من الكعبين؛ فهو في النار، ومن جرَّ إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه». فقسم النبي ﷺ طول القميص إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: السنة: إلى نصف الساق.

القسم الثاني: الرخصة: وهو ما نزل من نصف الساق إلى الكعب.

القسم الثالث: كبيرة من كبائر الذنوب: وهو ما نزل عن الكعبين ولكنه لم يكن بطرًا.

القسم الرابع: من جرَّ ثوبه خيلاء أو بطرًا؛ وهو أشد من الذي قبله.

فصارت الأقسام أربعة: قسم هو السنة، وقسم جائز، وقسم محرم بل من كبائر الذنوب، لكنه دون الذي بعده، والقسم الرابع من جرَّه خيلاء، فإن الله تعالى لا ينظر إليه.

وفي هذا دليلٌ على أن من أنزل ثوبه؛ إزارًا أو قميصًا أو سروالاً

أو (مشلحًا) إلى أسفل من الكعبين؛ فإنه قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، سواء فعل ذلك خيلاء أو لغير الخيلاء؛ لأن النبي ﷺ فرق في هذا الحديث بين ما كان خيلاء وما لم يكن كذلك، فالذي جعله خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة.

وإذا حملنا هذا الحديث، أو ضممناه إلى حديث أبي ذر السابق قلنا: لا ينظر الله إليه، ولا يكلمه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

أما ما دون الكعبين، فإنه يعاقب عليه بالنار فقط، ولكن لا تحصل له العقوبات الأربع، وهي أن الله لا يكلمه، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

ثم ذكر حديث ابن عمر أن النبي ﷺ أمره أن يرفع إزاره، فرفعه ثم قال: «زد» ثم قال: «زد» حتى قال رجل: إلى أين يا رسول الله؟ قال: «**إلى أنصاف الساقين**» يعني الزيادة إلى فوق لا تتجاوز نصف الساق من فوق، لكنها من نصف الساق إلى الكعب كل هذا جائز، وكلما ارتفع إلى نصف الساق فهو أفضل.

وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رخَّص للنساء أن يرخين ذيولهن يعني أسفل ثيابهن إلى شبر، فقالت: إذًا تنكشف أقدامهن، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فيرخينه ذراعًا لا يزدن**» على ذلك؛ لأن المرأة قدمها عورة، فإذا برز للناس ورأوه فإن ذلك قد

يكون فيه فتنة، فإذا نزلت ثوبها وجعلت تمشي سترت قدمها.

وفي هذا دليلٌ على وجوب تغطية الوجه؛ لأنه إذا كانت القدم يجب سترها مع أن الفتنة فيها أقل من الفتنة في الوجه، فستر الوجه من باب أولى، ولا يمكن للشريعة التي نزلت من لدن حكيم خبير أن تقول للنساء يغطين أقدامهن ولا يغطين وجوههن؛ لأن هذا تناقض؛ بل هذا إعطاء للحكم في شيء وحجب الحكم عن شيء أولى منه، وهذا لا يتصور في الشريعة العادلة التي هي الميزان، ولهذا جانب الصواب من قال من العلماء: إنه يجب أن تُستر القدمان ولا يجب أن يُستر الوجه والعينان. هذا لا يمكن أبدًا، والصواب الذي لا شك عندنا فيه، أنه لا يحل للمرأة أن تكشف وجهها إلا لزوجها أو محارمها، والله الموفق.



١٢٠ـ بابُ استحبابِ تَركِ التَّرفعُ في اللِّباسِ تواضُعًا

قد سَبَقَ في بابِ فضل الجُوعِ وَخُشُونَةِ العَيْش جُمَلٌ تَتَعَلَّقُ بِهذا البَابِ.

١/٨٠٢ ـ وعن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «منْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَواضُعًا لله، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْه، دَعَاهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ عَلى رُؤوسِ الخَلائِقِ حتى يُخَيِّرَهُ مِنْ أيِّ حُلَلِ الإيمانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا» رواه الترمذي(١) وقال: حديثٌ حسنٌ.

* * *

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، رقم(٢٤٨١).

١٢١ـ بابُ استِحباب التوسُّط في اللِّباسِ ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

١/٨٠٣ ـ عن عمرو بن شُعَيْبٍ عن أبيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ أنْ يرى أثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» رواه الترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

عقد المؤلف رحمه الله في كتاب اللباس هذين البابين؛ الباب الأول: في استحباب ترك رفيع الثياب تواضعًا لله عزَّ وجلَّ. والثاني: في التوسط في اللباس.

أما الأول: فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من ترك اللباس ـ يعني اللباس الجميل الطيب ـ تواضعًا لله عزَّ وجلَّ ـ وهو يقدر عليه ـ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أيّ حُلل الإيمان شاء يلبسها».

وهذا يعني أن الإنسان إذا كان بين أناس متوسطي الحال لا يستطيعون اللباس الرفيع فتواضع وصار يلبس مثل لباسهم؛ لئلا

(١) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته. . .، رقم(٢٨١٩).

تنكسر قلوبهم، ولئلا يفخر عليهم، فإنه ينال هذا الأجر العظيم، أما إذا كان بين أناس قد أنعم الله عليهم ويلبسون الثياب الرفيعة لكنها غير محرمة، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم؛ لأن الله تعالى جميل يحب الجمال.

ولا شكَّ أن الإنسان إذا كان بين أناس رفيعي الحال يلبسون الثياب الجميلة ولبس دونهم، فإن هذا يعد لباس شهرة، فالإنسان ينظر ما تقتضيه الحال، فإذا كان ترك رفيع الثياب تواضعًا لله ومواساة لمن كان حوله من الناس؛ فإن له هذا الأجر العظيم، أما إذا كان بين أناس قد أغناهم الله ويلبسون الثياب الرفيعة، فإنه يلبس مثلهم.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله الاقتصاد في اللباس، وأن الإنسان يقتصد في جميع أحواله؛ في لباسه، وطعامه، وشرابه، لكن لا يجحد النعمة، فإن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، إذا أنعم على عبده نعمة فإنه يحب أن يرى أثر هذه النعمة عليه.

فإن كانت مالاً فإنه يحب سبحانه وتعالى أن يرى أثر هذا المال على من أنعم الله عليه به بالإنفاق، والصدقات، والمشاركة في الإحسان، والثياب الجميلة اللائقة به وغير ذلك.

وإذا أنعم الله على عبده بعلم فإنه يحب أن يرى أثر هذه النعمة عليه بالعمل بهذا العلم، في العبادة وحسن المعاملة، ونشر

الدعوة، وتعليم الناس وغير ذلك.

وكلَّما أنعم الله عليك نعمة فأرِ الله تعالى أثر هذه النعمة عليك، فإن هذا من شكر النعمة.

وأما من أنعم الله عليه بمال وصار لا يُرى عليه أثر النعمة؛ يخرج إلى الناس بلباس رث وكأنه أفقر عباد الله، فهذا في الحقيقة قد جحد نعمة الله عليه، كيف ينعم الله عليك بالمال والخير وتخرج إلى الناس بثياب كلباس الفقراء أو أقل، وكذلك ينعم الله عليك بالمال ثم تمسك ولا تنفق لا فيما أوجب الله عليك، ولا فيما ندب لك أن تنفق فيه.

ينعم الله عليك بالعلم فلا يُرى أثر هذه النعمة عليك، لا بزيادة عبادة أو خشوع أو حسن معاملة، ولا بتعليم الناس ونشر العلم.

كل هذا نوع من كتمان النعمة التي ينعم الله بها على العبد، والإنسان كلَّما أنعم الله عليه بنعمة، فإنه ينبغي أن يظهر أثر هذه النعمة عليه حتى لا يجحد نعمة الله، والله الموفق.

*　　*　　*

١٢٢ ـ بابُ تحريم لباس الحَرير على الرِّجال وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

١/٨٠٤ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ؛ فَإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ في الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ» متفقٌ عليه(١).

٢/٨٠٥ ـ وعنه رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسُول الله ﷺ يقولُ: «إنَّما يَلْبَسُ الحَريرَ مَنْ لا خَلاَقَ لَهُ» متفقٌ عليه(٢).

وفي روايةٍ للبُخاري: «مَنْ لا خَلاَقَ لَهُ في الآخرة».

قوله: «مَنْ لا خَلاقَ لَهُ»، أي: لا نصيب له.

٣/٨٠٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَبِسَ الحَريرَ في الدُّنيا؛ لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ» متفقٌ عليه(٣).

٤/٨٠٧ ـ وعن عليٍّ رضيَ الله عنهُ قال: رَأيْتُ رسُول الله ﷺ أخَذَ حَرِيرًا، فَجَعَلَهُ في يَمِينِهِ، وذَهَبًا فَجَعَلهُ في يَمِينِهِ، وذَهَبًا فَجَعَلَهُ في

---

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الذريرة، رقم(٥٨٣٠)، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال. . .، رقم(٢٠٦٩) [١١].

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الذريرة، رقم(٥٨٣٥)، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال. . .، رقم(٢٠٦٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الذريرة، رقم(٥٨٣٢)، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال. . .، رقم(٢٠٧٣).

شِمَالِهِ، ثُمَّ قال: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلى ذُكُورِ أُمَّتِي». رواه أبوداود[١] بإسناد حسن.

٥/٨٠٨ ـ وعن أبي مُوسى الأشعَري رضِيَ الله عنه أنَّ رسُول الله ﷺ قال: «حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ والذَّهَب عَلى ذُكُورِ أمَّتي، وأُحِل لإناثِهِمْ» رواه الترمذي[٢] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٦/٨٠٩ ـ وعن حُذَيْفَةَ رضِيَ الله عنه قال: نَهَانَا النَّبيُّ ﷺ أنْ نَشْرَبَ في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وأنْ نَأكُلَ فِيهَا، وعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ والدِّيبَاجِ، وأنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رواه البخاري[٣].

الشرح

قال النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين في كتاب اللباس، باب تحريم لباس الحرير على الرجال وافتراشه والاستناد إليه، هذه ثلاثة أمور: لباس الحرير، وافتراشه، والاستناد إليه، وقد جزم المؤلف بأن هذا حرام على الرجال، وذلك للأحاديث التي أوردها عن عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم، وكلها تدل على تحريم لباس الذهب، وعلى تحريم لباس الحرير

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء، رقم(٤٠٥٧).
(٢) رواه الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الحرير والذهب، رقم(١٧٢٠).
(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب افتراش الحرير، رقم(٥٨٣٧).

للرجال.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، يعني إذا لبس الرجل حريرًا في الدنيا، فإنه لا يلبسه في الآخرة، وهذا وعيد يدل على أنه - أي لباس الحرير - للرجال من كبائر الذنوب؛ لأن فيه الوعيد في الآخرة، وكل ذنب فيه وعيد في الآخرة فهو كبيرة من كبائر الذنوب عند أهل العلم، ولا فرق بين أن يكون قميصًا أو سراويل أو فنيلة أو غترة أو طاقية أو غير ذلك مما يلبس، كل هذا حرام على الرجال، ولا يجوز للرجال أن يلبسوا شيئًا من الحرير لا قليلاً ولا كثيرًا.

وفي حديث عليٍّ أن النبي ﷺ أخذ ذهبًا وحريرًا بيديه وقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي» وهو حلٌّ للإناث، والحكمة في ذلك أن المرأة محتاجة إلى التجمل لزوجها، فأبيح لها الذهب والحرير. وأما الرجل فليس في حاجة إلى ذلك، فلهذا حَرُمَ عليه لبس الذهب والحرير.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له»، يعني من لا نصيب له في الآخرة، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الإنسان إذا لبس الحرير في الدنيا؛ فإنه لا يدخل الجنة والعياذ بالله.

وقال أيضًا: «من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» وهذا يعني أنه لا يدخل الجنة، ولكن قال بعض العلماء: بل يدخلها، ولكن لا يتمتع بلباس الحرير مع أن أهل الجنة لباسهم فيها حرير، وإنما يلبس شيئًا آخر وهذا ما لم يتب، فإن تاب من ذنوبه فإن التائب من الذنب يغفر الله له ذنبه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذا في الحرير الطبيعي الذي يخرج من دود القزّ، وأما الحرير الصناعي فليس حرامًا، لكن لا ينبغي للرجل أن يلبسه لما فيه من الميوعة والتنزل بحال الرجل التي ينبغي أن يكون فيها خشنًا، يلبس ثياب الرجولة لا ثياب النعومة.

لكن الفائدة من قولنا: إن الحرير الصناعي ليس حرامًا، يعني لو لبس طاقية من الحرير الصناعي أو سروالاً لا يرى، فهذا لا بأس به، وأما القميص والغترة فلا ينبغي وإن كان حلالاً؛ لا ينبغي أن يلبسه الرجل لما فيه من الميوعة والتدني، ولأن الجاهل إذ رآه يظنه حريرًا طبيعيًّا، فيظن أن ذلك سائغ للرجال وربما يقتدي به، والسلامة أسلم للإنسان.

وكذلك الذهب فإنه محرم على الرجال حلال للنساء؛ لأنهن

يحتجن إلى التجمل لأزواجهن.

وأما «الدبلة» من الذهب فهي حرام على الرجل لا شك، وأما المرأة فإن قارن ذلك عقيدة، كاعتقادها أنها تحبب المرأة إلى زوجها، فهي حرام، وإن كان بدون عقيدة فهي خاتم من الخواتم، والله أعلم.

* * *

١٢٣ ـ بابُ جواز لبس الحرير لمَنْ به حكَّة

١/٨١٠ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: رَخَّصَ رسُولُ الله ﷺ، للزُّبَيرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ رضيَ الله عنهما في لُبْسِ الحَرِيرِ لحِكَّةٍ بهِمَا. متفقٌ عليه[١].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب ما يرخص للرجال من الحرير للحكة، رقم(٥٨٣٩)، ومسلم، كتاب اللباس، باب إباحة لبس الحرير للرجل إذا كان به حكة، رقم(٢٠٧٦).

١٢٤ـ باب النهيَ عَن افتراش جلود النمور والركوب عليها

١/٨١١ ـ عن مُعَاوِيَةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ».

حديثٌ حسنٌ، رواهُ أبوداود[(١)] وغيره بإسناد حسن.

٢/٨١٢ ـ وعن أبي المَلِيحِ عن أبيه رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ نَهى عَنْ جُلُودِ السِّباعِ.

رواهُ أبوداود، والترمذي، والنسائيُّ[(٢)] بأسانيد صحاح.

وفي رواية للترمذي: نهى عن جلود السباع أن تفترش.

* * *

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في جلود النمور والسباع، رقم(٤١٢٩).

(٢) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب في جلود النمور والسباع، رقم(٤١٣٢)، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في النهي عن جلود السباع، رقم(١٧٧١)، والنسائي، كتاب الفرع والعتيرة، باب النهي عن الانتفاع بجلود السباع، رقم (٤٢٥٣).

١٢٥ـ بابُ ما يقول إذا لَبِسَ ثوبًا جَديدًا

١/٨١٣ ـ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: كانَ رسول الله ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ ـ عِمَامَةً، أوْ قَمِيصًا، أوْ رِدَاءً ـ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ الحَمدُ أنْتَ كَسَوْتنيهِ، أسْأَلُكَ خَيْرَهُ وخَيرَ مَا صُنعَ لَهُ، وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنعَ لَهُ».

رواه أبوداود، والترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه الأبواب التي ذكرها المؤلف هي آخر أبواب كتاب اللباس في كتاب رياض الصالحين.

فالباب الأول: جواز لبس الحرير لمن به حكة.

وقد سبق أن النبي ﷺ نهى الرجال عن لبس الحرير وقال: «**إنما يلبسه من لا خلاق له**» وقال: «**من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**».

لكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك فإنه لا بأس به، مثل أن يكون في الإنسان حكة، يعني حساسية واحتاج إلى لبس الحرير، فإنه

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب منه، رقم(٤٠٢٠)، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا، رقم(١٧٦٧).

يلبسه ويكون مما يلي الجسد؛ لأن الحرير لين وناعم وبارد يناسب الحكة فيطفؤها؛ ولهذا رخص النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير أن يلبسا الحرير من حكة كانت بهما.

كذلك أيضًا إذا كان الحرير أربعة أصابع فأقل، يعني عرضه أربعة أصابع فأقل، فإنه لا بأس به؛ لأن النبي ﷺ رخَّص في ذلك، يعني مثلاً لو كان إنسان عنده جبة وفي فتحتها خيوط من الحرير أو تطريز من الحرير لا يتجاوز أربعة أصابع، فإن ذلك لا بأس به.

وكذلك إذا كان الثوب مختلطًا بين الحرير والقطن، أو بين الحرير والصوف، وكان الأكثر الصوف أو القطن، يعني أكثر من الحرير، فإنه لا بأس به. فهذه ثلاثة أمور.

الأمر الرابع: إذا كان في الحرب، يعني التقى الصفان بين المسلمين والكفار، فلا بأس أن يلبس الإنسان ثياب الحرير؛ لأن ذلك يغيظ الكفار، وكل شيء يغيظ الكفار فإنه مطلوب.

فهذه أربعة أشياء تستثنى:

الأول: إذا كان لحاجة كالحكة، ويكون مما يلي الجسد. والحكمة في ذلك واضحة.

الثاني: إذا كان أربعة أصابع فأقل.

والثالث: إذا كان مختلطًا والأكثر ظهورًا سوى الحرير.

والرابع: في الحرب من أجل إغاظة الكفار.

فهذه المواضع الأربعة لا بأس فيها من الحرير.

أما الباب الثاني: فهو لباس جلود النمار. والنّمار جمع نَمِر؛ وهو حيوان معروف، فلا يجوز للإنسان أن يلبس فروًا من جلود النمار، وكذلك لا يجوز للإنسان أن يلبس فروًا من جلود السباع، كما يدل عليه الحديث الآخر؛ لأن جلود السباع نجسة، كل السباع نجسة، وأخبثها الكلب؛ لأن نجاسة الكلب مغلظة، لا يكفي فيها إلا الغسل سبع مرات إحداها بالتراب، أما ما سواه من السباع فهو نجس، لكنه ليس بهذه الغلظة.

وعلى كل حال فجلود الذئاب، وجلود النمور، وأي جلود أخرى حرامٌ؛ كجلد الأُسْد مثلاً يحرم لبسها، وكذلك يحرم افتراشها؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، يعني لو جعلتها مقاعد تجلس عليها فإن ذلك حرام.

أما جلود الضأن، وجلود ما تحله الذكاة، فلا بأس أن يفترشها الإنسان، ولا بأس أن يلبسها أيضًا؛ لأنها طاهرة. والطاهر لا بأس باستعماله.

وأما الباب الثالث: فهو ما يقوله الإنسان إذا لبس ثوبًا جديدًا، ولا شك أن الإنسان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، ولا

شكَّ أن ما نأكله ونشربه ونلبسه من نعمة الله عزَّ وجلَّ، وأنه هو الذي خلقه لنا، ولولا أن الله يسره ما تيسر، لو شاء الله تعالى لفُقِدَ المال من بين أيدينا فلم نستطع أن نحصّل شيئًا، ولو شاء الله لوجد المال بيننا لكن لا نجد شيئًا نطعمه أو نلبسه أو نشربه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[الملك: ٣٠].

فكل ما بنا من نعمة فمن الله ومن ذلك اللباس، فإذا منَّ الله عليك بلباس جديد؛ قميص أو سروال أو غترة أو مشلح أو فنيلة ولبستها، فقل: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه**» وتسميه باسمه، اللهم لك الحمد أنت كسوتني هذا القميص، أنت كسوتني هذا السروال، أنت كسوتني هذه الغترة، أنت كسوتني هذه الطاقية، أنت كسوتني هذا المشلح، أنت كسوتني هذه الفنيلة، أي شيء تلبسه وهو جديد فاحمد الله وقل: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**».

فربما يكون هذا سبب شر عليك، ربما تأكل النار طرفه ثم تتقد حتى تقضي على هذا اللباس، وتقضي عليك أنت أيضًا، ربما يكون فيه أشياء سامة لا تعلم عنها شيئًا، وقد يحمل صاحبه على الكبر والترفع على الناس، أو قد يكون سببًا للفتنة وهي من أعظم الشر والفساد، كتلك الألبسة التي تتفنن النساء في صنعها مضاهاةً لغيرهن

من نساء الغرب الكافرات. فالمهم أنت تقول: «**اللهم إني أعوذ بك من شره وشر ما صنع له**» لأنه قد يصنع ويكون سببًا للشر، فهذه أربع جمل: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أعوذ بك من شره وشر ما صنع له، وأسألك من خيره وخير ما صنع له، والله الموفق.



كتاب آداب النوم

١٢٧- بابُ آداب النّوم والاضطجاع والقعود والمجلس والجليس والرؤيا

١/ ٨١٤ - عن البَرَاءِ بن عَازبٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ رسول الله ﷺ إذَا أَوَى إلى فِرَاشِهِ نَامَ على شِقِّهِ الأيمَن، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِيَ إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أمْرِي إِلَيْكَ، وألجَأتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِليكَ لا مَلْجأ وَلا مَنْجى منْكَ إلا إلَيكَ. آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ. وَنَبِيِّكَ الَّذي أرْسَلْتَ».

رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه[١].

٢/ ٨١٥ - وعنه رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتيتَ مَضَجَعَكَ فَتَوَضَّأ وُضُوءَكَ للصلاة، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّك الأيْمَنِ، وَقُلْ...» وَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَفيه: «وَاجعَلْهُنَّ آخِر مَا تَقُول» متفقٌ عليه[٢].

الشرح

عقد المؤلف رحمه الله في رياض الصالحين كتابًا في آداب النوم والجلوس والجليس، وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان في

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن، رقم(٦٣١٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهرًا...، رقم(٦٣١١)، ومسلم، كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم(٢٧١٠).

حياته، وهذا يدل على أن هذا الكتاب كتاب شامل عام ينبغي لكل مسلم أن يقتنيه وأن يقرأه وأن يفهم ما فيه.

فذكر المؤلف رحمه الله آداب النوم، والنوم من آيات الله عزَّ وجلَّ الدالة على كمال قدرته ورحمته وحكمته، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣]، وهو نعمة من الله سبحانه وتعالى على العبد؛ لأنه يستريح فيه من تعب سابق، وينشط فيه لعمل لاحق، فهو ينفع الإنسان فيما مضى وفيما يستقبل، وهو من كمال الحياة الدنيا، وذلك لأن الدنيا ناقصة، فتكمل بالنوم لأجل الراحة.

لكنه نقص من وجه آخر بالنسبة للقيوم عزَّ وجلَّ وهو الله، فإن الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته فهو لا يحتاج إلى النوم، ولا يحتاج إلى شيء، وهو الغني الحميد عزَّ وجلَّ.

لكن الإنسان في هذه الحياة الدنيا بشر ناقص يحتاج إلى تكميل، فمن ذلك النوم، والنوم عبارة عن أن الله سبحانه وتعالى يقبض النفس حين النوم، لكنه ليس القبض التام الذي تحصل به المفارقة التامة، ولذلك تجد الإنسان حيًّا ميتًا في الحقيقة لا يحس بما عنده؛ لا يسمع قولاً، ولا يبصر شخصًا، ولا يشم رائحة، ولكنه

لم تخرج نفسه من بدنه الخروج الكامل.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وهذه الوفاة الكبرى ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ يتوفاها في منامها، ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وهي الأولى ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وهي النائمة، يعني يطلقها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]؛ لأن كل شيء عند الله تعالى بمقدار، وكل شيء عنده بأجل مسمى، كل فعله جل وعلا حكمة في غاية الإتقان.

فهذا النوم من آيات الله عزَّ وجلَّ، تأتي القوم مثلاً في حجرة أو في سطح أو في بر، وهم نيام كأنهم موتى، ثم هؤلاء القوم يبعثهم الله عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠].

ثم إن الإنسان يعتبر بالنوم اعتبارًا آخر وهو إحياء الأموات بعد الموت، فإن القادر على رد الروح حتى يصحو الإنسان ويستيقظ ويعمل عمله في الدنيا، قادرٌ على أن يبعث الأموات من قبورهم، وهو على كل شيء قدير.

ومن **آداب النوم**: أن ينام الإنسان على الشق الأيمن؛ لأن هذا فعل النبي ﷺ وأمره، فالبراء بن عازب رضي الله عنه روى أن النبي

ﷺ كان يضطجع على شقه الأيمن، والنبي ﷺ أمر البراء بن عازب أن ينام على شقه الأيمن، هذا هو الأفضل، سواءٌ كانت القبلة خلفك أو أمامك أو عن يمينك أو عن شمالك، النوم على الأيمن هو المهم لأمر النبي ﷺ به.

بعض الناس اعتاد أن ينام على الجنب الأيسر ولو نام على الأيمن ربما لا يأتيه النوم، لكن عليه أن يعود نفسه؛ لأن المسألة ليست بالأمر الهين، ثبتت من فعل الرسول ﷺ وأمره، فأنت إذا نمت على الجنب الأيمن تشعر بأنك متبع للرسول عليه الصلاة والسلام حيث كان ينام على جنبه الأيمن، وممتثل لأمره حيث أمر به عليه الصلاة والسلام. فعود نفسك وجاهدها على ذلك يومًا أو يومين أو أسبوعًا حتى تستطيع النوم وأنت ممتثل لسنة نبيك ﷺ.

ومن السنن أيضًا إذا تيسر أن تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن؛ لأن هذا ثبت من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن تيسر لك ذلك فهو جيد وأفضل، وإن لم يتيسر فليس هو بالتأكيد كمثل النوم على الجنب الأيمن.

ومن ذلك أيضًا أن تقول هذا الذكر الذي قاله النبي ﷺ وأمر به؛ «**اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا**

منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت». واجعل هذا آخر ما تقول يعني بعد الأذكار الأخرى مثل: «**اللهم بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»(١) وما أشبه ذلك.

المهم اجعل هذا الذكر الذي علمه النبي ﷺ البراء بن عازب آخر ما تقول.

وقد أمر النبي ﷺ البراء بن عازب أن يعيد عليه هذا الذكر، فأعاده لكنه قال: وبرسولك الذي أرسلت، فقال له النبي ﷺ: لا، قل وبنبيك الذي أرسلت ولا تقل وبرسولك.

قال أهل العلم: وذلك لأن الرسول يطلق على الرسول البشري والرسول الملكي جبريل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠].

والنبي؛ للنبي البشري، وأنت إذا قلت بنبيك الذي أرسلت، جمعت بين الشهادتين للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة، فكان هذا اللفظ أولى من قولك ورسولك الذي أرسلت؛ لأنك لو قلت

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، رقم(٦٣٢٠)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم(٢٧١٤).

ورسولك الذي أرسلت يمكن أن يكون جبريل؛ لأن جبريل رسول أرسله الله إلى الأنبياء بالوحي فتقول: بنبيك الذي أرسلت.

فينبغي عليكم أن تحفظوا هذا الذكر، وأن تقولوه إذا اضطجعتم على فرشكم، وأن تجعلوه آخر ما تقولون امتثالاً لأمر النبي ﷺ، واتباعًا لسنته وهديه. هذه من آداب النوم.

ومن حكمة الله عزَّ وجلَّ ورحمته أنك لا تكاد تجد فعلاً للإنسان إلا وجدته مقرونًا بذكر؛ اللباس له ذكر، الأكل له ذكر، الشرب له ذكر، النوم له ذكر، حتى جماع الرجل امرأته له ذكر، كل شيء له ذكر. وذلك من أجل ألا يغفل الإنسان عن ذكر الله، يكون ذكر الله على قلبه دائمًا، وعلى لسانه دائمًا، وهذه من نعمة الله التي نسأل الله تعالى أن يرزقنا شكرها، وأن يعيننا عليها.

٣/٨١٦ ـ وعن عائشة رضيَ الله عنها قالتْ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً، فَإِذَا طَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى ركْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأيمَن حَتَّى يَجيءَ المُؤَذِّنُ فَيُؤذِنَهُ متفقٌ عليه[١].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الضجع على الشق الأيمن، رقم(٦٣١٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(٧٣٦).

٨١٧/٤ ـ وعن حُذيْفَةَ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يقول: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أمُوتُ وأحْيَا» وإذَا اسْتَيْقَظَ قال:«الحَمْدُ للهِ الذي أحْيَانَا بَعْدَ مَا أمَاتَنَا وإليهِ النُّشورُ»[1] رواه البخاري.

الشرح

هذه من الأحاديث في آداب النوم التي ساقها النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين، وقد سبق أن النبي ﷺ أمر البراء بن عازب أن يضطجع على جنبه الأيمن، وأن يقول: «**اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك. .**» إلى آخر الحديث، وبيّنا أن السنة والأفضل أن ينام الإنسان على جنبه الأيمن.

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه، أنه ينبغي أن يضع الإنسان يده تحت خده. ومعلوم أنها اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، وهذا ليس على سبيل الوجوب، ولكن على سبيل الأفضلية، فإن تيسر لك هذا وإلا فالأمر واسع ولله الحمد.

فكان النبي ﷺ يضع يده تحت خده ويقول: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» يعني أنني أموت وأحيا بإرادة الله عزَّ وجلَّ، والمراد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الضجع على الشق الأيمن، رقم(٦٣١٢).

بالموت هنا والله أعلم: موت النوم؛ لأن النوم يسمى وفاة، أو أنه الموت الأكبر الذي هو مفارقة الروح للبدن، ويكون كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وإذا قام قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» وهذا يؤيد أن المراد بالموت في قوله: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» يعني موت النوم، وهو الموت الأصغر.

أما حديث عائشة رضي الله عنها، فقد أخبرت أن النبي ﷺ كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وهذا أكثر ما يصلي؛ إما إحدى عشرة، وإما ثلاثة عشر، وقد ينقص عن ذلك، حسب ما تكون حاله عليه الصلاة والسلام من النشاط وعدم النشاط.

ثم كان إذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين وهما سنة الفجر، فإن السنة أن يخففهما، فيقرأ في الأولى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، أو في الأولى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ في سورة البقرة، وفي الثانية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ في آل عمران.

والحاصل أنه يخففهما؛ الركوع والسجود والقيام والقعود،

لكن بشرط ألا يخلّ بالطمأنينة؛ لأنه لو أخلَّ بالطمأنينة لفسدت، ثم يضطجع على جنبه الأيمن عليه الصلاة والسلام بعد أن يصلي الركعتين سنة الفجر، يضطجع على الجنب الأيمن حتى يؤذنه المؤذن، يعني حتى يعلمه بأن وقت الإقامة قد جاء، فيخرج ويصلي.

ففي هذا الحديث دليل على فوائد:

أولاً: أن من نعمة الله عزَّ وجلَّ أن أطلعنا على ما كان النبي ﷺ يعمله في السر في الليل بواسطة زوجاته رضي الله عنهن، وهذا من الحكمة في كثرة تعدد زوجات النبي ﷺ، فإنه مات عن تسع نسوة، ومن فوائد ذلك أن كل امرأة منهن تأتي بسنة لا يطلع عليها إلا هي.

ومنها: أن النبي ﷺ يصلي في الليل إحدى عشرة ركعة، وكان يطيل القيام عليه الصلاة والسلام، كان يقوم إذا انتصف الليل، وأحيانًا بعد ذلك حسب نشاطه، وكان ﷺ إذا قام من نصف الليل ينام في آخر الليل، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث آخر، وإلا صلى إلى الفجر إذا تأخر، فإذا طلع الفجر صلى الركعتين، ثم اضطجع على جنبه الأيمن.

وفيه دليلٌ: على أنه يسنّ تخفيف ركعتي الفجر كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام، وفيه أن الأفضل للإمام ألا يحضر إلى

المسجد إلا عند إقامة الصلاة، وأن يجعل صلاة الرواتب في بيته، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل، أما المأموم فإنه يتقدم، لكن الإمام لما كان يُنتظر صارت السنة أن يتأخر في بيته حتى يصلي النوافل المشروعة ثم يأتي.

وفيه دليلٌ على استحباب الاضطجاع على الجنب الأيمن بعد سنة الفجر لمن تطوع في بيته كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام.

واختلف العلماء رحمهم الله في هذه الضجعة:

فمنهم من قال إنها سنة بكل حال.

ومنهم من قال إنها ليست بسنة إلا إذا كان الإنسان صاحب صلاة في آخر الليل، فإنه يضطجع ليعطي بدنه شيئًا من الراحة.

ومنهم من شدد فيها حتى جعلها بعض العلماء من شروط صلاة الفجر، وقال: من لم يضطجع بعد السنة فلا صلاة له، لكن هذا قول شاذ، وإنما ذكرناه لنبين لكم أن بعض العلماء يأتون بأقوال شاذة بعيدة من الصواب.

والصواب أنها سنة لمن كان له تهجد من الليل ويشق عليه بتعب فهذا يضطجع حتى يُؤَذَّنَ بالصلاة وهذا في حق الإمام ظاهر، أما المأموم فإنه ربما لو اضطجع ربما يقيمون الصلاة، فيفوته شيء منها وهو لا يشعر؛ لأن المأموم يَنْتَظِر ولا يُنْتظر، لكن الإمام هو الذي

ينتظره الناس، فإذا اضطجع بعد سنة الفجر في بيته، فإن هذا من السنة إذا كان ممن يجتهد في التهجد، أما من لا يقوم إلا متأخرًا أو لا يقوم إلا مع أذان الفجر فهذا لا حاجة إلى أن يضطجع بعد سنة الفجر، والله الموفق.

* * *

٥/٨١٨ ـ وعن يَعيش بن طِخْفَةَ الغِفَاري رضي الله عنهما قال: قال أبي: بَيْنَمَا أَنَا مُضْطجعٌ في المَسجِدِ عَلى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ فقال: «إنَّ هذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ» قال: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ[١].

٦/٨١٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ الله تعالى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ من الله تعالى تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مضْجَعًا لا يَذْكُرُ الله فيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِن اللهِ تِرَةٌ» رواه أبوداود[٢] بإسنادٍ حسنٍ.

«التِّرَةُ» بكسر التاء المثناة من فوق، وهي: النَّقْصُ، وقيل: التَّبَعَةُ.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في الرجل ينبطح على بطنه، رقم(٥٠٤٠).
(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، رقم(٤٨٥٦).

الشرح

هذه بقية الأحاديث الواردة في آداب النوم والاضطجاع، ذكر فيها المؤلف حديث يعيش بن طخفة الغفاري أنه قال: حدثني أبي أنه كان نائمًا في المسجد على بطنه، فإذا رجل يركضه برجله ويقول: «**إن هذه ضجعة يبغضها الله عزَّ وجلَّ**» قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ.

ففي هذا الحديث دليلٌ على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه لا سيما في الأماكن التي يغشاها الناس؛ لأن الناس إذا رأوه على هذه الحال فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنه أريح له؛ فإن هذا لا بأس به؛ لأن هذه حاجة.

وفي هذا دليلٌ على جواز ركض الإنسان بالرجل، يعني نخسه برجله؛ لأن النبي ﷺ فعل ذلك وهو أشد الناس تواضعًا، ولا يعد هذا من الكبر، اللهم إلا أن يكون في قلب الإنسان شيء من كبر فهذا شيء آخر، لكن مجرد أن تركض الرجل برجلك لا يعتبر هذا كبرًا، إلا أنه ينبغي مراعاة الأحوال إذا كنت تخشى أن الرجل الذي تركضه برجلك يرى أنك مستهين به، وأنك محتقر له فلا تفعل؛ لأن الشيء المباح إذا ترتب عليه محظور فإنه يمنع.

ثم ذكر حديث أبي هريرة في الرجل يجلس مجلسًا لا يذكر الله فيه، أو يضطجع مضجعًا لا يذكر الله فيه، كان عليه من الله ترة.

والترة يعني الخسارة؛ أن تجلس مجلسًا لا تذكر الله فيه فهذا خسارة؛ لأنك لم تربح فيه.

وفيه دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الله؛ قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، وكذلك إذا اضطجعت مضجعًا لم تذكر اسم الله فيه فإنه يكون عليك من الله ترة أي خسارة.

فأكثر من ذكر الله دائمًا وأبدًا، كن كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]؛ لتكون ممتثلاً لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. أعاننا الله وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

  

١٢٨ـ بابُ جَواز الاستِلقاء على القفا ووضع إحدى الرِّجلين على الأخرى إذا لم يخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعًا ومحتبيًا

١ / ٨٢٠ ـ عن عبدِ الله بن يزيد رضي الله عنه أنَّهُ رأى رسول الله ﷺ مُسْتَلْقِيًا في المسجد، واضِعًا إحدى رِجْلَيْهِ عَلَى الأخرَى. متفق عليه(١).

٢ / ٨٢١ ـ وعن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ إِذَا صلَّى الفَجْرَ تَرَبَّعَ في مَجْلِسِهِ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاء(٢) حديث صحيح، رواه أبوداود وغيره بأسانيد صحيحة.

٣ / ٨٢٢ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ بِفَنَاءِ الكَعْبَةِ مُحْتَبِيًا بِيَدَيْهِ هكذا. وَوَصَفَ بيدَيْهِ الاحْتِباءَ، وهُوَ القُرْفُصَاءُ. رواه البخاري(٣).

٤ / ٨٢٣ ـ وعن قَيْلَةَ بنتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها قالت: رَأيتُ النبيَّ ﷺ وهو قاعِدُ القُرْفُصاءَ، فلمَّا رأيتُ رسول الله ﷺ المُتَخشِّعَ في الجِلْسَةِ

---

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الاستلقاء ووضع الرجل على الأخرى، رقم(٥٩٦٩)، ومسلم، كتاب اللباس، باب في إباحة الاستلقاء ووضع إحدى الرجلين، رقم(٢١٠٠).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في الرجل يجلس متربعًا، رقم(٤٨٥٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاحتباء باليد وهو القرفصاء، رقم(٦٢٧٢).

أرعدْتُ مِنَ الفَرَقِ. رواه أبوداود، والترمذي[١].

٥/٥٢٤ ـ وعن الشّريد بن سُويد رضي الله عنه قال: مَرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا جَالسٌ هكذا، وقَدْ وَضَعْتُ يدي اليسرى خلف ظهري، واتَّكَأتُ على أليةِ يدي فقال: «أتَقْعُدُ قِعْدَةَ المغْضُوبِ عليْهِمْ؟!» رواه أبوداود[٢]، بإسناد صحيحٍ.

الشرح

هذا الباب الذي عقده النووي رحمه الله في رياض الصالحين في بيان النوم على الظهر، وقد سبق أن الأفضل لمن أراد أن ينام على الجنب الأيمن، وسبق أن النوم على البطن لا ينبغي إلا لحاجة.

وبقي النوم على الظهر، فهذا لا بأس به ـ أي لا بأس أن يضطجع الإنسان على ظهره ـ بشرط أن يأمن انكشاف العورة، فإن كان يخشى من انكشاف عورته، بحيث يرفع إحدى رجليه فيرتفع الإزار وليس عليه سراويل فإنه لا ينبغي، لكن إذا أمن من انكشاف العورة فإن ذلك لا بأس به.

وبقي شيء رابع وهو النوم على الجنب الأيسر، فهذا أيضًا لا

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل، رقم(٤٨٤٧)، والترمذي، كتاب الأدب واللفظ لأبي داود، باب ما جاء في الثوب الأصفر، رقم(٢٨١٤).
(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في الجلسة المكروهة، رقم(٤٨٤٨).

بأس به، فالنوم على الظهر لا بأس به، والنوم على الجنب الأيسر لا بأس به، والنوم على الجنب الأيمن أفضل، والنوم منبطحًا لا ينبغي إلا لحاجة.

أما القعود فإن جميع أنواع القعود لا بأس بها؛ فلا بأس أن يقعد الإنسان متربعًا، ولا بأس أن يقعد وهو محتبي القرفصاء؛ يعني يقيم فخذيه وساقيه، ويجعل يديه مضمومتين على الساقين، هذا أيضًا لا بأس به؛ لأن النبي ﷺ قعد هذه القعدة.

ولا يكره من الجلوس إلا ما وصفه النبي ﷺ بأنه قعدة المغضوب عليهم؛ بأن يجعل يده اليسرى من خلف ظهره ويجعل بطن الكف على الأرض ويتكئ عليها، فإن هذه القعدة وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم.

أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس، إنما التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام بأنها قعدة المغضوب عليهم؛ بأن يجعل اليد اليسرى من خلف ظهره ويجعل باطنها - أي أليتها - على الأرض، ويتكئ عليها، فهذه هي التي وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم، والله الموفق.

* * *

١٢٩ ـ بابُ آداب المجلس والجَليس

١/٨٢٥ ـ عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُقيمَنَّ أحَدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، ولكنْ تَوسَّعُوا وتَفسَّحُوا». وكَانَ ابن عُمَرَ إذَا قامَ له رَجُل مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. متفقٌ عليه[1].

٢/٨٢٦ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذَا قامَ أحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إليْهِ، فَهُوَ أحَقُّ بِهِ» رواه مسلم[2].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله في رياض الصالحين: باب آداب المجلس والجليس. هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله لبيان الآداب التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان في مجالسه، ومع جليسه.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه شيئًا من آداب المجالس،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه، رقم(٦٢٦٩، ٦٢٧٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه. . . ، رقم(٢١٧٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به، رقم(٢١٧٩).

فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [المجادلة: ١١].

والشريعة الإسلامية شريعة شاملة لكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم ودنياهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله ﷺ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علمًا[١].

ولهذا تجد الشريعة بينت مسائل الدين المهمة الكبيرة، كالتوحيد وما يتصل به من العقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما كان دون ذلك من آداب النوم، والأكل، والشرب، والمجالس.

ثم ذكر المؤلف حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسّعوا وتفسّحوا» يعني إذا دخلت مكانًا ووجدت المكان ممتلئًا، فلا تقل يا فلان قم ثم تجلس في مكانه، ولكن إذا كنت لابد أن تجلس، فقل تفسّحوا توسّعوا، فإذا تفسحوا وتوسعوا فإن الله تعالى يوسع لهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٥).

يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾.

أما أن تقيم الرجل وتجلس مكانه فإن هذا لا يجوز، حتى في مجالس الصلاة؛ لو رأيت إنسانًا في الصف الأول فإنه لا يحل لك أن تقول له: قم، ثم تجلس في مكانه، حتى لو كان صبيًّا، فإنه لا يحل لك أن تقيمه من مكانه وتصلي فيه؛ لأن الحديث عام، والصبي لابد أن يصلي مع الناس، ويكون في مكانه الذي يكون فيه.

وأما قول النبي ﷺ: «**ليلني منكم أولو الأحلام والنهى**»[١] فهو أمر للبالغين العقلاء أن يتقدموا حتى يلوا الرسول عليه الصلاة والسلام، وليس نهيًا أن يكون الصغار قريبين منه، ولو كان أراد ذلك لقال ﷺ: لا يلني إلا أولو الأحلام والنهى، أما إذا أمر أن يليه أولو الأحلام والنهى، أولو الأحلام يعني البالغين وأولو النهى العقلاء، فالمعنى أنه يحثهم على التقدم حتى يكونوا وراء النبي ﷺ، يلونه ويفهمون عنه شريعته وينقلونها إلى الناس.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما من ورعه إذا قام أحد له وقال له اجلس في مكاني لا يجلس فيه، كل هذا من الورع، يخشى أن هذا الذي قام قام خجلاً وحياءً من ابن عمر، ومعلوم أن الذي يهدي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٤٣٢).

إليك أو يعطيك شيئًا خجلاً وحياءً أنك لا تقبل منه؛ لأن هذا كالمكره، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يحرم قبول الهدية إذا علمت أنه أهداك حياءً وخجلاً.

ومن ذلك أيضًا إذا مررت بالبيت وعنده صاحبه وقال: تفضل، وأنت تعرف أنه إنما قال ذلك حياءً وخجلاً فلا تدخل عليه؛ لأن هذا يكون كالمكره، فكان ابن عمر رضي الله عنهما من ورعه إذا قام إنسان يريد أن يجلس ابن عمر في مكانه لا يجلس فيه خوفًا من ذلك خوفًا من أن يكون حياء وخجلاً وحينئذ يكون كالمكره.

هذا من آداب الجلوس التي شرعها النبي ﷺ لأمته؛ ألا يقيم الرجل أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه، والله الموفق.

* * *

٣/٨٢٧ - وعن جَابر بن سمُرَةَ رضيَ الله عنهما قال: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبيَّ ﷺ، جَلَسَ أحدُنَا حَيْثُ يَنْتَهي.

رواه أبوداود، والترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤/٨٢٨ - وعن أبي عبد الله سَلمَان الفارسيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ ما اسْتَطَاعَ

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في التحلق، رقم(٤٨٢٥)، والترمذي، كتاب الاستئذان، باب اجلس حيث انتهى بك المجلس، رقم(٢٧٢٥).

مِنْ طُهْر، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أو يَمَسُّ مَنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي ما كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإمامُ، إلا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأخرَى» رواه البخاري[1].

الشرح

هذان الحديثان نقلهما النووي رحمه الله في باب آداب المجلس والجليس، فمن آداب المجلس أن الإنسان إذا دخل على جماعة يجلس حيث ينتهي به المجلس، هكذا كان فعل الرسول ﷺ، وكذلك فعل الصحابة رضي الله عنهم يعني لا يتقدم إلى صدر المجلس إلا إذا آثره أحد بمكانه، أو كان قد تُرِك له مكان في صدر المجلس فلا بأس.

وأما أن يشق المجلس وكأنه يقول للناس ابتعدوا وأجلس أنا في صدر المجلس، فهذا خلاف هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم، وهو يدل على أن الإنسان عنده شيء من الكبرياء والإعجاب بالنفس.

ثم إن كان الرجل صاحب خير وتذكير وعلم فإن مكانه الذي هو فيه سيكون هو صدر المجلس، فسوف يتجه الناس إليه إن تكلم، أو يسألونه إذا أرادوا سؤاله، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة، رقم(٨٨٣).

إذا دخل المجلس جلس حيث ينتهي به، ثم يكون المكان الذي هو فيه الرسول ﷺ هو صدر المجلس.

وهكذا أيضًا ينبغي للإنسان إذا دخل المجلس ورأى الناس قد بقوا في أماكنهم فليجلس حيث ينتهي به المجلس، ثم إن كان من عامة الناس فهذا مكانه، وإن كان من خاصة الناس فإن الناس سوف يتجهون إليه ويكون مكانه هو صدر المجلس.

كذلك أيضًا من آداب المجلس ألا يفرق بين اثنين، يعني يضيق بينهما، فإن النبي ﷺ ذكر الرجل يتطهر في بيته يوم الجمعة ويدهن ويأخذ من طيب أهله، ثم يأتي إلى الجمعة ولا يفرق بين اثنين، ويصلي ما كتب له حتى يحضر الإمام، فإنه يغفر له ما بين الجمعة والجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام.

فدل ذلك على أنه ينبغي للإنسان في يوم الجمعة أن يتطهر، والمراد بذلك الاغتسال؛ لأن غسل الجمعة واجب ويأثم من لم يغتسل إلا لضرورة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**»(١)، يعني على كل بالغ، فكل بالغ يأتي إلى الجمعة فإنه

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة...، رقم(٨٧٩)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، رقم(٨٤٦).

يجب عليه أن يغتسل إلا أن يخاف ضررًا أو لا يجد ماءً، كما لو كان ـ مثلاً ـ بقرية وهو مسافر، وأراد أن يصلي الجمعة معهم ولم يجد مكانًا يغتسل فيه، فهذا يسقط عنه؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

كذلك أيضًا مما يسن: أن يدّهن وذلك إذا كان له شعر رأس، فإنه يدهن رأسه ويصلحه حتى يكون على أجمل حال.

ومن ذلك أيضًا: أن يلبس أحسن ثيابه.

ومن ذلك أيضًا أن يتسوك، يخصها بسواك الجمعة وليس السواك العادي، ولهذا لو أن الإنسان استعمل في يوم الجمعة الفرشاة التي فيها تطهير الفم لكان هذا حسنًا وجيدًا.

ومن ذلك أن يتقدم إلى المسجد، فإن من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، ومن أتى بعد دخول الإمام فليس له أجر التقدم، ولكن له أجر الجمعة، لكن أجر التقدم حرم منه.

وكثيرٌ من الناس ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ ليس لهم شغل في يوم الجمعة، ومع ذلك تجده يقعد في بيته أو في سوقه بدون أي

حاجة وبدون أي سبب، ولكن الشيطان يثبطه من أجل أن يفوت عليه هذا الأجر العظيم، فبادر من حين تطلع الشمس، واغتسل وتنظف، والبس أحسن الثياب، وتطيب، وتقدم إلى المسجد، وصل ما شاء الله، واقرأ القرآن إلى أن يحضر الإمام.

وكذلك أيضًا من آداب الجمعة: ألا يفرق بين اثنين، يعني لا تأتي بين اثنين تدخل بينهما وتضيق عليهما، أما لو كان هناك فرجة فهذا ليس بتفريق؛ لأن هذين الاثنين هما اللذان تفرقا، لكن أن تجد اثنين متراصين ليس بينهما مكان لجالس ثم تجلس بينهما!! هذا من الإيذاء، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطى الرقاب يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال له: «**اجلس فقد آذيت**»[1]، كل هذه من آداب الحضور إلى الجمعة، والله الموفق.

* * *

٥/٨٢٩ ـ وعن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أن يُفَرِّقَ بَيْنَ اثنَيْنِ إلا بإذْنهِمَا» رواه

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، رقم(١١١٨)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب النهي عن تخطي رقاب الناس والإمام على المنبر، رقم(١٣٩٩).

أبوداود، والترمذي[١] وقال: حديثٌ حسنٌ.

وفي روايةٍ لأبي داود: «لا يُجْلَسْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلا بإذْنِهما».

٦/ ٨٣٠ ـ وعن حُذَيفةَ بنِ اليَمَانِ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. رواه أبوداود[٢] بإسنادٍ حسن.

وروى الترمذي عن أبي مِجْلَزٍ: أن رجُلاً قَعَدَ وَسْطَ حَلْقَةٍ، فقال حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أوْ: لَعَنَ الله ـ على لِسانِ مُحَمَّدٍ ﷺ ـ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَة. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[٣].

٧/ ٨٣١ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ المَجَالِسِ أوْسَعُهَا» رواه أبوداود[٤] بإسنادٍ صحيح على شرط البخاري.

٨/ ٨٣٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ في مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فيهِ لَغَطُهُ فقال قَبْل أنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما، رقم(٤٨٤٥)، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما، رقم(٢٧٥٢).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في الجلوس وسط الحلقة، رقم(٤٨٢٦).

(٣) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية القعود وسط الحلقة، رقم(٢٧٥٣).

(٤) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في سعة المجلس، رقم(٤٨٢٠).

ذلك: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أن لا إله إلا أنتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ، إلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ في مجْلِسِهِ ذلكَ» رواه الترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

من آداب المجالس ما ذكره المؤلف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما**».

يعني إذا جئت ووجدت شخصين جلس أحدهما إلى جنب الآخر فلا تفرق بينهما، إلا إذا أذنا لك في هذا، إما إذنًا باللسان، يعني إذا قال أحدهما: تعال اجلس هنا، أو بالفعل بأن يتفرق بعضهما عن بعض؛ إشارة إلى أنك تجلس بينهما، وإلا فلا تفرق بينهما؛ لأن هذا من سوء الأدب إن قلت تفسح، ومن الأذية إن جلست وضيقت عليهما.

ومن الآداب أيضًا: أن يجلس الإنسان حيث انتهى به المجلس كما سبق، فلا يجوز للإنسان أن يجلس وسط الحلقة، يعني إذا رأيت جماعة متحلقين سواء كانوا متحلقين على من يعلمهم، أو على من يتكلم معهم، المهم إذا كانوا حلقة فلا تجلس في وسط

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، رقم(٣٤٣٣).

الحلقة، وذلك لأنك تحول بينهم وبين من معهم، ثم إنهم لا يرضون في الغالب أن يجلس أحد في الحلقة يتقدم عليهم، فيكون في هذا عدوان عليهم وعلى حقوقهم، إلا إذا أذنوا لك، بأن وقفت مثلاً وكان المكان ضيقًا وقالوا: تفضل اجلس هنا فلا حرج، أما بدون إذن، فإن حذيفة بن اليمان أخبر بأن النبي ﷺ **«لعن من جلس في وسط الحلقة»**.

كذلك أيضًا من آداب المجالس: أن الإنسان إذا جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه، فإنه يكفره أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، قبل أن يقوم من مجلسه، فإذا قال ذلك، فإن هذا يمحو ما كان منه من لغط، وعليه فيستحب أن يُختم المجلس الذي كثر فيه اللغط بهذا الدعاء.

ومما ينبغي في المجالس أيضًا أن تكون واسعة، فإن سعة المجالس من خير المجالس كما قال ﷺ: **«خير المجالس أوسعها»**؛ لأنها إذا كانت واسعة حملت أناسًا كثيرين، وصار فيها انشراح وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس حجر بيته ضيقة، لكن إذا أمكنت السعة فهو أحسن؛ لأنه يحمل أناسًا كثيرين ولأنه أشرح للصدر، والله الموفق.

* * *

٩/٨٣٣ ـ وعن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ رسول الله ﷺ يقول بأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِن المَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحَمْدِكَ، أشْهدُ أنْ لا إله إلا أنْتَ، أستغْفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ» فقال رجل: يا رسول الله، إنَّكَ لَتقول قولاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيما مَضَى؟ قال: «ذلك كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ في المَجْلسِ» رواه أبوداود[1].

ورواه الحاكم في «المستدرك» من رواية عائشة رضي الله عنها وقال: صحيح الإسناد[2].

الشرح

سبق لنا أن النبي ﷺ قال: «**من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذاك**».

وفي حديث أبي برزة الذي وصله المؤلف بالحديث السابق دليلٌ على أن النبي ﷺ كان يفعله، وبيَّن أن هذا كفارة المجلس، وقلما يجلس الإنسان مجلسًا إلا وحصل له فيه شيء من اللغط، أو من اللغو، أو من ضياع الوقت، فيحسن أن يقول ذلك كلما قام من مجلسه: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،**

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، رقم(٤٨٥٩).
(٢) المستدرك (١/ ٥٣٧).

أستغفرك وأتوب إليك» حتى يكون كفارة للمجلس.

أما الحديث الآخر الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قلّما يقوم من مجلس إلا قال: «اللهم اقسم لنا من خشيتك. . .» وذكر تمام الحديث، فهذا سيأتي الكلام عليه إن شاء الله في موضع آخر.

والمقصود بهذا أن الرسول كان يقول ذلك في أكثر أحيانه، ولكن هل هو في كل مجلس حتى مجالس الوعظ ومجالس الذكر؟ في هذا نظر، وابن عمر رضي الله عنهما لا يتابع النبي ﷺ في كل مجلس؛ بل قد يفوته بعض المجالس، فإن قال الإنسان هذا الذكر في أثناء المجلس أو في أوله أو في آخره حصّل بذلك السنة التي كان النبي ﷺ يفعلها، والله الموفق.

* * *

١٠/ ٨٣٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلّما كان رسول الله ﷺ يقومُ مِن مَجْلِس حتى يَدْعُو بهؤلاء الدَّعوات: «اللَّهُمَّ اقسم لَنَا مِن خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعاصِيكَ، ومن طَاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ، ومِنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ به عَلَينَا مَصَائبَ الدُّنْيَا. اللَّهُمَّ مَتِّعنا بأسْمَاعِنَا، وَأبصَارِنَا، وقُوَّتِنَا ما أحْيَيْتَنَا، واجعلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، واجعَلْ ثأرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمنا، وانْصُرْنَا على مَنْ عَادَانَا، ولا تَجْعل مُصِيبَتَنا في

دِينِنَا، ولا تَجْعل الدُّنيا أكبَر هَمِّنا، ولا مَبلَغَ عِلمِنَا، ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا» رواه الترمذي[١] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

قال النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين في باب آداب المجلس والجليس فيما نقله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان قلما يقوم من مجلس إلا ويقول: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك**» اقسم بمعنى قدِّر، والخشية هي الخوف المقرون بالعلم، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقوله: «**ما تحول به بيننا وبين معصيتك**»؛ لأن الإنسان كلما خشي الله عزَّ وجلَّ، منعته خشيته من الله أن ينتهك محارم الله، ولهذا قال: «**ما تحول به بيننا وبين معصيتك**».

ثم قال: «**ومن طاعتك**» يعني واقسم لنا من طاعتك «**ما تبلغنا به جنتك**» فإن الجنة طريقها طاعات الله عزَّ وجلَّ، فإذا وفق العبد لخشية الله واجتناب محارمه والقيام بطاعة الله نجا من النار بخوفه ودخل الجنة بطاعته.

«**ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**». واليقين: هو

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم(٣٥٠٢).

أعلى درجات الإيمان؛ لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك.

فإذا كان عند الإنسان يقين تام بما أخبر الله تعالى به من أمور الغيب، فيما يتعلق بالله عزَّ وجلَّ أو بأسمائه أو صفاته أو اليوم الآخر أو غير ذلك، وصار ما أخبر الله به من الغيب عنده بمنزلة المشاهد، فهذا هو كمال اليقين.

وقوله: «**ما تهون به علينا مصائب الدنيا**»؛ لأن الدنيا فيها مصائب كثيرة، لكن هذه المصائب إذا كان عند الإنسان يقين أنه يكفر بها من سيئاته، ويرفع بها من درجاته، إذا صبر واحتسب الأجر من الله؛ هانت عليه المصائب، وسهلت عليه مهما عظمت المصائب سواء في بدنه، أو في أهله، أو في ماله، ما دام عنده اليقين التام فإنها تهون عليه المصائب.

«**ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا**» تسأل الله تعالى أن يمتعك بهذه الحواس: السمع والبصر والقوة ما دمت حيًّا؛ لأن الإنسان إذا متع بهذه الحواس حصل على خير كثير، وإذا افتقد هذه الحواس فاته خير كثير لكن لا يلام عليه إذا كان لا يقدر عليها.

«**واجعله الوارث منا**» يعني اجعل التمتيع بهذه الأمور السمع والبصر والقوة الوارث منَّا، يعني اجعله يمتد إلى آخر حياتنا حتى

يبقى بعدنا ويكون كالوارث لنا، وهو كناية عن استمرار هذه القوة إلى الموت.

«**واجعل ثأرنا على من ظلمنا**» يعني اجعلنا نستأثر، ويكون لنا الأثرة على من ظلمنا، بحيث تقتص لنا منه، إما بأشياء تصيبه في الدنيا أو في الآخرة، ولا حرج على الإنسان أن يدعو على ظالمه بقدر ما ظلمه، وإذا دعا على ظالم بقدر ما ظلمه فهذا إنصاف، والله سبحانه وتعالى يستجيب دعوة المظلوم.

قال النبي ﷺ لمعاذ وقد بعثه إلى اليمن وبين له ما يدعوهم إليه، فقال: «**فإن أجابوك لذلك** - أي للصدقة من أموالهم - **فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١).

لأن الله تعالى حكم عدل ينتقم من الظالم إذا رفع المظلوم الشكوى إليه، فإذا رفع المظلوم الشكوى إلى الله انتقم الله من الظالم، لكن لا يتجاوز في دعائه فيدعو بأكثر من مظلمته؛ لأنه إذا دعا بأكثر من مظلمته صار هو الظالم.

«**وانصرنا على من عادانا**» وأكبر عدو لنا من عادانا في دين الله؛

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء...، رقم(١٤٩٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(١٩).

من اليهود والنصارى والمشركين البوذيين والملحدين والمنافقين وغيرهم. هؤلاء هم أعداؤنا؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى في المنافقين: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

فتسأل الله تعالى أن ينصرك على من عاداك، وينصرك على اليهود والنصارى والمشركين والبوذيين وجميع أصناف الكفرة، والله سبحانه وتعالى هو الناصر ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

«ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا» المصائب في الحقيقة تكون في مال الإنسان؛ بأن يحترق ماله، أو يسرق، أو يتلف، فهذه مصيبة.

وتكون أيضًا في أهل الإنسان، فيمرض أهله، أو يموتون.

وتكون في العقل: بأن يصاب هو أو أهله بالجنون، نسأل الله العافية.

وتكون في كل ما من شأنه أن يصاب به الإنسان.

لكن أعظم مصيبة هي مصيبة الدين ـ نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه دين الحق ـ فإذا أصيب الإنسان بدينه والعياذ بالله فهذه أعظم مصيبة.

والمصائب في الدين مثل المصائب في البدن، هناك مصائب خفيفة في البدن؛ كالزكام والصداع اليسير وما أشبه ذلك، وهناك مصائب في الدين خفيفة كشيء من المعاصي، وهناك مصائب في الدين مهلكة مثل الكفر، والشرك، والشك، وما أشبه ذلك، هذه مهلكة مثل الموت للبدن، فاسأل الله ألا يجعل مصيبتك في دينك.

أما المصائب التي دون الدين فإنها سهلة، فإن المصاب من حرم الثواب، نسأل الله العافية.

«ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا» فلا تجعل الدنيا أكبر همنا؛ بل اجعل الآخرة أكبر همنا، ولا ننسى نصيبنا من الدنيا، فلابد للإنسان من الدنيا، لكن لا تكون الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، بل يسأل الله أن يجعل مبلغ علمه علم الآخرة، أما علم الدنيا وما يتعلق بها فهذه مهما كانت فإنها ستزول، يعني لو كان الإنسان عالمًا في الطب، عالمًا في الفلك، عالمًا في الجغرافيا، عالمًا في أي شيء من علوم الدنيا؛ فهي علوم تزول وتفنى، فالكلام على علم الشرع؛ علم الآخرة، فهذا هو المهم.

«ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» لا تسلط علينا أحدًا من خلقك لا يرحمنا، يعني وكذلك من يرحمنا، لا تسلط علينا أحدًا، لكن

الذي يرحمك لا ينالك منه السوء، لكن الذي ينالك منه السوء هو أن يسلط الله عليك من لا يرحمك، نسأل الله ألا يسلط علينا من يرحمنا.

فكان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا جلس مجلسًا يقول هذا الذكر لكنه ليس بدائم، وإنما يقول ذلك كثيرًا، والله الموفق.

* * *

١١/٨٣٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يذكُرُون الله تعالى فيهِ، إلا قَامُوا عَنْ مثلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وكانَ لَهُمْ حَسَرَةً». رواه أبوداود[1] بإسنادٍ صحيحٍ.

١٢/٨٣٦ ـ وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا جَلَسَ قَومٌ مَجْلسًا لم يَذْكُرُوا الله تعالى فِيهِ، ولم يُصَلُّوا على نَبِيِّهم فِيهِ، إلا كانَ عليهم تِرةٌ؛ فَإن شاءَ عَذَّبَهُم، وإن شاءَ غَفَرَ لَهُم» رواه الترمذي[2] وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٣/٨٣٧ ـ وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَعَدَ مقعَدًا لم يذكر الله تعالى فِيهِ كَانَت عليهِ مِنَ الله تِرَةٌ، وَمَنْ اضطجَعَ

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، رقم(٤٨٥٥).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، رقم(٣٣٨٠).

مَضْجَعًا لا يذْكُر الله تعالى فِيهِ كانتْ عَلَيه مِنَ الله تِرَةٌ» رواه أبوداود[١].

وقد سبقَ قريبًا وشرحنا «التِّرَةَ» فيه.

الشرح

هذه ثلاثة أحاديث في بيان آداب المجلس، وكلها تدل على أنه ينبغي للإنسان إذا جلس مجلسًا أن يغتنم ذكر الله عزَّ وجلَّ والصلاة على النبي ﷺ، حيث إنها تدل على أنه ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترة، يعني قطيعة وخسارة إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

ويتحقق ذكر الله عزَّ وجلَّ في المجالس بصور عديدة، فمثلاً إذا تحدث أحد الأشخاص في المجلس عن آية من آيات الله عزَّ وجلَّ، فإن هذا من ذكر الله، مثل أن يقول: نحن في هذه الأيام في دفء كأننا في الربيع وهذا من آيات الله، لأننا في الشتاء وفي أشد ما يكون من أيام الشتاء بردًا، ومع ذلك فكأننا في الصيف فهذا من آيات الله.

ويقول مثلاً: لو اجتمع الخلق على أن يدفئوا الجو هذا الدفء في هذه الأيام التي جرت العادة أن تكون باردة ما استطاعوا إلى ذلك

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، رقم(٤٨٥٦).

سبيلاً وما أشبه ذلك، أو مثلاً يذكر حالاً من أحوال النبي عليه الصلاة والسلام مثل أن يقول: كان النبي عليه الصلاة والسلام أخشى الناس لله وأتقاهم لله، فيذكر الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يصلي عليه، والحاضرون يكونون إذا استمعوا إليه مثله في الأجر.

هكذا يكون ذكر الله عزَّ وجلَّ والصلاة على رسوله ﷺ، وإن شاء ذكر الله من الأصل، إذا جلس قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، وما أشبه ذلك.

الحاصل أن الإنسان العاقل يستطيع أن يعرف كيف يذكر الله، ويصلي على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذا المجلس.

ومن ذلك أيضًا أنه إذا انتهى المجلس وأراد أن يقوم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**».

وفي هذه الأحاديث الثلاثة دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان ألا يفوت عليه مجلسًا ولا مضجعًا إلا يذكر الله، حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، والله الموفق.

* * *

١٣٠- بابُ الرؤيا وما يتعلّق بها

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣].

١/٨٣٨ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَمْ يَبْقَ مِن النُّبُوَّةِ إلا المُبَشِّراتُ» قالوا: ومَا المُبَشِّرات؟ قال: «الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ» رواه البخاري[١].

٢/٨٣٩ - وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذَا اقتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا المُؤمِنِ تَكذِبُ، وَرُؤْيَا المؤمِن جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبَعِين جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» متفقٌ عليه[٢].

وفي رواية: «أصْدَقُكم رُؤيا أصْدَقُكُم حَدِيثًا».

٣/٨٤٠ - وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رآنِي في المَنَامِ فَسَيَراني في اليَقَظةِ - أوْ: كأنَّمَا رَآني في اليَقَظَةِ - لا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطانُ بي» متفقٌ عليه[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم(٦٩٩٠).
(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، رقم(٧٠١٧)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم(٢٢٦٣).
(٣) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي في المنام، رقم(٦٩٩٣)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: «من رآني»، رقم(٢٢٦٦).

٨٤١/٤ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «إِذَا رَأى أحَدُكم رُؤيا يُحِبُّها، فإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تعالى، فَلْيَحْمَدِ الله عَلَيها، وَليحَدِّثْ بها - وفي رواية: فلا يُحَدِّثْ بها إلا مَنْ يُحِبُّ - وإذا رأى غَيرَ ذلك مِمَّا يَكرهُ، فَإِنَّما هِيَ مِنَ الشَّيْطانِ، فَلْيَسْتعِذْ منْ شَرِّهَا، ولا يَذكرْها لأحدٍ، فإنها لا تضُرُّهُ» متفقٌ عليه[1].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصالحين باب الرؤيا وما يتعلق بها.

الرؤيا: يعني رؤيا المنام، فالإنسان إذا نام فإن الله تعالى يتوفى روحه، لكنها وفاة صغرى، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وهذه الوفاة الصغرى تذهب فيها الروح إلى حيث يشاء الله.

ولهذا كان من أذكار المنام أن تقول: «**اللهم بك وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت روحي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها**

---

(١) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، رقم(٦٩٨٥)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم (٢٢٦٢)..

فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[١].

ثم إن الروح في هذه الحال ترى منامات ورؤىً تنقسم إلى ثلاثة أقسام: رؤيا محبوبة، ورؤيا مكروهة، ورؤيا عبارة عن أشياء ليس لها معنى وليس لها هدف، قد تكون من تلاعب الشيطان، وقد تكون من حديث النفس، وقد تكون من أسباب أخرى.

القسم الأول: الرؤيا الصالحة الحسنة، وهي إذا رأى الإنسان ما يحب، فهذه من الله عزَّ وجلَّ، وهي من نعمة الله على الإنسان أن يريه ما يحب؛ لأنه إذا رأى ما يحب نشط وفرح وصار هذا من البشرى، فمن عاجل بشرى المؤمن الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**»، الرؤيا الصالحة يراها الإنسان أو تُرى له، هذه بشرى وخير، وهي من الله عزَّ وجلَّ.

القسم الثاني: **الرؤيا المكروهة**، فإنها من الشيطان، حيث يضرب الشيطان للإنسان أمثالاً في منامه يزعجه بها، ولكنَّ دواءها أن يستعيذ بالله من شر الشيطان ومن شر ما رأى، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره، ولا يحرص على أن تعبر؛ لأن بعض الناس إذا رأى

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، رقم(٦٣٢٠)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم(٢٧١٤).

ما يكره حرص على أن تعبر وذهب إلى العابرين، أو يطالع في الكتب لينظر ما هذه الرؤيا المكروهة، ولكنها إذا عُبِرت فإنها تقع على الوجه المكروه.

وإذا استعاذ الإنسان من شرها ومن شر الشيطان ومن شر ما رأى، ولم يحدث بها أحدًا، فإنها لا تضره مهما كانت، وهذا دواء سهل أن الإنسان يَتَصَبَّر ويكتمها ويستعيذ بالله من شر الشيطان ومن شرها حتى لا تقع.

أما القسم الثالث وهو الذي ليس له هدف معين، فهذا أحيانًا يكون من حديث النفس، حين يكون الإنسان متعلقًا قلبه بشيء من الأشياء، يفكر فيه وينشغل به ثم يراه في المنام، أو أحيانًا يلعب به الشيطان في منامه، يريه أشياء ليس لها معنى، كما ذكر رجل للنبي ﷺ قال: يا رسول الله، رأيت في المنام أن رأسي قد قطع، وذهب رأسي يركض وأنا أسعى وراءه فقال النبي ﷺ: «**لا تحدث الناس بتلعُّب الشيطان بك في منامك**»(١)، فهذا ليس له معنى ولا أصل، رأس يقطع ويركض الرأس وهذا يركض بجسده وراءه، هذا ليس له معنى.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: «من رآني»، رقم(٢٢٦٨) [١٤، ١٥].

الحاصل أن هذه هي أقسام الرؤيا، وإذا ضرب للإنسان مثل بأبيه أو أمه أو أخيه أو عمه أو غير ذلك، فقد يكون هذا هو الواقع، وقد يكون من الشيطان، يتمثل الشيطان للنفس بصورة هذا الإنسان ويراه النائم، إلا النبي ﷺ، فإن الإنسان إذا رأى النبي على الوصف المعروف فإنه قد رآه حقًّا؛ لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ أبدًا ولا يجرؤ.

فإذا رأى الإنسان شخصًا ووقع في نفسه أنه النبي ﷺ فليبحث عن أوصافه، أوصاف هذا الذي رأى، هل تطابق أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام؟ فهو هو، وإن لم تطابق فليس النبي ﷺ، وإنما هذه أوهام من الشيطان، أوقع في نفس النائم أن هذا هو الرسول ﷺ وليس هو الرسول، ولذلك دائمًا يأتي أحد الناس ويقول: رأيت الرسول عليه الصلاة والسلام وقال كذا وفعل كذا، ثم إذا وصفه، فإن أوصافه لا تطابق أوصاف النبي ﷺ، مع أنه في منامه وقع عليه أنه النبي، لكنه إذا تحدث عن أوصافه فإذا هو ليس النبي ﷺ، فنجزم أن هذا ليس هو الرسول ﷺ.

أما لو وصف لنا من رآه، وانطبقت أوصافه على النبي ﷺ فهو إياه، ولكن يجب أن نعلم أنه لا يمكن أن يحدثه النبي ﷺ بشيء يخالف شريعته أبدًا، يعني لو جاء إنسان وقال: رأيت الرسول،

وقال لي كذا وأوصاني بكذا، فإن كان يخالف الشريعة فهو كذب، ويكون الكذب ممن تحدث به إذا انطبقت أوصاف من رآه على أوصاف النبي ﷺ، والله الموفق.

* * *

٨٤٢/٥ ـ وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «الرؤيَا الصَّالحة ـ وفي روايةٍ ـ الرُّؤيا الحَسَنَةُ ـ مِنَ الله، والحُلمُ مِنَ الشَّيطَانِ، فَمَنْ رأى شَيئًا يَكرَهُهُ فَليَنْفُثْ عَن شِمَالِهِ ثَلاثًا، وليَتَعَوَّذ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّها لا تَضرُّهُ» متفقٌ عليه[1].

«النَّفثُ» نَفخٌ لطيفٌ لا رِيقَ مَعَهُ.

٨٤٣/٦ ـ وعن جابرٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذَا رأى أَحَدُكُمُ الرُّؤيا يَكرَهُها؛ فَلْيَبْصُق عَن يَسَارِهِ ثَلاثًا، وليَستَعِذ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ ثَلاثًا. وليَتَحَوَّل عَنْ جَنبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ». رواه مسلم[2].

٨٤٤/٧ ـ وعن أبي الأسْقَع وَاثِلَةَ بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أعظمِ الفِرَى أن يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إلى غَيْرِ أبيهِ، أو يُرِيَ عِيْنَهُ مَا لم تَرَ، أو يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ» رواه

(١) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، رقم(٦٩٨٤)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم(٢٢٦١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم(٢٢٦٢).

البخاري[1].

الشرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالرؤيا، وسبق شيء من ذلك، بينا أن الرؤيا ثلاثة أقسام:

القسم الأول: رؤيا حسنة صالحة فهذه من الله عزَّ وجلَّ، وذكرنا أنها فيما يَسُرُّ، وأنها من عاجل بشرى المؤمن.

القسم الثاني: الحُلم، وهذا من الشيطان، والغالب أنه يكون فيما يكره الإنسان، أي أن الشيطان يُري الإنسان ما يكره حتى يفزع ويتكدر ويحزن وربما يمرض؛ لأن الشيطان عدو للإنسان؛ يحب ما يسوء الإنسان وما يحزنه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

فالحُلم هو هذا الذي يراه الإنسان في منامه يكرهه ويزعجه، ولكن من نعمة الله عزَّ وجلَّ أن لكل داء دواء، كل داء له دواء، فما دواء هذا الحلم؟ دواؤه:

أولاً: أن يبصق الإنسان على يساره ثلاث مرات، ويستعيذ بالله

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل منهم أسلم...، رقم(٣٥٠٩).

من شر الشيطان ثلاث مرات، ومن شر ما رأى، يقول: أعوذ بالله من شر الشيطان ومن شر ما رأيت. ثلاث مرات، ويتحول إلى الجنب الثاني، فإذا كان على جنبه الأيسر يتحول إلى الأيمن، وإذا كان على الأيمن يتحول إلى الأيسر.

ثانيًا: كذلك أيضًا يتوضأ، وإذا لم ينفع هذا، يعني لو أنه تحول عن جنبه الأول إلى الثاني ثم عادت هذه الرؤيا التي يكرهها فليقم ويتوضأ ويصلي.

ولا يخبر بها أحدًا، فلا يقول: رأيت ورأيت، ولا يذهب إلى الناس يعبرونها، ولا يذهب إلى أحد يفسرها، فإنها لا تضره أبدًا حتى وكأنها ما وقعت، وفي هذا راحة له.

وبعض الناس إذا رأى شيئًا يكرهه ذهب يتلمس من يفسر له هذه الرؤيا، ونحن نقول له: لا تفعل ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الرؤيا يكرهونها، فلما حدثهم النبي ﷺ بهذا الحديث استراحوا؛ فصار الإنسان إذا رأى الرؤيا التي يكرهها بصق عن يساره ثلاث مرات، واستعاذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، ولم يحدث بها أحدًا، ثم لا تضره وكأنها ما صارت.

أما القسم الثالث: فهو الحلم الذي يكون من حديث النفس، حيث يكون الإنسان متعلقًا بشيء من الأشياء دائمًا، فهذا ربما يراه

في المنام، وهذا أيضًا لا حكم له ولا أثر له.

وينبغي للإنسان إذا رأى رؤيا تسره، وهي الرؤيا الصالحة، أن يؤولها على خير ما يقع في نفسه؛ لأن الرؤيا إذا عبرت بإذن الله فإنها تقع.

ثم إن من المهم ألا نعتمد على ما يوجد في بعض الكتب؛ ككتاب تفسير الأحلام لابن سيرين، وما أشبهها، فإن ذلك خطأ، وذلك لأن الرؤيا تختلف بحسب الرائي وبحسب الزمان وبحسب المكان وبحسب الأحوال، يعني ربما يرى شخص رؤيا فنفسرها له بتفسير، ويرى آخر رؤيا هي نفس الرؤيا فنفسرها له بتفسير آخر غير الأول، لماذا؟ لأن هذا رأى ما يليق به، وهذا رأى ما يليق به، أو لأن الحال تقتضي أن نفسر هذه الرؤيا بهذا التفسير، وما أشبه ذلك.

فالحاصل ألا يرجع الإنسان إلى الكتب المؤلفة في تفسير الأحلام؛ لأن الأحلام تختلف.

ويذكر أن رجلاً رأى رؤيا ففسرت له بتفسير، ثم رآها آخر نفس الرؤيا ففسرت بتفسير آخر، فسئل الذي فسرهما في ذلك فقال: لأن هذا يليق به ذلك ما رأى، وهذا يليق به ما رأى. كل إنسان يفسر بما يليق به.

ولهذا فإن النبي ﷺ في غزوة أحد قبل الوقعة أو في أثنائها،

رأى في المنام أن في سيفه ثلمة، ورأى بقرًا تنحر، فسرها بأنه يقتل أحد من أهل بيته، وأنه يقتل أحد من أصحابه، فالثلمة هي أنه يقتل أحد من أهل بيته؛ لأن الإنسان يحتمي بقبيلته ويحتمي بسيفه، فلما صار في السيف ثلمة فمعنى ذلك أنه سيكون ثلمة في أهل بيته.

ووقع كذلك؛ وهو استشهاد حمزة عم النبي ﷺ في أحد، أما البقر التي تنحر فالذين قتلوا من الصحابة رضي الله عنهم في أحد نحو سبعين رجلاً، وإنما رآه بقرًا؛ لأن البقر فيها منافع كثيرة، فهي أنفع ما يكون من بهيمة الأنعام؛ للحرث، وللسمن، وللنماء، وللبن، وفيها مصالح كثيرة، والصحابة رضي الله عنهم كلهم خير، فيهم خير كثيرٌ لهذه الأمة، ولو لم يكن من خيرهم إلا أن الله سبحانه وتعالى وفَّقهم لحمل الشريعة إلى الأمة لكان ذلك يكفيهم، إذ أنه لا طريق لنا إلى شريعة الله إلا بواسطة الصحابة رضي الله عنهم، والله الموفق.

* * *

كتاب السلام

١٣١ - باب فضل السلام والأمر بإفشائه

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه **رياض الصالحين**: (كتاب السلام) السلام: يريد به التحية التي شرعها النبي ﷺ لأمته.

والسلام: بمعنى الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: السلام عليك فهذا يعني أنك تدعو له بأن الله يسلمه من كل آفة: يسلمه من المرض، يسلمه من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار، فهو لفظ عام. معناه: الدعاء للمسلَّم عليه بالسلامة من كل آفة.

وكان الصحابة رضي الله عنهم من محبتهم لله عزَّ وجلَّ كانوا يقولون في صلاتهم: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان، فنهاهم النبي ﷺ أن يقولوا: السلام على الله من عباده، وقال: «إن الله هو السلام»، يعني: السالم من كل عيب ونقص - جلَّ وعلا - فلا حاجة أن تثني عليه بالدعاء بأن يُسْلِمَ نَفْسَهُ. ثم قال لهم: قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»(١).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب من سمّى قومًا أو سلم في الصلاة على غيره، رقم (١٢٠٢).

ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**؟!» لا أدري هل نحن نستحضر أننا نسلم على أنفسنا، السلام علينا، وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض، يعني نسلم على الأنبياء، نسلم على الصحابة، نسلم على التابعين لهم بإحسان، نسلم على أصحاب الأنبياء؛ كالحواريين أصحاب عيسى، والذين اختارهم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ سبعين رجلاً، وغير ذلك؟! هل نحن نستحضر أننا نسلم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة؟! لا أدري هل نحن نستحضر هذا أم لا؟ إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك.

لأن الرسول ﷺ قال: «إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض».

والسلام مشروع بين المسلمين، مأمور بإفشائه، قال النبي ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[(١)] يعني أظهروه وأعلنوه، وصدق رسول الله ﷺ فإن إفشاء السلام بين الناس من أسباب المحبة، ولذلك إذا لاقاك رجل ولم يسلم عليك كرهته، وإذا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل إلا المؤمنون... رقم (٥٤).

سلم عليك أحببته ـ وإن لم يكن بينك وبينه معرفة ـ ولهذا كان من حسن الإسلام أن تفشي السلام، على من عرفت أو أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات من كتاب الله منها:

١ ـ أن السلام من سنن الرسل والملائكة أيضًا، فهؤلاء الملائكة الذين جاءوا لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ذكر علماء النحو أن إجابة إبراهيم أكمل من سلام الملائكة؛ لأن الملائكة قالوا: ﴿سَلامًا﴾. بالنصب، وسلامًا مصدر لفعل محذوف تقديره: نسلم سلامًا، فالجملة فعلية وهي لا تدل على الدوام والثبوت، أما رد إبراهيم فقال: ﴿سَلامٌ﴾. أي عليكم سلام، فهي جملة اسمية تدل على الثبوت، فرده أكمل، ولهذا يعتبر رد إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الرد الأكمل الذي قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيه: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، فتبين في هذا أن السلام من سنن الرسل السابقين، وأنه أيضًا من عمل الملائكة المقربين.

٢ ـ ثم ذكر المؤلف أيضًا آيات تدل على ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

فإذا أردت أن تدخل بيتًا لا تدخل إذا لم يكن بيتك، حتى تستأنس وتسلم، حتى لا يكون في قلبك وحشة؛ لأن الإنسان إذا دخل بيت غيره بدون استئذان استوحش، وإذا كان باستئذان فهو مستأنس، هذا وفي قراءة أخرى ﴿حتى تستأذنوا﴾ . لكن السبعية ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ . وهي أعم؛ لأن قوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ . يشمل ما إذا استأنس الإنسان بإذن من صاحب البيت، أو استأنس الإنسان بإذن سابق.

مثلاً قال له: ائتني الساعة الرابعة والنصف وتجد الباب مفتوحًا، فإذا جئت في الساعة الرابعة والنصف ووجدت الباب مفتوحًا فلا حاجة لأن تستأذن؛ لأني الآن مستأنس؛ لأن عندي إذن مسبق، فقراءة ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ . هي الصحيحة، يعني: هي التي أشمل من قراءة ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْذنوا﴾ وأيضًا هي السبعية.

وقوله: ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ . أيضًا تسلم على أهل البيت: السلام عليكم.. أأدخل؟ وإذا دخلت بيتك فلا حاجة للاستئذان؛ لأنه بيتك ولكن سلم على أهلك إذا دخلت، وابدأ بالسواك قبل السلام، فإذا وصلت أهلك قل: السلام عليكم. هذه هي السنة التي جاءت عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ

دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾. مثل هذه الصيغة «هل أتاك» يراد بها التشويق، يعني أن الله عزَّ وجلَّ ذكرها بصيغة الاستفهام تشويقًا للمخاطب، ومن المعلوم أن الإنسان سيقول: لا لم يأتني؛ لأن الصيغة جاءت بالزمن الماضي.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾. يعني أنتم قوم منكرون، أي: لا أعرفكم، وليس المعنى أنه من المنكر الذي هو الحرام، لكنه من المنكر الذي هو غير معروف يعني: أنا لا أعرفكم.

٤ ـ ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾. يعني على من فيها، وجعلهم من أنفسهم؛ لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا[١]، فهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨]، فالمعنى إذن: سلموا على من فيها؛ لأنكم أنتم وإياهم نفس واحدة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥).

والنفس قد تطلق على الغريب كما ذكرناه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، يعني: لا يلمز بعضكم بعضًا، وليس المعنى أن الإنسان يلمز نفسه.

والحاصل أنك إذا دخلت بيتًا فسلم على من فيه قل: السلام عليكم، وهم يجب عليهم أن يردوا السلام، وقد سبق أن السنة إذا دخلت بيتك أن أول ما تبدأ به أن تتسوك، ثم تسلم على أهل البيت.

ومنها ـ أي من الآيات التي ذكرها المؤلف ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

فأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا حيينا بتحية أن نحيي بأحسن منها أو نردها، يعني نرد مثلها. فمثلاً: إذا قال لك إنسان: السلام عليكم، فقل: عليك السلام ولا تقتصر، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقل: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وجوبًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾.

وإذا قال: السلام عليكم. فقلت: عليكم السلام ورحمة الله. فهذا أحسن من الأول، وهذا أفضل، لكنه ليس بواجب، الواجب أن ترد عليه بمثل ما سلم عليك.

وقوله ـ سبحانه ـ ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾. يشمل الأحسن نوعًا، والأحسن كمًّا، والأحسن كيفية. ثلاثة أشياء الأحسن نوعًا وكمًّا وكيفية. فمثلاً إذا قال: السلام عليك. فقلت: أهلاً ومرحبًا بأبي فلان حيَّاك الله وبيَّاك تفضل. فهذا لا يجزئ ولو قلت هذا ألف مرة فلن ينفع، وكنت آثمًا؛ لأنك لم ترد بأحسن ولا بالمثل، فمن يقول لك: السلام عليك، يدعو لك بالسلام مع التحية، فإذا قلت: أهلاً ومرحبًا، فهذه تحية بلا دعاء، فلابد أن تقول أحسن منها نوعًا، أحسن منها كمًّا، أو مثلها، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله. فقلت: عليك السلام فقط. فهذا لا يجوز؛ لأنك ما رددت بأحسن ولا بالمثل، لابد أن تقول كما قال.

كذلك أحسن منها كيفية: إذا سلم عليك بصوت واضح مرتفع لا ترد عليه بطرف أنفك.

ومن ذلك أيضًا: إذاسلم عليك وقد أقبل إليك بوجهه فسلمت عليه معرضًا عنه مصعرًا خدك له، فهذا أيضًا نقص، لم تردها، ولم ترد بأحسن منها.

وظاهر هذه الآية الكريمة: أنه لو حياك رجل من الكفار فقال: السلام عليك بعبارة واضحة فقلت: وعليك السلام، فلا بأس بها؛ لأنك رددت بالمثل، وأما قول النبي ﷺ: «**إذا سلم عليكم أهل**

الكتاب فقولوا: وعليكم»[١]. يعني ولا تقولوا: وعليكم السلام، فإنه بين ﷺ في نفس الحديث سبب ذلك فقال: «إن اليهود إذا سلموا عليكم يقول أحدهم: السام عليكم»[٢]، وما السام؟ السام هو الموت، يقولون: السام عليك. يعني يدعون بالموت عليك، فقال الرسول ﷺ: «قولوا: وعليكم» يعني: إذا قالوا: السام عليك، فقل: وعليك، يعني عليك أيضًا أنت السام، فيفهم من هذا الحديث أنهم لو قالوا: السلام عليكم، فإنك تقول: وعليكم السلام. ولا بأس؛ لأن الله قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، والله الموفق.



١/٨٤٥ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً سَأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسْلام خَيْرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِف» متفقٌ عليه[٣].

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام، رقم (٦٢٥٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام. . ، رقم (٢١٦٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، رقم (٢١٦٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم (١٢)، ومسلم، =

الشرح

سبق الكلام على الآيات التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتاب السلام وآدابه في هذا الباب، ثم ذكر الأحاديث ومنها:

١ ـ حديث: عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ سئل: أي الإسلام خير؟. والصحابة رضي الله عنهم إذا سألوا الرسول في مثل هذه الأسئلة لا يريدون مجرد العلم، وإنما يريدون العمل، فإذا قال: خير الإسلام كذا وكذا فعلوه وتسابقوا إليه، وهكذا ينبغي للسائل الذي يسأل العالم ويستفتيه أن ينوي بقلبه أنه إذا دلَّه على الخير فعله ـ كما كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم ـ لا يريد أن ينظر ماذا عند العالم فقط، بل يريد أنه إذا دلَّه على الخير فعله كما كان ذلك دأب الصحابة رضي الله عنهم، فقال النبي ﷺ: «**تطعم الطعام**» يعني: من احتاج إليه، وأول من يلزمك إطعامه هم عائلتك، وإطعامهم صدقة وصلة وأفضل من إطعام الأباعد؛ لأن إطعام أهلك قيام بواجب، وإطعام الأباعد قيام بمستحب، والواجب أحب إلى الله تعالى من المستحب كما في الحديث القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت

= كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أمور أفضل، رقم (٣٩).

عليه»[١] وبعض الناس ينفق على أهله ما ينفق ولكنه لا يشعر بأنه يتقرب إلى الله بهذا الإنفاق، ولو جاءه مسكين وأعطاه «ريالاً واحدًا» شعر بأنه متقرب إلى الله بهذه الصدقة، ولكن الصدقة الواجبة على الأهل أفضل، وأكثر أجرًا، فإذا أطعمت الطعام لأهلك فهذا من خير الإسلام.

وقال: «وتقرأ السلام» وهذا هو الشاهد. تقرأ السلام: يعني تقول: السلام عليكم؛ هذا معنى قراءة السلام؛ يعني هذا يسمى إلقاء السلام، ويسمّىٰ قراءة السلام.

«على من عرفت ومن لم تعرف»: لا يكن سلامك سلام معرفة، بل يكن سلامك سلام مثوبة وألفة؛ لأن المسلم يُثاب على سلامه ويحصل بسلامه التأليف كما قال النبي ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[٢]، أما من لا يسلم إلا سلام معرفة فسوف يفوته خير كثير؛ لأنه ربما مرَّ به العشرات لا يعرف منهم إلا واحدًا، أما من يسلم سلام مثوبة وألفة فهو يسلم على من عرف ومن لم يعرف إلا إذا كان الذي مررت به كافرًا فلا تسلم عليه؛ لأن النبي

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢).
(٢) سبق تخريجه ص(٣٨١).

ﷺ قال: «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام**»[(١)] وغيرهم أخبث منهم مثل السيخ والمشركين والشيوعيين ومن شابههم، فلا تقرأ عليهم السلام، ولا تسلِّم عليهم، أما الفاسق المعلن بفسقه ـ فإذا كان في ترك السلام عليه مصلحة كأن يتوب من فسقه ويرجع إلى الله ـ فلا تسلم عليه، أما إذا لم يكن هناك مصلحة فسلم عليه، وأما إذا كان الأمر عنده واحد بل ربما إذا لم تسلم عليه يكون في قلبه عداوة عليك ويستمر في باطله ولا يقبل منك نصيحة فسلِّم عليه.
فصار الناس ثلاثة أقسام:

قسم فاسق معلن بفسقه: فهذا سلِّم عليه إلا إذا كان في هجره مصلحة.

وقسم كافر: لا تسلم عليه، لكن إن سلم عليك فرد عليه.

والثالث: إنسان مسلم لا تعلم عليه فسقًا فسلم عليه، واحرص على أن تكون أنت البادئ بالسلام؛ لأن النبي ﷺ كان يبدأ من لقيه بالسلام ـ وهو أشرف الخلق ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض**

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام...، رقم (٢١٦٧).

هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[(١)]. وهكذا الحديث «خير الإسلام أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»، والله الموفق.

* * *

٢/٨٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُه سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئكَ ـ النَّفَر مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوس ـ فاسْتَمِعْ ما يُحِيُّونَكَ، فَإِنَّها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ الله» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

الشرح

ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل السلام وإفشائه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما خلق آدم قال له: «**اذهب فسلِّم على أولئك النفر من الملائكة ـ جلوس ـ فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية**

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم (٦٠٧٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، رقم (٢٥٦٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، رقم (٦٢٢٧)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة...، رقم (٨٤١).

ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله».

ففي هذا الحديث عدة فوائد منها:

أولاً: أن هذه الخليقة البشرية كانت من العدم، وأنها لم تكن شيئًا مذكورًا من قبل؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، فهذه البشرية لم تكن شيئًا مذكورًا من قبل، فخلقها الله وأوجدها لحكمة عظيمة، ولهذا لما قالت الملائكة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ حين أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، خلق الله هذه البشرية وجعل منهم الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين.

ثانيًا: أن الملائكة أجسام وليست أرواحًا؛ لأنهم جلوس، والجالس يعني أنه جسم، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سدَّ الأفق، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، فالملائكة أجسام ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حجبهم عنا جعلهم عالمًا غيبيًا كما أن الجن أجسام ولكن الله تعالى حجبهم عنا فجعلهم عالمًا غيبيًا، وقد تظهر

الملائكة في صورة إنسان كما جاء جبريل إلى النبي ﷺ مرة بصورة «دحية الكلبي»، ومرة بصورة رجل غريب لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه الصحابة، وعليه ثياب بيض، وشعره أسود وجلس إلى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها.

ثالثًا: أن السنة في السلام: «السلام عليكم» إذا كانوا جماعة، وإن كان واحدًا تقول: «السلام عليك»؛ لأن الواحد يخاطب بخطاب الواحد، والجماعة تخاطب بخطاب الجماعة.

رابعًا: أن السلام متلقن من الملائكة بأمر الله، حيث قال الله سبحانه وتعالى: «إنها تحيتك وتحية ذريتك». لكن في قولهم: «السلام عليك ورحمة الله» في الرد إشكال؟. وهو أن المعروف في الرد أن يقدم الخبر فيقال: عليك السلام.

لكن يقال: إما أنهم بهذا يعلمونه التحية الابتدائية، أوأن الشريعة وردت بخلاف ذلك ـ بتقديم الخبر ـ.

خامسًا: أن الأفضل في رد السلام أن يزيد الإنسان «ورحمة الله»؛ لأن الملائكة زادوا، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قال: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾. فبدأ بالأحسن ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾. إذا لم تردوا الأحسن، والله الموفق.

* * *

٣/٨٤٧ ـ وعن أبي عمارة البَرَاءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المرِيض، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وتشمِيت العَاطِسِ، وَنَصَرِ الضَّعِيف، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلامِ، وَإبرارِ المقْسِمِ» متفق عليه(١). هذا لفظ إحدى روايات البخاري.

٤/٨٤٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»(٢) رواه مسلم.

٥/٨٤٩ ـ وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلَوا الأرْحَامَ، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ» رواه الترمذيُّ(٣) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٦/٨٥٠ ـ وعن الطُّفَيْل بن أُبيِّ بن كَعْبٍ رضي الله عنه أنَّهُ كان يَأتِي عبد الله بن عُمَرَ، فَيَغْدُو مَعَهُ إلى السُّوقِ، قال: فإذَا غَدَوْنَا إلى السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عبدُ الله عَلى سَقَّاطٍ ولا صاحِبِ بَيْعَةٍ، وَلاَ مسْكِينٍ، وَلاَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، رقم (٦٢٣٥)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال، رقم (٢٠٦٦).
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم (٥٤).
(٣) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، رقم (٢٤٨٥).

أَحَدٍ إلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قال الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبد الله بن عُمَرَ يَوْمًا، فاسْتَتْبَعَني إلى السُّوقِ، فَقُلْتُ لهُ: ما تَصْنَعُ بِالسّوقِ، وأَنْتَ لا تَقِفُ على البَيْعِ، وَلا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلا تَسُومُ بِهَا، وَلاَ تجْلِسُ في مَجَالِس السُّوقِ؟ وأَقُولُ: اجْلِسْ بِنا هاهُنا نَتَحَدَّثْ، فقال: يَا أَبَا بَطْنٍ ـ وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذا بَطْنٍ ـ إنَّمَا نَغْدو مِنْ أَجْلِ السَّلام، نسَلِّمُ على مَن لَقِيناهُ. رواه مالك في الموطأ[١] بإسنادٍ صحيحٍ.

الشرح

هذه الأحاديث ـ حديث البراء وحديث أبي هريرة وحديث عبدالله بن سلام رضي الله عنهم ـ في باب فضل السلام وإفشائه سبق الكلام عليها، فلا حاجة إلى إعادة الكلام. أما حديث الطفيل بن أبي بن كعب فإنه ذكر له قصة مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه استتبعه ـ يعني عبد الله بن عمر ـ يومًا إلى السوق فجعل عبد الله يسلم على كل أحد: على صاحب الدكان، وعلى كل من مرَّ عليه ممن عرف وممن لا يعرف. فجاءه ذات يوم، فقال له: اذهب بنا إلى السوق. فقال له: ما تصنع بالسوق؟ فأنت لا تشتري شيئًا، ولا تسوم شيئًا، اجلس بنا هنا نتحدث. فقال: إنما أذهب إلى السوق من أجل السلام على الناس؛ لأن الإنسان إذا سلَّم وأفشى السلام

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٦١).

وأظهره كان هذا سببًا لدخول الجنة كما في حديث أبي هريرة: «لا تدخلو الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»، ولأن الإنسان إذا سلَّم على أخيه فقال: السلام عليكم، أو السلام عليك إذا كان واحدًا، فإنه يكتب له بذلك عشر حسنات، فإذا سلم على عشرة أشخاص كتب له مائة حسنة، وهذا خيرٌ من البيع والشراء، فكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدخل السوق من أجل كثرة المسلم عليهم؛ لأنه في بيته لا يأتيه أحد، وإذا أتاه أحد فهو أقل بكثير ممن في السوق، لكن من في السوق يمر عليهم، ويسلم عليهم، وفي هذا دليلٌ على أنه لا ينبغي للإنسان أن يسأم، يعني أن يمل من كثرة السلام، لو لاقاك مائة شخص فيما بينك وبين المسجد مثلاً، فسلم. إذا سلمت على مائة شخص تحصل على ألف حسنة، وهذه نعمة كبيرة.

وفي هذا أيضًا دليلٌ على حرص السلف الصالح على كسب الحسنات، وأنهم لا يفرطون فيها بخلاف وقتنا الحاضر: تجد الإنسان يفرط في حسنات كثيرة. وابن عمر رضي الله عنهما من أحرص الناس على المبادرة إلى فعل الخير لما حدثه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن من تبع الجنازة حتى يصلى عليها كتب له

قيراط، ومن شهدها حتى تدفن كتب له قيراطان، قيل: وما القيراطان يا رسول الله؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين: أصغرهما مثل أحد»[(١)]. ولما حدث ابن عمر بهذا الحديث قال: والله لقد فرطنا في قراريط كثيرة ثم صار لا تحصل جنازة إلا تبعها رضي الله عنه، وهكذا السلف الصالح، إذا علموا ما في الأعمال من الخير والثواب بادروا إليها وحرصوا عليها، فكان ابن عمر لا يدع جنازة إلا خرج معها وتبعها وتندم وندم لما مضى قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة، فالذي ينبغي للمؤمن أن يكون حريصًا على فعل الخير كلما بان له خصلة خير فليبادر إليها. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتسابقين إلى الخيرات، إنه على كل شيء قدير.

أما قوله: «يا أبا بطن»: فإن الطفيل كان كبير البطن، وهذا من باب المداعبة، وليس قصده أن يُعيّره بأنه كبير البطن، لكن يداعبه، مثل قول الرسول ﷺ لأبي هريرة: «يا أبا هر».



---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، رقم (١٣٢٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، رقم (٩٤٥).

١٣٢- باب كيفية السلام

يُسْتَحبُّ أَنْ يَقُولَ المُبْتَدِئ بِالسَّلامِ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» فَيأتي بضميرِ الجَمْعِ، وَإِنْ كانَ المُسلَّمُ عَلَيْهِ واحِدًا، وَيَقُولُ المُجيبُ: «وَعَلَيْكُم السَّلامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ» فَيَأْتي بواوِ العطفِ في قوله: وَعَلَيْكُم».

١/٨٥١ - عن عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثم جَلَسَ، فقال النبيُّ ﷺ: «عشْرُ» ثم جَاءَ آخَرُ، فقال: السَّلامُ عَلَيكم ورَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عليهِ فَجَلَسَ، فقال: «عِشْرُون» ثم جَاءَ آخَرُ، فقال: السَّلامُ عليكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقال: «ثَلاثونَ» رواه أبوداود والترمذي[١] وقال: حديثٌ حسنٌ.

٢/٨٥٢ - وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «هذا جِبريلُ يقرَأُ عَلَيكِ السَّلامِ» قَالَتْ: قُلْتُ: «وَعَلَيْهِ السَّلامُ ورحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ» متفقٌ عليه[٢]. وهكذا وقع في بعض روايات الصحيحين:

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كيف السلام، رقم (٥١٩٥)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما ذكر في فضل السلام، رقم (٢٦٨٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢١٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها رقم (٢٤٤٧).

«وَبَرَكَاتُهُ» وفي بَعْضِها بحذْفِهَا وَزِيَادَةُ الثِّقَةِ مَقبُولَةٌ.

٣/٨٥٣ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذا تكلمَ بِكَلِمَةٍ أعَادَها ثلاثًا حَتَّى تُفهَمَ عنه، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم سَلَّم عَلَيهِم ثلاثًا. رواه البخاري[1]. وهذا مَحْمُولٌ على مَا إذا كان الجمعُ كَثيرًا.

الشرح

ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه: «رياض الصالحين» باب كيفية السلام: يعني كيف يسلم؟ ماذا يقول إذا سلم، وماذا يقول إذا رد؟ وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه يستحب أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله، وإن كان المسلم عليه واحدًا، ثم استدل بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عشر**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: «**عشرون**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: «**ثلاثون**». فقال: للأول «عشر» يعني حسنات، وللثاني «عشرون» وللثالث «ثلاثون»؛ لأن كل واحد منهم زاد.

وهذه مسألة اختلف فيها العلماء: هل إذا سلم على واحد

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، رقم (٩٥).

يقول: السلام عليك أو عليكم؟ والصحيح أنه يقول: السلام عليكم. هكذا ثبت عن النبي ﷺ كما في حديث المسيء في صلاته أنه قال: السلام عليك. وأما ما استدل به المؤلف من حديث عمران فليس فيه دلالة، لأن الرجل دخل على النبي ﷺ ومعه جماعة فسلم على الجميع. فإذا كانوا جماعة قل: السلام عليكم، وإذا كان واحدًا قل: السلام عليك، وإن زدت: ورحمة الله. فهو خير، وإن زدت: وبركاته. فهو خير؛ لأن كل كلمة فيها عشر حسنات، وإن اقتصرت على: السلام عليكم، فهو كاف بهذه الكيفية.

ويقول الراد: وعليكم السلام، ثم إن كان المسلم لم يزد على قول: السلام عليك. كفى، وإن كان المسلم قد قال: السلام عليك ورحمة الله. فعلى الراد أن يقول: عليك السلام ورحمة الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، يعني: ردوا مثلها. وقال: يستحب أن يقول: «وعليكم» بزيادة الواو، وهذا حسن؛ لأنه إذا قال: «وعليكم» صار واضحًا أنه معطوف على الجملة التي سلم بها المسلِّم، وإن حذفها فلا بأس، لأن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يأت بالواو في رده السلام على الملائكة ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ولم يأت بالواو، فإن أتى بالواو فحسن، وإن تركها فلا بأس.

ثم إنه من السنة إذا نقل السلام من شخص إلى شخص آخر أن يقول: عليه السلام. وإن قال: عليك وعليه السلام، أو عليه وعليك السلام، فحسن؛ لأن هذا الذي نقل السلام محسن، فتكافئه بالدعاء له، فإذا قال شخص لآخر: سلِّم لي على فلان. ثم نقل الوصية وقال: فلان يسلم عليك، فإنه يقول: عليه وعليك السلام، أو يقول: عليه السلام، ويقتصر؛ لأن النبي ﷺ بلغ عائشة أن جبريل يقرأ عليها السلام، فقالت: عليه السلام، فدل ذلك على أنه إذا نقل السلام إليك أحد من شخص تقول: عليه السلام، ولكن هل يجب عليك أن تنقل الوصية إذا قال: سلِّم لي على فلان، أو لا يجب؟

فصل فيها العلماء فقالوا: إن التزمت له بذلك وجب عليك؛ لأن الله يقول: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وأنت الآن تحملت هذا، أما إذا قال: سلِّم لي على فلان وسكت أو قلت له مثلاً: إن ذكرت أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يلزم إلا إذا ذكرت، وقد التزمت له بأن تسلم عليه إذا ذكرت، لكن الأحسن ألا يكلف الإنسان أحدًا بهذا؛ لأنه ربما يشق عليه، ولكن يقول: سلم لي على من سأل عني؛ لأنه إذا قال: سلم لي على من سأل، وسأله كيف فلان؟ قال: فلان طيب ويسلم عليك، هذا طيب، أما أن يحمله فإن هذا لا ينبغي؛ لأنه قد يستحي منك فيقول: نعم أنقل

سلامك، ثم ينسى أو تطول المدة أو ما أشبه ذلك.

ثم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم؛ تكلم ثلاثًا وإذا سلم؛ سلم ثلاثًا، لكنه يتكلم ثلاثًا إذا لم تفهم الكلمة عنه، أما إذا فهمت فلا يكرر، لكن لو لم تفهم لكون المخاطب ثقيل السمع، أو لكثرة الضجة حوله أو ما أشبه ذلك فليعد مرتين، فإن لم تكف فثلاث، يعني وبعد الثلاث لا يلزمه، كما أنه إذا استأذن للدخول في البيت ثلاث مرات ولم يؤذن له انصرف، وكذلك هنا إذا تكلم ثلاث مرات ولم يكلمه أو لم يفهم يتركه، كذلك إذا سلمت ولم يسمع المسلم عليه أعد مرة ثانية ومرة ثالثة، وهكذا إذا سلمت ورد عليك ردًّا لا يجزئ، كما لو قلت: السلام عليك. قال: أهلاً ومرحبًا. أعد السلام قل: السلام عليك. إذا قال: أهلاً ومرحبًا. أعد السلام قل: السلام عليك. **«ثلاث مرات»** فإن لم ينفع فاتركه، ولكن نبهه بأن قول القائل في الإجابة: أهلاً ومرحبًا لا يكفي، لابد أن يقول: عليك السلام، إذا قيل: السلام عليك. والله الموفق.

٤ / ٨٥٤ ـ وعن المِقْدَاد رضي الله عنه في حديثِهِ الطويل قال: كُنَّا نَرفَعُ للنَّبيِّ ﷺ نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيلِ، فَيُسَلِّمُ تسلِيمًا لا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقظَان، فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كما كان يُسَلِّمُ.

رواه مسلم[١].

٥/٨٥٥ ـ وعن أَسْمَاء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ، مَرَّ في المَسْجِدِ يَومًا، وعُصبَة مِنَ النِّسَاءِ قُعودٌ، فَألوى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ. رواه الترمذي[٢] وقال: حديثٌ حسنٌ. وهذا مَحْمُولٌ على أنه ﷺ، جَمَعَ بَيْنَ اللَّفظ والإِشَارَة، ويُؤَيِّدُهُ أن في روايةِ أَبي داود[٣]: «فَسَلَّمَ عَلَيْنَا».

٦/٨٥٦ ـ وعن أبي جُرَي الهَجَيْمِيِّ رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يا رسول الله. فَقَالَ: «لا تَقُل عَلَيْكَ السَّلامُ، فإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوْتى». رواه أبوداود، والترمذي[٤] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين من آداب السلام منها حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدخل البيت في الليل فيسلم

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم (٢٠٥٥).
(٢) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم على النساء، رقم (٢٦٩٧).
(٣) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في السلام على النساء، رقم (٥٢٠٤).
(٤) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقول: عليك السلام، رقم (٥٢٠٩)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في كراهية أن يقول: عليك السلام مبتدئًا، رقم (٢٧٢٢).

سلامًا خفيفًا يسمعه اليقظان ولا يوقظ النائم، وهكذا ينبغي للإنسان إذا دخل بيتًا أو حجرة أو ما أشبه ذلك وفيها نيام وأيقاظ أن يسلم سلامًا يسمعه الأيقاظ ولا يوقظ النيام؛ لأن النائم لا يحب أن يوقظه أحد، لا سيما أن بعض الناس إذا أوقظ صار لا يأتيه النوم بعد ذلك ويبقى أرقًا إلى الفجر، وهذا فيه أذًى وفيه ضرر على الآخرين. فإذا دخلت مكانًا فيه أيقاظ ونيام فأعط الأيقاظ حقهم في السلام عليهم، وامنع الأذى عن النيام بحيث يكون السلام خفيفًا يسمعه من كان يقظان ولا يسمعه النائم.

ثم ذكر المؤلف حديث أسماء في مرور النبي ﷺ على نساء في المسجد، فألوى بيده إليهن بالتسليم وقال ـ رحمه الله ـ: إن هذا محمول على أنه جمع بين التسليم باليد ـ بالإشارة ـ وكذلك باللسان؛ لأن التسليم باليد فقط منهي عنه، نهى عنه النبي ﷺ وأما الجمع بينهما فلا بأس خصوصًا إذا كان الإنسان بعيدًا يحتاج إلى أن ينظر لليد التي يشير بها المسلم، أو كان أصم لا يسمع أو ما أشبه ذلك، فإنه يجمع بين السلام وبين الإشارة، وأما ما يفعله بعض الناس إذا مر وهو يركب سيارته فإنه يضرب البوق، فإن هذا لا يكفي في السلام، وليس من السنة اللهم إلا أن بعض الناس يقول: أنا لا أريد به السلام، لكن أريد أن ينتبه ثم أسلم عليه، هذا أرجو ألا

يكون به بأس، وأما أن يجعله بدلاً عن السلام، فإن هذا ـ لا شك ـ خلاف السنة، فالسنة أن يسلم الإنسان بلسانه ـ وإذا كان الصوت لا يسمع ـ فإنه يسلم ويشير بيد، حتى ينتبه البعيد أو الأصم.

وفي حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ مر بالمسجد وفيه عصبة من النساء، فألوى إليهن بالتسليم ـ أي سلم عليهن وأشار بيده ـ قال النووي: وهو محمول على أنه جمع بين السلام والإشارة. وذلك لأن السلام بالإشارة فقط منهي عنه، السلام لابد أن يكون بالقول «السلام عليك» إذا كان واحدًا، و«السلام عليكم» إذا كانوا جماعة لكن إذا كان الإنسان بعيدًا أو أصم أو حوله ضجة أو ما أشبه ذلك فإنه يجمع بين الإشارة وبين القول «السلام عليكم» مع الإشارة.

وفي الحديث سلام النبي ﷺ على النساء، وذلك لأن المحذور منتف غاية الانتفاء، وإلا فإن الرجل الأجنبي الذي ليس محرمًا للمرأة لا يسلم عليها، لما في ذلك من الفتنة، ولا سيما الشاب مع الشابة، فإنه لا يسلم الرجل على المرأة، ولا المرأة على الرجل، لكن إذا كان الرجل معروفًا بالصلاح، ومرَّ على نساء مجتمعات كاللاتي يجتمعن في المسجد أو في درس أو ما أشبه ذلك فلا بأس أن يسلم؛ لأن المحذور منتفٍ، والمسجد كل يدخل فيه ويخرج،

لكن أن يمر الإنسان بالمرأة الشابة في الشارع، أو السوق ويسلم عليها هذا فتنة، فلا يسلم على المرأة، كذلك لو دخل بيته ـ وفيه نساء قد زرن أهله ـ فلا بأس أن يسلم؛ لأن المحذور منتفٍ، وأما ما يخشى منه الفتنة فإن لدينا قاعدة شرعية وهي: «**درء المفاسد أولى من جلب المصالح**».

كذلك أيضًا في صيغة السلام، وتقدم أن صيغة السلام أن تقول: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وإذا كانوا جماعة تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأما «عليك السلام»، فإن النبي ﷺ نهى عنها، وقال: «**إن هذه تحية الموتى**» يعني أنهم كانوا في الجاهلية يسلمون على أمواتهم بمثل هذا، مثل قول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عامر

فهم إذا خاطبوا الأموات ـ ولو كانوا غائبين ـ لكن يستحضرونهم كأنهم بين أيديهم، يسلمون عليهم بهذا: عليك سلام الله، فلهذا نهى النبي ﷺ عن ذلك؛ لأنه تحية الموتى، ومشابهة لأهل الجاهلية في جاهليتهم، فبدلاً من أن تقول: عليك السلام. قل: السلام عليكم. هذا هو السنة، والله أعلم.

* * *

١٣٣ـ باب آداب السلام

١/٨٥٧ ـ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بن عَجْلاَنَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَوْلى النَّاسِ باللهِ مَنْ بَدَأَهم بالسَّلامِ» رواه أبوداود بإسنادٍ جيدٍ[١].

ورواه الترمذي عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه: قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ، أَيُّهُمَا يَبْدأُ بالسَّلاَمِ؟ قال: «أَوْلاهُمَا بِالله تعالى». قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ[٢].

٢/٨٥٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلى المَاشي، والمَاشي عَلى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ» متفقٌ عليه[٣]. وفي روايةٍ البخاري: «والصَّغِيرُ عَلى الكبير».

الشرح

هذه أحاديث في شيء من آداب السلام ذكرها النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في رياض الصالحين في آداب السلام، سبق الكلام على

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب فضل من بدأ السلام، رقم (٥١٩٧).
(٢) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في فضل الذي يبدأ بالسلام، رقم (٢٦٩٤).
(٣) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الراكب على الماشي، رقم (٦٢٣٢)، ومسلم، كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، رقم (٢١٦٠).

بعضها. ومنها: حديث أسماء الذي تقدم شرحه، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه من الذي يسلم؟. فيقول:

أولاً: خير الناس من يبدأ الناس بالسلام، وقد كان النبي ﷺ - وهو أشرف الخلق - يبدأ من لقيه بالسلام، فاحرص على أن تكون أنت الذي تسلم قبل صاحبك ولو كان أصغر منك؛ لأن خير الناس من يبدؤهم بالسلام، وأولى الناس بالله من يبدؤهم بالسلام، فهل تحب أن تكون أولى الناس عند الله؟! كلنا نحب ذلك، إذن فابدأ الناس بالسلام.

ثم ذكر النبي ﷺ أن الراكب يسلم على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، وذلك لأن الراكب يكون متعليًا فيسلم على الماشي، والماشي متعليًا على القاعد فيسلم عليه، والقليل يسلم على الكثير؛ لأن الكثير لهم حق على القلة، والصغير يسلم على الكبير؛ لأن الكبير له حق على الصغير، ولكن إذا قدر أن القليلين في غفلة ولم يسلموا فليسلم الكثيرون، ولو قدر أن الصغير في غفلة فليسلم الكبير ولا تترك السنة، يعني هذا الذي ذكره النبي ﷺ ليس معناه أنه لو سلم الكبير على الصغير كان حرامًا، ولكن المعنى: الأولى أن الصغير يسلم

على الكبير، فإذا لم يسلم فليسلم الكبير، حتى إذا بادرت أنت بالسلام، وبدأت؛ فهو أفضل، وأولى الناس بالله من يبدؤهم بالسلام، والله الموفق.



١٣٤ ـ باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوها

١/٨٥٩ ـ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه في حَدِيثِ المسيء صَلاتَهُ أنَّهُ جاءَ فصَلَّى، ثُمَّ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ: فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فقال: «ارْجع فَصَلِّ فإنَّكَ لم تُصَلِّ» فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جاءَ فَسَلَّمَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ حتَّى فَعَلَ ذلكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. متفقٌ عليه[(١)].

٢/٨٦٠ ـ وعنه رضي الله عنه عَنْ رسول الله ﷺ قال: «إذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ حالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ، أوْ جِدَارٌ، أوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ» رواه أبوداود[(٢)].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، رقم (٧٥٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٧).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه، رقم (٥٢٠٠).

١٣٥ـ باب استحباب السلام إذا دخل بيته

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

١/١٦١ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يا بُنَيَّ، إذا دَخَلْتَ عَلَى أهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ» رواه الترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذان البابان من آداب السلام ذكرهما الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين أن الإنسان إذا سلَّم على أخيه ثم خرج ورجع عن قرب أو عن بعد ـ من باب أولى ـ فإنه يعيد السلام. مثلاً إنسان عنده ضيوف في البيت فدخل إلى البيت يأتي لهم بماء أو طعام أو نحو ذلك فإنه إذا رجع يسلم، وهذه من نعمة الله أنه يسن السلام وتكراره كلما غاب الإنسان عن أخيه، سواء غيبة طويلة أم قصيرة.

فإن الله شرع لنا أن يسلِّم بعضنا على بعض؛ لأن السلام عبادة

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته، رقم (٢٦٩٨).

وأجر كلما ازددنا منه ازددنا عبادة لله. وازداد أجرنا وثوابنا عند الله، ولولا أن الله شرع هذا لكان تكرار السلام على هذا الوجه من البدعة، لكن من نعمة الله أنك إذا غبت عن أخيك ورجعت ـ ولو عن قرب ـ فإنك تسلم عليه، حال بينكما شجرة كبيرة بحيث تغيب عنه بهذه الشجرة، أو حجر كبير أو صخرة بحيث تغيب عنه بهذه الصخرة فإذا لقيته فسلِّم عليه. أو حال بينكما جدار، أو سيارة؛ المهم أنه متى غبت عنه ثم صادفته بعد الغيبة فسلّم عليه.

ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الرجل الذي دخل المسجد فصلى صلاة لا يطمئن فيها ينقرها نقرًا ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصلِّ»، فرجع الرجل وصلى لكن كصلاته الأولى، بدون طمأنينة، ثم رجع فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصلِّ» ثلاث مرات، والرجل يصلي صلاة لا يعرف غيرها؛ لأنه جاهل، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني. وهذا من حكمة الرسول ﷺ جعله يتردد، يصلي هذه الصلاة التي لا تجزئ من أجل أن يشتاق إلى العلم، فيرد العلم على قلبه ـ وهو منفتح له محتاج إليه، ومعروف أن الشيء إذا جاء على الحاجة يكون أقبل للنفس، فلو أعطيت الفقير

عشرة ريالات، وهو محتاج، فرح بها فرحًا كثيرًا، وكان لها منزلة، لكن لو أعطيتها غنيًا لم تهمه.

فالحاصل أن الرسول ﷺ رد هذا الرجل من أجل أن يتشوق للعلم وينفتح قلبه له فقال ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن - ولكن الفاتحة لابد منها كما تدل عليها نصوص أخرى - ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا - هذه ركعة تامة - ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» علّمه الرسول ﷺ، فتعلّم ومشى.

فاستدل المؤلف بهذا الحديث على أن الإنسان إذا رجع إلى أخيه ولو من قرب فليسلم عليه. مثلاً أنت في المسجد تذاكر ثم انصرفت تأتي بكتابك تجدد الوضوء، أو ما أشبه ذلك، ثم رجعت فسلم، وهذا خير، فكل سلام بعشر حسنات.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنه من السنة إذا دخل الإنسان بيته أن يسلم، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

إذا دخلت بيتك فسلم، لكن أول ما تدخل ابدأ بالسواك قبل كل شيء، ثم سلِّم على أهلك، وقد أوصى النبي ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه وهو خادمه قال: «**يا بني إذا دخلت على أهلك فسلِّم تكن بركة عليك وعلى أهلك**» ولهذا قال الله تعالى: ﴿مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾. فإذا دخلت البيت فسلِّم على من فيه سواء أهلك أو زملائك أو ما أشبه ذلك، إذا دخلت فسلّم فهذا من السنة. والله الموفق.



١٣٦ـ باب السلام على الصبيان

١/٨٦٢ ـ عن أنس رضي الله عنه أنَّهُ مَرَّ على صِبْيانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَفْعَلُهُ. متفقٌ عليه[١].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، رقم (٦٢٤٧)، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، رقم (٢١٦٨).

١٣٧ـ باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

١/٨٦٣ ـ عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قالَ: كانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ ـ وفي روايةٍ: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ ـ تَأخُذُ مِنْ أصُولِ السِّلْقِ فَتطْرَحُهُ في القِدْرِ، وتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فإِذَا صَلَّيْنَا الجُمُعَة، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إلَيْنَا. رواه البخاري.

قوله: «تُكَرْكِرُ» أَيْ: تَطحَنُ.

٢/٨٦٥ ـ وَعَنْ أُمِّ هَانئ فَاخِتَةَ بنتِ أَبي طالب رضي الله عنها قالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يومَ الفَتْحِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوبٍ، فَسَلَّمْتُ، وذكَرتِ الحديث. متفق عليه[1].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في آداب السلام: باب السلام على الصبيان.

الصبيان يعني الصغار من سن التمييز إلى الثانية عشرة ونحوها،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به، رقم (٣٥٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٣٣٦).

وقد جرت عادة الكثير من الناس ألا يسلم على الصبيان استخفافًا بهم، ولأنهم يعتبون عليه لو ترك السلام ولكن هذا خلاف هدي النبي ﷺ، هدي الرسول ﷺ أن يسلم على الصغير والكبير، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه مر على صبيان فسلّم عليهم، وقال: «إن النبيّ ﷺ كان يفعله»، أي كان يسلم على الصبيان.

فائدة السلام على الصبيان:

أولاً: اتباع السنة؛ سنة النبي ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وثانيًا: التواضع؛ حتى لا يضن الإنسان بنفسه، ويشمخ بأنفه، ويعلو برأسه، يتواضع ويسلم على الصبيان، وقد قال النبي ﷺ: «**ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه**»(١).

ثالثًا: تعويد الصبيان على محاسن الأخلاق؛ لأن الصبيان إذا رأوا الرجل يمر بهم ويسلم عليهم تعودوا ذلك، واعتادوا هذه السنة المباركة الطيبة.

رابعًا: أن هذا يجلب المودة للصبي، يعني أن الصبي يحب

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨).

الذي يسلم عليه ويفرح بذلك، وربما لا ينساها أبدًا؛ لأن الصبي لا ينسى ما مرَّ به.

هذه من فوائد السلام على الصبيان، فينبغي لنا إذا مررنا على صبيان يلعبون في السوق أو جالسين يبيعون شيئًا أو ما أشبه ذلك أن نسلم عليهم لهذه الفوائد التي ذكرناها.

أما السلام على النساء: فالسلام على المحارم من النساء والزوجات سنة، والمحارم يعني التي لا يحل لك أن تتزوج بها، فتسلم عليها، ولا حرج في ذلك، تسلم على زوجتك، على أختك، على عمتك، على بنت أخيك، على بنت أختك، ولا حرج في هذا، أما الأجانب فلا تسلم عليهن، اللهم إلا العجائز الكبيرات إذا كنت آمنًا على نفسك من الفتنة، وأما إذا خفت الفتنة فلا تسلم، ولهذا جرت عادة الناس اليوم أن الإنسان لا يسلم على المرأة إذا لاقاها في السوق، وهذا هو الصواب، ولكن لو دخلت بيتك ووجدت فيه نساء من معارفك وتسلم فلا بأس ولا حرج بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة.

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث المرأة التي كانت تأخذ من «أصول السلق» والسلق نوع من الشجر، وأصوله طيبة تصلح إدامًا، فتأخذ من هذه الأصول وتلقيها في الماء، وتغليها على النار،

وتكركر عليها حبات من شعير، فإذا خرج الصحابة: من شاء منهم جاء إليها يسلم عليها، ويأكل من هذا السلق ويفرحون به؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا أغنياء إلا بعد أن فتح الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ [الفتح: ٢٠]، فكثرت الأموال بعد الفتوح، أما قبل ذلك فإن غالبية الصحابة فقراء. والله الموفق.

فائدة: فإن قال قائل: ما حكم مصافحة النساء؟ فالجواب: المصافحة للنساء المحارم لا بأس بها، أما المصافحة لغير المحارم فلا تجوز، سواء مباشرة أو من وراء حائل، وسواء كانت امرأة كبيرة أو صغيرة.



١٣٨ـ باب تحريم ابتدائنا الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

١/٨٦٦ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَبدَءوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارى بِالسَّلامِ، فإذا لِقِيتُم أَحَدَهُم في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ» رواه مسلم(١).

٢/٨٦٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا سَلَّمَ عَلَيكُم أَهلُ الكتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُم» متفقٌ عليه(٢).

٣/٨٦٨ ـ وعن أُسَامَةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلى مَجلسٍ فيهِ أَخلاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ والمُشرِكينَ ـ عَبَدَةِ الأوثَانِ واليَهُود ـ فَسَلَّم عَلَيْهِم النبيُّ ﷺ متفقٌ عليه(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب، رقم (٢١٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام، رقم (٦٢٥٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف...، رقم (٢١٦٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين...، رقم (٦٢٥٤)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ إلى...، رقم (١٧٩٨).

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصالحين في حكم السلام على الكفار الخلص، وعلى الكفار المختلطين بالمسلمين. وقد سبق الكلام على السلام بل في السلام على المسلمين الخلص، وأنه سنة مؤكدة.

أما السلام على الكفار فإنه لا يحل لنا أن نبدأهم بالسلام ـ يعني لا يجوز للإنسان إذا مرَّ بالكافر أو دخل على الكافر أن يقول: السلام عليك؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وذلك لأن تسليمنا عليهم فيه نوع من الذل لهم، ونوع من الإكرام لهم؛ لأن التحية والسلام إكرام، والكافر ليس أهلاً للإكرام، بل الكافر حقه منا أن نغيظه، وأن نذله، وأن نهينه؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العظيم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾. يعني أقوياء عليهم، أعزة عليهم. ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾. هذا الشاهد، وقال ـ تعالى ـ في سورة التوبة: ﴿وَلَا

يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢]، وابتداؤنا إياهم بالسلام إكرام لهم وإعزاز لهم، والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزًا على الكافرين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهم لهم العزة على الكافرين يعني يرى المسلم أنه أعز من الكافر وأن له العزة عليه، ولهذا لما كثرت العمالة النصرانية بيننا اليوم ذهبت الغيرة من القلوب، وكأن النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الوثني كأنه لا يخالفنا إلا كما يخالف الحنبلي للمالكي، والشافعي، وما أشبه ذلك، عند بعض الناس يظنون أن اختلافنا مع الكفار كاختلاف المذاهب الأربعة في الإسلام، نسأل الله العافية.

وهذا لا شك أنه من موت القلوب، فلا يحل للإنسان أبدًا أن يعز الكافر، والمشروع أن نعمل كل ما فيه غيظ لهم، ولكن يجب علينا أن نفي لهم بالعهد الذي بيننا وبينهم - إذا كان بيننا وبينهم عهد - فمثلاً: عمال ولو كانوا نصارى، أولاً: نقول لا تأتي بعمال نصارى في الجزيرة العربية؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»[1] وأمر وقال: «**أخرجوا اليهود**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، رقم (١٧٦٧).

والنصارى من جزيرة العرب»[١] وقال وهو في مرض موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[٢] فلا تأت بكافر وأنت يمكنك أن تأتي بمسلم، وأما ما يعتقده من أمات الله قلبه ـ والعياذ بالله ـ أو ربما نقول: أزاغ الله قلبه، يقول: أنا آتى بعمال كفار؛ لأنهم لا يصلون، إذا صلوا نقص العمل، وحتى لا يصوموا فلا ينقص العمل، وحتى لا يذهبوا لعمرة أو حج فلا ينقص العمل، فهذا ـ والعياذ بالله ـ ممن اختار الدنيا على الآخرة، نسأل الله العافية.

فالحاصل أنه لا يجوز أن نبدأ أي كافر بالسلام لا يهودي ولا نصراني ولا بوذي ولا وثني، فأي إنسان على غير الإسلام لا يجوز أن نبدأه بالسلام.

قال: **«وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه»** يعني: لا توسع لهم المجال، لو كانوا جماعة مسلمين، وجماعة كفار تلاقوا في الطريق لا تفسح المجال لهم، ولو تفرقوا في الطريق؛ لأنك إذا أفسحت الطريق لهم يعد هذا إكرامًا أو ما أشبه ذلك هذا

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ١٩٥).
(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة...، رقم (٣٠٥٣).

إكرام لا تفسح لهم هذا «إذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه».

لماذا نعاملهم هذه المعاملة؟ لأنهم أعداء الله ـ قبل كل شيء ـ وأعداء لنا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، هم أعداء الله أولاً قبل كل شيء ـ وثانيًا أعداء لنا، وأفعالهم بالمسلمين سابقًا ولاحقًا وإلى اليوم تدل على شدة عداوتهم للمسلمين، فلا يجوز أن نسلم عليهم، ولكن إذا سلموا ماذا نقول؟ قال النبي ﷺ: «إذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم» فقط لا تزد على هذا، قل وعليكم، لماذا؟ لأنهم في عهد الرسول ﷺ يأتون يسلمون على المسلمين لكن سلام خبيث يقولون: السام عليكم، السام يعني الموت ومن يسمعهم «يدغمون الكلمة» يظن أنهم يقولون: السلام عليكم. وهم يقولون السام عليكم ـ يعني الموت ـ فانظر إلى العداوة، حتى التحية يدخلون فيها الشيء الضار السام، لذا قال النبي ﷺ: «قولوا: وعليكم ـ فقط ـ فإن كانوا قالوا: «السلام علينا» فعليهم السلام، إنما نقول لهم ما قالوا لنا، فإن كانوا قد قالوا السام، فعليهم، وإن كانوا قد قالوا: السلام، فعليهم»، وهذا من العدل؛ لأن الله قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[النساء: ٨٦]،

هذا عدل، ولهذا قال بعض العلماء، إذا قال الكافر: السلام عليكم ـ باللام الواضحة ـ فقل: عليك السلام؛ لماذا؟ لأنه زال الأمر الذي بنى عليه الرسول ﷺ قوله: «قولوا: وعليكم» كما في حديث ابن عمر في البخاري إنهم يقولون: «السام عليكم فإذا سلموا فقولوا: وعليكم». وهذه علة واضحة أن السبب أننا نقول: وعليكم، لأنهم يقولون: السام عليكم، أما إذا قالوا السلام صراحة، فنقول: وعليكم السلام؛ لأن أقوم الناس بالعدل هم المسلمون ـ والحمد لله ـ فإذا قالوا: السلام عليكم. نقول: وعليكم السلام. إذا قالوا: أهلاً وسهلاً. نقول: أهلاً وسهلاً: وإذا قالوا: مرحبًا. نقول: مرحبًا؛ فنعطيهم مثل ما يعطوننا.

لكن قد يشكل على بعض الناس الآن أننا ابتلينا بقوم من الكفار يكونون رؤساء في بعض الشركات فيدخل المسلم على مكتب رئيس الشركة وهو يهودي أو نصراني، فماذا يقول؟ نقول: يسلم ويقول: السلام فقط. وينوي بذلك أنه السلام عليه هو أي على المسلم، لأنك إذا حذفت المتعلق فإنه لا يدرى لمن هذا السلام؟ وهذا إذا خفت من شره، فإنه قد يقول: كيف يدخل عليّ ولا يسلم؟! أما إذا لم تخف من شره وأنه رجل لا يبالي سلمت أم لم تسلم، فادخل لقضاء مصلحتك منه فإذا دخلت معك معاملة قل خذ هذه المعاملة

كيف أعمل مثلاً، لأن الرسول ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام»، فلا تبدأ بالسلام لكن إذا خفت من شره فقل السلام فقط.

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل يجوز أن يبدأهم بغير السلام مثل أن يقول: مرحبًا، أهلاً، أو سهلاً... فمنهم من قال: لا بأس به تأليفًا، لا سيما إن خاف منه أو من شره. ومنهم من قال: لا؛ لأن هذا فيه تعظيم له، وعلى الإنسان في هذه الحال يعني في أهلاً وسهلاً ومرحبًا.. وما أشبه ذلك أن ينظر ما تقتضيه الحاجة أو المصلحة.

ثم ذكر المؤلف حديث إذا مرَّ الإنسان بجمع فيه مسلمون وكفار، هل يترك السلام، لأن فيهم كفارًا أو يسلم لأن فيه مسلمين؟ اجتمع الآن سببان: مبيح وحاظر. ما هو المبيح: وهم المسلمون، والحاظر: المانع ـ وهم الكفار، لكن هنا يمكن تشذير الحكم وإلا فإن القاعدة الشرعية أنه إذا اجتمع مبيح وحاظر وتعذر انفكاك أحدهما عن الآخر فإنه يغلب جانب الحظر أي المنع لكن هنا يمكن من الانفكاك، تسلم وتنوى على المسلمين؛ يعني لو مررت بجماعة فيهم كفار ومسلمون، تقول السلام عليكم وتنوى بقلبك يعني على المسلمين؛ لأن النبي ﷺ مر بمجلس فيه أخلاط من المشركين واليهود، وفيهم مسلمون فسلم عليهم.

ومثل قول: أهلاً وسهلاً كيف حالك فيها الخلاف، ولكن قل: السلام فقط، إذا خفت من شره، وانوِ بذلك أنه عليك أنت.

وختم المؤلف ـ رحمه الله ـ كتاب السلام وآدابه ـ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل إذا جاء إلى المجلس ثم قام منه، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دخل على قوم فإنه يسلم عليهم ـ كما سبق ـ والسلام سنة مؤكدة، ورده فرض عين على من سلم عليه، وإذا كانوا جماعة فهو فرض كفاية إذا قام من يكفي سقط عن الباقين، لكن إذا كانوا جماعة وكان من المعلوم أن المسلم يريد بالقصد الأول واحدًا منهم وجب على هذا الواحد أن يرد، مثلاً لو كانوا طلبة ومعهم معلمهم، والذي دخل وسلم يريد بالقصد الأول نفس المعلم، فإنه يجب على المعلم أن يرد ولا يكفي رد الجماعة ـ كالتلاميذ مثلاً ـ وكذلك لو كان أميرًا مع رجاله وشرطته، فدخل إنسان وسلم، فإنه من المعلوم أن المقصود الأول هو الأمير، فيجب عليه أن يرد، أما إذا كان جماعة متساوين ولم يعلم أن أحدًا منهم هو المقصود بالقصد الأول، فإنه إذا رد واحدٌ منهم السلامَ كفى؛ لأن رد السلام فرض كفاية.

* * *

١٣٩ـ باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساءه أو جليسه

١/٨٦٩ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتَهى أَحَدُكُم إلى المَجْلِسِ فليُسَلِّم، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأولى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ» رواه أبوداود، والترمذي[١] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره المؤلف في أن الرجل إذا دخل على المجلس فإنه يسلم، فإذا أراد أن ينصرف وقام وفارق المجلس فإنه يسلم؛ لأن النبي ﷺ أمر بذلك، وقال: «ليست الأولى بأحق من الثانية». يعني أنك إذا دخلت تسلم كذلك فإذا فارقت فسلم، ولهذا إذا دخل الإنسان المسجد سلم على النبي ﷺ، وإذا خرج سلم عليه أيضًا، وإذا دخل مكة لعمرة أو حج بدأ بالطواف وإذا فارق مكة وخرج ختم بالطواف؛ لأن الطواف تحية مكة لمن دخل بحج أو عمرة، وكذلك وداع مكة لمن أتى بحج أو عمرة ثم سافر، وهذا من

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في السلام إذا قام من المجلس، رقم (٥٢٠٨)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، رقم (٢٧٠٦).

كمال الشريعة أنها جعلت المبتدئ والمنتهىٰ على حد سواء في مثل هذه الأمور، والشريعة كما نعلم جميعًا من لدن حكيم خبير كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فتجدها كلها متناسقة متصاحبة ليس فيها تناقض ولا تفضيل حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى أن يمشي الرجل بنعل واحد يعني لا تمش بنعل واحدة ولو لإصلاح الأخرى، لماذا؟ لأنك إذا خصصت إحدى القدمين بالنعل صار في ذلك جور وعدم عدل، فأنت ترى الآن أن الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل في كل شيء ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، والله الموفق.



١٤٠- باب الاستئذان وآدابه

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النور: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٩].

١/ ٨٧٠ - وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإن أُذِنَ لك وَإلا فَارْجِعْ»(١) متفقٌ عليه.

٢/ ٨٧١ - وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّمَا جُعِلَ الاستئذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصر» متفقٌ عليه(٢).

٣/ ٨٧٢ - وعن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ رضي الله عنه قال: حدَّثَنا رَجُلٌ من بَني عامِرٍ أنه اسْتَأْذَنَ على النبي ﷺ وَهُوَ في بيتٍ، فقال: أَأَلِج؟ فقال رسولُ الله ﷺ لخَادِمِهِ: «اخرج إلَى هذا فَعَلِّمهُ الاستئذَانَ، فَقُل لَهُ: قُلْ: السَّلامُ عَلَيكُم، أَأَدْخُلُ؟» فَسَمِعَهُ الرَّجلَ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدخُلُ؟

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثًا، رقم (٦٢٤٥)، ومسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، رقم (٢١٥٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم (٦٢٤١)، ومسلم، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، رقم (٢١٥٦).

فَأَذِنَ له النَّبيُّ ﷺ، فدخلَ. رواه أبوداود(١) بإسناد صحيحٍ.

٤/٨٧٣ ـ وعن كِلْدَةَ بنِ الحَنبل رضي الله عنه قال: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ، فَدَخَلتُ عَليهِ ولم أُسَلِّم، فقال النبي ﷺ: «ارْجع فقل السَّلامُ عَلَيكُم أَأَدخُلُ؟» رواه أبوداود والترمذي(٢) وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب الاستئذان وآدابه، والاستئذان: يعني طلب الإذن من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول فإن أذن لك فادخل، وإن لم يأذن لك فلا تدخل حتى لو قال لك بصراحة: ارجع، فارجع كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨]، وأنت يا صاحب البيت لا تستحي أن تقول: ارجع، وأنت أيها المستأذن لا تغضب عليه إذا قال لك ارجع؛ لأن الإنسان قد يكون في حاجة، وقد يكون غير مستعد لاستقبال الناس، فلا يمكن أن تلجئه وتحرجه، وإذا رجعت بعد أن قال لك: ارجع، فإن الله يقول ذلك أزكى ﴿فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ ارجعوا هو أزكى لكم، أي أزكى لقلوبكم وأطهر.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، رقم (٥١٧٧).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، رقم (٥١٧٧)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، رقم (٢٧١٠).

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيتين من كتاب الله.

الآية الأولى: سبق الكلام عليها ـ وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ [النور: ٢٧]. وقلنا: إن معنى الاستئناس يعني أن تستأذنوا، أو أن تعلموا علم اليقين أن صاحبكم مستعد للدخول أي لدخولكم، ومن ذلك: إذا واعدك الإنسان فقال لك مثلاً: ائتني بعد صلاة الظهر، فإذا وجدت الباب مفتوحًا فهو إذن. فأنت إذا أتيت لا حاجة لأن تستأذن؛ لأن صاحب البيت قال لك: ائتني في الموعد المحدد، وإذا وجدت الباب مفتوحًا فهذا إذن، فالإذن لا فرق بين أن يكون سابقًا أو لاحقًا، ما دام قد علمت أن الرجل لم يفتح بابه إلا من أجل أن تدخل، وبينك وبينه موعد فادخل، ولكن لا بأس ـ بل الأولى بلا شك ـ أن تسلم عند الدخول لو لم يكن في ذلك إلا أن تحصل أجر السلام وثواب السلام والدعاء من أخيك حيث يقول لك: وعليك السلام.

أما الآية الثانية: فهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [النور: ٥٩].

إذا بلغوا الحلم يعني: بلغوا بالإنزال لكن كنى عنه بالحلم؛ لأن الغالب أن الإنسان لا يخرج منه المني أول ما يخرج إلا بالاحتلام،

وإن كان بعض الناس يبلغ بدون احتلام لكن الغالب أنه يحتلم، فإذا بلغ الطفل الحلم فإنه لا يدخل البيت إلا باستئذان، أما قبل ذلك فأمره هين، لكن هناك ثلاث عورات لابد من الاستئذان فيها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ﴾ [النور: ٥٨].

الأولى: من قبل صلاة الفجر.

والثانية: وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة.

والثالثة: ومن بعد صلاة العشاء.

هذه الأوقات لابد فيها من استئذان، حتى الصغار لابد أن يستأذنوا، لأن الإنسان في هذه الأوقات الثلاث قد يكون متهيئًا للنوم وعليه ثياب لا يحب أن يطلع عليه أحد فلذلك لابد من الاستئذان في هذه الساعات الثلاث.

وأما بالنسبة للنظر ـ لنظر الطفل للمرأة ـ فليس مقيدًا بالبلوغ، بل هو مقيد بما إذا عرف من الطفل أنه ينظر إلى المرأة نظر شهوة، فإذا علم ولو لم يكن له إلا عشر سنوات فإنه يجب عليها أن تحتجب عنه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]، يعني أزواجهن، إلى

أن قال: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١].

قال العلماء: الذين لم يظهروا على عورات النساء يعني: ليس لهم غرض في النساء ولا يطرأ على بالهم المرأة، بعض الأطفال عندما يتم له عشر سنوات وهو ينظر إلى النساء تشعر أنه ينظر إليهن نظر شهوة، وهذا يختلف كما قلت. قد يكون هذا الطفل يجلس مع قوم أكثر حديثهم في النساء فهذا تتربى فيه الشهوة الجنسية مبكرًا، وقد يكون عند قوم ليس همهم إلا الدرس وحفظ القرآن وما أشبه ذلك ولا يطرأ على بالهم هذا الشيء فلا تنمو فيه هذه الغريزة، على كل حال إذا عرفنا أن الطفل يطلع على عورة المرأة ويتكلم في النساء وأشبهت نظراته نظرة الإنسان المشتهي؛ فإنه يجب على المرأة أن تحتجب عنه ولو لم يكن له إلا عشر سنين مع أن العلماء رحمهم الله يقولون: يمكن لمن تم له عشر سنين أن يأتيه أولاد، يعني وعنده إحدى عشرة سنة، فلا تستغرب لو جاء له ولد إذا تزوج وجامع زوجه لا تستغرب، ويذكر أن عمرو بن العاص ليس بينه وبين ابنه عبد الله إلا إحدى عشرة سنة! يعني أبوه أكبر منه بعشر سنين ويمكن هذا وقال الشافعي رحمه الله: «رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة». وهي جدة؛ لأن المرأة يمكن أن تبلغ يعني يمكن أن تحيض، ولها تسع سنوات. فإذا قدرنا أنها تزوجت ولها تسع سنوات يعني

في العاشرة وحملت في أول سنة وأتت ببنت، ثم إن البنت لما تم لها تسع سنوات تزوجت في العاشرة، هذه عشرون سنة، يأتيها ولد في الحادي والعشرين فتكون جدته ـ أم البنت ـ والشافعي رحمه الله صدوق يقول: رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة.

والحاصل أنه إذا بلغ الطفل الحلم فلا يدخل البيت إلا باستئذان، وإذا اطلع على عورات النساء وصار يتكلم فيهن وينظر إليهن بشهوة، فإنه يجب أن تستتر المرأة عنه ولو لم يتم له إلا عشر سنوات، والله الموفق.



١٤٢ ـ باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

١/٨٧٨ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُب، فإا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحمدَ الله تَعالى كانَ حَقًّا على كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يقولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، وَأَمَّا التَّثَاؤُب فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إذا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطانُ» رواه البخاري[١].

٢/٨٧٩ ـ وعنه رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُل: الحَمْدُ لله، وَلْيَقُلْ لهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله. فإذا قال لهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَليقُلْ: يَهدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ» رواه البخاري[٢].

٣/٨٨٠ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ» رواه مسلم[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه، رقم (٦٢٢٦).
(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، رقم (٦٢٢٤).
(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، رقم =

٤ / ٨٨١ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: **عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدِ النبيِّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّت الآخَرَ، فقال الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَس فُلان فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فقال: «هذا حَمِدَ الله، وإنَّكَ لَم تَحْمَدِ الله»[(١)] متفق عليه.**

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في رياض الصالحين باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعُطاس، والتثاؤب.

العطاس من الله عزَّ وجلَّ يحبه الله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب العطاس» والسبب في ذلك أن العطاس يدل على النشاط، والخفة، ولهذا تجد الإنسان إذا عطس نشط، والله سبحانه وتعالى يحب الإنسان النشيط الجاد، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[(٢)]، كلهم فيه الخير المؤمن القوي

= (٢٩٩٢).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله، رقم (٦٢٢٥)، ومسلم كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، رقم (٢٩٩١).

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز...، رقم (٢٦٦٤).

في إيمانه والضعيف، ولكن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

والعطاس يدل على الخفة والنشاط، فلهذا كان محبوبًا إلى الله، وكان مشروعًا للإنسان إذا عطس أن يقول: الحمد لله؛ لأنها نعمة أعطيها فليحمد الله عليها، فيقول الحمد لله إذا عطس سواء كان في الصلاة أو خارج الصلاة في أي مكان كان، إلا أن العلماء ـ رحمهم الله ـ يقولون: إذا عطس ـ وهو في الخلاء ـ أي في المرحاض، فلا يقول بلسانه: «**الحمد لله**»، ولكن يحمد بقلبه، أما بلسانه فلا؛ لأنهم يقولون ـ رحمهم الله ـ إن الإنسان لا يذكر الله في الخلاء، فإذا عطس الإنسان وحمد الله كان حقًّا على كل من سمعه أن يقول له: «**يرحمك الله**» فيدعو له بالرحمة جزاء له على حمده لله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنه لما حمد الله كان من جزائه أن إخوانه يدعون له بالرحمة.

وقوله: «**كان حقًّا على كل من سمعه**» ظاهره أنه يجب على كل السامعين بأعيانهم، ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «**إذا عطس فحمد الله فشمتوه**».

وذهب بعض العلماء إلى أن تشميت العاطس فرض كفاية، يعني إذا قال واحد من الجماعة للعاطس الذي حمد الله: يرحمك

الله، كفى، لكن الاحتياط أن يشمته ـ أي يدعو له بالرحمة ـ كل من سمعه كما جاء في الحديث.

وأما التثاؤب: فإنه من الشيطان، ولهذا كان الله يكرهه. لماذا؟ لأن التثاؤب يدل على الكسل، ولهذا يكثر التثاؤب فيمن كان فيه نوم، والذي فيه النوم معروف أنه كسلان، فمن أجل أنه يدل على الكسل كان الله تعالى يكرهه، ولكن إذا تثاءب فالأولى أن يرده ـ أي يرد التثاؤب ـ يكظمه ويتصبر، قال العلماء: وإذا أردت أن تكظمه فعض على شفتك السفلى، وليس عضًّا شديدًا فتنقطع، ولكن لأجل أن تضمها حتى لا ينفتح الفم، فالمهم أن تكظم سواء بهذه الطريقة أو غيرها، فإن عجزت عن الكظم فضع يدك على فمك، وما ذكره بعض العلماء ـ رحمهم الله ـ أنك تضع ظهرها على الفم فلا أصل له، وإنما تضع بطنها، والسبب في ذلك أنَّ الإنسان إذا تثاءب ضحك الشيطان منه؛ لأنه ـ أي الشيطان ـ يعرف أن هذا يدل على كسله وعلى فتوره، والشيطان يحب من بني آدم أن يكون كسولاً فتورًا ـ أعاذنا الله وإياكم منه ـ ويكره الإنسان النشيط الجاد الذي يكون دائمًا في حزم وقوة ونشاط، فإذا جاءك التثاؤب فإن قدرت على أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة وهذا هو الأفضل، وإن لم تقدر فضع يدك على فمك.

ولكن هل تقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟» لا، لا تقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند التثاؤب؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، فالنبي ﷺ علمنا ماذا نفعل عند التثاؤب ولم يقل: تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، وأمَّا ما اشتهر عند بعض الناس أن الإنسان إذا تثاءب يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فهذا لا أصل له، والعبادات مبنية على الشرع وليس على الهوى، لكن قد يقول بعض الناس: أليس الله يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقد أخبر النبي ﷺ أن التثاؤب من الشيطان، فهذا نزغ؟ نقول: لا، فقد فهمت الآية خطأً، فالمراد بقوله ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾. يعني الأمر بالمعاصي، أو بترك الواجبات لأن هذه نزغ الشيطان، كما قال تعالى فيه، إنه ينزغ بين الناس فهذا هو نزغه: الأمر بالمعاصي والتثبيط عن الواجبات، فإن أحسست بذلك فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أما التثاؤب فليس فيه إلا سنة فعلية فقط: وهي الكظم ما استطعت، فإن لم تقدر فضع يدك على فمك.

ومن آداب العطاس: أنه ينبغي للإنسان إذا عطس أن يضع ثوبه أو غترته على وجهه، قال أهل العلم. وفي ذلك حكمتان:

الحكمة الأولى: أنه قد يخرج مع هذا العطاس أمراض تنتشر

على من حوله.

الحكمة الثانية: أنه قد يخرج من أنفه شيء مستقذر تتقزز النفوس منه، فإذا غطَّى وجهه صار في ذلك خير، ولكن لا تفعل ما يفعله بعض الناس بأن تضع يدك على أنفك عند العطاس، فهذا خطأ؛ لأن هذا يحد من خروج الريح التي تخرج من الفم عند العطاس، وربما يكون في ذلك ضرر عليك.

وفي هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف دليلٌ على أن من عطس ولم يقل: الحمد لله فإنه لا يُقال له: يرحمك الله؛ لأن النبي ﷺ عطس عنده رجلان:

أحدهما: قال له الرسول ﷺ «**يرحمك الله**».

والثاني: لم يقل له ذلك.

فقال الثاني: يا رسول الله عطس فلان: فقلت له: يرحمك الله، وعطست فلم تقل لي ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: «**إنه حمد الله، وإنك لم تحمد الله**».

وعلى هذا فإذا عطس إنسان ولم يحمد الله فلا تقل له: يرحمك الله، ولكن هل نذكره فنقول له قل: «الحمد لله؟» لا، الحديث هذا يدل على أنك لا تذكره؛ لأن الرسول ﷺ لم يقل: إذا عطس ولم يحمد الله فذكروه. بل قال: «لا تشمتوه» فنحن لا نقول: احمد الله،

ولكن فيما بعد علينا أن نخبره بأن الإنسان يسن له إذا عطس أن يحمد الله، ويكون هذا من باب التعليم، والله الموفق.

ولابد أن نسمعه؛ لأن الكاف يكون حمد العاطس مسموعًا، كما أن العاطس إذا قيل له: «يرحمك الله»، يقول: «يهديكم الله ويصلح بالكم»، أي: يصلح شأنكم، فتدعو له بالهداية وإصلاح الشأن، وبعض العامة إذا جاوب يقول: «يهدينا أو يهديكم الله» وهذا خلاف المشروع؛ لأن المشروع أنك تقول: يهديكم الله ويصلح بالكم. كما بينا. والله الموفق.



٦/٨٨٣ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ فيقول: «يهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُم» رواه أبوداود والترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٧/٨٨٤ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العاطس، رقم (٢٧٣٩)، وأبوداود، كتاب الأدب، باب كيف يشمت الذمي، رقم (٥٠٣٨).

اللهِ ﷺ: «إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ» رواه مسلم[1].

الشرح

هذه الأحاديث في بيان ما يستحب عند العطاس، وقد سبق بيان شيء من ذلك منها حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يضع يده أو ثوبه على وجهه أو على فمه من أجل أن يكتم الصوت، يعني إذا عطست فضع ثوبك أو يدك على فمك حتى يخفض الصوت، واستحب العلماء ـ رحمهم الله ـ أن يضع ثوبه على وجهه من أجل ألا يخرج شيء مستقذر من أنفه فالغالب أنه يخرج منه شيء فلا يشاهد إذا كان قد غطاه، وأنه ربما يخرج مع العطاس أمراض مُعدية فتتعدى إلى الغير؛ فلهذا ينبغي لك إذا عطست أن تضع طرف ثوبك أو غترتك أو ما أشبه ذلك على وجهك حتى تحصل هاتان الفائدتان، ثم ذكر حديث أبي موسى أن اليهود كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ يعني يتكلفون العطاس: لعل الرسول يقول: يرحمكم الله؛ لأنهم يعلمون أنه نبي وأن دعوته مستجابة فيعطسون عنده لأجل أن يقول: يرحمكم الله ولكنه لا يقول ذلك؛ لأن الكافر لا يجوز أن

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، رقم (٢٩٩٥).

يدعى له بالرحمة ولا بالمغفرة لكن يدعى له بالهداية، ولهذا كان يقول لهم إذا عطسوا وقالوا الحمد لله قال لهم: «يهديكم الله ويصلح بالكم» فإذا عطس كافر عندك وقال الحمد لله لا تقل: يرحمك الله، قل: يهديكم الله ويصلح بالكم، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك.

ثم ذكر ما رواه مسلم من فعل الرسول ﷺ عند التثاؤب أنه أمر بوضع اليد على الفم، وقد سبق أن الأفضل أن ترد التثاؤب ما استطعت، فإن لم تستطع فضع يدك على فمك؛ لأن الشيطان إذا لم تضع يدك على فمك يضحك منك ويدخل في جوفك أيضًا، ووضع اليد حماية لك من أن يدخل الشيطان في جوفك، والله الموفق.



١٤٣ - باب استحباب المصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء

١/٨٨٥ - عن أبي الخَطَّابِ قَتَادَةَ قال: قلتُ لأَنَسٍ: أَكَانَتِ المُصافَحَةُ في أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قال: نَعَمْ. رواه البخاري[١].

٢/٨٨٦ - وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: لمَّا جَاء أَهْلُ اليَمَنِ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ جَاءَكُمْ أهْلُ الْيَمَنِ، وَهُمْ أوَّلُ مَنْ جَاءَ بالمُصَافَحَةِ» رواه أبوداود[٢] بإسنادٍ صحيحٍ.

٣/٨٨٧ - وعن البَرَاءِ رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قبل أَنْ يَفْتَرِقَا» رواه أبوداود[٣].

٤/٨٨٨ - وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رَجُلٌ: يا رسولَ الله، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ، أَيَنْحَني لَهُ: قال: «لا» قال: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قال: «لا» قال: «فَيأخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قال: «نَعَمْ» رواه

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب المصافحة، رقم (٦٣٢٦٣).
(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في المصافحة، رقم (٥٢١٣).
(٣) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، رقم (٢٧٢٧)، وأبوداود، كتاب الأدب، باب في المصافحة، رقم (٥٢١٢)، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب المصافحة رقم (٣٧٠٣).

الترمذي[١]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين في آداب السلام والاستئذان وما يتعلق بذلك، فمنها: المصافحة.

هل يسن للرجل إذا لقى أخاه أن يصافحه؟ والجواب: نعم يسن له ذلك؛ لأن هذا من آداب الصحابة رضي الله عنه كما سأل قتادة أنس بن مالك رضي الله عنه: هل كانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم.

ويصافحه باليد اليمنى، وإذا حصل ذلك فإنه يغفر لهما قبل أن يفترقا، وهذا يدل على فضيلة المصافحة إذا لاقاه، وهذا إذا كان لاقاه ليتحدث معه أو ما أشبه ذلك، أما مجرد الملاقاة في السوق فما كان هذا من هدي الصحابة يعني لو مررت بالناس في السوق فيكفي أن تسلم عليهم وإذا كنت تقف إليه دائمًا أو تتحدث إليه بشيء فصافحه.

ثم إنه ينبغي أن نعرف أن بعض الناس إذا سلم من الصلاة إذا كانت فرضًا صافح أخاه من صلاة الفريضة يصافحه وأحيانًا يقول

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، رقم (٢٧٢٨).

له: «تقبل الله» أو «قبول... قبول»، وهذا من البدع، فما كان الصحابة يفعلون هذا، بل يكفي أن يسلم المصلى قائلاً: «السلام عليكم ورحمة الله» على يمينه، وعلى يساره «السلام عليكم ورحمة الله».

وأما الانحناء عند الملاقاة أو المعانقة والالتزام؛ فإن النبي ﷺ سئل عن ذلك أننحني؟ قال: لا. قال: أيلتزمه ويعانقه؟ قال: لا.

فإذا لاقاه فإنه لا يلتزمه ـ أي لا يضمه إليه ـ ولا يعانقه ولا ينحني له، والانحناء أشد وأعظم؛ لأن الانحناء فيه نوع خضوع لغير الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمثل ما يخضع به لله من الركوع، فهو منهي عنه، ولكنه يصافحه وهذا كافٍ، إلا إذا كان هناك سبب للمعانقة أو التقبيل فإنه لا بأس به، كما لو قدم من سفر أو نحو ذلك، فإن قال قائل: كيف يكون قول الرسول ﷺ: «لا ينحني له» مع قول الله تعالى في إخوة يوسف لما دخلوا عليه آوى إليه أبويه: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ٩٩، ١٠٠]، فالجواب عن هذا: أن هذا من شريعة سابقة وشريعتنا الإسلامية قد نسخته، ومنعت من ذلك، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد، وإن لم يرد بذلك العبادة، ولا ينحني له، حتى الانحناء منع منه الرسول ﷺ. فإذا لاقاك أحد يجهل هذا الأمر وانحنى لك،

فانصحه وأرشده، قل له: هذا ممنوع لا تنحني، ولا تخضع إلا لله وحده، وتقبيل اليد لا بأس به إذا كان الرجل أهلاً لذلك، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

٥/٨٨٩ ـ وعن صَفْوانَ بن عَسَّال رضي الله عنه أنه قال: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِه: اذْهَبْ بِنَا إلى هَذَا النَّبيِّ، فَأتَيَا رسولَ الله ﷺ، فَسَألاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَذَكَرَ الحَديث إلى قولِهِ: فَقَبَّلاَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وقالا: نَشْهَدُ أنَّكَ نَبِيٌّ. رواه الترمذي وغيره[١] بأسانيد صحيحةٍ.

٦/٨٩٠ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبيِّ ﷺ فقبَّلنَا يَدَهُ. رواه أبوداود[٢].

٧/٨٩١ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ ورسول الله ﷺ في بَيْتِي، فأتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ يَجُرُّ ثوبَهُ، فاعْتَنَقَهُ وقبَّله» رواه الترمذي[٣]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٨/٨٩٢ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل، رقم (٢٧٣٣)، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب السحر، رقم (٤٠٧٨).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في قبلة اليد، رقم (٥٢٢٣).

(٣) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المعانقة والقبلة، رقم (٢٧٣٢).

«لا تَحقِرَنَّ مِنَ المعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بَوَجْهٍ طَلِيقٍ» رواه مسلم(١).

الشرح

هذه أحاديث ذكرها النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في رياض الصالحين في آداب المصافحة والمعانقة وما يتعلق بذلك. منها حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه أن رجلاً يهوديًّا قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا الرجل، يعني النبي ﷺ فذهبا إليه وأخبراه وذكر النبي ﷺ تسع آيات فقبّلا يده ورجله وقالا: نشهد أنك نبي.

واليهود كانوا في المدينة وكان أصلهم من مصر ـ من بني إسرائيل ثم انتقلوا إلى الشام ـ إلى الأرض المقدسة ـ التي قال لهم نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، وكانوا يقرؤون في التوراة أنه سيبعث نبي في آخر الزمان وأنه سيكون من مكة، ومهاجره المدينة، فهاجر كثير منهم من الشام إلى المدينة ينتظرون النبي ﷺ ليتبعوه؛ لأنه قد نوّه عن فضله ﷺ في التوراة والإنجيل عن فضل النبي ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم (٢٦٢٦).

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وكانوا إذا جرى بينهم وبين المشركين شيء يستفتحون على الذين كفروا يقولون سيبعث هذا النبي ونتبعه، ويفتح علينا به ونغلبكم كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، ثم إنهم صاروا ثلاث قبائل ـ أي اليهود في المدينة ـ بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

وعاهدهم النبي ﷺ لما قدم المدينة وكلهم نقضوا العهد، فطردوا من المدينة، آخرهم بنو قريظة قتل منهم نحو «سبعمائة نفر» لما خانوا العهد في يوم الأحزاب، وانتقلوا إلى «خيبر» وفتحها النبي ﷺ وأبقاهم فيها؛ لأنهم أصحاب مزارع يعرفون الحرث والزرع، والصحابة مشتغلون عن ذلك بما هو أهم فعاملهم النبي ﷺ قال لهم: «تبقون في محلكم في خيبر على أن لكم نصف الثمر والزرع وللمسلمين نصفه ونقركم في ذلك ما شاء الله»[(١)] وبقوا في عهد

---

(١) رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله...، رقم (٢٣٣٨)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، رقم (١٥٥١).

الرسول ﷺ في خيبر، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه.

ولما تولى عمر رضي الله عنه حصل منهم خيانة؛ لأن اليهود معروفون بالخيانة والغدر، فلما حصل منهم خيانة أجلاهم عمر رضي الله عنه من خيبر في السنة السادسة عشرة إلى «أذرعات» في الشام، هذا أصل وجود اليهود في الجزيرة العربية، كانوا ينتظرون النبي ﷺ ليتبعوه، ولكنهم والعياذ بالله لما جاء وبعث ورأوه عين اليقين كفروا، ولعلهم كانوا في الأول يظنون أنه سيكون من بني إسرائيل، هكذا قال بعض العلماء ولكن لما تبين أنه من بني إسماعيل حسدوهم ـ أي حسدوا بني إسماعيل ـ وكفروا، ولكن لا يتبين لي هذا؛ لأن الله يقول: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فهم يعرفون أنه من العرب من بني إسماعيل، لكن ـ والعياذ بالله ـ فرق بين علم اليقين، وعين اليقين، هم كانوا في الأول يظنون أنه إذا بعث يتبعونه بسهولة ولكنهم حسدوه ـ والعياذ بالله ـ.

الحاصل أن هذين الرجلين قبّلا يد النبي ﷺ ورجله، فأقرهما على ذلك ففي هذا جواز تقبيل اليد والرجل للإنسان الكبير للشرف والعلم، وكذلك تقبيل اليد والرجل من الأب والأم وما أشبه ذلك، لأن لهما حقًّا، وهذا من التواضع.

وذكر المؤلف أيضًا حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتينا

النبي ﷺ فقبلنا يده. وأقرهما النبي ﷺ على ذلك.

وتقبيل اليد كتقبيل الرأس ليس بينهما فرق، لكن عجبًا أن الناس الآن يستنكرون تقبيل اليد أكثر مما يستنكرون تقبيل الرأس، وهو لا فرق بينهما، لكن الذي ينتقد من بعض الناس أنه إذا سلَّم عليه أحد مدَّ يده إليه وكأنه يقول: «قبِّل يدي» فهذا هو الذي يستنكر ويُقال للإنسان عندئذ «لا تفعل» أما من يقبلون يدك تكريمًا وتعظيمًا وتبجيلاً، أو رأسك أو جبهتك فهذا لا بأس به، إلا أن هذا لا يكون في كل مرة يلقاك؛ لأنه سبق أن الرسول سئل عن ذلك هل إذا لاقىٰ الرجل أخاه أينحني له؟ قال: «لا». قال: أيقبله ويعانقه؟ قال: «لا». قال: أيصافحه؟ قال «نعم»(١). لكن إذا كان لسبب فلا بأس؛ كقدوم الغائب، ولهذا ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث عائشة رضي الله عنها في قدوم زيد بن حارثة حين جاء إلى النبي ﷺ واستأذن فقام الرسول ﷺ إليه يجر ثوبه، وزيد بن حارثة مولى للرسول ﷺ، يعني: كان عبدًا مملوكًا للرسول ﷺ أهدته إليه خديجة رضي الله عنها فأعتقه ولكن الرسول ﷺ كان يحبه ويحب ابنه أسامة، ولهذا يسمى أسامة حب رسول الله ﷺ فهو محبوب من رسول الله وابنه أسامة كذلك.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، رقم (٢٦٥٢).

فالحاصل أن الرسول قام يجر رداءه أو ثوبه فعانقه وقبّله؛ لأن زيد بن حارثة رضي الله عنه كان قادمًا من سفر، فإذا كان عند القدوم من السفر؛ فهذا لا بأس به، أما كلّما لاقاك يقبلك؛ فهذا نهى عنه الرسول ﷺ.

كذلك أيضًا أوصى النبي ﷺ أن الإنسان لا يحقر من المعروف والإحسان شيئًا منه أبدًا، لا تقل: هذا قليل حتى ولو تعطيه قلمًا أو شيئًا قليل القيمة ماديًّا ساعة من الساعات، بعشرة ريالات أو ما أشبه ذلك، فلا تحقر شيئًا، فإن هذا يذكر الإنسان ولو بعد حين، يقول: هذا الرجل أهداني سنة كذا وكذا، فكل شيء يجلب المودة والمحبة بين الناس لا تحقره، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**»[1] يعني غير عبوس.

لكن أحيانًا يغلبنا عدم التوسع في هذا الأمر، ربما أن نلقى بعض الناس بوجه عبوس لسبب أو لآخر، فقد يكون هناك أسباب خفية يكون الإنسان مثلاً متأثرًا فيها، والناس لا يعلمون فلا يحصل أن يلقى الإنسان الناس دائمًا بوجه طليق، إنما حاول أن تلقى إخوانك بوجه طليق منشرح؛ لأن هذا من المعروف وسبب للمودة والمحبة، والدين الإسلامي دين المحبة والوفاء والأخوّة كما قال

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في إكثار ماء المرقة، رقم (١٧٥٦).

تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى أحسن الأخلاق والأعمال فلا يهدي إلى أحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيء الأخلاق، والأعمال فلا يصرف عنَّا سيئها إلا هو.

ملحوظة: بعض الأبناء في بعض الدول قد يقبلون رجل والديهم، نقول: أنه ليس لازمًا تقبل رجله، لكن لو قبلها فلا بأس، ولكنه إن كان واقفًا فلا يقبل رجله، أما إن كان جالسًا أو مادًّا رجليه فلا بأس بذلك، ولكنه ليس بلازم.



٩/٨٩٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ!» متفقٌ عليه[١].

الشرح

هذا الحديث ذكره النووي ـ رحمه الله تعالى ـ فيما يتعلق

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم (٥٥٣٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، رقم (٤٢٨٣).

بالمعانقة والتقبيل وما أشبه ذلك.

ومن ذلك تقبيل الصغار؛ رحمة بهم وشفقة وإحسانًا وتوددًا، فإن النبي ﷺ قبّل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والحسن هو ابن فاطمة بنت محمد ﷺ يعني أن النبي ﷺ جده من قبل أمه، وكان النبي ﷺ يحب الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «**إنهما سيدا شباب أهل الجنة**»(١) لكن الحسن أفضل من الحسين، ولهذا قال له النبي ﷺ: «**إن ابني هذا سيد وسوف يصلح الله به بين فئتين من المسلمين**»، ولذلك لما استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتله الخارجي كان الذي تولى الخلافة بعده الحسن ابنه الأكبر والأفضل رضي الله عنه، ولكنه لمّا رأى أن منازعته لمعاوية الخلافة سيحصل فيها سفك دماء وقتل وضرر عظيم؛ تنازل رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه تنازلاً تامًّا درءًا للفتنة، وائتلافًا للأمة، فأصلح الله به بين الأمة، وصار له بهذا منقبة عظيمة، حيث تنازل عما هو أحق به لمعاوية رضي الله عنه درءًا للفتنة، فكان ذات يوم عند النبي ﷺ وعنده الأقرع بن حابس من سادات بني تميم، فقبل النبي ﷺ

---

(١) رواه الترمذي، باب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٠١)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل علي بن أبي طالب، رقم (١١٥).

الحسن فكأن هذا الرجل ـ الأقرع ـ الجافي استغرب: يعني كيف تقبل هذا الطفل! فقال: إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحدًا منهم فقال النبي ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم» يعني من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والعياذ بالله، ولا يوفقه لرحمة.

فدل ذلك على جواز تقبيل الأولاد الصغار رحمة وشفقة ـ سواء كانوا من أولادك أو من أولاد أبنائك أو من أولاد بناتك أو من الأجانب؛ لأن هذا يوجب الرحمة، أن يكون في قلبك رحمة للصغار، وكلما كان الإنسان بعباد الله أرحم؛ كان إلى رحمة الله أقرب، حتى إن الله عزَّ وجلَّ غفر لامرأة بغي زانية، حين رحمت كلبًا يأكل الثرى من العطش، يحفر الثرى، والثرى رطب فهو يمصّه ليحصل على شيء من الماء، فنزلت وأخذت بخفها ماءً أسقته هذا الكلب فغفر الله لها[١] ـ مع أنها سقت ورحمت كلبًا ـ ولكن إذا جعل الله في قلب الإنسان الرحمة لهؤلاء الضعفاء فإن ذلك دليلٌ على أنه سوف يُرحم بإذن الله عزَّ وجلَّ. نسأل الله أن يرحمنا وإياكم.

فقال النبي ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم» فدلَّ ذلك على أنه ينبغي للإنسان أن يجعل قلبه لينًا عطوفًا رحيمًا، خلاف ما يفعله بعض

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم. . .، رقم (٤١٦٣).

الجفاة من الناس حتى إنه إذا دخل الصبي عليه وهو في المقهى انتهره ونزره وأرجعه فهذا خطأ بل ارحم الصبيان ما أحسنوا فإن أساءوا الأدب علمهم، ولكن لا تطردهم، فها هو النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا وأكرمهم أدبًا، جاء يومًا من الأيام وهو ساجد يصلي بالناس، فأتى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فركب عليه وهو ساجد كما يفعل الصبيان، وتأخر ﷺ في السجود، فكأن الصحابة تعجبوا من ذلك لماذا تأخر ﷺ؟! فقال: «إن ابني ارتحلني ـ يعني جعلني راحلة له ـ وإني أحببت ألا أقوم حتى يقضي نهمتهْ» هذه من الرحمة، وفي يوم آخر كانت أمامة بنت زينب، وزينب بنت الرسول ﷺ كانت صغيرة فخرج بها الرسول ﷺ إلى المسجد فتقدم يصلي بالناس وهو حامل هذه الطفلة، إذا سجد وضعها على الأرض، وإذا قام حملها[1]، كل هذا رحمةً بها وعطفًا، وإلا فمن الممكن أن يقول لإحدى نسائه ـ رضي الله عنهن ـ: «خذي البنت» لكن رحمة، ربما أنها تعلقت بجدها ﷺ فأراد أن يطيب نفسها، فجاء بها يصلي بالناس وهو يحملها، وفي

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عتقه في الصلاة، رقم (٤٨٦)، ومسلم، كتاب المساجد، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، رقم (٨٤٤).

يوم من الأيام كان يخطب الناس وكان على الحسن والحسين ثوبان لعلهما جديدان وكان فيهما طول فجعلا يمشيان ويتعثران، فنزل من على المنبر وحملهما بين يديه ﷺ وقال صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1] [التغابن: ١٥]، وقال: إنه رأى هذين الولدين يتعثران يعني فما طابت نفسه حتى نزل فحملهما.

الحاصل أن الذي ينبغي لنا أن نعود أنفسنا على رحمة الصبيان وعلى رحمة كل من يستحق الرحمة من اليتامى والفقراء والعاجزين وغيرهم، وأن نجعل في قلوبنا رحمة، ليكون ذلك سببًا لرحمة الله إيانًا؛ لأننا نحن أيضًا محتاجون إلى رحمة الله، ورحمتنا لعباد الله سبب لرحمة الله لنا، نسأل الله أن يعمَّنا وإياكم برحمته.

* * *

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٧).

كتاب عيادة المريض وتشييع الميت

١٤٤ـ الصلاة على الميت وحضور دفنه
والمكث عند قبره بعد دفنه

١/ ٨٩٤ ـ عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلامِ. متفق عليه[(١)].

الشرح

سبق لنا ـ في رياض الصالحين لمؤلفه النووي رحمه الله ـ عدة أبواب مفيدة وكلها تتعلق بالأحياء ثم ذكر رحمه الله ـ في هذا الباب ـ حكم عيادة المريض وتشييع الجنائز.

عيادة المريض: ذهب بعض العلماء إلى أنها فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، رقم (٥٢٠٤)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال، رقم (٣٨٤٨).

بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم فلانًا مريض ولا يعوده أحد منهم؛ لأن هذه قطيعة وأي قطيعة!

وهذا القول هو الراجح: أن عيادة المرضى فرض كفاية، ومن المعلوم أن غالب المرضى يعودهم أقاربهم وأصحابهم وتحصل بذلك الكفاية، لكن لو علمنا أن أحدًا أجنبيًّا في البلد مريضٌ ليس معروفًا، وقد تعلم أنه لم يعده أحد؛ فإن الواجب عليك أن تعوده؛ لأن ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.

والمستحب لمن عاد المريض أن يسأل عن حاله: **كيف أنت؟** وعن أعماله: **كيف تتوضأ؟ كيف تصلي؟** وعن معاملاته: **هل لك حقوق على الناس؟ أو هل للناس حقوق عليك؟** ثم إذا قال: **نعم** تقول له: أوص بما عليك؛ لأن النبي ﷺ قال: **«ما من امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»**(١) ولا تُلح عليه في المسألة، ولا سيما إذا كان مرضه شديدًا؛ لأنه ربما يضجر ويتعب، ولا تطل الجلوس عنده؛ لأنه ربما يكون يمل؛ لأن حال المريض غير حال الصحيح، فربما يمل، ويحب أن تقوم عنه ليأتي إليه أهله وما أشبه ذلك، ولكن إذا رأيت من المريض أنه مستأنس

(١) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، رقم (٢٥٣٣)، ومسلم، كتاب الوصية، باب منه، رقم (٣٧٠٥).

بك، ويفرح أن تبقى، وأن تطيل الجلوس عنده، فهذا خير ولا بأس به، وهذا ربما يكون سببًا في شفائه؛ لأن من أسباب الشفاء إدخال السرور على المريض، ومن أسباب دوام المرض وزيادته إدخال الغمِّ على المريض، فمثلاً لو جئت المريض وقلت له: والله أنت اليوم أحسن من أمس، حتى وإن لم يكن أحسن من جهة الطب.

لكن تقول: أحسن من أمس؛ لأنه زاد خيرًا، ما بين أمس واليوم صلَّى خمس صلوات، استغفر، كبّر، هلّل، كذلك زاد أجرًا بالمرض، فتقول: أنت أحسن من أمس باعتبار أنه كسب خيرًا في بقائه ما بين أمس واليوم، وذلك حتى يدخل عليه السرور، أما أن تقول: والله إنك اليوم وجهك مُجْهد، أنت أمس أحسن من اليوم، فهذا خطأ حتى ولو كان الأمر كذلك؛ لأن هذا لا ينفع، إن لم يضر لن ينفع، لكن أدخل عليه السرور ما استطعت، كذلك إذا كان المريض ممن يحب القصص وبعض الناس يحب القصص ـ أقصد بها ما يسميها بعضهم السوالف، وهو حق ليست بكذب ـ فإذا رأيت أن هذه القصص تدخل عليه السرور فلا بأس أن تقص عليه منها، فهذا أيضًا جيد طيب؛ لأن إدخال السرور على المريض مهم، وإذا أردت أن تقوم واستأذنته فلتقل: أتأذن لي؟ فإن هذا أيضًا مما يسره؛ لأنه ربما يود أن تبقى فيقول لك: لا.. ابقَ. أو يقول: المحل

محلك، فهو إذًا قال: المحل محلك.. يعني أنه أذن لك، لكن قد يكون يحب أن تبقى.

ثم احرص غاية الحرص على أن توجهه إلى فعل الخير وقول الخير في هذا المرض، فيتفرغ للذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، وما أشبه ذلك تنبهه على فعل هذا الخير لعله ينتبه ويكون لك أجر السبب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا مباركين أينما كنا، والله الموفق.



٢/٨٩٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلام، وَعِيَادَةُ المريضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإجَابَةُ الدَّعْوةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ» متفقٌ عليه[1].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في كتاب عيادة المريض وتشييع الجنازة. يُقال: عيادة، وزيارة، وتشييع. الزيارة للصحيح إذا زرت أخًا لك في الله في بيته في مكانه فهذه زيارة، والعيادة للمريض؛ لأن الإنسان يعيدها ويكررها ما دام

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم (١١٦٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم (٤٠٢٢).

أخوه مريضًا. وتشييع الجنازة اتباعها.

ثم ذكر المؤلف حديث البراء بن عازب وقد سبق الكلام على أكثره، والشاهد منه قوله: وعيادة المريض: فعيادة المريض أمر بها النبي ﷺ وهي فرض كفاية ـ إذا قام بها من يكفي؛ سقط عن الباقين، وإذا لم يقم بها أحد؛ وجب على من علم حال أخيه أن يعوده ـ ثم إن المراد بالمريض الذي يعاد هو الذي انقطع في بيته، ولا يخرج، وأما المريض مرضًا خفيفًا لا يعوقه عن الخروج ومصاحبة الناس، فإنه لا يعاد لكن يسأل عن حاله إذا علم به الإنسان.

وللعيادة آداب كثيرة منها:

١ ـ أن ينوي الإنسان بها امتثال أمر النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ أمر بها.

٢ ـ ومنها أن ينوي الإحسان إلى أخيه بعيادته، فإن المريض إذا عاده أخوه؛ وجد في ذلك راحة عظيمة وانشراح صدر.

٣ ـ ومنها أن يستغل الفرصة في توجيه المريض إلى ما ينفعه فيأمره بالتوبة والاستغفار والخروج من حقوق الناس.

٤ ـ ومنها أنه ربما يكون على المريض إشكالات في طهارته أو صلاته أو ما أشبه ذلك، فإذا كان العائد طالب علم انتفع به المريض؛ لأنه لابد أن يخبره عما ينبغي أن يقوم به من طهارة وصلاة

أو يسأله المريض.

٥ ـ ومنها أن الإنسان ينظر للمصلحة في إطالة البقاء عند المريض أو عدمها. وهذا القول هو القول الصحيح، وذهب بعض العلماء إلى أنه ينبغي تخفيف العيادة، وألا يثقل على المريض، لكن الصحيح أن الإنسان ينظر للمصلحة: إذا رأى أن المريض مستأنس منبسط منشرح الصدر، وأنه يحب أن يبقى عنده الذي يعوده، فليتأنَّ لما في ذلك من إدخال السرور على المريض، وإن رأى أن المريض متضجر وأنه يرغب أن يقوم الناس عنه حتى يأتيه أهله ويصلحوا حاله؛ فإنه يقوم ولا يتأخر.

٦ ـ ومنها أن يتذكر الإنسان نعمة الله عليه بالعافية، فإن الإنسان لا يعرف قدر نعمة الله عليه إلا إذا رأى من ابتلى بفقدها، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

فتحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على العافية، وتسأله أن يديم عليك النعمة.

٧ ـ ومنها ما يرجى من دعاء المريض للعائد، ودعاء المريض حري بالإجابة؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عند المنكسرة قلوبهم من أجله، والمريض من أشد الناس ضعفًا في النفس، ولا سيما إذا طال به المرض أو ثقل به المرض فيرجى إجابة دعوة هذا المريض.

وهناك فوائد أكثر مما ذكرنا؛ لذلك ينبغي للإنسان أن يحرص على عيادة المرضى في منازلهم لما في ذلك من الأجر الكثير والثواب العظيم.

أما تشييع الجنازة فيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

* * *

٣/٨٩٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: «يَا ابْنِ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْني! قال: يَا رَبِّ كيف أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمين؟! قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَني عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمنِي! قال: يَا رَبِّ كَيْف أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالِمِينَ؟ قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقني! قال: يَا رَبِّ كَيْف أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمينَ؟! قال: اسْتسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ! أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي؟» رواه مسلم[١].

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، رقم (٤٦٦١).

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين في باب عيادة المريض وتشييع الميت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى يوم القيامة: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني»؛ قال: كيف أدعوك وأنت رب العالمين؟ يعني: وأنت لست بحاجة إلي حتى أعودك. قال: «أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما إنك لو عدته لوجدتني عنده» هذا الحديث ليس فيه إشكال في قوله تعالى: «مرضت فلم تعدني» لأن الله تعالى يستحيل عليه المرض؛ لأن المرض صفة نقص، والله سبحانه وتعالى منزه على كل نقص قال الله تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، لكن المراد بالمرض: مرض عبد من عباده الصالحين، وأولياء الله ـ سبحانه وتعالى ـ هم خاصته، ولهذا جاء في الحديث الصحيح القدسي أيضًا: «من عادى لي وليًّا؛ فقد آذنته بالحرب»(١). يعني أن الذي يعادي أولياء الله محارب لله عزَّ وجلَّ ـ مع أنه ـ وإن كان لم يعادِ الله على زعمه ـ لكنه إذا عادى أولياءه وحاربهم، فقد عاداه وحاربه، كذلك إذا مرض عبد من عباد الله الصالحين؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكون عنده،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٠٢١).

ولهذا قال: «أما إنك لو عدته لوجدتني عنده» ولم يقل: لوجدت ذلك عندي كما قال في الطعام والشراب بل قال: «لوجدتني عنده» وهذا يدل على قرب المريض من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا قال العلماء: إن المريض حري بإجابة الدعاء إذا دعا لشخص، أو دعا على شخص، وفي هذا دليلٌ على استحباب عيادة المريض، وأن الله سبحانه وتعالى عند المريض وعند من عاده؛ لقوله: «لوجدتني عنده» وقد سبق لنا كيف تكون عيادة المريض؟ وماذا ينبغي أن يقوله له العائد، ويوصيه به.

«يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني» يعني طلبت منك طعامًا فلم تطعمني، ومعلوم أن الله تعالى لا يطلب الطعام لنفسه؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، فهو غني عن كل شيء لا يحتاج إلى الطعام ولا إلى الشراب، لكن جاع عبد من عباد الله فعلم به شخص فلم يطعمه، قال الله تعالى: «أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» يعني: لوجدت ثوابه عندي مدخرًا لك، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وفي هذا دليلٌ على استحباب إطعام الجائع، وأن الإنسان إذا أطعم الجائع وجد ذلك عند الله.

«يا ابن آدم استسقيتك ـ أي طلبت منك أن تسقيني ـ فلم تسقني» قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! يعني لست في حاجة إلى

طعام ولا شراب قال: «أما علمت أن عبدي فلانًا استسقاك فلم تسقه، أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي» ففيه أيضًا دليل على فضيلة إسقاء من طلب منك السقيا، وأنك تجد ذلك عند الله تعالى مدخرًا لك، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

والشاهد من هذا الحديث الجملة الأولى منه، وهي قوله: «مرضت فلم تعدني» ففيه دليلٌ على استحباب عيادة المريض، هذا ولا ننسى ما سبق من أن الإنسان إذا عاد المريض ينبغي عليه أن يسأله عن حاله، وعن طهارته: ماذا يفعل بالطهارة؟ ماذا يفعل بالصلاة؟ ويعلمه كيف يتطهر وكيف يصلي؟ وأيضاً ينبغي له أن يذكره بأن يعمر أوقاته بالذكر والاستغفار وقراءة القرآن، وأنه إذا كان له وصية يريد أن يوصي فليكتبها. والله الموفق.

* * *

٤/٨٩٧ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُودُوا المَرِيضَ، وأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا الْعَانِي» رواه البخاري(١).

«العَاني»: الأسير.

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ رقم(٤٩٥٤).

٨٩٨/٥ ـ وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ، إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الْجَنَّة حَتَّى يَرْجِعَ» قِيلَ: يا رسولَ الله وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ **قال: «جَنَاهَا» رواه مسلم**[1].

«جناها» أي ما اجتنى من الثمر.

الشرح

ذكر المؤلف رحمه الله في كتاب رياض الصالحين في باب عيادة المريض وتشييع الميت. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكّوا العاني» هذه ثلاثة أشياء أمر بها النبي ﷺ:

أولاً: عودوا المريض: وقد سبق أن عيادة المريض فرض كفاية يجب على المسلمين أن يعودوا مرضاهم. فإذا لم يقم أحد بذلك؛ وجب على من علم بالمريض أن يعوده؛ لأن ذلك من حق المسلم على إخوانه.

ثانيًا: وأطعموا الجائع: فإذا وجدنا إنسانًا جائعًا؛ وجب علينا جميعًا أن نطعمه، وإطعامه فرض كفاية إذا قام به من يكفي؛ سقط عن الباقين، فإن يقم به أحد؛ تعيّن على من علم بحاله أن يطعمه، وكذلك أيضًا كسوة العاري، إذا وجدنا شخصًا عاريًا فإن الواجب

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، رقم (٤٦٥٨).

على المسلمين أن يكسوه، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي؛ سقط عن الباقين.

ثالثًا: وفكوا العاني: يعني الأسير، يعني فكوا الأسير الذي عند الكفَّار من الأَسْر، فإذا اختطف الكفار رجلاً مسلمًا؛ وجب علينا أن نفك أسره، وكذلك لو أسروه في حرب بينهم وبين المسلمين فإنه يجب علينا أن نفك أسره، وفك أسره فرض كفاية، إذا قام به من يكفي؛ سقط عن الباقين وإلا أثم الجميع.

ثم ذكر حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا عاد المسلم أخاه المسلم - يعني في مرضه فإنه لا يزال في خُرفة الجنة**» قيل: وما خُرفة الجنة؟! قال: «**جناها**» يعني أنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالسًا عند هذا المريض.

وقد سبق أن الجلوس عند المريض يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فقد يكون الجلوس عند المريض مطلوبًا، وقد يكون غير مطلوب، فإذا علمنا أن المريض يأنس بهذا الرجل، وأنه يحب أن يتأخر عنده؛ فالأفضل أن يتأخر، وإذا علمنا أن المريض يحب أن يخفف العائد؛ فإنه لا يتأخر فلكل مقام مقالَ. وفي هذا الحديث الثاني دليلٌ على فضل عيادة المريض، كلنا يحب أن يغترف من ثمار الجنة وهذا من أسبابها. والله الموفق.

٨٩٩/٦ ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك حَتَّى يُصْبحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ في الجنَّةِ» رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن. «الخريفُ» التمَرُ المُخرُوفُ، أي: المُجْتَنَى.

٩٠٠/٧ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُوديٌّ يَخْدمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاه النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأسِهِ فقال لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري[٢].

الشرح

نقل النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب عيادة المريض وتشييع الميت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة؛ إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وكذلك إن عاده في المساء صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان في خرفة الجنة» . هذا

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، رقم (٨١١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. . .، رقم (١٢٦٨).

الحديث له شاهد مما سبق أن الإنسان إذا عاد أخاه المريض؛ فهو في خرفة الجنة يعني في جناها وفضل الله واسع.

وأما استغفار الملائكة له فهذا فيه نظر؛ لأن من قواعد الحديث الضعيف عند العلماء كثرة الثواب في عمل يسير جدًّا، ولكننا نقول: إنه ما دام قد ثبت أصل مشروعية عيادة المريض؛ فإن ذكر الفضائل ـ إذا لم يكن الضعف شديدًا ـ مما يساعد على فعل ما رغب فيه وينشط الإنسان، ويرجو الإنسان ثواب ذلك ـ إن كان هذا الحديث ثابتًا عن النبي ﷺ حصل للإنسان ما دلَّ عليه، وإن لم يكن ثابتًا؛ فإنه لا يزيده إلا رغبة في الخير، وعلى كل حال فهو يدل على فضيلة عيادة المريض، وأنه إن كان في الصباح؛ فله هذا الأجر، وإن كان في المساء فله هذا الأجر.

أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن غلامًا يهوديًّا كان يخدم النبي ﷺ فمرض هذا الغلام فعاده النبي ﷺ فجلس عند رأسه وقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه ـ يعني كأنه يستشيره ـ فقال له أبوه ـ وهو يهودي ـ: «**أطع أبا القاسم**»؛ لأن اليهودي يعلم أنه الرسول، ويدري أنه حق، فقال لابنه: أطع أبا القاسم، فأسلم هذا الغلام، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

ففي هذا الحديث عدة فوائد منها:

١ ـ جواز استخدام اليهودي، يعني أن يستخدمهم الإنسان ويجعلهم خدمًا عنده، وهذا بشرط أن يأمن من مكره؛ لأن اليهود أصحاب مكر وخديعة وخيانة لا يكادون يوفون بعهد ولا يؤدون أمانة، لكن إذا أمنه فلا بأس من أن يستخدمه.

٢ ـ وفيه أيضًا دليلٌ على جواز عيادة المريض اليهودي؛ لأن النبي ﷺ عاد هذا الغلام، ولكن يحتمل أن تكون عيادة النبي ﷺ له كانت من أجل خدمته إياه، وأن هذا من باب المكافأة على المعروف، وعلى هذا فلا يكون الحكم عامًّا لكل يهودي أن تعوده، ويحتمل أن الرسول ﷺ عاده ليعرض عليه الإسلام، فتكون عيادة المريض اليهودي ـ أو غيره من الكفار ـ تكون مستحبة إذا كان الإنسان يريد أن يعرض عليهم الإسلام، فينقذهم الله به من النار، وقد قال النبي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»(١).

يعني: إذا هدى الله بك رجلاً واحدًا من الكفر خير لك من الإبل الحمر التي هي أغلى أنواع الإبل عند العرب.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، رقم (٨٧١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (٤٤٢٣).

٣ ـ وفيه دليلٌ على أنه ينبغي على من عاد المريض أن يرشده إلى الحق ويبينه له الحق ويرغبه فيه، فإذا كان ـ مثلاً ـ يعلم أنه ـ أي المريض ـ صاحب تقصير يقول له: «يا فلان استغفر الله، تب إليه» ويعرض عليه الأشياء التي تنفعه، فلا يبقى عنده يقص قصص الأولين والآخرين دون أن ينفعه في دينه، فأحسن ما تهدي للمريض هو أن تنفعه في دينه. أما القصص فهذه لها وقت آخر، لكن اغتنم الفرصة، قل: «يا فلان! استغفر الله، تب إليه، إذا كان لأحد عليك مظلمة أدّها إليه، وإن كان عندك تقصير في واجب فأتمه... وهلم جرًّا».

٤ ـ وفيه دليلٌ أيضًا على أن الأب قد يؤثر ابنه بالخير وهو لا يفعله، فهذا اليهودي أشار على ابنه أن يطيع أبا القاسم ﷺ ويسلم، ولكنه هو لم يسلم، فالأب قد يحب لولده شيئًا يرى أنه الخير وهو محرومٌ منه والعياذ بالله.

٥ ـ وفيه دليلٌ على أن النبي ﷺ حق، ويدل لذلك أن اليهودي قال لابنه: أطع أبا القاسم، والحق ما شهدت به الأعداء، ومعلوم أن اليهود والنصارى يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وإنما كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ لأن الله قال:

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ معروف مذكور باسمه العلم ﷺ. ﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، هم يعرفون هذا، لكنَّ الحسدَ ـ والعياذ بالله ـ والاستكبارَ منعهم من أن يؤمنوا بالرسول ﷺ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة: ١٠٩]، نسأل الله السلامة.

وعلى هذا فإذا مرض إنسان كافر؛ فلك أن تعوده إذا رجوت من هذه العيادة خيرًا، بأن تعرض عليه الإسلام لعله يسلم.

فهؤلاء العمال الذين عندنا الآن من الكفار ـ وهم كثيرون ـ لا ينبغي أن نتركهم هكذا، وأن نجعلهم في منزلة البهائم يعملون لنا دون أن ندلَّهم على الحق، فهم لهم حق علينا واجب: أن ندعوهم للإسلام، ونبيِّن لهم الحق، ونرغِّبهم فيه، حتى يسلموا، أما أن يكون عندنا هذا العدد الهائل من الكفار من النصارى والبوذيين وغيرهم ثم لا نجد من يسلم منهم إلا واحدًا بعد واحد بعد عدة أيام فهو دليل على ضعف الدعوة عندنا، وأننا لم نحاول أن ندعوهم للإسلام، وهذا ـ لا شك ـ أنه تقصير منا، وإلا فإن العامل جاء

يتكفف الناس في الواقع جاء يريد لقمة العيش، فليس عنده دافع الاستكبار، فلو أننا دعوناه باللين ورغبناه؛ لحصلنا خيرًا كثيرًا، واهتدى على أيدينا أناس كثيرون، ولكنَّا في غفلة عن هذه الدعوة إلى الحق، والذي ينبغي لنا أن ننتهز الفرص في مثل هذه الأمور، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٤٥ـ باب ما يُدعى به للمريض

١/٩٠١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشيء منه، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قال النَّبيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هكذا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الرَّاوي سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا وقال: «بِسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ ربِّنَا» متفقٌ عليه(١).

٢/٩٠٢ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنى ويقولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَأسَ، وَاشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا» متفقٌ عليه(٢).

الشرح

لما ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين ما يدل على استحباب عيادة المريض ذكر ما يُدعى له للمريض وما يفعل به، فذكر حديثين عن عائشة رضي الله عنها.

أما الأول: فإنه إذا كان في الإنسان المريض جرح أو قرحة أو نحو ذلك فإن النبي ﷺ يبل أصبعه ثم يمسح بها الأرض فيأخذ من

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي...، رقم (٥٣٠٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية...، رقم (٤٠٦١).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، رقم (٥٢٤٣).

التراب بهذا البلل ثم يمسح به الجرح ويقول: «تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى بها سقيمنا، بإذن ربنا» وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يداوي الجرح بمثل ذلك، بل يبل أصبعه ثم يمسح به الأرض ذات التراب، ثم يقول ما ورد عن النبي ﷺ، ووجه ذلك أن التراب طهور كما قال النبي ﷺ: «جعلت تربتها لنا طهورًا»[(١)] وريق المؤمن طاهر أيضًا، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والثقة به فيشفى بها المريض، ولكن لابد من أمرين:

الأمر الأول: قوة اليقين في هذا الداعي بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سوف يشفي هذا المريض بهذه الرقية.

والأمر الثاني: قبول المريض لهذا وإيمانه بأنه سينفع.

أما إذا كانت المسألة على وجه التجربة؛ فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه لابد من اليقين من أن ما فعله النبي ﷺ خير، ولابد أن يكون المحل قابلاً ـ وهو المريض ـ يكون مؤمنًا بفائدة ذلك، أما إذا كان غير مؤمن فإنه لن ينتفع؛ لأن الذين في قلوبهم مرض لا تزيدهم الآيات إلا رجسًا إلى رجسهم، والعياذ بالله.

أما الحديث الثاني: فإنه كان إذا عاد بعض أهله يقول: «اللهم رب النَّاس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد...، باب منه، رقم (٨١١).

شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا» ويمسح بيده اليمنى. يعني: يمسح المريض، ويقرأ عليه هذا الدعاء: «اللهم رب الناس أذهب البأس» فيتوسل إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بربوبيته العامة، فهو الرب ـ سبحانه وتعالى ـ الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، فأنت ـ أيها المريض ـ تقول: خلقني الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا بأس بي ثم قدر علي المريض، والذي قدر علي المرض بعد الصحة قادر على أن يرفع المرض إلى صحة؛ لأنه رب الناس يفعل ما شاء عزَّ وجلَّ.

«أذهب البأس» يعني: المرض الذي حلَّ بهذا المريض.

«واشف أنت الشافي»، والشفاء: إزالة المرض وبرء المريض، فيقال: اشف ولا يُقال أشف، لأنك إذا قلت: أشف، صار معناه أهلك، وأما إذا قلت: اشف، فمعناها البرء يعني من السقم، ولهذا يقال: «اللهم اشف فلانًا ولا تُشفه» الكلمتان ـ عند العوام ـ يظن أن معناهما واحد، ولكن بينهما فرق عظيم: اللهم اشفه يعني: أبرئه من المرض، أما أشفه: أهلكه.

«الشافي» من أسماء الله ـ عزَّ وجلّ ـ؛ لأنه هو الذي يشفي المرض، وما يصنع من الأدوية أو يقرأ من الرقى فما هو إلا سبب قد ينفع وقد لا ينفع، فإن الله هو المسبب ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا ربما يمرض رجلان بمرض واحد، يداوى الرجلان بدواء واحد، وعلى

وصفة واحدة فيموت هذا، ويسلم هذا؛ لأن الأمر كله بيد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو الشافي، وما يُفعل من الرقى أو من الأدوية فإنما هو سبب ولكننا مأمورون بالسبب كما قال النبي ﷺ: «تداووا، ولا تتداووا بحرام»[1] وقال: «ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء»[2].

وقوله: «لا شفاء إلا شفاؤك» صدق النبي ﷺ فلا شفاء إلا شفاء الله، فشفاء الله لا شفاء غيره، وشفاء المخلوقين ليس إلا مجرد سبب، والشافي هو الله عزَّ وجلَّ فليس الطبيب الذي يشفيك وليس الدواء، بل الطبيب سبب، والدواء سبب، والشافي هو الله.

وقوله: «شفاء لا يغادر سقمًا» يعني: شفاء كاملاً لا يبقى سقمًا أي: لا يبقي مرضًا. فينبغي للإنسان إذا عاد المريض أن يمسحه بيده اليمنى، ويقول هذا الدعاء: «اللهم ربَّ الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»، والله الموفق.



(١) رواه أبوداود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة...، رقم (٣٨٧٤).
(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٥٠)، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء...، رقم (٣٤٣٨).

٤/٩٠٤ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا» رواه مسلم(١).

٥/٩٠٥ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بَسْمِ اللهِ ـ ثلاثًا ـ وَقُلْ سَبْع مَرَّاتٍ: أعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وأُحَاذِرُ» رواه مسلم(٢).

٦/٩٠٦ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العظيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظيمِ أَنْ يَشْفِيكَ: إلا عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ» رواه أبوداود والترمذي(٣): وقال: حديث حسن، وقال الحاكم: حديثٌ صحيح على شرط البخاري.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث...، رقم (١٦٢٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء...، رقم (٢٢٠٢).

(٣) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة...، رقم (٣١٠٦)، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في التداوي بالعسل...، رقم (٢٠٨٣)، والحاكم، كتاب الجنائز، رقم (١٢٦٨).

الشرح

هذه الأحاديث فيما يقال عند المريض إذا عاده الإنسان ذكرها النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين.

حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ عاده في مرضه فقال: «اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا» ثلاث مرات، ففي هذا الحديث دليلٌ على أن من السنة أن يعود الإنسان المريض المسلم، وفيه أيضًا حسن خلق النبي ﷺ ومعاملته لأصحابه، فإنه كان ﷺ يعود مرضاهم ويدعو لهم، وفيه أنه يستحب أن يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اشف فلانًا» وتسميه، اللهم اشف فلانًا، اللهم اشف فلانًا، ثلاث مرات، فإن هذا مما يكون سببًا لشفاء المريض، وفيه أيضًا دليل على أن الإنسان يكرر الدعاء، لقد كان الرسول ﷺ إذا دعا يدعو ثلاثًا، وإذا سلَّم سلَّم ثلاثًا وتكرار الدعاء ثلاثًا من الأمور المشروعة كما كان ﷺ في الصلاة يقول: «رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي»[1] يكرر. هكذا أيضًا يكرر الدعاء للمريض.

ثم ذكر المؤلف حديث عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ سأله

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣١٥)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقول بين السجدتين. . .، رقم (٨٩٧).

عثمان أنه يشكو من مرض في جسده، فأمره النبي ﷺ أن يقول هذا الدعاء: «بسم الله ثلاثًا، ويضع يده على موضع الألم ثم يقول: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، يقولها سبع مرات، فهذا من أسباب الشفاء أيضًا، فينبغي للإنسان إذا أحس بألم أن يضع يده على هذا الألم ويقول: «بسم الله ثلاثًا، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، يقولها سبع مرات، إذا قاله موقنًا بذلك مؤمنًا به وأنه سوف يستفيد من هذا فإنه يذهب الألم بإذن الله عزَّ وجلَّ، وهذا أبلغ من الدواء الحسي وأبلغ من الأقراص، والشراب والإبر؛ لأنك تسأل أو تستعين بمن بيده ملكوت السموات والأرض، بالذي أنزل هذا المرض، هو الذي يجيرك منه.

كذلك أيضًا حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الإنسان إذا زار مريضًا لم يحضر أجله ـ يعني ليس الذي فيه مرض الموت ـ فقال: «أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك سبع مرات إلا شفاه الله من ذلك المرض» هذا إذا لم يحضر الأجل، أما إذا حضر الأجل فلا ينفع الدواء ولا القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، والله الموفق.

* * *

٩٠٧/٧ ـ وَعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ يَعُودُهُ قَالَ: «لاَ بَأسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ» رواه البخاري[(١)].

الشرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين فيما يدعى به للمريض. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على مريض يعوده يقول: «لا بأس طهور إن شاء الله».

«لا بأس» يعني: لا شدة عليك ولا أذًى. «طهور» يعني: هذا طهور إن شاء الله، وإنما قال النبي ﷺ: «إن شاء الله»؛ لأن هذه جملة خبرية وليست جملة دعائية؛ لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به، ولا يقل إن شئت، ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل: «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»[(٢)] لا تقل هذا؛ لأن الله لا مكره له، إن شاء غفر لك ورحمك، وإن شاء لم يغفر ولم يرحم، فلا يقال إن شئت إلا لمن له مكره، أو لمن يستعظم العطاء،

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما يقال للمريض وما يجيب...، رقم (٥٦٦٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت...، رقم (٢٦٧٩).

والله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء، فإذا سألت الله فلا تقل: إن شئت.

أما قول إن شاء الله في قول النبي ﷺ «لا بأس طهور إن شاء الله» فهذا لأنه خبر وتفاؤل فيقول: لا بأس، بأن ينفي أن يكون به بأس، ثم يقول: «إن شاء الله»؛ لأن الأمر كله بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فيؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي لمن عاد مريضًا إذا دخل عليه أن يقول: «لا بأس، طهور إن شاء الله».

* * *

٨/٩٠٨ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قال: «نَعَمْ» قال: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ» رواه مسلم[1].

الشرح

ثم ذكر حديث رقية جبريل للنبي ﷺ أنه جاءه فقال له: «اشتكيت؟» يسأله يعني: هل أنت مريض؟ قال: نعم، فقال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد،

---

(١) رواه مسلم في الطب، باب الطب والمرضى والرقى...، رقم (٢١٨٦).

الله يشفيك، بسم الله أرقيك» هذا دعاء من جبريل أشرف الرسل للنبي ﷺ أشرف الرسل، لكن جبريل أشرف الرسل الملكيين، وأما محمد فأشرف الرسل البشريين يقول له: «اشتكيت؟» قال: «نعم» وفي هذا دليلٌ على أنه لا بأس أن يقول المريض للناس إني مريض إذا سألوه، وأن هذا ليس من باب الشكوى، الشكوى أن تشتكي الخالق للمخلوق، تقول: أنا أصابني الله بكذا وكذا، تشكو الرب للخلق، هذا لا يجوز، ولهذا قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، لكن إذا أخبر المريض بمرضه على سبيل الإخبار دون الشكوى؛ فلا بأس، ولهذا بعض العامة يقول: إخبار لا شكوى، فيَّ كذا وكذا وهذا طيِّب، وفيه أيضًا دليل على أنه ينبغي أن يقرأ على المريض بهذه الرقية: «بسم الله أرقيك» يعني أقرأ عليك «من كل شيء يؤذيك»: عام، كل شيء يؤذيه من مرض، أو حزن، أو همّ، أو غمّ. أو أي شيء يكون.

«من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك».

«من شر كل نفس» من النفوس البشرية، أو نفوس الجن، أو غير ذلك، أو «عين حاسد» أي: ما يسمّيه الناس بالعين، وذلك أن الحاسد ـ والعياذ بالله ـ الذي يكره أن ينعم الله على عباده بنعمه، نفسُه خبيثة شريرة، وهذه النفس الخبيثة الشريرة قد ينطلق منها ما

يصيب المحسود، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]، فيصيب المحسود فتزول منه النعمة بسبب هذه العين، ولهذا قال: «**أو عين حاسد الله يشفيك**» أي: يبرئه ويزيل سقمه «**بسم الله أرقيك**» فبدأ بالبسملة في أول الدعاء وفي آخر الدعاء، فإذا دعا الإنسان بما جاءت به السنة فهذا خير؛ لأن كل ما جاءت به السنة فإن مراعاته أفضل، وإذا لم يعرف هذا الدعاء فليدعُ بما يناسبه ويفتح الله به عليه: يقول مثلاً: شفاك الله، عافاك الله، أسال الله لك الشفاء، أسأل الله لك العافية، وما أشبه ذلك.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن النبي ﷺ كغيره من البشر، يصيبه المرض، وفيه أيضًا أن القراءة على المريض لا تنافي كمال التوكّل، بخلاف الذي يطلب من الناس أن يقرءوا عليه فالذي يطلب من الناس أن يقرءوا عليه؛ فيه شيء من نقص التوكل؛ لأنه سأل الخلق، واعتمد على سؤالهم، لكن إذا جاء إنسان يقرأ عليه ولم تمنعه؛ فإن ذلك لا يضرك ولا يعدُّ نقصًا في التوكل، ولهذا قرأ النبي ﷺ على غيره، وقرئ عليه أيضًا فذلك لا ينافي كمال التوكل إذا كان بغير سؤال، والله الموفق.

* * *

٩/٩٠٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قال: يقول: لا إلهَ إلاَّ أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا لِيَ الملْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي» وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ قالهَا في مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ» رواه الترمذي[١] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا آخر حديث نقله النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب: «ما يُدعى به للمريض» وقد سبقت الأحاديث فيما يدعو به العائد للمريض.

أما هذا فهو فيما يدعو به المريض نفسه، إذا قال هذا الذي ذكره أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يصدق العبد إذا قال: «الله أكبر، لا إله إلا الله» قال الله: «إنه لا إله إلا أنا، وأنا أكبر»، وإذا قال: «الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله كذلك يصدقه الله» فمن قال هذا ـ أي قال ـ: «لا إله

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول العبد إذا مرض...، رقم (٣٤٣٠).

إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ثم مات مع بقية الذكر فإنها لا تطعمه النار، أي: أن ذلك يكون من أسباب تحريم الإنسان على النار، فينبغي للإنسان أن يحفظ هذا الذكر، وأن يكثر منه في حال مرضه حتى يختم له بالخير إن شاء الله تعالى، والله الموفق.



١٤٦ـ باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

١/ ٩١٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاري[١].

الشرح

بعد ما ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين كثيرًا من آداب عيادة المريض ذكر بيان سؤال أهل المريض عن حاله، وأن ذلك من الأمور التي جاءت بها السنة، حيث ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وكان علي بن أبي طالب صهر رسول الله ﷺ وابن عمه، وكان أفضل أهل البيت، فهو الخليفة الرابع في هذه الأمة، ولما خلفه النبي ﷺ على أهله في غزوة تبوك، ورأى أنه تأثر من ذلك قال له النبي ﷺ: «أما

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب المعانقة وقول الرجل: كيف أصبحت؟... رقم (٦٢٦٦).

ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»(١)؛ لأن موسى خلف هارون في أهله قال: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، قال له النبي ﷺ ذلك، ثم قال: «إلا أنه لا نبي بعدي»(٢) خرج من عند الرسول ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وكان النبي ﷺ عندما مرض كان يعدل بين نسائه التسع إلا سودة بنت زمعة رضي الله عنها، فإنها وهبت يومها لعائشة، فكان في مرضه يعدل بين نسائه، فلما اشتد به المرض صار يقول: «أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟»(٣) يريد يوم عائشة فأذِنَّ له رضي الله عنهن أن يتمرَّض في بيت عائشة، فكان عند عائشة رضي الله عنها حتى توفي، فسئل علي رضي الله عنه: كيف أصبح النبي ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا.

ففيه دليلٌ على أنه إذا لم يمكن الوصول إلى المريض فإنه يسأل عنه من ينتابه من أقاربه أو غيرهم، يسأل عن حاله ليطمئن الإنسان، وفي وقتنا هذا حصل ـ ولله الحمد ـ اتصال بغير الأهل، بغير

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب...، رقم (٣٧٠٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب...، رقم (٣٤٠٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك...، رقم (٤٤١٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب...، رقم (٢٤٠٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة...، رقم (٣٧٧٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة...، رقم (٢٤٤٣).

الأقارب وهو اتصال الهاتف، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من الذهاب إلى المريض بنفسه فهذا الهاتف والحمد لله خير مرسول للإنسان، ولهذا نقول: إذا لم تتمكن من عيادة المريض بنفسك؛ فإنك تتصل به بالهاتف وتسأل عن حاله ويكتب لك بذلك الأجر ـ، إن شاء الله تعالى ـ والله الموفق.

* * *

١٤٧ـ باب ما يقوله من أيس من حياته

١/٩١١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ» متفقٌ عليه(١).

٢/٩١٢ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ، ثم يَمسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أو سَكَرَاتِ المَوْتِ» رواه الترمذي(٢).

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب ما يقوله من أيس من حياته.

اليأس من الحياة لا يعلم إلا إذ حضر الموت، أما قبل ذلك فإنه مهما اشتد المرض فإن الإنسان لا ييأس، وكم من إنسان اشتد به المرض حتى جمع أهله ماء تغسيله وحنوطه وكفنه ثم شفاه الله

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت...، رقم (٥٦٧٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة...، رقم (٢٤٤٤).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت...، رقم (٩٧٨)، وقال أبوعيسى: هذا حديث غريب.

وعافاه، وكم من إنسان أشرف على الموت في أرض مفازة ليس عنده ماء ولا طعام فأنجاه اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ومن ذلك ما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ أَضَلَّهَا» ـ يعني ضيعها ـ «وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَطَلَبَهَا وَلَمْ يَجِدْهَا، فَاضْطَجَعَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَنْتَظِرُ الْمَوْتُ»(١): أيس منها، وما بقي عليه إلا أن يموت «فبينما هو كذلك إذا بخطام ناقته متعلقًا بالشجرة» رد الله عليه ضالته حتى جاءت هذه الشجرة ترعاها فارتبط خطامها بها يعني: مقودها بهذه الشجرة، فأخذ الرجل بخطامها. وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ» يريد أن يقول: «أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ» لكنه من شدة الفرح أخطأ، فهذا الرجل أيس من حياته باعتبار ظاهر الحال؛ لأنه فقد طعامه وشرابه إذ كانت على الراحلة، لكن اليأس الحقيقي هو ما إذا حضر الإنسان الموت وصار في النزع فحينئذٍ لا يمكن أن يحيىٰ، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣، ٨٤]، بلغت يعني: الروح، الحلقوم يعني: الحلق، ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤، ٨٥]، الملائكة أقرب إلى الإنسان من حلقومه عند احتضاره ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها...، رقم (٢٧٤٤).

غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦، ٨٧]، لا يمكن؟! هل أحد يمكن أن يرد روحه بعد أن بلغت الحلقوم؟! أبدًا لا يمكن؛ إذًا ييأس الإنسان من حياته إذا عاين الموت فماذا يقول؟ تقول عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**» هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!

يقول: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**».

من هم الرفيق الأعلى؟ هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقًا، هكذا كان الرسول يقول عند موته، وكان عنده ﷺ إناء فيه ماء، وقد أوتي من شدة الموت وسكراته ما لم يؤت أحد يعني ذلك أن أشد الناس عند سكرات الموت هو النبي ﷺ؛ لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين، شدد عليه المرض، شدد عليه النزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر؛ لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه الإنسان، فكأن الله عزَّ وجلَّ قد اختار لنبيه ﷺ أن يكون مرضه شديدًا، ونزعه شديدًا حتى ينال أعلى درجات الصابرين صلوات الله وسلامه عليه. فكان ﷺ يضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ويمسح بذلك وجهه ويقول:

«اللهم أعني على غمرات الموت، أو قال: على سكرات الموت» أعني عليها حتى أتحمل وأصبر وأتروَّي، ولا يزيغ عقلي، حتى أعي ما أقول، وحتى يختم لي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأن المقام مقام عظيم، مقام هول وشدة إذا لم يعنك الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويصبرك ويثبتك فأنت على خطر، ولهذا كان يقول: «اللهم أعني على غمرات الموت» وفي رواية أخرى يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»(١) وصدق النبي ﷺ إذ يقول تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، نسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على غمرات الموت، وأن يحسن لنا ولكم الخاتمة ويتوفانا على الإيمان والتوحيد، وأن يتوفانا وهو راضٍ عنا إنه على كل شيء قدير.



(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ...، رقم (٤٤٤٩).

١٤٨ـ باب استحباب وصية أهل المريض
ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر على ما يشق من أمره
وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحدٍّ أو قصاص ونحوهما

١/٩١٣ ـ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَينِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حُبْلى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا» فَفَعَلَ، فَأَمرَ بِهَا النبيُّ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم[١].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب استحباب وصية أهل المريض بالإحسان إليه والصبر وتحمله وغير ذلك، يعني: أنه ينبغي للإنسان أن يحسن إلى المريض ويتحمله ويصبر على ما يجد منه من كلام نابٍ؛ لأن المريض نفسه ضيقة، والدنيا عليه قد ضاقت، فربما يحدث منه كلام أو يحدث منه تضجر أو ما أشبه ذلك، فليصبر الإنسان على هذا وليحتسب الأجر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإنه يُثاب على

(١) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى. . .، رقم (١٦٩٦).

إحسانه لهذا المريض، ويُثاب على تحمله المشقة منه والأذى، ولا سيما إذا كان هذا الذي يتولاه الإنسان قد وجد سبب موته أو سبب قتله كما ذكر حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ وهي حبلى من الزنا ـ يعني حامل من الزنا ـ فقالت: يا رسول الله إني أصبت حدًّا فأقمه عليَّ. تريد من الرسول ﷺ أن يقيم عليها الحد وحدها أن تُرجم؛ لأنها محصنة. فدعا النبي ﷺ وليها وقال له: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها**» فجيء بها إلى رسول الله ﷺ بعد أن وضعت الحمل، ثم أمرها أن تنتظر حتى تفطم الصبي، فلما فطمته جاءت فأقام عليها الحد وأمر أن تشد عليها ثيابها يعني: تحزم وتربط؛ لئلا تضطرب عند رجمها فتبدو سوءتها ـ أي عورتها ـ فشُدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت وصلَّى عليها ﷺ.

ففي هذا دليلٌ على أنه يوصى أهل الميت ومن يتولاَّه بالإحسان إليه والرفق به وغير ذلك مما يناسب حاله، كما فعل النبي ﷺ، وفي هذا الحديث دليلٌ على أنه لا يشترط في الإقرار بالزنا أن يتكرر أربع مرات، وأن الزاني إذا أقرَّ ولو مرة واحدة وهو عاقل لا اشتباه في حاله؛ فإنه يؤخذ بإقراره ويقام عليه الحد، وفيه أيضًا دليلٌ على أنه يشترط في إقامة الحد ألا يتعدَّ الضرر إلى غير المحدود؛ لأنها لو

رجمت لمات الذي في بطنها، وهو ليس منه جناية، ولهذا أمر النبي ﷺ أن تنتظر حتى تضع المولود وحتى وتفطمه، وفي هذا دليلٌ على أن المرأة لا يحفر لها في الرجم، ولكن تربط عليها الثياب ثم ترجم عليها بالحجارة يعني ترمى بالحجارة، حجارة لا صغيرة ولا كبيرة، حتى تموت، وإنما كان الحد هكذا؛ لأن الشهوة المحرمة شملت جميع البدن، فناسب أن يذوق جميع البدن ألم العقوبة، وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ.

وفي هذا دليلٌ على أن الحدود إذا أقيمت فإن صاحبها يبرأ منها ويخلص منها ويطهر منها، ولهذا أمر النبي ﷺ بها فصلَّى عليها وصلَّى الناس عليها، والله الموفق.



١٤٩ ـ باب جواز قول المريض: أنا وجع، أو شديد الوجع أو موعوك أو «وارأساه» ونحو ذلك، وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع

١/ ٩١٤ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ: «أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ» متفقٌ عليه[١].

٢/ ٩٥١ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بي، فَقُلْتُ: بَلَغَ بي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَتِي، وذكر الحديث. متفقٌ عليه[٢].

٣/ ٩١٦ ـ وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَارَأْسَاهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ» وذكر الحديث. رواه البخاري[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب شدة المرض...، رقم (٥٦٤٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن...، رقم (٢٥٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة...، رقم (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث...، رقم (١٦٢٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف...، رقم (٧٢١٧).

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين فيما يتعلق بالمريض أنه يجوز أن يخبر عمَّا فيه من المرض وشدته، بشرط أن يكون ذلك إخبارًا لا شكوى، أي: أنه يقصد بهذا الإخبار لا يقصد الشكوى وإظهار التسخط من قضاء الله وقدره، ثم استدل بحديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وحديث عائشة رضي الله عنها على أنه لا بأس أن يخبر الرجل المريض بأنه مريض أو شديد الوجع أو ما أشبه ذلك.

فحديث ابن عباس يذكر أنه دخل على النبي ﷺ وهو يوعك ـ أي: فيه حرارة وشدة ـ، فمسّ يده فقال له: إنك لتوعك يا رسول الله، قال: «أجل إني لأوعك كما يوعك الرجلان منكم» يعني: يشدد عليه ﷺ في المرض، وذلك من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر ﷺ فإن أنواع الصبر ثابتة في حقه على الوجه الأعلى، فقد صبر على أمر الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة ﷺ: صبر على أمر الله حين بلغ رسالة ربه مع شدة الإيذاء له حتى كان يؤذى في وسط المسجد الحرام تحت بيت الله الكعبة ـ وهو صابر محتسب ـ حتى إنه خرج إلى أهل الطائف ودعاهم إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولكنهم استهزءوا به وسخروا منه، وجعلوا يرمونه بالحجارة

حتى أدموا عقبه فلم يفق إلا وهو في قرن الثعالب، ثم جاءه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين فقال ﷺ: «**لا، إني أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا**»[(١)] فهذا صبر على أمر الله.

وصبر ﷺ عن معصية الله، فكان أخشى الناس لله وأتقاهم له وصبر على أقدار الله، فلكم أوذي في الجهاد في سبيل الله وفي غير ذلك، وكم حصل له من أمراض وهو صابر محتسب، لينال بذلك درجة الصابرين، فلنا فيه أسوة، فالإنسان يجب عليه أن يصبر على أقدار الله المؤلمة، كما صبر الرسول ﷺ، يصبر ويحتسب ويعلم أنه ما من شيء يصيبه إلا كفَّر الله به عنه خطيئته، حتى الشوكة يشاكها[(٢)]، ثم إذا احتسب الأجر عند الله ونوى بذلك أن يكون هذا الصبر لنيل رفعة درجات له حصل له هذا، فينال بالمصائب ينال مرتبتين عظيمتين:

الأولى: مرتبة الصابرين على قضاء الله وقدره.

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة...، رقم (٣٢٣١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين...، رقم (١٧٩٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض...، رقم (٥٦٤٠)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن...، رقم (٢٥٧٢).

والثانية: أنه ينال من رفعة الدرجات مع الاحتساب ما يناله من الثواب.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقد مرض في مكة ـ وكان من المهاجرين ـ وكانوا يكرهون أن يموت الإنسان في البلد الذي هاجر منه؛ لأنه ترك البلد لله فيكره أن يموت فيها، وكان من عادة النبي ﷺ وحسن رعايته وخلقه أنه يعود المرضى من أصحابه، فعاده، فقال له سعد رضي الله عنه: يا رسول الله إني ذو وجع ـ يعني وجع شديد ـ وإني ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي ـ أي لا يرثه من الذرية إلا بنت، وإلا فله عصبة ـ أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**» قال: بالنصف؟ قال: «**لا**» قال: «**بالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»(١) والعجب من الناس اليوم ـ وقبل اليوم ـ أنهم يوصون بالثلث مع أن النبي ﷺ قال: «**الثلث كثير**»، وهذا يدل على أنه يحب أن يوصى الإنسان بالثلث ولكن أخذ الناس هذا عادة وصار الإنسان إذا أوصى يوصي بالثلث.

ولهذا قال حبر هذه الأمة الذي دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة...، رقم (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث...، رقم (١٦٢٨).

الدين ويعلمه التأويل قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع: يعني لكان أحسن؛ لأن النبي ﷺ قال: «**الثلث، والثلث كثير**» والناس الآن يقولون: اكتب ثلثًا اجعل لي ثلثًا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس محبوبًا للنبي ﷺ، غض من الثلث إلى الربع، وغض من الربع إلى الخمس وهو أفضل؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه أفقه هذه الأمة، والخليفة الأول لهذه الأمة بعد نبيها أوصى بالخمس وقال: «رضيت بما رضي الله به»[1]؛ لأن الله قال: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، ومع هذا نجد الذين يوصون بالثلث لا يوصون على الوجه المشروع؛ بل يوصون بأشياء مفضولة وغيرها أفضل منها، يوصي وأحيانًا يحيف في الوصية حيث يوصى للأولاد ويدع البنات، أو يوصي بأشياء توجب النزاع بين الموصى لهم في المستقبل، ولو أن الناس إذا أرادوا أن يوصوا أوصوا بما هو نفع عام: كبناء المساجد، وبناء المدارس، وشراء الكتب النافعة، وما أشبه ذلك مما ينفذ في حينه ويجري أجره ويسلم الورثة أو الموصى لهم من التنازع، لكان خيرًا من كونه

---

(١) «المغني»: كتاب الوصايا (٦/ ٥٧).

يوصي بضحية وعشاء على ذريته وأولاده وقد يحرم البنات، وما أشبه ذلك من الأشياء التي يظهر أنها اتخذت من العادات. والعامة ـ للأسف ـ إذا جاء أحدهم يوصي بشيء فإنه يحضر شخصًا ويقول له: اكتب وصيتي بالثلث... ويذكر ما اعتاده الناس، دون نظر وتفكير في الفوائد المترتبة والضوابط الشرعية التي تحكمها وصيته التي يمليها.

والذي يجب على أهل العلم الذين يكتبون الوصايا أن يفقهوا أولاً في دين الله وأن يحملوا الناس على ما هو أفضل وأولى؛ لأن العامي إذا جاء يطلب منك أن تكتب ويقول لك: اكتب وصيتي مثلاً قد ائتمنك فكونه يكون كاتب أمة ـ يعني: لا يهمه إلا ما يرضي الناس فقط ولو كان مفضولاً ـ فهذا خطأ، احملوا الناس على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم حتى وإن كان على خلاف عاداتهم، فهذا العامي المسكين ما أراد إلا الخير فهم يأتونك يقولون: اكتب ثلثي... وبأضحية كذا... لماذا؟! هناك ما هو أفضل من ذلك بكثير، فاحمِل الناس على أن تكتب لهم ما هو أوْلىٰ وأنفع لهم في قبورهم وبعد بعثهم.

أما الحديث الثالث: فهو عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله وارأساه، تشكو من رأسها فقال النبي ﷺ: «**بل أنا**

واراساه» فهذا اجتمع فيه سنتان: إقرارية وقولية، أما الإقرارية فإن الرسول ﷺ أقرَّ عائشة لما قالت: «**واراساه**» تتوجع من رأسها، وأما القولية فهو نفسه قال: «**واراساه**» وعليه فإذا قال الإنسان: واراساه واظهراه، واكفّاه، واقدماه، وابطناه، أو ما أشبه ذلك؛ فلا حرج بشرط ألا يقصد بهذا أن يشكو الخالق إلى المخلوق، أو يُقصد التوجع والتضجر مما قضاه الله عليه، فإذا كان مجرد خبر؛ فهذا لا بأس به ولا سيما إذا كان يذكر هذا عند من يريد أن يعالجه، فيقول له الطبيب مثلاً: ما الذي تشكي؟ يقول: أشكو رأسي، أشكو بطني، أشكو صدري، أشكو ظهري، وما أشبه ذلك فهذا لا بأس به؛ لأنه خبر مجرد ليس المراد به التسخط ولا الاعتراض على قضاء الله وقدره، نسأل الله لنا ولكم الشفاء من كل داء، وأن يجعل هذا قوة لنا على طاعته إنه على كل شيء قدير.



١٥٠ـ باب تلقين المحتضر لا إله إلا الله

١/٩١٧ ـ عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه أبوداود والحاكم وقال: صحيح الإسناد(١).

٢/٩١٨ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» رواه مسلم(٢).

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين: باب تلقين المحتضر لا إله إلا الله.

المحتضر: هو الذي حضرت الملائكة لقبض روحه، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد وكَّل بالإنسان ملائكة يحفظونه في حال حياته وبعد مماته، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، والإنسان إذا حضر أجله نزل إليه ملائكة يقبضون روحه من يد ملك الموت،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/٢٣٣)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب التلقين...، رقم (٣١١٦)، والحاكم في «المستدرك»، كتاب الجنائز (١/٥٠٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله...، رقم (٩١٦).

فإن ملك الموت يتولى قبضها من البدن، والملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة إذا كان من المؤمنين ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ وأما إذا كان من الكافرين فملائكة العذاب معهم كفن من النار وحنوط من النار ـ نعوذ بالله من ذلك ـ فإذا احتضر الإنسان وعلمنا أنه في النزع وأنه ميت، فإننا نلقنه «لا إله إلا الله» كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

قال العلماء: فيلقنه برفق، لا يأمره، لا يقل: قل: لا إله إلا الله؛ لأنه ربما إذا قال له قل: لا إله إلا الله ـ وهو في تلك الحال ـ قد ضاق صدره وقد ضاقت عليه الدنيا ربما إذا قيل له: قل لا إله إلا الله فيقول: لا؛ لأنك لا تتصور ضيق الصدر في هذه الساعة إلا إذا كنت في هذه الحالة، نسأل الله أن يشرح صدورنا وإياكم عند لقائه، فتذكر الله عنده تقول: لا إله إلا الله ترفع صوتك بهذا حتى يسمع فربما يمنُّ الله عليه ويستحضر أنك تلقنه فيقول لا إله إلا الله، فإذا قال لا إله إلا الله، وكانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة كما في حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة».

قال أهل العلم: فإذا قال لا إله إلا الله فليسكت ولا يلقنه ولا

يقل شيئًا، فإن عاد هو نفسه وتحدث بشيء مثل قال: اسقوني، أعطوني ماءً أو تكلم بشيء آخر، فليعد التلقين، فليقل لا إله إلا الله حتى يسمع لعله يكون آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله، ولكن إذا كان الإنسان ـ والعياذ بالله ـ كافرًا مرتدًّا فهذا ربما نقول له بالأمر: قل لا إله إلا الله نأمره؛ لأنه كافر، فإن مَنَّ الله عليه وقال: لا إله إلا الله فهذا المطلوب، وإن لم يقل فهو كافر، لذلك لما حضرت أبا طالب الوفاةُ وهو عمُّ النبي ﷺ وأعمام النبي الذين أدركوا الرسالة أربعة: اثنان أسلما وهما: حمزة والعباس أحدهما أفضل من الآخر، حمزة أفضل من العباس. واثنان ماتا على الكفر، أحدهما أقبح كفرًا من الآخر. أبو طالب ـ والد علي بن أبي طالب ـ وأبو لهب ـ والعياذ بالله ـ من أشد الناس إيذاء للرسول ﷺ، ولهذا أنزل الله في ذمه سورة كاملة يقرؤها الناس في الصلوات في الفرائض والنوافل ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد]. ولكنَّ أبا طالب ـ رغم كفره ـ لكن كان به حدب على الرسول ﷺ وحنان وشفقة ومدافعة وثناء على الرسول ﷺ إلا أنه ـ والعياذ بالله ـ حيل بينه وبين الإسلام، فعندما حضرته الوفاة ـ وكان النبي ﷺ عنده ـ وعنده رجلان من قريش،

فقال له الرسول ﷺ: «**يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**»(١) ولكن كان هذان الرجلان جليسي سوء.

قالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب. وكأنهما ـ والله أعلم ـ رأياه هَمَّ أن يقول: لا إله إلا الله، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلما قالا هذه الكلمة أخذته العزة بالإثم فقال: هو على ملة عبد المطلب، وكان آخر كلمة منه كلمة الشرك، والعياذ بالله ـ ثم مات، يقول الرسول ﷺ: «**إنه شفع له عند الله فخفف عنه العذاب، فكان في ضحضاح من النار قد غاص به، وعليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه**»، والعياذ بالله، ودماغه أبعد شيء عن قدميه، فإذا كان يغلي كالقِدر فيه الماء تحته النار، فما بالك بما هو أدنى من رأسه إلى قدميه؟! يكون أشد. قال النبي ﷺ: «**ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(٢) والشاهد من هذا أن النبي ﷺ قال له: «**يا عم قل: لا إله إلا الله**» ولم يذكر الله عنده فقط، بل قال يا عم قل: لا إله إلا الله. فهذا من أفضل ما يكون ومن أجلِّ ما يكون هدية للمرء

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله...، رقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت...، رقم (٢٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، قصة أبي طالب...، رقم (٣٨٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب...، رقم (٢٠٩).

إذا لقن الإنسان أخاه عند الموت قول: لا إله إلا الله، تساوي الدنيا كلها، فإذا حضرتَ إلى أحد ـ وقد حضر أجله ـ فاحرص على أن تلقنه: لا إله إلا الله؛ امتثالاً لأمر النبي ﷺ وإحسانًا لهذا الشخص، وربما يلقنك الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا إله إلا الله عند موتك؛ لأن النبي ﷺ قال: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[١] ختم الله لنا ولكم بالشهادة.



---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر...، رقم (٢٦٩٩).

١٥١ ـ باب ما يقوله عند تغميض الميت

١/٩١٩ ـ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَة وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضهُ ثُمَّ قال: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ؛ تَبِعَه الْبَصَرُ» فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهَ، فقال: «لاَ تَدْعُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ إلا بِخَيْرٍ فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ على مَا تَقُولونَ» ثُمَّ قالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» رواه مسلم[1].

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب ما يُقال عند تغميض الميت. يعني أن الإنسان إذا حضر الميت، فإن الميت في الغالب يشخص بصره ـ ينفتح باتساع يشاهد الروح إذا خرجت من البدن؛ لأن الروح إذا خرجت من البدن لها جسم، لكنه جسم لا يراه الناس، يراه الميت فقط، والملائكة كذلك تراه وتأخذها.

دخل النبي ﷺ على أبي سلمة، وكان من عادة النبي ﷺ أنه

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر...، رقم (٩٢٠).

يعود المرضى، فدخل على أبي سلمة وقد شق بصره ـ يعني اتسع وانفتح، فعرف النبي ﷺ أنه مات، فقال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**» فضج ناس من أهله ـ يعني من أهل البيت عندما سمعوا النبي ﷺ يقول هذا الكلام ـ فعرفوا أن الرجل قد مات فضجوا كعادة الناس إذا حصل مثل هذا الأمر ضجوا بالبكاء، فقال النبي ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» وكانوا في الجاهلية إذا حصل مثل هذا يدعون على أنفسهم بالويل والثبور ـ والعياذ بالله ـ يقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، واانقطاع ظهراه، وما أشبه ذلك.

فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» ففي هذه الحال ينبغي للإنسان أن يدعو لنفسه بالخير ويقول ما أرشد إليه النبي ﷺ: «**اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها**»[1] بعد قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ لأن كلَّ مصيبة تقول فيها: إنا لله وإنا إليه راجعون، وفي مصيبة الموت: «**اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها**»، وكذلك غيرها، وقد حدث النبي ﷺ بهذا الحديث فسمعته أم سلمة زوج أبي سلمة فلما مات زوجها ـ وكان من أحب الناس إليها ـ دعت بهذا الدعاء،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المصيبة...، رقم (٩١٨).

وقالت في نفسها: «مَنْ خيرٌ من أبي سلمة؟» تفكر من هذا الذي سيكون خيرًا من أبي سلمة؛ لأنها مؤمنة بهذا الكلام فلما انقضت عدتها خطبها النبي ﷺ فكان خيرًا من أبي سلمة ولا شك، الحاصل أن الرسول ﷺ أغمض عينيه ـ عيني أبي سلمة ـ؛ لأنها كانت منفتحة ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، ونور له في قبره، وافسح له فيه، واخلفه في عقبه» خمس كلمات تساوي الدنيا كلها:

«اللهم اغفر لأبي سلمة» يعني: اغفر له ذنوبه فلا تعاقبه عليها وسامحه واعف عنه.

و«ارفع درجته في المهديين» في الجنة؛ لأن أصحاب الجنة مهديون، كلهم قد هدوا.

و«افسح له في قبره» يعني وسع له في قبره، فإن القبر بالنسبة لمنازل الدنيا ضيق بحسب الحس، لكنه يفسح للمؤمن حتى يكون مد البصر، ويكون روضة من رياض الجنة.

«ونور له فيه» والقبر مظلم بحسب الحس، مظلم ليس فيه نور، لا نور النهار، ولا نور السراج، ولا غيره.

«واخلفه في عقبه» يعني: كن خليفة له في عقبه ـ في ذريته ـ، فهذه الدعوات الخمس منها شيء علمناه ومنها شيء رجوناه: الذي

علمناه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلفه في عقبه؛ لأن زوجته تزوجها النبي ﷺ، وأولاده صاروا ربائب للنبي ﷺ تربوا في بيته، وأما الأربعة الباقية فإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون الله قد قبل دعوة نبيه في هذا الرجل الصالح.

وفي هذا الحديث دليلٌ على مسائل:

أولاً: أنه ينبغي للإنسان إذا أصيب بمصيبة ألا يدعو لنفسه إلا بالخير.

ثانيًا: أنه ينبغي لمن حضر الميت إذا خرجت روح الميت وانفتح بصره أن يغمضه ما دام حارًّا؛ لأنه إذا برد وعيناه شاخصتان بقيتا شاخصتين لا تنطبق، فيطبقهما ما دام حارًّا، قال العلماء: وينبغي أيضًا أن يلين مفاصله قبل أن تبرد وتشخص، وتليين المفاصل أن يرد ذراعه إلى عضده، وعضده إلى صدره ثم يمد يده، ويرد الساق إلى الفخذ، والفخذ إلى البطن ثم يمدها عدة مرات حتى تلين، ليسهل تغسيله وتكفينه.

ومن فوائد هذا الحديث: الدلالة على أن الروح شيء يرى فهو جسم، ولكنه ليس كأجسامنا هذه، فأجسامنا هذه أجسام غليظة، لكن الروح جسم ليس بالجسم الغليظ؛ بل هو جسم لطيف، يجري من ابن آدم مجرى الدم، وليس مخلوقًا من طين ولكنه مخلوق من

مادة الله أعلم بها، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومنها: أنه ينبغي لمن حضر الميت وأغمضه أن يدعو له، وإذا دعا بهذه الدعوات العظيمة التي دعا بها الرسول ﷺ لأبي سلمة كان خيرًا، وإن لم يعرفها؛ دعا بما تيسر.

ومنها: أن الملائكة يؤمِّنون على دعاء أهل الميت في هذه الحالة، فينبغي لأهل الميت أن يدعوا بالخير، والله الموفق.



١٥٢ـ باب ما يُقال عند الميت
وما يقوله من مات له ميت

١/٩٢٠ ـ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ، أَوْ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً» فَقُلْتُ؛ فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] هَكَذَا: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ» أَوِ «الْمَيِّتَ» عَلَى الشَّكِّ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[2] وَغَيْرُهُ: «الْمَيِّتَ» بِلاَ شَكٍّ.

٢/٩٢١ ـ وَعَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ اؤْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُف لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلاَّ أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مُصِيبَتِهِ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المريض والميت، رقم (٩١٩).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/٢٩١، ٣٠٦)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب ما يُستحب أن يُقال عند الميت من الكلام...، رقم (٣١١٥)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له...، رقم (٩٧٧)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت...، رقم (١٨٢٥)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء فيما يُقال عند المريض إذا حضر...، رقم (١٤٤٧).

وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

٩٢٢/٣ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُم وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ، فيقولُ: فَمَاذَا قال عَبْدِي؟ فيقولُونَ: حَمِدكَ واسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ تعالى: ابنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّة، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» رواه الترمذي[٢] وقال: حديثٌ حسنٌ.

٩٢٣/٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةَ» رواه البخاري[٣].

٩٢٤/٥ - وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْسَلَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبيِّ ﷺ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ وتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبيًّ لَهَا - أو ابْنًا - في المَوْتِ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: «ارْجعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ تَعَالى مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» وذكر تمام

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المصيبة...، رقم (٩١٨).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٦٩)، (٤/ ٤١٥)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب...، رقم (١٠٢١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله...، رقم (٦٤٢٤).

الحديث. متفق عليه[1].

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين فيما يُقال عند الموت يعني: إذا مات للإنسان أحد فماذا يقول؟ وقد سبقت لنا الإشارة إلى حديثين صدَّر بهما هذا الباب وهما لأم سلمة رضي الله عنها حين مات زوجها فقالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرْني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها» فأخلف الله عليها محمدًا ﷺ.

أما الأحاديث الثلاثة الباقية فهي فيمن مات له ولد، فحمد الله واسترجع وصبر؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعوضه بذلك الجنة، كما في الحديث: «أن الله تعالى إذا قبضت الملائكة نفس ولده؛ فإن الله يقول للملائكة: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم»، وهو يعلم عزَّ وجلَّ أنهم قبضوا ولد عبده، لكن يقول جلَّ وعلا هذا ليظهر فضل هذا العبد، وأنه حمد الله واسترجع عند هذه المصيبة العظيمة، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال؟ قالوا: حمدك واسترجع يعني: قال: الحمد لله، إنا لله وإنا إليه

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله»...، رقم (١٢٨٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت...، رقم (٩٢٣).

راجعون» والحمد عند المصائب مما يدل على صبر الإنسان على قضاء الله وقدره، وأنه صبر؛ فأثنى على الله بهذه المصيبة، وكان النبي ﷺ إذا أصابه ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**»(١) وإذا أصابه ما يسره قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»(٢) فإذا حصل لك ما يسرك فقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا حصل العكس فقل: الحمد لله على كل حال.

وكذلك أخبر - سبحانه وتعالى - فيما رواه عنه النبي ﷺ أنه «**ما من إنسان يقبض الله له ولده فيصبر ويحتسب إلا عوّضه الله به الجنة**» وكذلك أيضًا ما أخرجه البخاري أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما جزاء لعبدي المؤمن إذا قبضت له صفيه واحتسب إلا الجنة**» صفيه: يعني ما اصطفاه واختاره من ولد أو زوجة أو غيرهما إذا قبض الله ذلك الصفيّ ثم احتسب فإن له بذلك الجنة.

أما الحديث الأخير فهو في قصة إحدى بنات النبي ﷺ وكان لها ابن في سياق الموت، فأرسلت إلى النبي ﷺ تدعوه. فقال النبي ﷺ للرسول الذي أرسلته هذه المرأة: «**قل لها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**»

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين...، رقم (٣٨٠٣).
(٢) انظر الحديث السابق.

فأمرها أن تصبر وتحتسب الأجر من الله عز وجل، فينبغي للإنسان في تعزية أخيه أن يقول له هذه الكلمات؛ لأنها أحسن ما يُعزى به **«إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، اصبر واحتسب»**، والله الموفق.



١٥٣ـ باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة

١/ ٩٢٥ ـ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، فَبَكَى رسولُ الله ﷺ، فلمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَكَوْا فَقَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ إنَّ الله لا يُعَذِّبُ بِدِمْعِ الْعَيْنِ، وَلاَ بِحُزنِ القَلْبِ، ولكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا أَوْ يَرْحَمُ» وَأَشَارَ إلى لِسَانِهِ. متفقٌ عليه[1].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب جواز البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة.

البكاء على الميت تارة يكون بمقتضى الطبيعة، بمعنى أن يأتي للإنسان دون أن يتقصده، فهذا لا حرج فيه، ولا إثم فيه؛ بل هو من أخلاق النبي ﷺ كما في الحديث الذي ذكره المؤلف، وهو دليلٌ على رحمة الإنسان ورقة قلبه أن يبكى على الميت، وتارة يكون

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض...، رقم (٦٣٠٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت...، رقم (٩٢٤).

بتكلف ومعه ندب أو نياحة؛ فهذا هو الذي يأثم به الإنسان، فالندب هو أن يقوم بتعداد محاسن الميت إذا بكى، يبكي ويقول: هذا فلان الذي يأتي لنا بكذا، وكذا، ويدافع عنا، وما أشبه ذلك، أو يقول واأبتاه وما أشبه ذلك مما يعد ندبًا، أو واانقطاع ظهراه.

وأما النياحة فهي البكاء برنة كنوح الحمام، فهذا هو المحرم، وقد لعن النبي ﷺ النائحة والمستمعة.

أما البكاء الذي يأتي طبيعيًا بدون أن يتقصده الإنسان ولكنه حزن ورحمة؛ فإنه لا بأس به، كما في الحديث الذي ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ عاد سعد بن عبادة رضي الله عنه من مرض ألمَّ به فبكى عليه الصلاة والسلام فبكى من معه: سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ثم قال: «ألا تسمعون» يعني: اسمعوا: «إن الله تعالى لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب» لا يعذب الباكي والحزين ولا يعذب الميت و«إنما يعذب بهذا أو يرحم» وأشار إلى لسانه يعني: أن يقول الإنسان قولاً محرمًا هذا هو الذي يعذب به الإنسان، فدلَّ ذلك على جواز البكاء على الميت بشرط ألا يكون فيه ندب وألا يكون فيه نياحة وإنما تأتي به الطبيعة والجبلة فهذا لا بأس به وهو من خلق النبي ﷺ، والله أعلم.

* * *

٢/٩٢٦ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ في الْمَوْتِ، فَفَاضَتْ عَيْنا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» متفقٌ عليه[1].

٣/٩٢٧ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَجُودُ بنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بأُخْرَى، فقال: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالقَلْبَ يَحزَنُ، وَلاَ نَقولُ إلاَّ مَا يُرْضِي ربَّنَا، وَإِنَّا لفراقِكَ يَا إِبْرَاهيمُ لمَحزُونُونَ». رواه البخاري ومسلم[2]، وروى بعضه والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة والله أعلم.

الشرح

سبق لنا الكلام على الأحاديث الثلاثة الماضية التي ذكرها النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين في باب جواز البكاء على

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾... رقم (٦٦٥٥)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت...، رقم (٩٢٣) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»...، رقم (١٣٠٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال...، رقم (٢٣١٥).

الميت من غير ندب ولا نياحة، ثم ذكر حديثين عن رسول الله ﷺ أنه بكى حين رأى طفلين في النزع:

أما الأول: فهو ابن ابنته، رُفع إليه وهو في سياق الموت فذرفت عينا رسول الله ﷺ رحمة بهذا الصبي؛ لأنه يراه ينازعه الموت، فَرقَّ رحمة له عليه الصلاة والسلام. فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟! يعني: كيف تبكي؟! فقال ﷺ: «**هذه رحمة ـ يعني أنني رحمت هذا الصبي ينازع نفسه فرققت له ـ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» كلما كان الإنسان بعباد الله أرحم كان أقرب إلى رحمة الله، ولهذا ينبغي لك أن تعوِّد نفسك على الرقة وعلى الرحمة للأطفال والحيوانات وغير ذلك ممن هو أهل للرحمة، حتى تكون أهلاً لرحمة الله عزّ وجلَّ «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» وفي هذا دليلٌ على جواز البكاء على الميت؛ لأن النبي ﷺ بكى وقال: «**هذه رحمة**» وفيها دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يتعرض لرحمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بكل وسيلة ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وفي قوله ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» إشارة إلى أن جزاء الله من جنس العمل، فلما كان هذا الإنسان راحمًا لعباد الله تعالى؛ كان الله راحمًا له؛ لأن الله تعالى في حاجة العبد إذا كان العبد في حاجة أخيه. «**من كان في حاجة**

أخيه كان الله في حاجته»[١].

أما الحديث الثاني: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ رُفع إليه ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهذا الولد ليس من زوجته خديجة؛ بل من سُرّيته مارية التي أهداها إليه ملك القبط، فسراها النبي ﷺ ـ أي وطئها بملك اليمين ـ فأتت له بهذا الولد وبقي ستة عشر شهرًا ومات في حياة النبي ﷺ، رفع إليه وهو يجود بنفسه، ومعنى يجود بنفسه أي: ينازعه الموت، وأشرف مال عند الإنسان نفسه، وهذا المحتضر كأنما يسلمها للملائكة يجود بها، فبكى وذرفت عيناه عليه الصلاة والسلام فقيل له: ما هذا يا رسول الله فقال ﷺ: **«إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»** ثم أعيدت عليه فقالها مرة أخرى **«العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون»** ثم توفي الولد وله ستة عشر شهرًا.

فدلَّ ذلك على أن الإنسان لا حرج عليه إذا بكى رحمةً وحزنًا على فراقه فإن الرسول هنا قال إنه محزون على فراق ابنه، وفيه أيضًا دليل على جواز إخبار الإنسان عن نفسه بأنه محزون من هذه

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه...، رقم (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم...، رقم (٢٥٨٠).

المصيبة؛ لأنه ﷺ: قال: «القلب يحزن».

وفيه دليل على أن النبي ﷺ يموت له الولد ويتألم لذلك وأنه يلحقه ما يلحق البشر، وكان له ﷺ من الأولاد سبعة: ثلاثة ذكور، وأربع إناث، وأشهر الذكور هو إبراهيم رضي الله عنه أما الإناث فأفضلهن فاطمة، وهي مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزينب امرأة أبي العاص بن الربيع، وأم كلثوم ورقية كانتا مع عثمان بن عفان، لما ماتت إحداهما زوجه النبي ﷺ الثانية، ولهذا لم يزوج الرسول ﷺ أحدًا من صحابته ابنتيه إلا عثمان فتميز عثمان رضي الله عنه بأن الرسول ﷺ زوجه ابنتيه، لكن بعد أن ماتت الأولى زوجه الثانية عليه الصلاة والسلام، أما أولاده فهم: القاسم، وعبد الله، وإبراهيم، لكن الذي اشتهر وبقي مدة هو إبراهيم، وكل هؤلاء من خديجة رضي الله عنها، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، ولم يبق أحد من أولاده صلوات الله وسلامه عليه لا ذكورهم ولا إناثهم بعد موته إلا فاطمة، كلهم ماتوا في حياته، وهذا من حكمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنه لا أحد يستطيع أن يدفع الموت، ولو كان أعظم الناس جاهًا عند الله، ولو استطاع أحد أن يدفع الموت لدفعه النبي عليه الصلاة والسلام عن أبنائه وبناته ولدفعه عن نفسه ولكنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ بيده الأمر وله كل شيء ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها حتى النبي ﷺ، والله أعلم.

١٥٤ـ باب الكف عما يرى من الميت من مكروه

١/٩٢٨ ـ عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَسْلَمَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ؛ غَفَرَ اللهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً» رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[١].

الشرح

قال النوي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الكفّ عما يرى من الميت من مكروه، ثم ذكر حديث مولى رسول الله ﷺ في فضل الغاسل إذا ستر على الميت ما يرى من مكروه، والذي يرى من الميت من المكروهات نوعان:

النوع الأول: ما يتعلق بحاله.

والنوع الثاني: ما يتعلق بجسده.

فالأول: لو رأى مثلاً أن الميت تغير وجهه واسود وقبح، فهذا ـ والعياذ بالله ـ دليلٌ على سوء خاتمته ـ نسأل الله العافية ـ فلا يحل له أن يقول للناس: إني رأيت هذا الرجل على هذه الصفة؛ لأن هذا

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الجنائز (١/ ٥٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٩).

كشف لعيوبه، والرجل قدم على ربه وسوف يجازيه بما يستحق من عدل أو فضل، إن كان عمل خيرًا؛ فالله تعالى يجزيه الحسنة بعشر أمثالها، وإن كان على خلاف ذلك ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

الثاني: ما يتعلق بجسده مثل أن يرى بجسده عيبًا، إما بَرَصًا أو سوادًا، خِلْقيًا وليس خُلُقًا، أو غير ذلك مما يكره الإنسان أن يطلع عليه غيره، فهذا أيضًا لا يجوز له أن يبينه للناس، ويقول رأيت: فيه برصًا في بطنه أو في ظهره أو في عضده وما أشبه ذلك. ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يجب على الغاسل أن يستر ما رآه إن لم يكن حسنة. أما إذا رأى خيرًا بالميت ورأى استنارة في وجهه أو رآه يبتسم أو ما أشبه ذلك فهذا خير، وليخبر به الناس، يعني أن ذلك مما يجعل الناس يثنون عليه خيرًا، ولا بأس به، ولا يعد هذا من الرياء أو ما أشبه ذلك؛ بل هذه من عاجل بشرى المؤمن؛ لأن المؤمن قد يكون له مبشرات، ومنها هذه المسألة أنه يرى بعد موته على حالٍ حسن، وكذلك يرى الرؤيا الحسنة لنفسه أو يراها له غيره، كل هذه من المبشرات التي تبشر بالخير.

ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يكره لغير المعين في غسله أن يحضر غسله يعني الميت إذا غسلناه لا يدخل عليه إلا غاسل أو من

يعينه على الغسل، أما غيره لا يدخل، حتى ولو كان قريبًا له لا يدخل؛ لأنه ربما يرى ما يكره فيكون في ذلك إساءة إلى الميت، والله الموفق.

* * *

١٥٥- باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز

١/٩٢٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا؛ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفن، فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قال: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَين». متفقٌ عليه[1].

٢/٩٣٠ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ؛ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» رواه البخاري[2].

٣/٩٣١ - وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعزَمْ عَلَيْنَا» متفقٌ عليه[3]. «ومعناه» ولَمْ يُشَدَّد في النَّهيِ كما يُشَدَّدُ في المُحَرَّمَاتِ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن...، رقم (١٣٢٥)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها...، رقم (٩٤٥).
(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان...، رقم (٤٧).
(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب اتباع الجنائز...، رقم (١٢٧٨)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب نهي النساء عن اتباع الجنائز...، رقم (٩٣٨).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز.

الجَنَازة ـ بالفتح ـ اسم للميت، والجنازة بالكسر ـ اسم للنعش الذي عليه الميت.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي هريرة الأول والثاني، وحديث أم عطية، وليعلم أن تشييع الجنائز من حقوق المسلمين على إخوانهم أن يشيعوا جنائزهم وأن يخرجوا مع الجنازة، قال العلماء: وإذا خرج مع الجنازة فينبغي أن يكون متخشعًا متفكرًا في مآله، وأنه كما هو الآن يتبع جنازة هذا الرجل فسوف يأتي اليوم الذي يتبع الناس فيه جنازته، فكما حمل هذا هو أيضًا سيحمل.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يومًا على آلة حدباء محمول

فيفكر في أمره، وأنه مهما طالت به الدنيا فسوف يحمل كما حمل هذا، ويشيع كما شيع هذا، ولهذا قالوا: لا ينبغي لتابع الجنازة أن يتحدث في شيء من أمور الدنيا؛ بل يفكر في نفسه، وإذا كان معه أحد يكلمه فليذكره بمآل كل حي، حتى يكون تشييع

الجنازة تشييعًا وعبرة، أي قضاء لحق المسلم، وعبرة للمشيِّع.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديثي أبي هريرة وفيهما أن من تبع الجنازة من بيتها حتى يُصلَّى عليها ثم تدفن فله قيراطان، فسئل عن القيراطين قال: مثل الجبلين العظيمين، وفي رواية لمسلم: «أصغرهما مثل جبل أحد». ولما حدث ابن عمر بهذا الحديث قال: قد فرطنا في قراريط كثيرة ـ يعني ما كنا نخرج مع الجنائز، وفرطنا في هذه القراريط الكثيرة، ثم صار رضي الله عنه يخرج بعد ذلك مع الجنائز رضي الله عنه؛ فإذا شهدتها حتى يصلى عليها فلك قيراط، وإن استمررت معها حتى تدفن فلك قيراطان، لكن في رواية البخاري اشترط أن يكون ذلك إيمانًا واحتسابًا، يعني: إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده واحتسابًا لثوابه، وليس قصدك المجاملة لأهل الميت؛ لأن المجاملة لأهل الميت ثواب عاجل في الدنيا فقط، وقد يؤجر الإنسان على مجاملة إخوانه، لكن الأجر الذي هو قيراطان لمن تبعها إيمانًا واحتسابًا. إيمانًا بالله وثقة بوعده واحتسابًا لثوابه.

أما النساء فقالت أم عطية رضي الله عنها: نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا، «نهينا» إذا قاله صحابي أو قالته صحابية فالمعنى أن النبي ﷺ؛ نهاهم، لأن النبي ﷺ هو الذي له الأمر والنهي، فإذا قال الصحابي «نهينا» أو قالت الصحابية «نهينا»

فالمعنى نهانا رسول الله ﷺ نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا».

أخذ بعض العلماء من هذا الحديث أن اتباع النساء للجنائز مكروه؛ لأنها قالت: نهينا ولم يعزم علينا. وقال بعض العلماء: بل اتباع النساء للجنائز محرم؛ لثبوت النهي. وقول أم عطية: ولم يعزم علينا. هذا تفقه منها رضي الله عنها ولا ندري هل الرسول ﷺ هو الذي نهاهن ولم يعزم عليهن، أو هي التي فهمت أنه لم يعزم على النساء بترك اتباع الجنائز.

والصحيح أن اتباع المرأة للجنازة حرام، وأنه لا يجوز للمرأة أن تتبع الجنازة؛ لأنها إذا تبعتها فالمرأة لا شك أنها ضعيفة ربما تصيح، وتولول، وتضرب الخد، وتنتف الشعر، وتمزق الثوب، لا تصبر المرأة، وأيضًا ربما يحصل اختلاط بين الرجال والنساء في تشييع الجنازة فيحصل بهذا فتنة وتزول الحكمة من اتباع الجنائز بحيث يكون الرجال أو الأراذل من الرجال يكون ليس لهم هَمٌّ إلا ملاحقة هؤلاء النساء أو التمتع بالنظر إليهن، فالواجب منع النساء من اتباع الجنائز، وهو لا يوجد والحمد لله في بلادنا لكن الكلام على الحكم الشرعي، فالصحيح أن اتباع المرأة للجنائز حرام ولا يجوز، كما أن زيارة المرأة للمقابر حرام؛ لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. والله الموفق.

فإذا قال قائل: هل يجوز للمرأة أن تزور قبر الرسول ﷺ؟

فالإجابة: هي أنه لا يجوز للمرأة أن تزور قبر النبي ﷺ لأنه قبر وإذا كان قصدها السلام عليه فإنه يحصل ولو كانت في أقصى الأرض إذا قالت: السلام عليك أيها النبي؛ فإن الله قد وكَّل ملائكة يحملون سلامك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغونه، والله أعلم.



١٥٦ـ باب استحباب تكثير المصلِّين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

١/٩٣٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبلُغُونَ مائةً كَلُّهُم يَشْفَعُونَ له إلا شُفِّعُوا فِيهِ» رواه مسلم[١].

٢/٩٣٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لا يُشرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا إلاَّ شَفَّعَهُم اللهُ فِيهِ» رواه مسلم[٢].

٣/٩٣٤ ـ وَعَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ اليزنيِّ قال: كَانَ مالِكُ بنُ هُبَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا صَلَّى عَلَى الجَنَازَةِ، فَتَقَالَّ الناسُ عَلَيْهَا، جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ». رواه أبوداود، والترمذي[٣] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله ـ باب استحباب تكثير المصلين على

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شُفِّعوا فيه. . .، رقم (٩٤٧).
(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شُفِّعوا فيه. . .، رقم (٩٤٨).
(٣) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب في الصفوف على الجنازة. . .، رقم (٣١٦٦)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت. . .، رقم (١٠٢٨)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء فيمن صلى عليه جماعة من المسلمين. . .، رقم (١٤٩٠).

الميت، ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ ثلاثة أحاديث: حديث عائشة وحديث عبد الله بن عباس وحديث مالك بن هبيرة رضي الله عنهم، وكلها تدلّ على أنه كلّما كثر الجمع على الميت؛ كان ذلك أفضل وأرجى للشفاعة، ففي حديث عائشة أنه من صلَّى عليه طائفة من الناس يبلغون مائة يشفعون له إلا شفعهم الله فيه، ومعلوم أن المصلين على الجنازة يشفعون إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لهذا الميت فهم يسألون الله له المغفرة والرحمة، والدعاء للميت في صلاة الجنازة من أوجب ما يكون في الصلاة؛ بل هو ركنٌ من أركان الصلاة لا تصح صلاة الجنازة إلا به، إلا المسبوق.

وحديث ابن عباس يدلّ على أنه من قام على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه ـ يعني: قَبِلَ شفاعتهم فيه ـ وهذه بشرى للمؤمن، إذا كثر الناس على جنازته فشفعوا له عند الله أن الله تعالى يشفعهم فيه.

أما حديث مالك بن هبيرة ففيه أن الرسول ﷺ قال: «من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب» يعني: وجبت له الجنة. وهذه الأحاديث كلّها تدلّ على أنه كلما كثر الجمع كان أفضل، ولهذا نجد أن بعض الناس إذا صلى على جنازة في مسجد نبَّه أهل المساجد الأخرى ليحضروا إليه حتى يكثر الجمع، فينبغي للإمام إذا رأى

الناس الذين جاءوا ليشهدوا صلاة الجنازة، ورأى أنهم قد فاتهم شيء من الصلاة ـ أي صلاة الفريضة ـ ألا يتعجل في الصلاة على الميت حتى ينتهي الذين يقضون صلاتهم ليشاركوا الحاضرين في الصلاة على الميت، فيكون ذلك أكثر للجمع، وربما تكون دعوة واحد من هؤلاء الذين يقضون الصلاة هي المستجابة، لا يدري. وكون بعض الناس من حين أن يسلم يقوم ويصلي على الجنازة ـ مع أنه يقضي خلفه صف أو أكثر ـ فهذا وإن كان جائزًا لكن الأفضل أن ينتظر حتى يتم الناس صلاتهم ويصلون على الجنازة وهذا لا يفوّت شيئًا كثيرًا، فغاية ما هنالك بضع دقائق على الأكثر، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٥٧ـ باب ما يقرأ في صلاة الجنازة

١/٩٣٥ ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرّحْمَنِ عَوْفِ بِنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّه مِنَ الخَطَايَا، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دارِه، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وأَدْخِلْه الجَنَّةَ، وأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ» حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أكُونَ أنَا ذلكَ الميِّتَ. رواه مسلم[١].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب ما يقرأ في صلاة الجنازة.

صلاة الجنازة تشتمل على قراءة الفاتحة، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم الدعاء، فيبدأ أولاً بالفاتحة؛ لأنها ثناء على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ثم الصلاة على النبي ﷺ وهو أحق الناس أن يقدم حتى على النفس، ثم بعد ذلك الدعاء العام: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا**[٢]»، ثم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة...، رقم (٩٦٣).

(٢) سيأتي تخريجه في الصفحة التالية.

الدعاء الخاص للميت: «اللهم اغفر له وارحمه» وهذا الترتيب كالترتيب في التشهد حيث التشهد أولاً: التحيات لله وهو الثناء على الله، ثم السلام على النبي، ثم السلام على الإنسان وعلى عباد الله الصالحين، وهذا أيضًا ـ الدعاء للميت ـ كذلك مرتب، لكن يبدأ بالعام قبل الخاص بخلاف التشهد فإنه يبدأ بالخاص قبل العام؛ لأن التشهد تدعو لنفسك (السلام علينا) والنفس مقدمة على الغير إلا على النبي ﷺ.

الحاصل أن صلاة الجنازة يكبر الإنسان التكبيرة الأولى ثم يقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ الفاتحة كاملة، ثم يكبر التكبيرة الثانية فيصلى على النبي ﷺ، وأحسن ما يصلى به عليه ما علَّمه أمته: **«اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**(١)، ثم يكبر الثالثة فيدعو لعامة المسلمين: **«اللهم اغفر**

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/٣٠٦)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت...، رقم (٣٢٠١)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت...، رقم (١٠٢٤)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب الدعاء...، رقم (١٩٨٦)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة =

لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا»، ثم يدعو للميت الدعاء الخاص، ومنه ما في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى على جنازة فحفظ من دعائه: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله (يعني ضيافته يعني أكرمه في ضيافته؛ لأن الميت يكون ضيفًا على الله ـ عزَّ وجلّ ـ إذا انتقل إلى نزله من هذه الدنيا إما أن يكون في قبره معذبًا أو منعمًا، فيقول أكرم نزله: (وأوسع مُدخله) ويجوز مَدخله ـ يعني: أوسع قبره ـ؛ لأنه يدخل فيه.

«واغسله بالماء والثلج والبرد» واغسله يعني طهِّره من الذنوب بالماء والثلج والبرد، ذكر الثلج والبرد؛ لأنه بارد، وذكر الماء؛ لأن به النظافة، والذنوب ـ أجارنا الله وإياكم منها ـ عقوبتها حارة، فناسب أن يقرن مع الماء الثلج والبرد، فيحصل بالماء التنظيف، ويحصل بالثلج والبرد التبريد.

«ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس» يعني: نظفه تنظيفًا كاملاً من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، أي: الوسخ، وذكر الثوب الأبيض لأنه هو الذي تظهر فيه أدنى دنسة، فإذا كان الثوب الأبيض نقيًّا؛ فمعناه أنه ليس هناك دنس

= على الجنازة، رقم (١٤٩٨).

إطلاقًا بخلاف الثوب الأسود والأحمر والأخضر وما أشبه ذلك، فإنه ليس كالأبيض تبين به الدنسة بيانًا واضحًا «**اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره**»؛ لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا ـ كما نعلم ـ دار محن وأذًى وكدر فيقول: «**أبدله دارًا خيرًا من داره**» ليكون منعمًا في قبره «**وأهلاً خيرًا من أهله**» أهله: ذووه؛ كأمه وخالته وبناته وأبيه، وابنه وما أشبه ذلك «**وزوجًا خيرًا من زوجه**» يعني زوجة خيرًا من زوجته وذلك بالحور العين، وكذلك بزوجته في الدنيا؛ لأن الإنسان إذا تزوج امرأة في الدنيا وماتت على الإيمان فإنها تكون زوجته في الآخرة، فإن قال قائل: كيف تكون خيرًا من زوجتي في الدنيا وهي واحدة؟!

قلنا: خيرًا منها في الصفات والجمال وغير ذلك «**وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار**» كل هذا دعاء يدعو به الإنسان للميت وينبغي أن يُخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء، فإن كانت امرأه فإنه يقول: «**اللهم اغفر لها وارحمها، وعافها واعف عنها. .**» ـ يعني بضمير المؤنث، فإن كان لا يدري هل هي ذكر أو أنثى فإنه مخير، إن شاء قال: اللهم اغفر له ـ يعني لهذا الشخص ـ والمرأة تسمَّى شخصًا، أو إن شاء قال: «اغفر لها» أي: لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل وعلى المرأة، فإن كان يعلم أنه ذكر

ذَكَّره، وإن كان يعلم أنها أنثى أنَّثها، وإن كان لا يدري؛ جاز أن يذكره، وجاز أن يؤنثه، فإن ذكره فالمعنى «اغفر له» أي: لهذا الشخص الذي بين أيدينا، أو يقول: «اغفر لها» أي: لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل والمرأة، والله الموفق.

* * *

٢/٩٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَأَبِي قَتَادَةَ، وَأَبِي إِبْرَاهِيمَ الأَشْهَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ ـ وأَبُوه صَحَابيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيْرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وأُنْثَانَا، وشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا، فَأَحْيِهِ عَلَى الإسْلام، وَمَنْ تَوَفَّيْتَه مِنَّا، فَتَوَفَّهُ عَلَى الإيمانِ، اللَّهُمَّ لا تَحْرِمنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ» رواه أبوداود والترمذي من رواية أبي هُريرة والأشهَلِي، ورواه أبوداود من رواية أبي هريرة وأبي قَتَادَة. قال الحاكم: حديث أبي هُريرة صَحيحٌ على شَرْطِ البُخاري ومُسلم، قال الترمذي: قال البُخَاريُّ: أصح روايات هذا الحديث رواية الأشهلي قال البخاري: وأَصَحُّ شيءٍ في البابِ حديث عَوْفِ بن مالك[١].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/٣٠٦)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت. . .، رقم (٣٢٠١)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت. . .، رقم (١٠٢٤)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة. . .، رقم (١٤٩٨).

٩٣٧/٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرِيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ؛ فَأَخْلِصُوا لهُ الدُّعَاءَ» رواه أبوداود[(١)].

الشرح

هذا الحديث فيما يدعى به في الصلاة على الميت، وقد سبق حديث عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الدعاء الخاص للميت، أما هذا الدعاء الذي ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ فهو الدعاء العام، يقول المصلِّي على الميت: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا» وهذه الجمل يغني عنها جملة واحدة، لو قال اللهم اغفر لحينا وميتنا شمل الجميع، لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل؛ لأن الدعاء كل جملة منه عبادة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإذا كررته؛ ازددت بذلك ثوابًا.

قوله: «حينا وميتنا» يشمل الحي الحاضر والميت القديم والميت في عصره «وصغيرنا وكبيرنا» كذلك أيضًا يشمل الصغير والكبير الحي والميت، وذكر الصغير مع أن الصغير لا ذنب له من باب التبعية، وإلا فإن الصغير ليس له ذنب حتى يسأل له المغفرة «وذكرنا وأنثانا» مثلها عامة «وشاهدنا وغائبنا» الحاضر والمسافر

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت...، رقم (٣١٩٩)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الميت...، رقم (١٤٩٧).

مثلاً «اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته فتوفه على الإيمان» الحياة ذكر معها الإسلام وهو الاستسلام الظاهر، أما الموت فقال توفه على الإيمان؛ لأن الإيمان أفضل ومحله القلب، والمدار على ما في القلب عند الموت وفي يوم القيامة «اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده» لا تحرمنا أجره يعني: بالصلاة عليه؛ لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت ـ كما سبق ـ أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان[١] هذا أجره.

كذلك أيضًا أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه يؤجر أيضًا على صبره على المصيبة «ولا تفتنا بعده»: يعني لا تضلنا عن ديننا بعده؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ما دام الإنسان لم تخرج روحه فإنه عرضة لأن يفتن في دينه ـ والعياذ بالله ـ ولهذا قال: «لا تفتنا بعده» فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء اقتداءً برسول الله ﷺ.

أما حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا دعوتم للميت فأخصلوا له الدعاء» فالمعنى أنك تدعو بحضور قلب وإلحاح على الله لأخيك الميت؛ لأنه محتاج لدعائك، والله الموفق.

---

(١) سبق تخريجه، ص.

١٥٨ ـ باب الإسراع بالجنازة

١/٩٤١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْرِعُوا بِالجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوىَ ذَلكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» متفقٌ عليه. وفي رواية لمُسلم: «فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ»[١].

٢/٩٤٢ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فإِنْ كَانَتْ صَالحةً، قالتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذهبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخاري[٢].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الإسراع بالجنازة، الإسراع في الجنازة يشمل الإسراع في تجهيزها، والإسراع في تشييعها، والإسراع في دفنها، وذلك أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة. . .، رقم (١٣١٥)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب الإسراع بالجنازة. . .، رقم (٩٤٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني. . .، رقم (١٣١٦).

الميت إذا مات فإما أن يكون صالحًا وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحًا فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعده له الله من النعيم في قبره؛ لأنه ينتقل من الدنيا إلى خير منها وإلى أفضل؛ لأنه حين احتضاره وحين منازعته الموت يبشر، فيُقال لروحه: «**أبشري برحمة من الله ورضوان**» فيشتاق إلى هذه البشرى، فيحب أن يتعجل وأن يعجل به، فإذا حبس كان في هذا شيء من الجناية عليه والحيلولة بينه وبين ما أعده الله له من النعيم. وإن كان غير صالح ـ والعياذ بالله ـ فإنه لا ينبغي أن يكون بيننا وينبغي أن نسارع بالتخلص منه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أسرعوا بالجنازة**» أسرعوا بها في تجهيزها وتشييعها ودفنها، لا تؤخروها «**فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه**».

خير: يعني خير مما انتقلت منه «**تقدمونها إليه**» لأنها تُقَدّم ـ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ـ إلى رحمة الله ونعيم وسرور ونور، فتقدمونها إلى خير «**وإن تك سوى ذلك**» يعني: ليست صالحة «**فشر تضعونه عن رقابكم**» تسلمون منه تفتكُّون منه؛ لأن ما لا خير فيه لا خير في بقائه.

إذًا يُستفاد من هذا الحديث أنه يسن الإسراع بالجنازة وألا تؤخر، وما يفعله بعض الناس اليوم إذا مات الميت قالوا انتظروا حتى يقدم أهله من كل فجٍّ، حتى يأتوا بعضهم ربما يكون في أوروبا

أو في أمريكا، ويقول انتظروا حتى يحضر بعد يوم أو يومين؛ فهذا جناية على الميت وعصيان لأمر الرسول ﷺ «أسرعوا بالجنازة» فإذا جاء أهله وقد دفن فإنهم يصلون على قبره، فالأمر واسع والحمد لله، وهو إذا حُبس دفنه حتى يأتوا، فماذا ينفعه؟ لن ينفعوه إلا بالدعاء والصلاة عليه.

وهذا حاصل إذا صلّوا عليه في قبره، ولا وجه لهذا الحبس إطلاقًا، فإن قال قائل: أليس النبي ﷺ مات يوم الاثنين ولم يدفن إلا ليلة الأربعاء؟! قلنا: بلى، لكن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا ألا يدفنوا النبي ﷺ حتى يقيموا خليفة على عباد الله بعده؛ لئلا تخلو الأرض عن خليفة لله عز وجل في أرضه، فلهذا لما تمت مبايعة أبي بكر رضي الله دفنوا النبي ﷺ وهذه علة ظاهرة واضحة.

وقوله ﷺ: «إن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك..» يُستفاد منه أنه ينبغي أن يعبر عن الألفاظ السيئة بما يدل عليها بدون سوء؛ لأنه قسيم الصالحة الفاسدةِ، لكنه ﷺ عدل عن كلمة وإن «تك فاسدة» إلى قوله: «وإن تك سوى ذلك» وهذا من باب التأدب في اللفظ، وإلا فالمعنى واحد، والتأدب في اللفظ له شأن عجيب، انظر إلى قوله تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، لما أرادوا الخير أضافوه إلى

الله ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وفي الشر قالوا: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ ولم يقولوا: أشر أراده الله، مع أن الله مريد للخير والشر، لكن الشر الذي يريده الله ليس شرًّا في فعله؛ بل في مفعولاته.

أما فعله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنه لا شك أنه خير، لكن يقدر الشر للخير ولحكمة يريدها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

الحاصل أنه ينبغي للإنسان أن يتأدب في صياغة الألفاظ من غير إخلال بالمعنى، ويُذكر أن ملكًا من الملوك رأى رؤيا، رأى أن أسنانه قد سقطت، واهتم لذلك، فجمع الذين يعبرون الرؤيا ـ يعني الذين يفسرونها ـ فقال له أحدهم: إن حاشيتك تموت؛ لأنه فسّر رؤيا سقوط الأسنان بموت حاشيته وأهله، ففزع الملك، ولم يعجبه هذا التفسير، فأمر بالرجل فجلد، ثم دعا آخر وقال له إنه رأى أن أسنانه سقطت فما التفسير؟ قال: إن الملك يكون أطول أهله عمرًا، فأكرمه وأجازه مع أن المعنى واحد لماذا؟ لأن الألفاظ لها تأثير، فلهذا قال الرسول ﷺ: «**وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم**» فالإنسان لا يجب أن يحمل الشر أو يبقى الشر عنده.

ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرجل إذا مات وحملت جنازته «**فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني**» تقول ذلك بصوت مسموع يسمعه كل أحد إلا الإنسان، لا يسمعه

نعمة من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأننا لو سمعنا ما يقوله الأموات على نعوشهم لانزعجنا، لكن الله أخفاه عنا، تقول «**قدموني قدموني**» إلى أي شيء يقدمونها؟ لما أعد الله لها من النعيم الذي بشرت به عند الاحتضار، وإن لم تكن صالحة قالت: «**يا ويلها أين تذهبون بها**» نعوذ بالله تدعو بالويل؛ لأنها ستقدم ـ نسأل الله العافية ـ إلى عذاب في القبر يضيق عليها القبر حتى تختلف الأضلاع، ويفتح لها باب إلى النار، نسأل الله العافية ـ ولا أحد يعلم بذلك نحن لا نشعر بهذا، ومن نعمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن أخفاه علينا، ولو علمنا بذلك ما تدافنَّا أبدًا، لكن الله عز وجل يُخفي عنا هذا، وهذا يدلّ على أن من حق الميت علينا أن نبادر به إلى ما أنعم الله به عليه، ولذلك قال أهل العلم: يسن الإسراع في تجهيز الميت، إلا إذا مات بغتةً فإنه ينتظر حتى يتيقن أنه مات؛ لأنه يحتمل أن يكون غشية وأنه حي، فينتظر حتى يتيقن أنه مات ثم يبادر به، والله الموفق.



١٥٩ـ باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته

١/٩٤٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ(١).

٢/٩٤٤ ـ وعن حُصَين بْنِ وَحْوَحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ طَلْحَةَ بنَ البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ: إِنِّي لا أُرَى طَلْحَةَ إِلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ فَآذِنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإِنَّه لا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَي أَهْلِهِ» رواه أبوداود(٢).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «نفس المؤمن معلّقة بدينه...» رقم (١٠٨٧)، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب التشديد في الدين...، رقم (٢٤١٣).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب التعجيل بالجنازة وكراهية حبسها...، رقم (٣١٥٩).

قوله: «تعجيل قضاء الدين عن الميت»: يعني: أن الإنسان إذا مات فإنه يجب على أهله أن يبادروا بقضاء دينه إذا كان عليه دين، ولا يجوز لهم أن يؤخروا ذلك؛ لأن المال الذي ورثوه منه ماله وليس لهم فيه حق إلا إذا انتهى الدين يعني: الورثة ليس لهم حق في درهم واحد من التركة حتى يقضى الدين ـ ولهذا قال الله تعالى ـ في آيات المواريث: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ ﴾ [النساء: ١٢]، فليس للورثة حق أن يأخذوا شيئًا من التركة حتى يقضوا دين الميت، ويجب عليهم المبادرة في قضاء الدين، إلا إذا كان مؤجلاً فإنه يطلب من أهل الدين أن ينتظروا، فإن أبوا فإنه يعجل لهم، وإلا إذا وثق الورثة برهن يُحرِز، أو كفيل غارم.

وقد تهاون الناس في قضاء الدين عن الأموات، فتجد الميت يموت وعليه الدين ـ فيلعب الورثة بالتركة ويؤخرون قضاء الدين، يكون مثلاً عليه مئات الآلاف، وخلَّف عقارات كثيرة، فيقول الورثة: لا نبيع العقارات، بل ننتظر حتى تزيد العقارات ثم نبيعها، وهذا حرام، فالواجب عليهم أن يبادروا حتى ولو باعوا الشيء بنصف الثمن؛ لأن المال ليس لهم، المال للميت، ومن ذلك أيضًا إذاكان الإنسان قد اقترض من صندوق التنمية العقارية ولم يدفع أقساطًا تجد الورثة يلعبون ولا يوفون صندوق التنمية، وربما يسول

لهم الشيطان أن يرفعوا إلى الحكومة طلب العفو عنه ثم يقولون ننتظر متى جاء الرد ربما يأتي الرد بالرفض، وربما يُعفى عنه، لكن لا يعلم، فلا يحل لهم ذلك، والواجب أن يبادروا بقضاء الدين عن الميت، أما إذا كان الميت قد أوفى ماعليه من الأقساط التي حلَّت في حياته وبقي البيت مرهونًا لصندوق التنمية فإن الميت لا يبرأ بذلك، ولا يلحقه شيء، بعض الناس من أهل الورع ـ إذا مات الميت وقد اقترض من صندوق التنمية وقد أوفى جميع الأقساط التي حلت عليه في حياته يظنون أن الميت تتعلق نفسه بهذا الدين، وليس الأمر كذلك، ما دام هناك رهن فالميت بريء منه، ويدل على هذا أن النبي ﷺ مات وعليه دين لرجل من اليهود وقد أعطاه رهنًا درعه، أعطاه الرسول ﷺ درعه رهنًا فهل نقول: إن نفس الرسول ﷺ معلقة بالدين! لا؛ لأنه قد رهنه شيئًا يمكنه الاستيفاء به منه.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» يعني أن نفسه وهو في قبره معلقة بالدين كأنها ـ والله أعلم ـ تتألم من تأخير الدين، ولا تفرح بنعيم ولا تنبسط؛ لأن عليه دينًا ومن ثم قلنا: إنه يجب على الورثة أن يبادروا بقضاء الدين.

أما الحديث الثاني: فقد تقدم الكلام عليه وهو أنه يجب ـ أو

يسن بتأكد الإسراع في الجنازة ولهذا قال: «**لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله**» لكن لو حبست لمدة ساعة أو ساعتين لانتظار كثرة الجمع، كما لو مات في أول النهار مثلاً يوم الجمعة وقالوا: ننتظر إلى الصلاة لكثرة الجمع، فهذا لا بأس به ـ إن شاء الله ـ؛ لأنه تأخير لا يضر، والله الموفق.



١٦٠ـ باب الموعظة عند القبر

١/٩٤٥ ـ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَسَ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ ومَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّة» فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ نَتَّكِل عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» وذكر تمام الحديث. متفق عليه[1].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب: الموعظة عند القبر.

والموعظة: هي تذكير الناس بما يلين قلوبهم، إما بترغيب في خير، وإما بترهيب من شر هذه هي الموعظة، وأعظم واعظ وأفضله وأصلحه للقلب هو القرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، فالقرآن لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ هو أعظم واعظ، لكنَّ قلوب كثير من الناس أو أكثر

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ...﴾، رقم (٧٥٥١)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة...، رقم (٢٦٤٧).

الناس لا تتعظ بالقرآن؛ لأنها فيها قسوة، وقد قال الله تعالى فيمن إذا تتلى عليه الآيات: ﴿قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]، ـ والعياذ بالله ـ يعني أنها مثل الحكايات قال الله تعالى: كلا ليست أساطير الأولين ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، يعني: ختم عليها ما كانوا يكسبون من الأعمال السيئة حتى لا يشعروا بالقرآن كما يشعر به المتقون الذين مَنَّ الله عليهم ـ نسأل الله أن يمنَّ علينا وعليكم، ولكن مع ذلك قد يأتي إنسان أعطاه الله تعالى بيانًا وفصاحة وعلمًا فيعظ الناس ويذكرهم ويلين من قلوبهم بما لا تلين به إذا تلي عليها القرآن وهذا شيء مشاهد مجرب.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث علي بن أبي طالب قال: «**كنا في جنازة ببقيع الغرقد**» بقيع الغرقد هو البقيع المعروف الآن في المدينة، والغرقد نوع من الشجر معروف، وسمي بقيع الغرقد لكثرة هذا النوع من الشجر في هذا البقيع وكان مدفن أهل المدينة، وقد قال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»(١) قالها ثلاثًا، فكانوا في جنازة فجاء النبي ﷺ فقعد وقعد الناس حوله؛ لأنَّ كل الناس يحبون أن يكونوا جلساء لرسول ﷺ جلسوا حوله وفي يده مخصرة،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبر والدعاء لأهلها...، رقم (٩٧٤).

يعني عود مخصرة ـ فنكس يعني نكس رأسه هكذا وجعل ينكت بالعود كالمهموم ﷺ ثم قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**» كل إنسان من بني آدم مكتوب مقعده من الجنة إن كان من أهل الجنة، ومقعده من النار إن كان من أهل النار، كل إنسان مكتوب قبل أن يخلق وذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة نسأل الله أن يجعلني وإياكم من السعداء ـ لما قال هذا الكلام قالوا: يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟!

يعني مادمنا مكتوبين إن كنا من أهل النار فمن أهل النار، أو أهل الجنة فمن أهل الجنة، فما الحاجة للعمل؟! فقال: «**لا تدعوا العمل، الجنة لا تأتي إلا بعمل، والنار لا تأتي إلا بعمل، فلا يدخل النار إلا من عمل بعمل أهل النار، ولا يدخل الجنة إلا من عمل بعمل أهل الجنة**» ثم قال ﷺ: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**»(١)، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم تلىٰ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

---

(١) سبق تخريجه.

قال: اعملوا لا تتكلوا على الكتاب، الكتاب أمر مجهول كل واحد منا لا يدري ماذا كتب له، لكن من عمل خيرًا فهذه بشرى أنه من أهل الخير، ومن عمل سوى ذلك فهذا إنذار، قال: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**» فأنت يا أخي إذا رأيت الله قد يسر لك عمل أهل السعادة فابشر أنك من أهل السعادة، وإذا رأيت من نفسك أنك تنقاد للصلاة، وتنقاد للزكاة، تنقاد لفعل الخير، عندك تقوى من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فاعلم أو فاستبشر أنك من أهل السعادة؛ لأن الله قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[الليل: ٥-٧]. وإن رأيت العكس، رأيت نفسك تنشرح لفعل السيئات والعياذ بالله ـ وتضيق ذرعًا بفعل الطاعات فاحذر، أنقذ نفسك، وتب إلى الله عزَّ وجلَّ ـ حتى ييسر الله لك، واعلم أنك متى أقبلت على الله أقبل الله عليك حتى لو أذنبت، مهما أذنبت إذا أقبلت على الله أقبل الله عليك، قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وعلى هذا فإذا جاء الإنسان إلى المقبرة وجلس الناس حوله فهنا يحسن أن يعظهم بما يناسب، بمثل هذا الحديث أو بمثل حديث عبد الرحمن بن سمرة حين جاء الرسول ﷺ انتهى إلى جنازة رجل من الأنصار ووجدهم يحفرون القبر ولم يتم حفره فجلس

وجلسوا حوله، كأن على رؤوسهم الطير؛ ومن كان الطير على رأسه لا يتحرك خشية أن يطير، احترامًا لرسول الله ﷺ وإجلالاً لهذا المجلس وهيبة، فجعل يحدثهم أن الإنسان إذا جاءه الموت نزلت إليه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، وجعل يحدثهم بحديث طويل يعظهم بذلك عليه الصلاة والسلام[١]، هذه هي الموعظة عند القبر، أن الإنسان إذا جلس وجلس الناس حوله استغل الفرصة بالتذكير، أما أن يقوم القائم عند القبر يتكلم كأنما يخطب فهذا لم يكن من هدي الرسول ﷺ أن الإنسان يقف بين الناس بين الجماهير يتكلم بكلام رفيع كأنما يخطب، هذا ليس من السنة، بل السنة أن تفعل كما فعل الرسول ﷺ فقط، إذا كان الناس جلوسًا ولم يدفن الميت فاجلس في انتظار دفنه وتحدث حديث المجالس وهو الحديث العادي، وليس كالخطبة، ولكن بعض الناس أخذ من هذه الترجمة ترجمة النووي (رحمه الله) هذه ومن قبلها ترجمة البخاري رحمه الله في صحيحه «باب الموعظة عند القبر»، أن يكون خطيبًا في الناس، يخطب الناس برفع صوت، ويا عباد الله، وما أشبه ذلك من الكلمات التي تُقال في الخطب، وهذا فهم خاطئ غير صحيح،

(١) رواه النسائي، كتاب الجنائز، باب ما يُلقى به المؤمن من الكرامة...، رقم (١٨٣٣).

فالموعظة عند القبر تقيد بما جاء في السنة فقط؛ لئلا تتخذ المقابر منابر يخطب بها خطبًا كخطب الجمعة ولكن مواعظ هادئة يكون الإنسان فيها جالسًا ويبدو عليه أثر الحزن والتفكر وما أشبه ذلك، لا أثر الشجاعة وكأنه ينذر الجيش يقول: صبحكم ومساكم، لكن فضل الله يؤتيه من يشاء، فبعض الناس يفهم شيئًا من النصوص فهمًا غير مراد بها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومما لا ينبغي فعله أيضاً أن بعض الناس إذا كانوا ينتظرون دفن الجنازة تجدهم يجتمعون أوزاعًا ويتحدثون حديث المجالس، حتى أن بعضهم تسمع له قهقهة، وما أشبه ذلك، وهذا خطأ وليس هذا موضعه، ولهذا قالوا: ينبغي للإنسان المشيع أن يكون وقورًا، وأن يكون مفكرًا في مآله وأنه الآن ينتظر دفن هذا الميت، وغدًا سوف ينتظر الناس دفنه هو، كما دفن غيره يُدفن، كما قال كعب بن زهير:

كـلُّ ابـن أنثـى وإن طـالـت سـلامتـه
يـومًـا علـى آلـةٍ حـدبـاءَ محمـولُ

نسأل الله أن يحسن لنا ولكم الخاتمة.



١٦١ـ باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة

١/٩٤٦ ـ عَنْ أَبِي عَمْرو ـ وَقِيلَ: أَبوُ عَبْد الله، وَقِيلَ: أَبُو لَيْلى ـ عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وقال: «اسْتَغفِرُوا لأخِيكُم، وسَلُوا لَهُ التَّثبِيت؛ فَإِنَّهُ الآن يُسْأَل» رواه أبوداود[1].

٢/٩٤٧ ـ وَعَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا دَفَنْتمُونِي، فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبرِي قدْرَ ما تُنْحَرُ جَزورٌ، وُيُقَسَّمُ لَحْمُها حَتَّى أسْتَأنِسَ بِكُم، وَأَعْلَمَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[2]. وقد سبق بطوله.

قال الشَّافِعِيُّ رحمهَ الله: وَيُسْتَحَبُّ أَن يُقرَأَ عِنْدَهُ شيءٌ مِنَ القُرآنِ، وَإِن خَتَمُوا القُرآن عِنْدَهُ كانَ حَسَنًا.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة والدعاء له

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف...، رقم (٣٢٢١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة...، رقم (١٢١).

والاستغفار والقراءة، وذلك أن الميت إذا دفن فإنه يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه يعني: عنده وقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**» فيسن للإنسان إذا فرغ الناس من دفن الميت ـ أن يقف عنده ويقول: «**اللهم اغفر له**»[1] ثلاث مرات، «**اللهم ثبته**» ثلاث مرات؛ لأن النبي ﷺ كان غالب أحيانه إذا دعا دعا ثلاثًا[2] ثم ينصرف ولا يجلس بعد ذلك لا للذكر ولا للقراءة ولا للاستغفار، هكذا جاءت به السنة، أما ما ذكره رحمه الله ـ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ـ أنه أمر أهله أن يقيموا عنده إذا دفنوه قدر ما تنحر جزور قال: لعلي أستأنس بكم حتى أنظر ماذا أراجع به رُسل ربي يعني من الملائكة. فهذا اجتهاد منه رضي الله عنه لكنه اجتهاد لا نوافق عليه؛ لأن هدي النبي ﷺ أكمل من هدي غيره، ولم يكن النبي ﷺ يقف أو يجلس عند القبر بعد الدفن قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها، ولم يأمر أصحابه بذلك، غاية ما هنالك أنه أمرهم أن يقفوا على القبر ويستغفروا لصاحب القبر ويسألوا له التثبيت

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة...، رقم (٩٦٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر...، رقم (٢٤٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين...، رقم (١٧٩٤).

فقط، ثم ينصرف الناس، وأما القراءة عند القبر فالأصح أنها مكروهة، وأنه يكره للإنسان أن يذهب إلى القبر ثم يقف أو يجلس عنده ويقرأ؛ لأن هذا من البدع، وقد قال النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» وأقل أحوالها أن تكون مكروهة، والله الموفق.

* * *

١٦٢ـ باب الصدقة عن الميت والدعاء له

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

١/٩٤٨ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُها وَأُرَاهَا لو تَكَلَّمَتْ، تَصدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا مِنْ أَجْرٍ إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قال: «نَعَمْ» متفقٌ عليه[١].

٢/٩٤٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إذَا مَاتَ الإنسَانُ انقطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو له» رواه مسلم[٢].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الصدقة عن الميت والدعاء له ثم ساق قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة البغتة...، رقم (١٣٨٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه...، رقم (١٠٠٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق بالإنسان من الثواب بعد وفاته...، رقم (١٦٣١).

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾. أي: من بعد الصنفين السابقين وهم المهاجرون والأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؛ لأن هذه الأمة ثلاثة أقسام: مهاجرون، وأنصار، ومن جاءوا من بعدهم، وقد جمع الله ذلك في آيتين في القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هؤلاء ثلاثة أصناف وكذلك في سورة الحشر: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠]، فإذا رأيت الرجل يترحم على الصحابة ويستغفر لهم ويحبهم فاعلم أنه منهم - يعني يحشر معهم - وإذا رأيت الرجل يسب الصحابة ولا يترحم عليهم ولا يستغفر لهم فإنهم بريئون منه وهو بريء منهم، وليس له حظ في هذه الأمة؛ لأن الصحابة هم الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ الذين بلغوا شريعة الله عن رسول الله، والرسول ﷺ

هو الواسطة التي بيننا وبين ربنا، الذي بلغنا كلام ربنا، فإذا طعن أحد في الواسطة التي بيننا وبين رسول الله؛ فهو طعن في الشريعة كلها، الشريعة كلها لا قيمة لها إذا كان الذين نقلوها إلينا فسقة أو فجرة، أو ما أشبه ذلك. وخاصة الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإنه لا يسبهما أحد وفي قلبه مثقال حبة من إيمان أبدًا ولاسيما أبوبكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنهما أفضل أتباع الرسل على الإطلاق، ليس في أتباع نوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد أفضل من أبي بكر وعمر، فمن طعن فيهما؛ فإنه ليس في قلبه شيء من الإيمان ـ والعياذ بالله ـ فهو مسلوخ الإيمان؟ وكذلك من سبَّ الصحابة وقدح فيهم؛ فإنه قدح في دين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا﴾ [الحشر: ١٠].

ثم استدل بحديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها يعني: ماتت بغتة ولو تكلمت لتصدقت أفأتصدق عنها قال: «نعم» فدلَّ ذلك على جواز الصدقة عن الميت، فتنوي إذا أردت أنَّ تتصدق أن هذه عن أمك، عن أبيك، عن أخيك، عن أختك، عن أي إنسان مسلم ميت، تصدق عنه فإن ذلك ينفعه.

وأما الدعاء للميت ففي حديث أبي هريرة: «**إذا مات الإنسان**

انقطع عمله»؛ لأن دار العمل هي دار الدنيا، فإذا مات انتهى، فليس هناك عمل بعد الموت «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية**» يعني: هو نفسه يضع مثلاً وقفًا، عقارًا، أي شيء يقول للفقراء: هذه صدقة جارية، «**أو علم ينتفع به**» يعني: من بعده ولد صالح يدعو له، «**أو ولد صالح يدعو له**»؛ لأن غير الصالح لا يدعو لأبويه ولا يبرهما، لكن الولد الصالح هو الذي يدعو لوالديه بعد موتهما، ولهذا يتأكد علينا أن نحرص غاية الحرص على صلاح أولادنا؛ لأن صلاحهم صلاح لهم وخيرٌ لنا حيث يدعون لنا بعد الموت وأفضل هذه الثلاثة العلم الذي ينتفع به.

ومثال ذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه من أفقه الصحابة في عهد الرسول ﷺ يسقط أحيانًا على الأرض من شدة الجوع، ومع ذلك أكثر المسلمين الآن لا يقرءون إلا روايته فهو من أكثر الذين نقلوا لنا أحاديث رسول الله ﷺ، وهي صدقة جارية ائتوني بأكبر غني كان يتصدّق في عهد أبي هريرة رضي الله عنه، هل بقيت صدقاته الآن؟ الجواب: لا. والإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله ـ مثلاً ـ كل منهما يدرس لنا وهو في قبره؛ لأن كتبه بين أيدينا، لو نظرت إلى أكبر خليفة، وأكبر تاجر، في عهد ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هل وصل خيرهم إلينا الآن اليوم؟! بالطبع لا، إذًا العلم أنفع

الثلاثة، أنفع من الصدقة، فالصدقة الجارية قد تتعثر فكم من صدقة جارية تعثرت وتلفت، والعلم كذلك أنفع من الولد الصالح فالولد الصالح قد يموت خلال عشرين سنة وثلاثين سنة أربعين سنة ثم يموت، لكن العلم النافع الذي ينتفع به المسلمون يبقى إلى ما شاء الله! الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ مثلاً منذ كم وهو ميت، وشيخ الإسلام ابن تيمية، كم له ميت؟ وما زال الناس ينتفعون بعلمهما؟! فاحرص أخي المسلم على العلم فإنه لا يعدله شيء كما قال الإمام أحمد: لمن صحت نيته. فاحرص على العلم الشرعي وعلى مسندات العلم الشرعي ومساعداته؛ كالنحو وما أشبه ذلك مما هو مساعد على العلم الشرعي حتى ينفعك الله وينفع بك، والله الموفق.

*　　*　　*

١٦٣- باب ثناء الناس على الميت

١/ ٩٥٠ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرُّوا بِجِنَازَةٍ، فَأثنوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «وَجبَتْ» ثم مَرُّوا بأُخْرَى، فأثنوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «وَجبَتْ» ثم مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثنوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب رضي الله عنه: مَا وَجبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثَنَيتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا؛ فَوَجبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهذَا أَثَنَيتُم عليه شَرًّا؛ فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أنتُم شُهَدَاءُ اللهِ في الأَرْضِ» متفقٌ عليه[(١)].

٢/ ٩٥١ - وَعَنْ أَبِي الأَسْوَدِ قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إلى عُمَرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَمَرَّتْ بِهِمْ جِنَازَةٌ، فَأُثني عَلَى صَاحِبِها خَيْرًا فقال عُمَرُ: وَجبَت، ثم مُرَّ بِأُخْرَى، فَأُثني عَلَى صَاحِبِها خَيرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَت، ثم مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثني عَلَى صَاحِبها شَرًّا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ: قَالَ أَبو الأَسْود: فَقُلْتُ: وما وَجَبَتْ يَا أَمير المُؤمِنين؟ قال: قُلْتُ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «أيُّمَا مُسلِم شَهِدَ لَهُ أَربعَةٌ بِخير، أَدخلهُ الله الجنَّة» فَقُلنا: وثَلاثَةٌ؟ قال: «وثَلاثَةٌ» فقلنا: واثنان؟ قال: «واثنانِ ثُمَّ لَم نَسألْهُ عَنِ الواحِدِ. رواه البخاري[(٢)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت...، رقم (١٣٦٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فيمن يُثنى عليه خير أو شر من الموتى...، رقم (٩٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت...، رقم (١٣٦٨).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب ثناء الناس على الميت. ثناء الناس على الميت يعني: ذكره بخير أو بشر، فالميت إذا مات فإما أن يثني الناس عليه خيرًا وإما أن يثنوا عليه شرًّا حسب ما يعلمون من حاله. ثم ذكر المؤلف حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وحديث أبي الأسود مع عمر بن الخطاب، ففي حديث أنس أن النبي ﷺ مَرَّ بجنازة في مجلسه فأثنوا عَلَى صَاحِبها خيرًا فقال: «**وجبت**»، ثم مروا بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال النبي ﷺ: «**وجبت**»، فقال عمر بن الخطاب: ما وجبت يا رسول الله؟ قال: «**أثنيتم على الأول خيرًا؛ فوجبت له الجنة، وأثنيتم على الثاني شرًّا؛ فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**» والثاني كأنه ـ والله أعلم ـ من المنافقين، والمنافقون في عهد الرسول ﷺ موجودون في المدينة بكثرة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والعياذ بالله ـ والمنافقون في الدرك الأسفل من النار إلا من تاب.

وفي هذا دليلٌ على أن المسلمين إذا أثنوا على الميت خيرًا دلَّ ذلك على أنه من أهل الجنة؛ فوجبت له الجنة، وإذا أثنوا عليه شرًّا دلَّ ذلك على أنه من أهل النار؛ فوجبت له النار، ولا فرق في هذا

بين أن تكون الشهادة في عهد النبي ﷺ أو بعده؛ لأن حديث أبي الأسود مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بعد النبي ﷺ.

وقد تنازل النبي ﷺ إلى أن ذكر من شهد له اثنان بخير كان من أهل الجنة، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أننا لا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من يشهد له النبي ﷺ فنشهد لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة ونشهد بالنار لمن شهد له بالنار، فمثال من شهد له بالجنة الخلفاء الأربعة: «**أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي**» وكذلك بقية العشرة المبشرين بالجنة فإن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وطلحة بن عبيد الله في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة**»[1] هؤلاء عشرة جعلهم النبي ﷺ جميعًا من أهل الجنة، وعكاشة بن المحصن لما أخبر النبي ﷺ: «**أنه يدخل من هذه الأمة الجنة سبعون ألفًا بلا حساب ولا عذاب**».

قال عكاشة بن المحصن: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني

---

(١) رواه أبوداود، كتاب السنة، باب في الخلفاء...، رقم (٤٦٤٩)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبدالرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه...، رقم (٣٧٤٧)، وابن ماجه، المقدمة، باب فضائل العشرة رضي الله عنهم...، رقم (١٣٣).

منهم. قال: «أنت منهم» فقام رجل آخر: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «سبقك بها عكاشة»(١).

ثابت بن القيس رضي الله عنه كان جهوري الصوت، صوته رفيع، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]، خاف رضي الله عنه وبقي في بيته محبوسًا يبكي يخشى أن يكون حبط عمله؛ لأنه رفيع الصوت، ففقده النبي ﷺ فأرسل إليه، فأخبره الخبر، فقال: «إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»(٢) فكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة نشهد لهم ومن شهد له بالنار فإننا نشهد له بالنار، وقد شهد النبي ﷺ لجماعة بالنار، وكذلك في القرآن، قال الله تعالى في أبي لهب وهو عم النبي ﷺ: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [المسد: ٣ ـ ٥]. وأخبر ﷺ أن عمه أبا طالب في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو...، رقم (٥٧٠٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة...، رقم (٢١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ...، رقم (٤٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله...، رقم (١١٩).

دماغه[١] والعياذ بالله ـ وجاءه رجل قال: يا رسول الله أين أبي؟ فقال: «أبوك في النار»[٢] وأخبر ﷺ: «أن عمرو بن لحي الخزاعي أنه يجر قُصْبَهُ في النار»[٣].

والحاصل أن من شهد له النبي ﷺ بالنار شهدنا له بالنار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك من أجمعت الأمة على الثناء عليه؛ فإننا نشهد له بالجنة فمثلاً الأئمة أحمد، والشافعي، وأبو حنيفة، ومالك، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وغيرهم من الأئمة رحمهم الله أجمعت الأمة على الثناء عليهم، فنشهد لهم بأنهم من أهل الجنة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أجمع الناس على الثناء عليه إلا من شذ، والشاذ شذ في النار، يشهد له بالجنة على هذا الرأي، ويؤيد ما ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه البخاري أن الرسول ﷺ قال: «من شهد له أربعة وثلاثة واثنان» ثم لم يسألوه عن الواحد. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة المحرَّمين على النار.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا...، رقم (٢١٢).
(٢) رواه أبوداود، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين...، رقم (٤٧١٨).
(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة...، رقم (٣٥٢١)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون...، رقم (٢٨٥٦).

١٦٤ـ باب فضل من مات له أولاد صغار

١/٩٥٢ ـ عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسلِمٍ يَمُوتُ له ثَلاثَةٌ لم يَبلُغُوا الحِنْثَ إلاَّ أَدخَلَهُ الله الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ» متفقٌ عليه[١].

٢/٩٥٣ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يَمُوتُ لأحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ مِنَ الولدِ لا تَمَسُّهُ النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ» متفقٌ عليه[٢].

«وَتَحِلَّةُ القَسَمِ» قولُ الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، وَالوُرُودُ: هَوَ العُبُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى ظَهْر جَهَنَّمَ. عَافَانَا اللهُ مِنْهَا».

٣/٩٥٤ ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جاءَتِ امْرَأَةٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ الرِّجالُ بِحَدِيثك، فاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يْومًا نَأتيكَ فيه تُعَلِّمُنَا ممَّا عَلَّمَكَ الله، قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَومَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب. . .، رقم (١٢٤٨) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه. . .، رقم (٢٦٣٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ . . . ﴾، رقم (٦٦٥٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه. . .، رقم (٢٦٣٢).

كَذَا وَكَذَا» فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمهُنَّ ممَّا عَلَّمَهُ الله، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاثَة مِنَ الوَلَد إلاَّ كانُوا لهَا حِجابًا مِنَ النَّار» فَقَالتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَاثْنَيْنِ» متفقٌ عليه[1].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب فضل من مات له أولاد صغار يعني: باب الفضل الذي يعطى إياه من مات له أولاد صغار يعني: فاحتسب الأجر من الله عزَّ وجلَّ وصبر ـ ثم ذكر فيه حديث أنس وأبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهم، وكلها تدل على فضل ذلك، أن الإنسان إذا مات له أولاد صغار لم يبلغوا الحنث ـ يعني: لم يبلغوا ـ فإنهم يكونون له سترًا من النار بفضل رحمته إياهم؛ لأن هؤلاء الأولاد الصغار هم محل الرحمة، فالأولاد إذا كبروا استقلوا بأنفسهم، ولم يكن عند والدهم من الرحمة لهم كالرحمة التي عنده للأولاد الصغار، فإذا كان له أولاد صغار وماتوا واحتسب الأجر من الله وهم ثلاثة ـ فإنهم يكونون له سترًا من النار فلا تمسه النار إلا تحلة القسم، يريد بـ «تحلة القسم» قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب هل يُجعل للنساء يوم على حدة في العلم...، رقم (١٠٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه...، رقم (٢٦٣٤).

مَقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في اجتماع النساء حتى أتى إليهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله وأخبرهن «أنه ما من امرأة يموت لها ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا لم تمسها النار، إلا تحلة القسم»، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: «واثنين» وعلى هذا فيكون هذا من فضل الله أيضًا، أنه إذا مات للإنسان اثنان من الولد ذكورًا أو إناثًا ـ ثم صبر واحتسب كان ذلك له حجابًا من النار، والله الموفق.

* * *

١٦٥ـ باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك

١/ ٩٥٥ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ ـ يَعْنِي لَمَّا وَصَلُوا الحِجْر دِيَارَ ثُمودَ ـ: «لا تَدخُلُوا على هَؤُلاءِ المُعَذَّبِينَ إلاَّ أَنْ تَكونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا باكِين، فلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» متفقٌ عليه[1].

وفي رواية قال: لمَّا مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ قال: «لا تَدْخَلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ» ثُمَّ قَنَّعَ رَسُولُ الله ﷺ رَأسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الوَادي.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك خشية أن يصيب الإنسان ما أصابهم، ثم ذكر حديث ابن عمر بمرور النبي ﷺ بالحجر

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب...، رقم (٤٣٣)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا...، رقم (٢٩٨٠).

ديار ثمود ـ وثمود هم قوم صالح الذين أرسل الله إليهم صالحًا عليه الصلاة والسلام ـ فذكرهم بالله ولكنهم كفروا به فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ثم أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وكان الله تعالى قد أعطاهم قدرة وقوة في نحت الجبال وبناء القصور في السهول، وأصبحوا أمة قوية، ولكن الله تعالى أخذهم برجفة وصيحة فماتوا جميعًا، مر بهم النبي ﷺ في طريقه إلى تبوك، فقال ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم ما أصابهم**».

ولهذا نقول: لا يجوز لأحد أن يذهب إلى ديار ثمود للسياحة وينظر إلى مساكنهم؛ لأن هذا وقوع في معصية الرسول ﷺ إلا رجلًا يريد أن يذهب ليعتبر ويكون باكيًا حين مروره بتلك الأماكن، فإن لم يكن باكيًا فإنه لا يجوز أن يدخل عليهم؛ لأنه ربما يصيبه ما أصابهم، ولما مرَّ النبي ﷺ بواديهم قنع رأسه يعني خفضه، وأجاز أي أسرع السير حتى تجاوز الوادي، وبه نعرف خطأ هؤلاء الجهال الذين يذهبون إلى ديار ثمود للسياحة والتنزه ويبقون فيها أيامًا ينظرون آثارهم القديمة، فإن ذلك معصية للرسول ﷺ ومخالفة لهديه وسنته، فإنه ﷺ لما مرَّ بهذه الديار أسرع وقنع رأسه ﷺ حتى جاوز الوادي وحذَّر من أن يسكن الإنسان في مساكن الذين ظلموا

أنفسهم، والذين أهلكهم الله في هذه الأرض خوفًا أن يصيب الإنسان ما أصابهم من عذاب الله إما بكفره بالله عزَّ وجلَّ - حتى يستحق هذا العذاب، وإما بعقوبة يعاقب بها وإن لم يكفر، وهو إذا لقي الله تعالى يوم القيامة فالله تعالى بصير بالعباد، والله الموفق.



كتاب آداب السفر

١٦٦ ـ باب استحباب الخروج يوم الخميس واستحبابه أول النهار

١/٩٥٦ ـ عَن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخَمِيس. متفقٌ عليه(١).

وفي رواية في الصحيحين: لقَلَّمَا كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْرُجُ إلاَّ في يَوْمِ الخَمِيسِ(٢).

٢/٩٥٧ ـ وعن صَخْرِ بنْ وَدَاعَةَ الغامِدِيِّ الصَّحَابيِّ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي في بُكُورِهَا»، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيشًا بَعَثَهُم مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِرًا، فَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَأثرَى وكَثُرَ مَالُهُ» رواه أبوداود والترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها...، رقم (٢٩٥٠)، ولم يُعثر عليه في صحيح مسلم.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها...، رقم (٢٩٤٩)، وكذلك لم يُعثر عليه في صحيح مسلم.

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٣/٤١٧)، وأبوداود، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، رقم (٢٦٠٦)، والترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التبكير بالتجارة...، رقم (١٢١٢)، وابن ماجه كتاب التجارات، باب ما يُرجى من البركة في البكور...، رقم (٢٢٣٦).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: كتاب آداب السفر.

السفر: هو مفارقة الوطن، أن يخرج الإنسان من وطنه إلى وطن آخر أو إلى البرية، وسمي سفرًا؛ لأنه من الإسفار وهو الخروج والظهور كما يُقال أسفر الصبح إذا برز وظهر وبان، وقيل: سمي السفر سفرًا؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال يعني يبين ويوضح أخلاق الرجال وأحوالهم، فكم من إنسان لا تعرفه ولا تعرف سيرته إلا إذا سافرت معه؛ عرفت أخلاقه، وعرفت سيرته، وعرفت إيثاره على نفسه، إلى غير ذلك، حتى كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إذا زكَّى أحد شخصًا عنده قال له: هل سافرت معه، هل عاملته؟ إن قال: نعم قبل تزكيته، وإن قال: لا. فقال: لا علم لك به.

ثم إن السفر ينبغي للإنسان أن يتحرى فيه الأوقات التي تكون أسهل، وأوفق، وأنسب من ذلك أن يكون في آخر الأسبوع كما كان النبي ﷺ في أكثر أسفاره يخرج يوم الخميس، وربما خرج في غير خميس، فقد خرج ﷺ في آخر سفرة سافرها ـ وهي حجة الوداع ـ خرج يوم السبت، لكن قلما كان يخرج ـ ولا سيما إذا كان في غزوٍ ـ إلا في يوم الخميس، والحكمة من ذلك ـ والله أعلم ـ أنه يوم تُعرض

فيه الأعمال على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فكان يحب ﷺ أن يعرض على الله عمله في ذلك اليوم، وكان ﷺ يحب أن يخرج من أول النهار لما في ذلك من استقبال النهار؛ لأنه ربما يفاجأ الإنسان في سفره أشياء في الليل وقد تجهز قريبًا فيصعب عليه التخلص منها، وهذا في الأسفار التي كانت في عهد الرسول ﷺ على الرواحل وعلى الأرجل، أما اليوم فكما تشاهدون الناس لا يجدون صعوبة في أول النهار أو آخره، ثم إن السفر في الوقت الحاضر مرتبط بطائرات ومواعيد، وعلى كل حال فإنه إذا خرج في أول النهار وفي يوم الخميس فهو أفضل، وإن لم يتيسر له ذلك فالأمر واسع، والحمد لله.

ثم ذكر حديث صخر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» أي: في أول النهار ـ فدعا النبي ﷺ أن يبارك الله في أول النهار لأمته؛ لأن أول النهار مستقبل العمل، فإن النهار كما قال الله تعالى معاش: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠، ١١]، فإذا استقبله الإنسان في أوله؛ صار في ذلك بركة، وهذا شيء مشاهد؛ أن الإنسان إذا عمل من أول النهار وجد في عمله بركة، لكن مع الأسف أن أكثرنا اليوم ينامون في أول النهار ولا يستيقظون إلا في الضحى، فيفوت عليهم أول النهار الذي فيه بركة، وقد قال العامة: أمير النهار أوله. يعني أن أول النهار هو

الذي يتركز عليه العمل، وكان صخر تاجرًا وكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى وكثُر ماله من أجل دعاء النبي ﷺ بالبركة لهذه الأمة في بكورها، والله الموفق.



١٦٧- باب استحباب طلب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحدًا يطيعونه

١/٩٥٨ - عَن ابْن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحْدَةِ مَا أَعلَمُ ما سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ» رواه البخاري(١).

٢/٩٥٩ - وعن عمرو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «الرَّاكِبُ شَيطَانٌ، والرَّاكِبان شَيطَانَانِ، وَالثَّلاثَةُ رَكبٌ». رواه أبوداود، والترمذي، والنسائي، بأسانيد صحيحة، وقال الترمذي: حديثٌ حسن(٢).

٣/٩٦٠ - وعن أبي سعيد وَأَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنهما قَالاَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلاثةٌ في سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أحَدَهم» حديث حسن، رواه أبوداود بإسناد حسن(٣).

٤/٩٦١ - وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيرُ السَّرَايَا أَرْبعُمائةٍ، وَخَيرُ الجُيُوش أَرْبَعَةُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السير وحده...، رقم (٢٩٩٨).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/١٨٦)، وأبوداود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده...، رقم (٢٦٠٧)، والترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده...، رقم (١٦٧٤)، ولم يُعثر عليه في «سنن النسائي».

(٣) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمِّرون أحدهم...، رقم (٢٦٠٨).

آلافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ(١).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب استحباب طلب الرفقة وتأمير على أنفسهم واحدًا يطيعونه، وقد تضمن هذا الباب مسألتين.

المسألة الأولى: أنه ينبغي للإنسان أن يكون معه رفقة في السفر وألا يسافر وحده، ولهذا قال النبي ﷺ: «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار راكب بليل قط وحده» يعني: معناه أن الإنسان لا ينبغي أن يسير وحده في السفر؛ لأنه ربما يصاب بمرض أو بإغماء، أو يتسلط عليه أحد، أو غير ذلك من المخاطر فلا يكون معه أحد يدافع عنه أو يخبر عنه أو ما أشبه ذلك، وهذا في الأسفار التي تتحقق فيها الوحدة، وأما ما يكون في الخطوط العامرة التي لا يكاد يمضي فيها دقيقة واحدة إلا وقد مر بك فيها سيارة؛ فهذا ـ وإن كان الإنسان في سيارته وحده ـ فليس من هذا الباب ـ يعني ليس من السفر وحده ـ؛ لأن الخطوط الآن كأنما تمشي في وسط البلد فهذا

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٩٤)، وأبوداود، كتاب الجهاد، باب فيما يُستحب من الجيوش والرفقاء والسرايا. . .، رقم(٢٦١١)، والترمذي: كتاب السير، باب ماجاء في السرايا. . . رقم (١٥٥٥).

لا يدخل في النهي.

ثُمَّ بيَّن النبي ﷺ في حديث عمرو بن شعيب أن الراكب شيطان والراكبين شيطانان والثلاثة ركب، يعني: من يسافر وحده شيطان، والذي يسافر وليس معه مستقل، وهذا أيضًا يدل على الحذر والتنفير من سفر الوحدة، وكذلك من سفر الاثنين، والثلاثة لا بأس، وهذا كما قلت مقيد بالأسفار التي لا يكون فيها ذاهب وآتٍ.

ثم ذكر حديث أبي سعيد وأبي هريرة أن الرسول ﷺ أمر المسافرين إذا سافروا أن يؤمروا أحدهم. يعني: يؤمرون واحدًا منهم يتولى تدبيرهم، يقول ننزل، نمشي، نتوضأ، نتغذى، نتعشى، وما أشبه ذلك؛ لأنهم إذا لم يؤمروا واحدًا صار أمرهم فوضى، ولهذا قيل: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم، لابد من أمير يتولى أمرهم، وظاهر الحديث أن هذا الأمير إذا رضوه؛ وجبت طاعته فيما يتعلق بمصالح السفر؛ فلا يعصى لأنه أمير، أما ما لا يتعلق بأمور السفر؛ فلا تلزم طاعته كالمسائل الخاصة بالإنسان، إلا أنه لا يعني ذلك أن هذا الأمير يستبد؛ بل يكون كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فعليه أن يشاورهم في الأمور التي يخفى فيها جانب المصلحة، أو يتساوى فيها جانب المصلحة والمفسدة ولا يستبد برأيه، أما الأمور الواضحة؛ فلا حاجة للمشورة فيها، والله الموفق.

١٦٨ـ باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر واستحباب السرى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها

١/٩٦٢ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا سَافَرْتم في الخِصْبِ فَأَعْطُوا الإبلِ حَظَّهَا مِنَ الأرض، وَإِذَا سَافَرْتُمْ في الجَدْبِ، فَأسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادروا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّستُم، فَاجتَنِبُوا الطَّريقَ، فَإِنَّها طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأوَى الهَوَامِّ باللَّيْلِ» رواه مسلم(١).

معنى: «أعطُوا الإبلَ حَظَّها من الأرض» أَيْ: ارْفقُوا بِهَا في السَّيرِ لِتَرعَى في حَالِ سَيرِهَا وقوله: «نِقْيَها» هو بكسر النون، وإسكان القاف، وبالياء المثناة من تحت وهو: المُخُّ، معناه: أَسْرِعُوا بِهَا حتى تَصِلُوا المَقصِدَ قَبلَ أَنْ يذهَبَ مُخُّها مِنْ ضنكِ السَّيْرِ. وَ«التَّعْرِيسُ»: النزُولُ في الليْل.

٢/٩٦٣ ـ وعن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَان رسولُ الله ﷺ إِذَا كانَ في سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بلَيْلٍ؛ اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عرَّس قُبَيْلَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب مراعاة مصلحة الدواب في السير...، رقم (١٩٢٦).

الصُّبْحِ؛ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأسَهُ عَلَى كَفِّه. رواه مسلم[١].

قال العلماءُ: إِنَّمَا نَصَبَ ذِرَاعَهُ لِئلاَّ يَسْتَغْرِقَ في النَّوْمِ، فَتَفُوتَ صَلاةُ الصُّبْحِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ عَنْ أَوَّلِ وَقتِهَا.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الباب آدابًا كثيرة تتعلق بالسفر والرواحل، وذلك أن المسافر ـ إذا سافر على راحلة: بهيمة من الإبل أو حمر أو بغال أو خيل ـ فإن عليه أن يراعي مصلحتها؛ لأنه مسؤول عنها، ولهذا كان النبي ﷺ ـ في حجة الوداع ـ راكبًا على ناقته وكان قد شنق لها زمامها، فإذا أتى جبلاً من الجبال، يعني: مرتفعًا من المرتفعات أرخى لها قليلاً حتى تصعد، فمن الآداب أن الإنسان إذا سافر في أيام الخصب فإنه ينبغي أن يتأنى في السير ـ يعني: لا يسير سيرًا حثيثًا، يعطي فيه الإبل من حقها من الرعي ـ؛ لأنه إذا كان يمشي عليها ببطء أمكن للإبل أن ترعى ذلك، فإذا كانت الأرض معشبة وخصبًا وأنت على إبل فلا تسرع في السير، دع الإبل تروح يمينًا ويسارًا ترعى في مهل من أجل أن ينالها حظها من الخصب، أما إذا كان الأمر بالعكس وكانت السنة جدبًا فإن

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها. . .، رقم (٦٨٣).

المطلوب أن تسرع لتبادر نقيا الإبل ونقيها مخها؛ لأنك إذا أمهلت في السير والأرض جدب لا ترعى؛ طالت مدة السفر فذهب مخها، فإذا أسرعت فإنك تصل إلى البلد التي بها الأعلاف وفيها مئونة الدواب وهذا من حكمة النبي ﷺ، وأن الله تعالى قد أعطاه مصالح الرعاية لبني آدم وللبهائم، حيث أرشد ﷺ المسافرين إلى هذا الإرشاد في الخصب تأنَّ في السير، في الجدب أسرع في السير، كذلك أمر ﷺ أننا إذا عرسنا في الليل نزلنا ليلاً لنستريح وننام فإننا لا ننام في الطريق يعني: في الجادة؛ لأنها طرق البهائم، الناس يستطرقون هذا الطريق وربما يأتي إنسان غافلاً فيقع في هذا النائم في الطريق، وكذلك أيضًا هي مأوى الهوام تأتي حول هذه الطرقات لأجل إذا سقط من أحد شيء من الطعام أكلته، ولهذا يكثر وجود الهوام في هذه الطرقات، فلهذا أمر النبي ﷺ ألا ننام في الطرقات؛ بل نرتفع عنها، حتى لا يحرج السائرين على الطريق، وحتى لا نتعرض لأذى الهوام، ومثل ذلك ـ بل من باب أولى ـ طرق السيارات اليوم، فإن الإنسان يبتعد عنها؛ لأنه ربما يأتي سائق ينعس ولو لحظة، فيقتحم بسيارته هؤلاء الذين ينامون على الطريق، وتحصل الكارثة، فأبعد عن هذه الطرق السريعة لا تنم حولها؛ لئلا تقع في الخطر، وهذا من إرشاد النبي ﷺ.

وكان من هديه ﷺ أنه إذا عرَّس في أول الليل؛ اضطجع على يمينه، وإذا عرَّس قبيل الفجر؛ اتكأ على يده اليسرى، نصب ذراعه واتكأ عليها؛ لأنه إذا كان من أول الليل ينام على اليمين ليعطي النفس حظها من النوم، ولهذا كان في إقامته عليه الصلاة والسلام في بيته إذا نام ينام على الجنب الأيمن بل أمر بذلك أن الإنسان ينام على جنبه الأيمن، أما إذا كان قبيل الفجر فكان ينصب ذراعه ﷺ وينام على يده؛ لئلا يستغرق في النوم فتفوته صلاة الفجر، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان أيضًا يعطي نفسه حظها من الراحة، ولا ينسى عبادة ربه، ففي أول الليل يمكنه أن ينام ويشبع قبل الفجر ثم يقوم، أما في آخر الليل لا ينام نومة المطمئن؛ بل نومة الإنسان المستيقظ الذي لا يستغرق في النوم؛ لئلا تفوته صلاة الفجر، وفي هذا دليلٌ على أن الإنسان ينبغي له أن يستعمل المنبه في النوم من أجل ألاَّ تفوته الصلاة، فإن نصب الرسول ﷺ ذراعه من أجل أن ينتبه، كذلك الإنسان ينبغي أن يجعل معه منبهًا للصلاة، فهذه من آداب السفر التي دلَّ عليها خير البشر ﷺ؛ والله الموفق.

❋ ❋ ❋

٣/٩٦٤ ـ عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الأرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ» رواه أبوداود بإسناد حسن[١].

«الدُّلْجَة» السَّيْرُ في اللَّيْلِ.

٤/٩٦٥ ـ وعن أبي ثَعْلَبة الخُشنيِّ رضي الله عنه قالَ: كانَ النَّاس إذا نَزَلوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا في الشِّعَاب وَالأَوْدِيَةِ. فقالَ رسولُ الله ﷺ «إنَّ تَفَرُّقكُمْ في هذِهِ الشِّعَابِ وَالأوْدِيَةِ إنَّمَا ذلكُمْ منَ الشَّيْطَان!» فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذلكَ مَنْزِلاً إلاَّ انْضَمَّ بَعْضهُمْ إلى بَعْض. رواه أبوداود بإسناد حسن[٢].

٥/٩٦٦ ـ وَعَنْ سَهْل بن عمرو ـ وَقيلَ سَهْلِ بن الرَّبِيعِ بنِ عَمْرو الأنْصاريِّ المَعْروف بابنِ الحَنْظليةِ، وَهُوَ مِنْ أهل بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رضي الله عنه قالَ: مرَّ رسول الله ﷺ ببَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ ببَطْنِهِ، فقال: «اتَّقُوا الله في هذه البهائمِ المُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوها صَالحَةً، وكُلُوها صالحَةً» رواه أبوداود بإسناد صحيح[٣].

٦/٩٦٧ ـ وعَنْ أَبي جعفر عبدِ الله بن جعفرٍ رضي الله عنهما قالَ:

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٨١)، وأبوداود، كتاب الجهاد والسير، باب في الدلجة. . .، رقم (٢٥٧١).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته. . .، رقم (٢٦٢٨).

(٣) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب ما يُؤمر به من القيام على الداب والبهائم. . .، رقم (٢٥٤٨).

أَرْدفني رسول الله ﷺ ذات يَوْمٍ خَلْفَه، وَأَسَرَّ إليَّ حَديثًا لا أُحَدِّث بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وكانَ أَحَبَّ ما اسْتَتَرَ بِهِ رسول الله ﷺ لحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حائشُ نَخلٍ. يَعْني: حائِطَ نَخْلٍ. رواه مسلم هكذا مختصرًا[١].

وزاد فيهِ البَرْقَانِي بإسناد مسلم بعد قوله: حَائِشُ نَخْلٍ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأنصَارِ، فإذَا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأى رسولَ الله ﷺ جَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النبيُّ ﷺ، فَمَسَحَ سَرَاتَهُ ـ أي ـ سنامَهُ ـ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ، قال: «مَنْ رَبُّ هذا الجَمَل، لِمَنْ هذا الجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأنصَار فقالَ: هذا لي يا رسول الله: فقال: «أَفَلاَ تتَّقِي الله في هذِهِ البَهِيمَةِ التي ملَّكَكَ اللهُ إياهَا؟ فإنَّهُ يَشْكُو إليَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ» ورواه أبوداود كرواية البَرْقَاني[٢].

قولُه: «ذِفرَاهُ» هو بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاءِ، وهو لفظٌ مفردٌ مؤنث. قالَ أَهْلُ اللُّغة: الذِّفْرَى: المَوْضِعُ الذي يَعْرَقُ مِنَ البَعِيرِ خَلْفَ الأذنِ، وقوله: «تُدْئِبُهُ» أَيْ: تُتْعِبُهُ.

٩٦٨/٧ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كُنَّا إذَا نَزَلْنَا مَنْزِلاً، لا نُسَبِّحُ حَتَّى نَحُلَّ الرِّحَالَ. رواه أبوداود بإسناد على شرط مسلم[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب ما يُستتر به لقضاء الحاجة...، رقم (٣٤٢).
(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٥)، وأبوداود، كتاب الجهاد، باب ما يُؤمر به من القيام على الدواب والبهائم...، رقم (٢٥٤٩).
(٣) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب في نزول المنازل...، رقم (٢٥٥١).

وقوله: «لا نُسَبِّحُ» أَيْ لا نُصَلِّي النَّافلَةَ، ومعناه: أنَّا ـ معَ حَرِصْنَا عَلَى الصَّلاةِ ـ لا نُقَدِّمُها عَلَى حَطِّ الرِّحالِ وَإِرَاحَةِ الدَّوابِّ.

الشرح

هذه أحاديث في آداب السفر ساقها النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين، منها أن النبي ﷺ أرشد أمته إلى أن يسيروا في الليل، وأخبر أن الأرض تطوى، أي تطوى للمسافر إذا سافر في الليل، يعني أنه يقطع في الدُّلُجة في الليل ما لا يقطعه في النهار، وذلك لأن الليل وقت براد فهو أنشط للرواحل وأسرع في سيرها، ولهذا عبر النبي ﷺ عن ذلك بأنه تطوى الأرض للمسافر إذا مشى في الليل.

ومن الآداب أيضًا أنه ينبغي للجماعة ألا يتفرقوا إذا نزلوا منزلاً فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الأودية والشعاب فقال النبي ﷺ: «إنما ذلكم من الشيطان» يعني تفرقكم، فما نزلوا بعد ذلك منزلاً إلا اجتمعوا جميعًا؛ لأن ذلك أقوى لهم وأحفظ، ولو تسلط عليهم عدو في هذه الليلة وكانوا جميعًا أمكنهم المدافعة، لكن إذا تفرقوا توزعوا وفشلوا.

ومن ذلك أيضًا أن النبي ﷺ أمر بالرفق بالبهائم، وأنه يحب على الإنسان أن يعاملها معاملة حسنة، فلا يكلفها ما لا يطيق، ولا

يقصر عليها في أكل أو شرب.

ومن ذلك أيضًا من الآداب أن الإنسان يركب الراحلة وحده وله أن يردف غيره لكن بشرط أن تكون الراحلة مطيقة للإرداف فإن لم تكن مطيقة لضعفها أو نحو ذلك؛ فإنه لا يحل له أن يكلفها ما لا تطيق؛ لأن هذه البهائم تتعب كما يتعب الإنسان، هي مكونة مما كون منه الإنسان: من لحم وعظم ودم، فإذا كان الإنسان يتعب إذا حمل ما لا يطيق، أو إذا حمل حملاً يتعبه، فكذلك هذه البهائم، ولهذا أمر النبي ﷺ أن نتقي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيها وألا نقصر في حقها.

ثم ذكر حديث ابن الحنظلية أن الرسول ﷺ كان قلَّما يقضي حاجته إلا إلى هدف أو حائش يعني حائل، هدف يعني: هدف: مثل العنزة كان يركزها ﷺ ويقضي حاجته إليها ﷺ، فدخل ذات يوم حائط رجل من الأنصار فإذا بجمل، فلما رأى النبي ﷺ ـ أي الجمل ـ جاء يجرجر خافضًا رقبته وعيناه تذرفان، يشكو صاحبه إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«من رب هذا الجمل؟»** فجاء ـ يعني: من صاحب هذا الجمل ـ رجل من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله. فأخبره النبي ﷺ أن الجمل يشكو إليه صاحبه بأنه يجيعه ويحمِّله ما لا تطيق، وأمره أن يتقي الله تعالى فيه، وهذا من آيات النبي ﷺ أن

البهائم العجم تشكو إليه إذا رأته ﷺ؛ لأن هذا من آيات الله التي يؤيد الله تعالى بها رسوله ﷺ فإن الله تعالى ما أرسل رسولاً إلا أعطاه آيات تدل على نبوته؛ لئلا يكذبه الناس؛ لأن الناس إذا جاء إليهم رجل وقال: أنا رسول الله إليكم بدون آية لم يصدقوه، لكن الله تعالى يؤتي رسله آيات تدل على أنهم صادقون، وأعظم آيات أعطيها الأنبياء ما أعطيه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «**البداية والنهاية**» ـ وغيره أيضًا ـ أنه ما من آية لنبي من الأنبياء السابقين إلا كان لرسول الله ﷺ مثلها أو أعظم منها، إما له هو شخصيًّا وإما لأتباعه، وذكر على ذلك أمثلة وشواهد كثيرة، لكن لم يعط أحد من الأنبياء مثل ما أعطيه النبي ﷺ من هذا الوحي ـ القرآن ـ ولهذا قال: «**إنما الذي أوتيته وحي أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(١)]؛ لأن هذا الوحي باقٍ إلى يومنا هذا، والناس كلما قرؤوه؛ ازدادوا إيمانًا بالله ورسوله لما فيه من الآيات العظيمة الدالة على أن رسول الله ﷺ رسول الله حقًّا، والله الموفق.



(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل...، رقم (٤٩٨١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ...، رقم (١٥٢).

١٦٩ـ باب إعانة الرفيق

١/٩٦٩ ـ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ إذ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحلةٍ لهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمينًا وشِمَالاً، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَه، وَمَنْ كانَ له فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زادَ له» فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَاف المالِ ما ذكرَهُ، حَتَّى رَأينَا: أَنَّهُ لا حَقَّ لأحَدٍ منا في فضْلٍ. رواه مسلم[1].

٢/٩٧٠ ـ وعَنْ جَابر رضي الله عنه عَنْ رسول الله ﷺ أنَّه أَرَادَ أنْ يَغْزُو، فقال: يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرين والأنصَارِ! إنَّ مِنْ إخوَانِكُمْ قَوْمًا، لَيْسَ لَهم مَالٌ، ولا عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكم إليْهِ الرَّجُلين، أَوِ الثَّلاثَةَ، فَمَا لأحدِنَا مِنْ ظَهر يَحْمِلُهُ إلا عُقْبَةٌ ـ يعني: كعقبة أحدهم ـ قال: فَضَمَمْتُ إليَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً مَا لي إلاَّ عُقْبَةٌ كعقبَةِ أَحَدهم مِنْ جَملي. رواه أبوداود[2].

٣/٩٧١ ـ وعنه رضي الله عنه قال: كانَ رسول الله ﷺ يَتَخَلَّف في

---

(١) رواه مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال...، رقم (١٧٢٨).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب الرجل يتحمل بمال غيره يغزو...، رقم (٢٥٣٤).

المَسيرِ، فَيُزْجِي الضَّعِيفَ وَيُرْدف وَيَدعُو له. رواه أبوداود بإسناد حسن[١].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: باب إعانة الرفق يعني في السفر والرفق به، وهذا من آداب السفر أن الإنسان يحسن إلى رفيقه في السفر ويرفق به، ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ ثلاث أحاديث: منها: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو في سفر فجعل يلتفت يمينًا وشمالاً وكأنه يبدي حاجته للناس، فقال النبي ﷺ: «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» وذكر أصنافًا من المال، فصار الناس كل منهم ينظر إلى رفيقه ويركبه معه ويشركه في زاده، وهكذا أيضًا في الحديث الثاني أن النبي ﷺ أمر أن يتعاقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد حتى يكون الناس كلهم سواء، وكذلك الحديث الثالث أن الرسول ﷺ يكون في أخريات القوم في السفر يزجي الضعيف ـ يسوقه ـ ويدعو له، كما ثبت ذلك عنه أيضًا في صحيح مسلم في قصة جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لحقه ـ وكان جابر على

(١) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة. . .، رقم (٢٦٣٩).

جمل قد أعيا ـ فضرب النبي ﷺ الجمل ودعا له[١]، فصار يمشي كما تمشي الركاب؛ بل كان يتقدم عليها، فالحاصل أنه ينبغي للإنسان أن يكون مع رفقائه في السفر محسنًا إليهم قاضيًا لحاجتهم معينًا لهم، فإن هذا من الآداب النبوية التي جاءت بها سنة النبي ﷺ، والله أعلم.



(١) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر...، رقم (٧١٥).

١٧٠ـ باب ما يقوله
إذا ركب الدابة للسفر

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الأحزاب: ١٢ ـ ١٤].

١/٩٧٢ ـ وعنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوى على بَعِيرِهِ خَارِجًا إلى سَفَر؛ كَبَّرَ ثَلاثًا، ثمَّ قالَ: «سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لَنَا هذا وَمَا كُنَّا له مُقْرِنينَ، وَإِنَّا إلى ربِّنَا لَمُنْقلِبُون. اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البرَّ والتَّقوَى، وَمِنَ العَمَلِ ما تَرْضى. اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرنَا هذا وَاطْوِ عَنَّا بَعْدَهُ. اللَّهُمَّ أنْتَ الصَّاحبُ في السَّفَرِ، والخَلِيفَةُ في الأهْلِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكآبَةِ المَنظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المَالِ والأهلِ وَالوَلد» وَإِذَا رَجَعَ قَالهُنَّ وزَادَ فِيهِنَّ: «آيبون تَائِبونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» رواه مسلم(١).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب آداب السفر: باب ما

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره...، رقم (١٣٤٢).

يقوله إذا ركب الدّابة للسفر، هكذا قيض المؤلف ـ رحمه الله ـ الحكم فيما إذا ركب للسفر، وظاهر الآية الكريمة أن الحكم عام، أن الإنسان إذا ركب دابته أو سيارته أو السفينة؛ فإنه يقول ما ذكره الله عزَّ وجلَّ، ثم ذكرَ حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا ركب دآبته خارجًا في سفر قال: كذا وكذا، وذكر قبل ذلك الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢ ـ ١٤].

﴿وَجَعَلَ لَكُم﴾ يعني: سير لكم. ﴿مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: السفن، والسفن ثلاثة أنواع: سفن بحرية، وسفن برية، وسفن جوية، أما السفن البحرية فكانت معروفة من قديم الزمان من زمن نوح ﷺ حين أوحى الله إليه ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]. وأما السفن البرية فظهرت متأخرة وهي السيارات، وأما السفن الجوية فهي أيضًا بعد ذلك وهي الطائرات وكلها داخلة في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾. فإنها فلك؛ لأنها تجمع ما شاء الله من الخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَامِ﴾ يعني بذلك الإبل والبغال والحمير والخيل وغيرها مما يركب، وقد اختلف العلماء في جواز ركوب

الإنسان ما لم تجر العادة بركوبه، كما لو ركب البقر، فمنهم من قال: إنه جائز ما لم يشق عليه. ومنهم من قال: إنه لا يجوز؛ لأنها لم تخلق لهذا. والصحيح أنه جائز، وأنه لا بأس أن يركب الإنسان ما لم تجر العادة بركوبه لكن بشرط ألا يشق عليها فإن شق عليها؛ فهو ممنوع.

وقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ اللام إما للتعليل أو للعاقبة، يعني أنه جعل لنا ما نركب لنستقر على الظهور، فلم يجعله صعبًا نزرًا لا يستوي الإنسان على ظهر ولا يستقره، بل هو يستقر على ظهره، وهذا مشاهد في السيارات والسفن والطائرات والإبل الذلول وما أشبه ذلك ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ بعد الاستواء تذكرون نعمة الله بما يسر لكم مما خلق من الأنعام ومما علمكم من الفلك، وتقولوا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]، كان الذي يتبادر أن يقول الإنسان: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، ولكنه أمر أن يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ لماذا؟ لأن «سبحان» تدل على التنزيه: يعني تنزيه الله عزَّ وجلَّ ـ عن الحاجة وعن النقص، فكأن الإنسان يشعر إذا ركب على هذا الفلك والأنعام أنه محتاج إليه يستعين به على حاجاته فيسبح الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الذي هو مستغنٍ عن

كل خلقه جلَّ وعلا فكان التسبيح في هذا المقام أنسب، مع أنه جاء في السنة أنه يحمد الله، لكننا نتكلم عن هذه الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ يعني: ما كنا مطيقين له لولا أن الله سخره أي ذلَّله، كما قال الله تعالى في آية أُخرى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧٢]، أرأيتم لو كانت هذه البعير الكبيرة الجسم القوية النشيطة لو لم تسخر هل نقدر عليها؟!

الجواب: لا؛ لأن هناك من السباع ما هو دونها بكثير ولا نستطيع أن نقدر عليه، لكن الله سخر لنا هذا الذي نركبه، حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمام الناقة ويقودها إلى حيث شاء، هذا من تسخير الله ـ عزَّ وجلّ ـ وتذليله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ هذه جملة عظيمة؛ كأن الإنسان لما ركب مسافرًا على هذه الذلول أو الفلك كأنه يتذكر السفر الأخير من هذه الدنيا وهو سفر الإنسان إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا مات، وحملته الناس على أعناقهم فيتذكر ويقول: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ جلَّ وعلا فالمنقلب إلى الله، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. قال: كادح إلى ربك، ولم يقل: كادح لربك بل كادح إليه: يعني سيكون مآلك ومآل كدحك وعملك وكدك إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿كَادِحٌ

إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ . أي: عامل وراجع إلى ربك ﴿كَدْحًا﴾ . كلنا سوف يلاقي الله، ولكن على أي شيء وشأن نلاقي الله عزَّ وجلَّ؟! هذا هو الشأن؛ في أي شيء تنقلب إلى الله وعلى أي شيء تنقلب إلى الله.

يعني أن الإنسان لا يهمه أين يموت ولا يهمه متى يموت، ربما أنه يحب أن يطيل الله عمره، وأن يموت في بلد مقدس كما اختار ذلك موسى ﷺ لكن الشأن كل الشأن على أي شيء يموت نسأل الله أن يتوفانا وإياكم على الإيمان والتوحيد ـ هذا هو المهم، المهم على أي شيء تموت أيها الإنسان؟! فإن متَّ على خير؛ فإنه لا فرق بين أن تموت في بلدك أو في بلد أخرى، أو في بلد مقدس أو غير مقدس، ولا في هذا الشهر ولا في اليوم الفلاني، ولا في الوقت الفلاني ليلاً أو نهارًا؟ المهم أن تموت على خير ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ ، فينبغي للإنسان إذا ركب سيارته أو الطائرة أن يقول هذا الذكر الوارد عن النبي ﷺ في حديث ابن عمر: يكبر ثلاثًا ويقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ ، ثم يذكر بقية هذا الدعاء الذي ذكره عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وتأمل في هذا الحديث كلمة تدلُّ على إحاطة الله بكل شيء يقول: «**أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**» الصاحب في السفر يعني: تصحبني في سفري، تيسره علي، تسهله

علي. «وأنت الخليفة في الأهل» أي: خليفتي في أهلي من بعدي تحوطهم برعايتك وعنايتك، فهو جلَّ وعلا مع الإنسان في سفره، وخليفته في أهله؛ لأنه جلَّ وعلا بكل شيء محيط، والله الموفق.

* * *

٢/٩٧٣ ـ وعن عبد الله بن سَرْجِسَ رضي الله عنه قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكآبَةِ المُنْقَلَب، وَالحَوَرِ بَعْدَ الكَوْنِ، ودَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ في الأهْلِ وَالمَال. رواه مسلم[١].

هكذا هو في صحيح مسلم: الحَوْرِ بَعْدَ الكوْنِ، بالنون، وكذا رواه الترمذيُّ، والنسائي. قال الترمذي: ويروى «الكَوْر» بالراء، وَكِلاهُمَا لَهُ وَجْهٌ. قال العلماءُ: ومعناه بالنون والراء جميعًا: الرُّجُوعُ مِنَ الاسْتِقَامَةِ أو الزِّيادة إلى النَّقْص. قالوا: وروايةُ الرَّاءِ مأخُوذةٌ مِنْ تَكْوير العِمَامة، وهُوَ لَفُّها وجَمْعُها، ورواية النون مِنَ الكَوْن، مَصْدر «كَانَ يَكُون كونًا» إذا وجد واستقر.

٣/٩٧٤ ـ وعن عَليِّ بن ربيعة رضي الله عنه قال: شَهدتُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أُتي بِدابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ في

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره...، رقم (١٣٤٣).

الرِّكاب قال: بِسْم الله، فَلَمَّا اسْتَوى عَلَى ظَهْرِها قال: الحَمْدُ لله، ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾. ثُمَّ قال: الحمدُ لله، ثَلاثَ مَرَّات، ثُمَّ قال: الله أَكْبَر، ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قال: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوب إلاَّ أَنْتَ، ثُمَّ ضَحك، فَقِيلَ: يا أَميرَ المُؤمِنين، مِنْ أيِّ شيءٍ ضَحِكْتَ؟ قالَ: رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ فَعَلَ كما فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ، فقلتُ: يا رسول اللهِ مِنْ أيِّ شيءٍ ضَحِكْتَ؟ قال: «إِنَّ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إذا قال: اغْفِرْلي ذُنوبي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ غَيْرِي» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيح. وهذا لفظ أبي داود[1].

الشرح

هذان الحديثان في الأدعية والأذكار التي تقال إذا ركب الإنسان راحلته في السفر، وسبق لنا شرح الآية الكريمة أن الله تعالى قال: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]. كذلك أيضًا يتعوذ الإنسان من وعثاء السفر ومن كآبة المنظر، ومن سوء المنقلب في المال والأهل، ويتعوذ أيضًا من

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب...، رقم (٢٦٠٢)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب الناقة...، رقم (٣٤٤٦).

دعوة المظلوم، ويسأل الله المغفرة والرحمة، ويحمد الله ثلاثًا، ويكبر ثلاثًا، كل هذا مما جاء عن النبي ﷺ فإن ذكرته بلفظه فهذا هو الأحسن والأفضل، وإلا فقل ما تيسر، وأهم شيء ما ذكره الله تعالى في القرآن: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيان سعة مغفرة الله ورحمته وأنه عزَّ وجلَّ يفرح من عبده إذا استغفره وتاب إليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته**».

وذكر الحديث وهو أنه رجلٌ مسافرٌ أضل راحلته وفقدها فطلبها فلم يجدها وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها ومن الحياة، ونام تحت شجرة ينتظر الموت، فبينما هو كذلك إذا براحلته قد تعلقت بالشجرة، فأخذ بزمامها وقال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»[1] يريد أن يقول: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك» لكنه أخطأ من شدة الفرح، فالله ـ عزَّ وجلّ ـ يفرح بتوبة عبده، فعليك يا أخي المسلم ـ أن تتوب إلى الله وترجع، وتحصي ذنوبك وتستغفر، وتعلم أنك متى

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها...، رقم (٢٧٤٧).

استغفرت لله تعالى بصدق وإخلاص؛ فإن الله تعالى يغفر لك: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

نسأل الله أن يغفر لنا ولكم ويرحمكم إنه على شيء قدير.

*　*　*

١٧١ـ باب تكبير المسافر إذا صعد الثنايا وشبهها وتسبيحه إذا هبط في الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه

١/٩٧٥ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنا. رواه البخاري(١).

٢/٩٧٦ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُيوشُهُ إِذَا عَلَوا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحَوا. رواه أبوداود بإسناد صحيح(٢).

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في رياض الصالحين تحت آداب السفر وما يُقال فيه، فمن ذلك أنه من آداب السفر أنه إذا صعد الإنسان شيئًا مرتفعًا كالجبل، وكذلك الطائرة إذا صعدت فإنه يكبر يقول: «الله أكبر» إما مرة أو مرتين أو ثلاثًا، وإذا نزل «سبح» قال: سبحان الله مرة أو مرتين أو ثلاثًا، ووجه ذلك أن الإنسان إذا علا فإنه يرى نفسه في مكان عالٍ، فقد يستعظم نفسه

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التسبيح إذا هبط واديًا...، رقم (٢٩٩٣).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر...، رقم (٢٥٩٩).

فيقول: الله أكبر يعني يرد نفسه إلى الاستصغار، أمام كبرياء الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيقول: الله أكبر. يعني لو علوتي أيتها النفس؛ فإن فوقك من هو أعلى منك وهو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيقول: الله أكبر، أما إذا نزل فالنزول سفول ودنو وذلّ، فيقول: سبحان الله، يعني أنزه الله سبحانه وتعالى ـ عن السفول وعن النزول؛ لأنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وإن كان ـ جلَّ وعلا ـ ثبت عن رسوله ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، هذا نزول يليق بجلاله وعظمته[١] ولا يلزم منه السفول؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء عز وجل.

فالحاصل أنه من الآداب المستحبة التي هي من هدي الرسول ﷺ وأصحابه أنك إذا صعدت تقول: الله أكبر، وإذا نزلت واديًا تقول: سبحان الله، كذلك الطائرة عند ارتفاعها تكبر، وعند نزولها في المطار تسبح؛ لأنه لا فرق بين الصعود في الهواء والنزول منه، أو على الأرض، والله الموفق.



(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل...، رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل...، رقم (٧٥٨).

٣/٩٧٩ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَكُنَّا إذا أَشرَفْنَا عَلَى وادٍ هَلَّلْنا وَكَبَّرْنَا وَارْتَفَعتْ أَصْوَاتنَا، فقالَ النبي ﷺ: «يَا أَيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكم فَإِنَّكم لا تَدْعُون أَصَمَّ وَلاَ غَائبًا. إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ» متفقٌ عليه[(١)].

«ارْبَعُوا» بِفتح الباءِ الموحدة أي: ارْفُقوا بِأَنْفُسِكم.

الشرح

تقدم أنه ينبغي للمسافر إذا علا وارتفع أن يكبر، وإذا هبط ونزل أن يسبح، وبيَّنا الحكمة في ذلك، ولكن ينبغي للإنسان إذا فعل هذا ـ يعني إذا كبر عند العلو وسبح عند النزول ـ ألا يجهد نفسه ولا يشق عليها ولا يرفع صوته رفعًا بالغًا، كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر فكانوا يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم**» اربعوا عليها ـ يعني هوِّنوا عليها ولا تشقوا على أنفسكم ـ في رفع الصوت «**فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا مجيبًا**» وهو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يحتاج أن تجهدوا أنفسكم في رفع الصوت عند التسبيح والتحميد والتكبير؛ لأن الله

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يُكره من رفع الصوت في التكبير...، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر...، رقم (٢٧٠٤).

تعالى يسمع ويبصر وهو قريب ـ جلَّ وعلا ـ مع أنه فوق سمواته لكنه محيطٌ بكل شيء ـ جلَّ وعلا ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم**»[١].

كل السموات والأرض لا تنسب إلى الله عزَّ وجلَّ فهو ـ جلَّ وعلا ـ محيطٌ بكل شيء وهو فوق كل شيء، وفي هذا دليلٌ على أنه لا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه في العبادات لا في أدائها ولا في المداومة عليها، ولهذا لما بلغ النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال من شدة رغبته في الخير: «لأقومنَّ الليل ما عشت، ولأصومن النهار ما عشت». يعني: يريد أن يصوم كل النهار ويقوم كل الليل، فبلغ النبي ﷺ ذلك فدعاه، وقال: «**أنت الذي قلت هذا؟**» (لأصومن النهار ما عشت ولأقومن الليل ما عشت) قال: نعم يا رسول الله. قال: «**إنك لا تطيق ذلك**»، ثم أمره أن يصوم من كل شهر ثلاث أيام وأن يقوم وينام، فقال: إني أطيق أكثر من ذلك، فما زال به حتى قال النبي ﷺ له: «**صم يومًا وأفطر يومًا**» قال: فإني أطيق أكثر من ذلك، قال: «**لا أفضل من هذا، هذا صوم داود عليه الصلاة والسلام يصوم يومًا ويفطر يومًا**» ليتقوى بيوم الفطر

(١) ذكره أبونعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٠٥).

على يوم الصيام، فلما كبر رضي الله عنه شق عليه ذلك، شق أن يصوم يومًا ويفطر يومًا فقال: ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ. ثم صار يصوم خمسة عشر يومًا سردًا ويفطر خمسة عشر يومًا سردًا؛ لأنه عجز أن يصوم يومًا ويفطر يومًا، أما في القيام فقال له: أعلى ما يكون أن ينام نصف الليل ويقوم ثلث الليل وينام سدس الليل، قسَّمه ثلاثة أقسام: ينام النصف، ويقوم الثلث، وينام السدس.

وقال: «لا أفضل من ذلك»(١)، والحاصل أنه لا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه في العبادة، متى تسهلت فليحمد الله، بعض الناس في أيام الشتاء يكون عنده الماء الساخن وعنده الماء البارد، ويتوضأ بالبارد ويترك الساخن، يعذب نفسه والله عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]. نعم، إذا لم يكن عندك إلا الماء البارد واستعملته وشق عليك فلك أجر، أما أن تعدل عن السهل إلى الصعب طلبًا للأجر فهذا ليس بصواب، متى تسهل الأمر فافعله، كذلك بعض الناس مثلاً لو قال: أنا أريد أن أمشي على رجلي إلى الحج؛ لأنه أصعب من المشي بالسيارة. قلنا: هذا خطأ، إذا سهل الله لك العبادة فافعل، أو قال آخر: أريد

(١) رواه مسلم، كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت...، رقم (١١٥٩).

أن أقرأ على نور ضعيف ولا أقرأ على نور قوي؛ لأن القراءة على النور الضعيف أصعب، ونقول: هذا أيضًا خطأ، كلما سهلت العبادة؛ فافعل ما تيسر ولكن لا تقصر، أما إذا لم يمكن إلا مع تعب فهذا الأمر إلى الله، ومتى تعبت في العبادة فلك أجر، والله الموفق.

* * *

١٧٢ ـ باب استحباب الدعاء في السفر

١/ ٩٨٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظلومِ، وَدَعْوَةُ المسَافِرِ، وَدَعْوةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» رواه أبوداود[١]، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. وليس في رواية أبي داود: «على ولدِهِ».

* * *

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٨)، وأبوداود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب. . .، رقم (١٥٣٦)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في دعوة الوالدين. . .، رقم (١٩٠٥)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم. . .، رقم (٣٨٦٢).

١٧٣- باب ما يدعو به إذا خاف ناسًا أو غيرهم

١/٩٨١ - عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» رواه أبوداود، والنسائي بإسناد صحيح[١].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب استحباب الدعاء في السفر.

المسافر: هو الذي فارق وطنه فإنه يكون مسافرًا حتى يرجع إليه، ودعوة المسافر دعوة محتاج في الغالب، والإنسان إذا احتاج ودعا ربه أو شك أن يستجاب له؛ لأن الله سبحانه وتعالى ـ يجيب دعوة المضطر ويجيب دعوة المحتاج أكثر مما يستجيب دعاء غيرهما، ثم ذكر الحديث ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد، أما دعوة المظلوم فمعناها أنه إذا ظلمك أحد فأخذ مالك أو جحد مالك عنده أو اعتدى عليك بضرب أو اعتدى عليك بغيبة، يسبك في المجالس أو غير

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا خاف قومًا...، رقم (١٥٣٧)، ولم يعثر عليه عند النسائي.

ذلك؛ فهذا ظلم، فإذا دعوت الله عليه؛ استجاب الله دعاءك، حتى ولو كان المظلوم كافرًا وظلمته ثم دعا اللهَ عليك؛ استجابَ الله دعاءه، يعني لو مثلاً كان عندك عامل كافر وظلمته ثم دعا الله عليك، استجاب الله دعاءه لا حبًا للكافر ولكن حبًا للعدل؛ لأن الله حكم عدل والمظلوم لابد أن ينصف له من الظالم، ولهذا لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[(١)].

فالمظلوم دعوته مستجابة إذا دعا على ظالمه بمثل ما ظلمه أو أقل، أما إن تجاوز فإنه يكن معتديًا فلا يستجاب له، وهذا أولاً.

ثانيًا: دعوة المسافر إذا دعا الله عزَّ وجلَّ أن ييسر سفره وأن يعينه عليه أو غير ذلك من الدعوات؛ فإن الله تعالى يستجيب له، ولهذا ينبغي للإنسان أن يغتنم فرصة الدعاء في السفر، وإذا كان السفر سفر طاعة كسفر عمرة أو حج فإنه يزداد ذلك قوة في إجابة الدعاء.

ثالثًا: دعوة الوالد، في بعض ألفاظ الحديث (على ولده) وفي بعض ألفاظه مطلقة، «الوالد» يعني سواء لولده أو عليه، وهذا هو

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم...، رقم (٢٤٤٨).

الأصح، دعوة الوالد لولده أو عليه مستجابة، أما دعوته لولده فلأنه يدعو لولده على وجه الشفقة والرحمة، والراحمون يرحمهم الله - عزَّ وجلَّ - وأما عليه فإنه لا يمكن أن يدعو الوالد على ولده إلا باستحقاق للدعوة، فإذا دعا عليه وهو مستحق للدعوة استجاب الله دعوته، هذه ثلاث دعوات مستجابات، دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد سواء كانت الأم أو الأب.

ثم ذكر المؤلف حديث ما يسن للإنسان إذا خاف قومًا أو غيرهم ماذا يقول، مثلاً قابلك أناس تخشى منهم من شرهم، قابلك شخص تخشى من شره، أي شيء قابلك تخشى من شره، فقل: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم» إذا قلت ذلك بصدق وإخلاص ولجوء إلى الله كفاك الله شرهم، «اللهم إنا نجعلك في نحورهم»: يعني أمامهم تدفعهم عنَّا، وتمنعنا منهم، «ونعوذ بك من شرورهم» ففي هذه الحال يكفيك الله إياهم ويكف عنك شرهم، «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»، كلمتان يسيرتان إذا قالهما الإنسان بصدق وإخلاص فإن الله تعالى يدافع عنه، والله الموفق.

* * *

١٧٤ـ باب ما يقول إذا نزل منزلاً

١/٩٨٢ ـ عَنْ خَولَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنزلاً ثمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يضرَّه شيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنزِلِهِ ذلك» رواه مسلم(١).

٢/٩٨٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قال: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّك اللهِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يدِبُّ عَلَيْكِ أَعُوذ باللهِ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وأَسْوَدٍ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» رواه أبوداود(٢).

«وَالأسْوَدُ»: الشَّخص، قال الخَطَّابيُّ: «وسَاكِنِ البَلَدِ»: هُمُ الجِنُّ الَّذِينَ هُمْ سُكَّان الأرْض. قال: وَالبَلَد مِنَ الأرْضِ: مَا كَانَ مَأوَى الحيوانِ، وَإِنْ لَمْ يَكنْ فِيهِ بناءٌ وَمَنَازلُ. قال: وَيَحتَمِلُ أَنَّ المَرادَ «بِالوالِدِ»: إبليسُ «وَمَا وَلَدَ»: الشَّيَاطِينُ.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. . .، رقم (٢٧٠٨).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل. . .، رقم (٢٦٠٣)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال. . .، رقم (٣٤٥١).

الشرح

هذان الحديثان في بيان ما يقوله الإنسان إذا كان مسافرًا ونزل منزلاً، كما في حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**» قوله: «**من نزل منزلاً**» يشمل من نزل منزلاً في السفر إذا كان مسافرًا ثم نزل ليستريح لغداء أو عشاء أو نوم أو غير ذلك، فإنه إذا نزل يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق**» ومعنى أعوذ أي: اعتصم بكلمات الله التامّات، و«**كلمات الله التامات**» تشمل كلماته الكونية وكلماته الشرعية، فأما كلماته الكونية فهي التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢].

فيحميك الله تعالى بكلماته الكونية، ويدافع عنك ما يضرك إذا قلت هذا الكلام، «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»، وكذلك كلمات الله الشرعية ـ وهي الوحي ـ فيها وقاية من كل سوء وشر، وقاية من الشرّ قبل نزوله، وله بعد نزوله، أما قبل نزوله فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من قرأ آية الكرسي في ليلة، لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح[(١)]، وأما بعد نزول الشر فقد

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة...، رقم (٥٠١٠).

ثبت عن النبي ﷺ أن الفاتحة إذا قرأ بها على المريض أو على اللديغ فإنه ينتفع بها، حتى إن الصحابي رضي الله عنه لما قرأ الفاتحة على سيد القوم الذي لدغ لما قرأ عليه سورة الفاتحة قام كأنما نشط من عقال[1]، يعني: أنه برأ حاله؛ لأن القرآن شفاء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

فاحرص ـ يا أخي المسلم ـ إذا نزلت منزلاً في بر أو بحر، أو منزلاً اشتهيته؛ كبيت أو ما أشبه ذلك فقل: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» فإنه لا يضرك شيء حتى ترتحل من منزلك ذلك، والله الموفق.



(١) رواه البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يُعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة. . .، رقم (٢٢٧٦).

١٧٥ـ باب استحباب تعجيل المسافر الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته

١/٩٨٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فإذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، فَلْيُعَجِّلْ إلى أَهْلِهِ» متفقٌ عليه[(١)].

«نَهْمَتَهُ»: مَقْصُودَهُ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين فيما يتعلق بالسفر: باب استحباب تعجيل المسافر الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته، وذلك أن المسافر إذا سافر فإنه يترك أهله، وربما يحتاجون إليه في التربية والتعليم والرعاية وغير ذلك، وربما يحدث لهم أشياء توجب أن يكون راعيهم عندهم، فلهذا أمر النبيُّ ﷺ ـ كما في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف ـ الإنسانَ إذا قضى نهمته من سفره فليرجع إلى أهله، وقال ﷺ في هذا الحديث: «إن السفر قطعة من العذاب» ويعني في ذلك عذاب الضمير وعذاب الجسم ولا سيما

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب السفر قطعة من العذاب...، رقم (١٨٠٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر...، رقم (١٩٢٧).

الذي كان في الزمن السابق حيث تكون الأسفار على الإبل ويكون فيها مشقات كبيرة، وخوف، وبرد في الشتاء، وحر في الصيف، ولهذا قال ﷺ: «**إنه قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه**»؛ لأن المسافر مشغول البال ولا يأكل ويشرب كطعامه وشرابه العادي في أيامه العادية، وكذلك في النوم، فإذا كان كذلك فليرجع الإنسان إلى الراحة إلى أهله وبلده ليقوم على أهله بالرعاية والتأديب وغير ذلك، وفي هذا دليلٌ على أن إقامة الإنسان في أهله أفضل من سفره إلا أن يكون هناك حاجة، ووجهه أن أهله يحتاجون إليه، ولهذا لما قدم مالك بن الحويرث ومعه نحو عشرين رجلاً من قومه إلى النبي ﷺ وأقاموا عنده نحو عشرين ليلة، ورأى أنهم قد اشتاقوا إلى أهلهم قال: «**ارجعوا إلى أهليكم وأقيموا فيهم وأدبوهم وعلموهم**» فدلَّ ذلك على أن الإنسان لا ينبغي أن يغيب عن أهله إلا بقدر الحاجة، وإلا فليرجع هذا هو الأفضل، والله الموفق.

* * *

١٧٦ـ باب استحباب القدوم على أهله نهارًا وكراهته في الليل لغير حاجة

١/٩٨٥ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكمْ الغَيْبَةَ فلا يَطْرُقَنَّ أَهْلَهُ لَيْلاً».

وفي رواية أنَّ رسول الله ﷺ نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً. متفقٌ عليه[١].

٢/٩٨٦ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلاً وَكَانَ يَأتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً» متفقٌ عليه[٢].

«الطُّرُوقُ»: المَجيءُ في اللَّيْلِ.

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة...، رقم (٥٢٤٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد...، رقم (٧١٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الدخول بالعشي...، رقم (١٨٠٠)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد...، رقم (١٩٢٨).

١٧٧ـ باب ما يقول إذا رجع وإذا رأى بلدته

فيه حديثُ ابْنِ عُمَرَ السَّابقُ في بابِ تكبِيرِ المسافر إذا صَعِدَ الثنَايَا.

١/٩٨٧ ـ وعن أَنس رضي الله عنه قالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ المَدِينَةِ قال: «آيبون، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» فَلَمْ يَزَلْ يقُولُ ذلكَ حَتَّى قَدِمْنَا المَدِينَةَ، رواه مسلم[1].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل: جعلني الله فداك... رقم (٦١٨٥)، ومسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره... رقم (١٣٤٥).

١٧٨ـ باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين

١/٩٨٨ ـ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. متفقٌ عليه[١].

الشرح

هذان البابان من آداب السفر:

الباب الأول: أن الإنسان إذا غاب عن أهله وطالت غيبته فلا يطرقهم ليلاً، أي: لا يأتيهم في الليل إلا لحاجة أو إعلان، الحاجة: مثل أن يحصل عليه في السفر مشقة لو انتظر إلى الصباح مثلاً، فهذه حاجة يقدم عليهم في الليل ولا حرج، وكذلك أيضًا إذا كان قد أعلمهم قال أنه سيقدم عليهم الليلة الفلانية فلا بأس أن يقدم عليهم ليلاً، أما إذا كان قد أطال الغيبة فإنه لا يطرقهم ليلاً؛ لأن النبي ﷺ علل ذلك فقال: «لكي تمشط الشعثة وتستحد المغيبة»[٢] يعني معناه: لأجل أن المرأة تتجمل وتتزين لزوجها؛ لئلا يقدم

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك...، رقم (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه...، رقم (٢٧٦٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج الثليبات...، رقم (٥٠٧٩)، ومسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر...، رقم (٧١٥).

عليها وهي شعثة غير ماشطة، أو لم تستحد أي: لم تحلق عانتها، فلهذا قيد المسألة بما إذا طال السفر، أما إذا لم يطل السفر، كسفر يوم أو يومين أو ما أشبه ذلك، فلا حرج عليه أن يقدم إلى أهله متى شاء، والحاصل أنه إذا أطال الغيبة فلا يقدم على أهله ليلاً إلا لحاجة أو إذا كان قد أعلمهم بذلك، فقال: سآتي في الليلة الفلانية، الساعة الفلانية. فلا بأس.

أما الحديث الثاني: فهو إذا قدم الإنسان من السفر فليبدأ قبل كل شيء بالمسجد قبل أن يدخل على أهله، يبدأ بالمسجد ويصلي فيه ركعتين؛ لأن النبي ﷺ سنَّ ذلك لأمته في قوله وفعله، فكان ﷺ إذا قدم أول ما يبدأ به هو المسجد يصلي فيه ركعتين، ولما جاءه جابر رضي الله عنه ليأخذ ثمن جمله الذي باعه عليه قال له: «**أدخلت المسجد وصليت**» قال: لا، قال: «**ادخل المسجد وصلِّ ركعتين**»[1] وهذه السنة قد غفل عنها كثيرٌ من الناس، إما جهلاً بذلك وإما تهاونًا، ولكن ينبغي للإنسان أن يحيي هذه السنة، وإذا وصل إلى البلد فليكن أول ما يبدأ به أن يدخل إلى المسجد ويصلي ركعتين ثم بعد ذلك يذهب إلى أهله، والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الصلاة إذا قدم من سفر...، رقم (٣٠٧٨).

١٧٩ـ باب تحريم سفر المرأة وحدها

١/٩٨٩ ـ عَن أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لامرَأةٍ تُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرُ تُسَافِر مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَة إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا» متفقٌ عليه[١].

٢/٩٩٠ ـ وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمعَ النبيُّ ﷺ يَقُولَ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا ومَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلاَ تُسافر المَرْأَة إلاّ مَعَ ذِي مَحْرَم» فقال له رجل: يا رسول الله إنَّ امرَأتِي خَرجت حاجَّةً، وإنِّي اكْتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا؟ قال: «انْطَلِق فَحِجَّ مَعَ امرَأتِك» متفقٌ عليه[٢].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب تحريم سفر المرأة وحدها يعني: بلا محرم وذلك أن المرأة ناقصة العقل والدين، قريبة التصور، كل إنسان يخدعها، وكل

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب في كم يقصر الصلاة...، رقم (١٠٨٨)، ومسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره...، رقم (١٣٣٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجّة...، رقم (٣٠٠٦)، ومسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره...، رقم (١٣٤١).

إنسان يذل بها، وهي فتنة الرجال كما قال النبي ﷺ: «إنما كانت فتنة بني إسرائيل في النساء»[١] وقال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[٢] فلهذا تمنع المرأة من السفر بلا محرم، واختلف العلماء فيما إذا كان السفر قصيرًا هل تمنع منه أو لا؟ فمنهم من قال: إنها تمنع حتى من السفر القصير، ومنهم من قال: لا تمنع إلا من السفر الطويل، والصحيح أنها تمنع ما يسميه الناس سفرًا، فكل ما يطلق عليه اسم سفر فإنه لا يجوز للمرأة أن تسافر إلا مع ذي محرم، خوفًا عليها من الفتنة والشر والبلاء.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي هريرة، وحديث ابن عباس رضي الله عنهم فيما يدل على ذلك أنه يحرم أن تسافر المرأة بلا محرم، وظاهر الحديث أنه لا فرق بين المرأة الشابة والكبيرة، والحسناء والقبيحة، ومن معها نساء ومن لا نساء معها، ومن هي آمنة، ومن هي غير آمنة، فالحديث عام وإذا قدر أن يوجد في سفر من الأسفار السلامة يقينًا فإن ذلك لا يوجد في كل سفر، ولما كانت المسألة

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء...، رقم (٢٧٤٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يُتقى من شؤم المرأة...، رقم (٥٠٩٦)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء...، رقم (٢٧٤١).

خطيرة منعت المرأة منعًا باتًّا من السفر بلا محرم.

وقد تهاون بعض الناس اليوم في السفر بلا محرم ولا سيما في سفر الطائرة وكذلك النقل الجماعي وهذا خطأ وتهاون في طاعة الله ورسوله، فلا يحل للمرأة أن تسافر بلا محرم ولو في الطائرة حتى لو كان محرمها سيشيعها إلى أن تركب في الطائرة، ومحرمها الثاني يقابلها في البلد الآخر، فإن ذلك لا يجوز؛ لأننا مهما قدرنا من السلامة فإنه من يركب إلى جنب هذه المرأة؟ لأن النساء الآن في الطائرة لا يفرق بينهن وبين الرجال، تجد المرأة إلى جانب الرجل، لهذا نقول: إنه يحرم على المرأة أن تسافر بلا محرم في الطائرة أو في السيارة أو على الجمل أو على الحمار أو على الأرجل، كل ذلك حرام، والمحرم هو من تحرم عليه تحريمًا مؤبدًا بنسب أو مصاهرة أو رضاعة، وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]، هؤلاء سبع من النسب ثم قال: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟

بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. هذا من الرضاعة وكذلك العمة من الرضاعة والخالة من الرضاعة، كلهن محارم؛ لقول النبي ﷺ «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»(١).

أما المصاهرة فأب الزوج وجده من قِبل الأب أو الأم محرم للزوجة، وابن الزوج وابن بنت الزوج وإن نزل، كذلك أيضًا من محارم الزوجة فلو أن جدّ الزوج سافر بامرأة ابنه فإن ذلك لا بأس به؛ لأنه محرم، ولو أن ابن الزوج النازل سافر بزوجة أبيه فلا بأس؛ لأنها محرم لها، وأما ما يظنه بعض العوام من أن الإنسان إذا أنقذ امرأة من هلاك صار محرمًا لها فهذا ليس له أصل، يعني بعض الناس يقول: إذا غرقت امرأة ثم جاء إنسان وأنقذها أو شب حريق في البيت فجاء إنسان فأنقذها؛ فإنّ بعض العوام يدَّعي أنه يصير محرمًا لها وهذا ليس له أصل وغير صحيح، فالمحارم سبع بالنسب، وأربع بالمصاهرة، أما الزوج فمعلوم أنه محرم؛ لأنه زوج، والله الموفق.



---

(١) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهادات على الأنساب والرضاع...، رقم (٢٦٤٥).

كتاب الفضائل

١٨٠- باب فضل قراءة القرآن

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: كتاب الفضائل.

الفضائل: جمع فضيلة، ثم بدأ بفضائل كتاب الله عزَّ وجلَّ ـ فقال: باب فضل قراءة القرآن، والقرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تكلَّم به سبحانه وتعالى حقيقته كلامًا سمعه جبريل، ثم تلاه جبريل على النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤]. وقال: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾؛ لأن القلب هو محل الوعي والإدراك والفقه لتكون من المنذرين، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]. وكان النبي ﷺ من شدة حرصه على القرآن كان يبادر جبريل ـ وجبريل يقرأ عليه يلقنه ـ فيبادره القراءة، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾. يعني: اسكت حتى يقرأ جبريل ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨]. يعني: قرأه جبريل الذي هو رسول رب العالمين إلى محمد ﷺ

﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]. يعني: اقرأه بعده ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩]. يعني لا تقاطع جبريل في قراءته.

فهذا القرآن تكلَّم الله به ـ جَلَّ وعلا ـ هو يتكلم به سبحانه وتعالى ـ إذا أراد أن ينزله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]. وهذه الجملة جملة ماضوية، يعني: أنها فعل ماضٍ: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾. يدل على تقدم كلام هذه المرأة وعلى تأخر كلام الله تعالى في قصتها وشأنها، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٢١]. هذا في أحد، يقول: إذ غدوت من أهلك، إذًا فالغدو سابق على كلام الله تعالى هذا، والله جَلَّ وعلا يتكلم متى شاء بما شاء، كيف شاء.

ولا يحل لنا أن نقول: إن كلام الله تعالى ككلامنا يعني أن صوته في القرآن كأصواتنا، كلا؛ لكنه يتكلم بالحروف التي نتكلم بها، فهذا القرآن الذي بين أيدينا هو الحروف التي نكون منها كلامنا، وهو كلام الله عزَّ وجلَّ، المعنى واللفظ كله كلام الله، هذا هو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة أهل السنة: أن القرآن كلام الله وأنه منزل من عنده، وأن الله تكلم به حقيقة وأنه تلقاه عنه

جبريل، ثم نزل به على قلب النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، فهو أمين، أعني جبريل عليه الصلاة والسلام، نزل به على أمين البشر، جبريل أمين الملائكة، ومحمد ﷺ أمين البشر، وكلاهما أمين على وحي الله عزَّ وجلَّ.

هذا القرآن له فضائل عظيمة، فضائل عامة، وفضائل في آيات وسور خاصة، مثلاً الفاتحة هي السبع المثاني، وهي أم الكتاب، آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، وهلم جرًّا، فهناك آيات أو سور لها فضائل خاصة، أما القرآن عمومًا فله أيضًا فضائل عامة.

وهذا يوجب لنا أن نحرص غاية الحرص على تلاوة كتاب الله عزَّ وجلَّ - ليلاً ونهارًا -؛ لأن الإنسان إذا تلا كلام الله صار له بكل حرف عشر حسنات، الحرف الواحد من الكلمة له فيه عشر حسنات، فمثلاً «قل» هذه فيها عشرون حسنة؛ لأنها حرفان: القاف واللام. «أعوذ» هذه أربعة أحرف فيها أربعين حسنة، يعني ثواب عظيم لا يتصوره الإنسان إذا قرأ هذا الكتاب العزيز العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٢].

وينبغي للإنسان إذا قرأ القرآن أن يترسَّل فيه وألا يتعجَّل عجلة توجب سقوط بعض الحروف، فإن بعض الناس يهذّه هذًّا حتى

يسقط بعض الحروف، هذا ما تلاه كما أنزل، لابد من بيان الحروف، أما التجويد المصطلح عليه فليس بواجب، لكنه من كمال تحسين الصوت، فالواجب ألا تسقط حرفًا من الحروف ولا شَدَّة من الشدات، وأما قواعد التجويد المعروفة فهي من باب التحسين والتكميل وليست من باب الواجبات، ولهذا يضعف القول بأن التجويد واجب وأن من لم يجود القرآن آثم، فإن هذا قول ضعيف جدًّا، بل يُقال القرآن أَمْرُه ـ ولله الحمد ـ بيِّن واضح لا تسقط حرفًا من حروفه، وأما مُراعاة قواعد التجويد فليست بواجبة، لكنها من باب تحسين الصوت بالقرآن.

واعلم أن القرآن أول ما نزل نزل على سبعة أحرف، ليس على حرف واحد؛ لأن الناس عرب من قبائل متعددة ولهجات مختلفة، تعرفون أن الواحد إذا أراد أن يتكلم بلهجة غيره يصعب عليه ويشق عليه، فكان من رحمة الله عزَّ وجلَّ ـ أن جعل القرآن على سبعة أحرف، كل يقرأ بلهجته من العرب، بقي على هذا، في عهد النبي ﷺ كله، وفي عهد أبي بكر، وفي عهد عمر، وفي عهد عثمان صار الناس يقرؤون على لهجاتهم فصار في هذا اختلاف.

واللغة القرشية كانت قد غلبت على جميع اللهجات، بعد أن تطور اللسان وصارت الدولة كل خلفائها من قريش غلبت اللغة

القرشية، غلب حرف قريش على جميع اللغات، فلما خاف أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يختلف الناس في كلام الله وأن تؤدي هذه الأحرف السبعة إلى شقاق ونزاع، أمر رضي الله عنه أن يوحَّد القرآن على حرف واحد ـ ألا وهو حرف قريش ـ أي لغة قريش ـ فجمع القرآن على حرف واحد على لغة قريش وهو الذي نقرأ به الآن، ثم أمر بسائر المصاحف فأحرقت؛ فأحرقوها لئلا تبقى فيفتتن الناس بها، فكان في ذلك مصلحة عظيمة وفضيلة لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لا تنسى، فنسأل الله تعالى أن يجزيه عن المسلمين خيرًا.

وأحثّ نفسي وإياكم على تلاوة كتاب الله، لا تتركوا القرآن، ولو في الشهر مرة تقرأه كله، أو بالشهر مرتين، أو بالشهر أربع مرات، أو بالشهر عشر مرات، وهذا أدنى ما يكون من الكمال، أن تحفظه كل ثلاثة أيام، هذا أفضل ما يكون، وإن رأيت أو لم يتيسر لك إلا في الأسبوع مرة، أو في عشرة أيام مرة، أو في الأسبوعين مرة، أو في ثلاثة أسابيع مرة، أو في الشهر مرة، الحاصل ألا تهجر القرآن؛ لأنه كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا يزيدك إلا نورًا في القلب وبصيرة في العلم، والله الموفق.

* * *

١/٩٩١ ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «اقْرَؤوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأصْحَابِهِ» رواه مسلم[١].

٢/٩٩٢ ـ وَعَن النَّوَّاسِ بن سَمَعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ بالقُرآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنْيَا تَقدمُهُ سورَةُ البَقَرةِ وآل عِمرَانَ، تُحَاجَّانِ عن صاحِبِهِمَا» رواه مسلم[٢].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الباب «فضل قراءة القرآن»، ومنها عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن» فأمر ﷺ بقراءة القرآن وأطلق، فقراءة القرآن مستحبة في كلِّ وقت وعلى كلِّ حال إلا إذا كان الإنسان يقضي حاجته ـ فلا يقرأ القرآن؛ لأن القرآن محترم معظَّم فلا يقرأ في هذه الحال، وكذلك إذا كان الإنسان مع أهله حال جماعه فإنه لا يقرأ القرآن، لكنه يقول عند جماعه: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. . .، رقم (٨٠٤).
(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. . .، رقم (٨٠٥).
(٣) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع. . .، رقم (١٤١).

قال النبي ﷺ: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفعيًا لأصحابه» إذا كان يوم القيامة جعل الله عزَّ وجلَّ ثواب هذا القرآن شيئًا قائمًا بنفسه، شخصًا يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى ـ فإن القرآن إذا تلاه الإنسان محتسبًا فيه الأجر عند الله؛ فله بكل حرف عشر حسنات.

ومثله حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن من قرأ القرآن وعمل به، فإنه يأتي يوم القيامة يتقدمه سورة البقرة وآل عمران يحاجّان عن صاحبهما يوم القيامة، ولكن الرسول ﷺ قيّد في هذا الحديث قراءة القرآن بالعمل به؛ لأن الذين يقرؤون القرآن ينقسمون إلى قسمين: قسم لا يعملون بالقرآن؛ فلا يؤمنون بأخباره ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء يكون القرآن حجة عليهم، وقسم آخر يؤمنون بأخباره ويصدقون بها ويعملون بأحكامه.. فهؤلاء يكون القرآن حجة لهم يحاج عنهم يوم القيامة؛ لأن النبي ﷺ قال: «القرآن حجة لك أو عليك»[(١)]، وفي هذا دليلٌ على أن أهم شيء في القرآن: العمل به. ويؤيد هذا قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يتفهمون معانيها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

---

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء...، رقم (٢٢٣).

يعني: ويعملون بها، وإنما أخر العمل عن التدبر؛ لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر، إذ إن التدبر يحصل به العلم، والعمل فرع عن العلم، فالحاصل أن هذا هو الفائدة من إنزال القرآن: أن يتلى ويعمل به، يؤمن بأخباره ويعمل بأحكامه، ويمتثل أمره، ويجتنب نهيه، فإذا كان يوم القيامة فإنه يحاج عن أصحابه يوم القيامة، وفي هذا دليلٌ على أن الترتيب بين سورة البقرة وآل عمران والنساء هو على ما في المصحف الآن يعني البقرة ثم آل عمران ثم النساء.

وأما حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه صلَّى مع النبي ﷺ فقرأ بالبقرة ثم بالنساء ثم بآل عمران، فإن هذا نسخ بالترتيب الأخير حيث جعلت آل عمران قبل النساء، ولهذا اتفق الصحابة رضي الله عنهم على أن آل عمران بعد سورة البقرة، فهي بينها وبين سورة النساء، والله الموفق.

* * *

٣/٩٩٣ ـ وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُكُم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» رواه البخاري[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم مَن تعلَّم العلم وعلَّمه...، رقم (٥٠٢٧).

٤ / ٩٩٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الَّذِي يَقرَأ القرآن وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عليهِ شَاقٌّ لَهُ أجْرانِ» متفقٌ عليه[1].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله في كتابه رياض الصالحين في باب فضل قراءة القرآن: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» الخطاب للأمة عامة، فخير الناس من جمع بين هذين الوصفين: من تعلم القرآن وعلم القرآن، تعلمه من غيره وعلمه غيره، والتعلم والتعليم يشمل التعلم اللفظي والمعنوي، فمن حفظ القرآن يعني صار يعلم الناس التلاوة ويحفظهم إياه فهو داخل في التعليم، وكذلك من تعلم القرآن على هذا الوجه فهو داخل في التعلم، وبه نعرف فضيلة الحِلَق الموجودة الآن في كثيرٍ من البلاد ولله الحمد ـ في المساجد حِلَق يتعلم الصبيان فيها كلام الله عزَّ وجلَّ، فمن أسهم فيها بشيء فله أجر، ومن دخل أولاده فيها فله أجر، ومن تبرع وعلم فيها فله أجر، كلهم داخلون في قوله: «**خيركم من تعلم القرآن**»

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ . . .، رقم (٤٩٣٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه. . .، رقم (٧٩٨).

والنوع الثاني: التعليم المعنوي، يعني تعليم التفسير، أن الإنسان يجلس إلى الناس يعلمهم تفسير كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كيف يفسر القرآن، والقرآن كما نعلم متشابه، تجد أحيانًا أن بعض الآيات تتكرر بلفظها مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩]، هذه تكررت بلفظها في سورتين: في سورة التوبة وفي سورة التحريم، وكذلك كثيرٌ من الآيات يتكرر، فالقرآن متشابه، فإذا علم الإنسان غيره كيف يفسر القرآن وأعطاه القواعد في تفسير القرآن فهذا من تعليم القرآن. وليعلم أن القرآن الكريم ليس كغيره من الكتب من حيث التفسير، يعني أنه لا يجوز للإنسان أن يفسر القرآن بهواه ويحمل الآيات على ما يريده هو، كما يفعل أهل الإلحاد في آيات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من أهل التعطيل وغيرهم يحملون الآية على غير ما أراد الله، مثلاً يقول في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، يقول: وجاء أمر ربك هذا حرام. لا يجوز؛ لأن الذي يفسر القرآن إنما يشهد على الله أنه أراد كذا، وهذه عظيمة وليست هينة، لو كنت تفسر كلام عالم من العلماء لعد ذلك جناية إذا فسرته بما تريد أنت، فكيف بكلام رب العالمين! ولهذا جاء في الحديث: «من قال في

القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[١] فالواجب أن الإنسان يتحرز من أن يقول معنى الآية كذا وكذا وهو لا يدري ـ لكن إذا كان طالب علم وتكلم بمعنى الآية عند من هو أعلم منه على أساس أنه سيرشده إذا أخطأ فلا بأس، ومن ذلك ما يلقى في الاختبارات يلقى للطالب مثلاً: فسر الآية كذا وكذا، ويكون الطالب ليس عنده في تلك الساعة استحضار لمعناها فهل يفسرها بما عنده؟ نقول: نعم؛ لأن هذا يختبر وإذا أخطأ فعنده من ينبهه، لكن يتحرى الصواب، أما الإنسان الذي يفسر لا على هذا الوجه وهو ليس عنده علم ـ فإنه لا يجوز له أن يقدم على هذا؛ لأن كلام الله عزَّ وجلَّ ليس كغيره.

أما حديث عائشة رضي الله عنها ففيه أن النبي ﷺ أخبر أن «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» الماهر: الذي يجيد القرآن، يتقنه، هذا مع السفرة الكرام البررة وهؤلاء السفرة الكرام البررة هم الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]. فالماهر مع الملائكة، وأما الإنسان الذي يتتعتع في القرآن ويتهجاه وهو عليه شاق فله أجران، الأجر الأول أجر التلاوة، والثاني أجر التعب

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسِّر القرآن برأيه. . .، رقم (٢٩٥١).

والمشقة، ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة «أجرك على قدر نصبك»[1] يعني: على قدر التعب، فالذي يتتعتع في القرآن ويشق عليه له أجران: أجر التلاوة وأجر قراءة القرآن، لكن الأول أفضل منه؛ لأن الأول مرتبته عظيمة، وفرق بين إنسان له مرتبة عالية وإنسان دون ذلك ولكن له أجر، ونضرب مثلاً لهذا ـ والثواب ليس له نظير ـ لكن لو أن رجلاً له شرف وسيادة ومنزلة عالية في الناس لكن أمواله قليلة، وإنسان آخر وضيع بين الناس ليس له قيمة لكن عنده أمواله كثيرة، الأول أفضل.

فالحاصل أن الماهر بالقرآن المجيد فيه مع السفرة الكرام البررة، وأما الذي يتلو القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران، إذًا الذي يتلو القرآن ليس بخاسر مهما كان، إنه رابحٌ على كل حال؛ والله الموفق.

* * *

٥/٩٩٥ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤمنِ الَّذِي يَقْرأُ القرآن مثلُ الأُتْرجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعمُها طَيِّبٌ، ومثلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقرَأُ القُرآنَ كمثَلِ التَّمرَةِ: لا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج...، رقم (١٢١١).

ريحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذي يَقْرَأُ القرآنَ كَمَثَلِ الريحَانَةِ: ريحُها طَيِّبٌ وطَعْمَها مرٌّ، وَمثَلُ المُنَافِقِ الذي لا يَقْرأُ القرآن كمثلِ الحنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعَمُهَا مُرٌّ» متفقٌ عليه[١].

الشرح

هذا الحديث ساقه المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه: رياض الصالحين، في باب فضل قراءة القرآن في رياض الصالحين في بيان أقسام الناس بالنسبة للقرآن، أن النبي ﷺ ضرب أمثلة للمؤمن والمنافق، المؤمن إما أن يكون قارئًا للقرآن أو غير قارئ، فإن كان قارئًا للقرآن؛ فمثله كمثل الأترجة يعني الثمرة ـ ريحها طيب وطعمها طيب، فهذا المؤمن الذي يقرأ القرآن؛ لأن نفسه طيبة وقلبه طيب، وفيه خير لغيره، الجلسة معه خير، وكما قال النبي ﷺ: «**مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك إما أن يبيعك أو يحذيك أو تجد منه رائحة طيبة**»[٢] فالمؤمن الذي يقرأ القرآن كله خير في ذاته وفي غيره، فهو كالأترجة لها رائحة طيبة ذكية وطعمها طيب.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام...، رقم (٥٠٢٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن...، رقم (٧٩٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك...، رقم (٢١٠١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء...، رقم (٢٦٢٨).

أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فهو كمثل التمرة، والتمرة طعمها حلو ولكنها ليس لها رائحة ذكية كرائحة الأترجة، ونفى النبي ﷺ ريحها؛ لأنه ليس بريح طيب وإن كان كل شيء له رائحة، لكن ليست رائحتها ذكية تجذب الناس لكنها حلوة طيبة، هذا المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، إذًا فالمؤمن القارئ أفضل بكثير من المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، يعني: لا يعرفه ولم يتعلمه. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها رائحة طيبة لكن طعمها مرٌّ؛ لأن المنافق في ذاته خبيث لا خير فيه، والمنافق هو الذي يظهر أنه مسلم ولكن قلبه كافر والعياذ بالله ـ وهو الذي قال الله فيه:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠]. فهناك منافقون يقرؤون القرآن قراءة طيبة مرتلة مجودة لكنهم منافقون والعياذ بالله ـ كما قال النبي ﷺ في الخوارج: «يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم»(١) هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ...﴾...، رقم (٣٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج...، رقم (١٠٦٣).

ضرب النبي ﷺ لهم مثلاً بالريحانة ريحها طيب وذلك لما معهم من القرآن، وطعمها مُرّ وذلك لخبث طريتهم وفساد نيتهم، والمنافق الذي لا يقرأ القرآن ضرب النبي ﷺ له مثلاً بالحنظلة طعمها مُرّ وليس لها ريح، هذا المنافق الذي لا يقرأ القرآن لا خير فيه، طعمه مر وليس معه قرآن ينتفع الناس به؛ هذه أقسام الناس بالنسبة لكتاب الله عزَّ وجلَّ ـ فاحرص يا أخي المسلم على أن تكون من المؤمنين الذين يقرؤون القرآن ويتلونه حق تلاوته حتى تكون كمثل الأترجة رائحة طيبة وطعم طيب، والله الموفق.

* * *

٦/٩٩٦ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرفَعُ بِهَذَا الكِتَاب أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» رواه مسلم(١).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل قراءة القرآن فيما نقله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من. . .، رقم (٨١٧).

ويضع به آخرين» يعني معناه: أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرؤونه، فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة، ومنهم من يضعه الله به في الدنيا والآخرة، فمَنْ هذا؟ ومَنْ هذا؟ من عمل بهذا القرآن تصديقًا بأخباره وتنفيذًا لأوامره واجتنابًا لنواهيه، واهتداءً بهديه، وتخلقًا بما جاء فيه من الأخلاق وكلها أخلاق فاضلة ـ فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا وفي الآخرة، وذلك لأن هذا القرآن هو أصل العلم ومنبع العلم وكل العلم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

أما في الآخرة فيرفع الله به أقوامًا في جنات النعيم، يرفع فيها درجاتهم ويُقال للقارئ: «اقرأ ورتل واصعد»[١] إلى منتهى قراءته صعودًا في الجنة إن شاء الله ـ وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله ـ لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عنه عملاً ويجحدونه خبرًا، إذا جاءهم شيء من القرآن قصص عن الأنبياء السابقين أو غيرهم أو عن اليوم الآخر أو ما أشبه ذلك صاروا ـ والعياذ بالله ـ يشككون في

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٩٢)، وأبوداود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة...، رقم (١٤٦٤)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من أجر...، رقم (٢٩١٤).

ذلك ولا يؤمنون؛ بل ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]. مرتابون ـ والعياذ بالله ـ وربما تصل بهم الحال إلى الجحد مع أنهم يقرؤوا القرآن، وفي الأحكام يستكبرون عن أحكامه، لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون عن نهيه، هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ يضعهم الله في الدنيا وفي الآخرة، ولابد أن يكون أمرهم خسارًا، حتى لو فرض أن الدنيا تزدان لهم وتتزخرف فإن مآلهم إلى الخسار والعياذ بالله ـ ولكن ربما يمهل لهم ويملي لهم وتنفتح عليهم الدنيا، ولكنهم كلما انفتح عليهم شيء من زهرة الدنيا فإنهم لا يزدادون به إلا خسارًا والعياذ بالله ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠]. يعني: ربما يملي الله سبحانه وتعالى ـ للكافر الجاحد المستكبر وتزدان له الدنيا، لكنه لا يزيده ذلك إلا إثمًا وخسارًا في الآخرة والعياذ بالله ـ فالحذر الحذر أن تكون من القسم الثاني الذين يضعهم الله تعالى بهذا القرآن، كن من القسم الأول الذين يرفعهم الله تعالى بالقرآن جعلنا الله وإياكم منهم.

* * *

٩٩٧/٧ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله القُرآنَ؛ فهوَ يقومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ وآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً؛ فَهُوَ يُنْفِقهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النهارِ» متفقٌ عليه[١].

«والآناءُ» السَّاعَاتُ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل القرآن في كتابه رياض الصالحين فيما نقله عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين» الحسد قال العلماء إن معناه هنا هو الغبطة، يعني لا شيء فيه غبطة إلا في هاتين الاثنتين، وذلك لأن الناس يغبط بعضهم بعضًا في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، فتجد مثلاً ـ بعض الناس يغبط هذا الرجل حين أعطاه الله المال والأولاد والأهل والقصور والسيارات، وما أشبه ذلك، يقول: هذا هو المغتبط وما أشبه ذلك، يحسد ـ أي: يغبط ـ بعض الناس على ما آتاه الله من الصحة وسلامة البنية وغير ذلك، يغبطه على أنه له شرف وجاه في قومه، إن قال سمع، وإن عمل اتبع فيقول هذا هو الذي

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن. . .، رقم (٥٠٢٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه. . .، رقم (٨١٥).

يغبط، لكن النبي ﷺ بين أن الذي يغبط من حصل على إحدى هاتين المسألتين:

الأولى: رجل آتاه الله تعالى القرآن ـ فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، آتاه الله القرآن حفظ القرآن وفهم القرآن وعمل بالقرآن آناء الليل والنهار يقوم به، يفكر ماذا قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن الصلاة، فيقول: إن الله قال: «أقيموا الصلاة» فيقيمها، ماذا قال عن الزكاة، قال إن الله يقول: «آتوا الزكاة» فيؤتيها، ماذا قال الله عن الوالدين، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. ماذا قال عن صلة الأرحام: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]. فيصل رحمه، ماذا قال عن الجيران، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ [النساء: ٣٦]. إلى آخره، فتجده يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار. هذه هي الغبطة، وهي الغنيمة، وهي الحظ؛ لأن هذا يبقى.

والثانية: «رجل آتاه الله المال» يعني: أعطاه الغنى «فهو ينفق المال آناء الليل وآناء النهار» ينفقه يعني: في سبيل الله، فيما يرضي الله عزَّ وجلَّ ـ أي شيء يرضي الله ينفق ماله فيه في بناء المساجد، في الصدقات على الفقراء، إعانة المجاهدين، في إعانة الملهوفين، وغير ذلك، الحاصل أنه لا يجد شيئًا يقرب إلى الله إلا بذل ماله فيه

ليلاً ونهارًا، ليس ممسكًا وليس مبذرًا، ليس ممسكًا فيبخل، ولا مبذرًا فيغلو ويزيد؛ بل هو ينفقه لله وبالله وفي الله مخلصًا لله مستعينًا به متمشيًا على شرعه، هذا هو الذي يغبط، أما الذي عنده شيء من الدنيا يتمتع بها كما تتمتع البهيمة بالعلف ثم يذهب عنها، هذا ليس محسودًا ولا يحسد على ذلك؛ لأن هذا المال تالف أو متلوف عنه، لكن الذي ينفق ماله في سبيل الله هذا هو الذي يغبط، وفي هذا دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار، دائمًا يجعل أعماله كلها مبنية على القرآن، يتمشى بهدي القرآن، وأنه ينبغي لمن آتاه الله المال أن يؤدي حقه ويقوم بواجبه وينفقه حيث كان إنفاقه خيرًا، والله الموفق.



٨/٩٩٨ ـ وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَجلٌ يَقْرَأُ سورَة الكهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَربُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّته سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُه يَنْفِر مِنْهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «تِلكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ للقُرآن» متفقٌ عليه[1].

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف...، رقم (٥٠١١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، نزول السكينة لقراءة القرآن...، رقم (٧٩٥).

«الشَّطَنُ» بفتحِ المعجمة والطاءِ المهملة: الحبلُ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل قراءة القرآن ما يدل على فضل قراءة القرآن من الأحاديث السابقة واللاحقة، فمن ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رجلاً كان يقرأ في سورة الكهف، وسورة الكهف هي السورة التي بين سورتي الإسراء ومريم، ومن فضائلها أن الإنسان إذا قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين، وفيها قصص وعِبر قصَّها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على رسوله ﷺ. وكان هذا الرجل يقرأ القرآن فغشيه ـ يعني غطاه ـ شيء مثل الظلة كأنه غمامة، كلما قرأ نزل، كلما قرأ نزل من فوق، وجعل الفرس وهو مربوط بشطنين تميل، تنفر من هذا الذي رأته، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «**تلك السكينة نزلت لقراءة القرآن**»؛ لأن السكينة تنزل عند قراءة القرآن إذا قرأه الإنسان بتمهل وتدبر فإن السكينة تنزل حتى تصل إلى قلب القارئ فينزل الله السكينة في قلبه.

وهذه القصة من كرامات الأولياء، فالأولياء لهم كرامات، لكن ليس لكل ولي كرامة، وإنما يؤتي الله سبحانه وتعالى بعض الأولياء الكرامة تثبيتًا له وتصديقًا لما كان عليه من الحق، وهي ـ يعني

الكرامات ـ أمور خارقة للعادة ـ يعني لا تأتي على وفق العادة ـ يجريها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على يدي بعض أوليائه تكريمًا له وتثبيتًا له وتصديقًا لما هو عليه من الحق، وهي في نفس الوقت معجزة للرسول الذي يتبعه هذا الولي، وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ أن الخوارق ثلاثة أقسام:

قسم آيات للأنبياء، وقسم كرامات للأولياء، وقسم إهانات من الشياطين يجريها الله على خلاف العادة على أيدي الشياطين ـ والعياذ بالله ـ وعلامة ذلك أن الذي تحصل له هذه الخوارق إما أن يكون نبيًّا أو وليًّا للرحمن أو وليًّا للشيطان، ومن المعلوم أنه بعد وفاة رسولنا محمد ﷺ لا يمكن أن تكون كرامة معجزة أبدًا؛ لأن النبوة انقطعت، وذاك رسول الله وخاتم النبيين، بقيت الكرامات وبقيت الأحوال الشيطانية والشعوذات والسحر وما أشبه ذلك، الكرامات علامتها أن يجريها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على يد رجل صالح من أولياء الله، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. فإذا جرى شيء خارق للعادة على يد رجل صالح مؤمن تقي معروف بالخير قيل هذه كرامة.

والقسم الثالث السحر والأحوال الشيطانية تجري على طواغيت

وأولياء الشياطين الذين يدعون أنهم أولياء، ويلعبون بعقول السفهاء وعقول العامة، تجد الإنسان يكبر عمامته ويوسع كمه ويطيل لحيته ويعفر جبهته على الأرض ليظهر عليه أثر السجود وما أشبه ذلك من اللعب بعقول الناس، ثم يستخدم الشياطين لأغراضه الخاصة فتخدمه فتقرب له البعيد، وربما تحمله في الهواء ويطير في الجو، حتى قيل إن بعضهم شوهد في بيته في أول يوم عرفة ثم حملته الشياطين حتى أدرك الناس في عرفة. فهؤلاء الشياطين يلعبون بعقول الناس.

وإن كانوا يفعلون هذا الشيء فإنه لا كرامة لهم، والكرامات والإهانات ألَّف فيها العلماء كثيرًا، ومن أحسن ما ألّف كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ذكر فيه أشياء كثيرة من كرامات الأولياء وأشياء أخرى من إهانات الأعداء، يذكر أن (مسيلمة الكذاب) الذي خرج في اليمامة في عارض الرياض وادَّعى أنه نبي، أنه جاءه قوم فقالوا له: إن عندنا بئرًا غار ماؤها ولم يبق منه إلا قليل، وطلبوا منه أن يأتي إليها، لأجل أن يبرك عليها كما كان الرسول ﷺ إذا شكوا إليه قلة الماء يسر الله على يديه ﷺ أن ينبع الماء من بين أصابعه فجاءوا إلى (مسيلمة الكذاب) وقالوا إن البئر غار ماؤها ولم يبق فيه إلا قليل

فذهب إلى البئر يقولون: إنه مج فيها مجة من الماء في هذا البئر ولما مج فيها الماء غار الماء الموجود فيها، وكانوا يتوقعون أن الماء يجيش ويكثر ويرتفع فأراهم الله عزَّ وجلَّ ـ آية لتكذيب هذا الرجل، هذا لا شك ـ أنه أمر خارق للعادة، يعني ليس من العادة أن الإنسان يمج الماء في بئر ليس فيها إلا ماء قليل ثم يغار، هذا خلاف العادة؛ لكنَّ الله أجرى ذلك إهانة له، فعلى كل حال إذا رأيت من شخص ما يكون خارقًا للعادة فإن كان مؤمنًا تقيًّا يعرف بالصلاح والاستقامة فهذه من كرامات الأولياء، وإن لم يكن ذلك فهي أحوال شيطانية من الشياطين، أو سحر يسحر أعين الناس؛ لأن السحر قد يسحر الأعين حتى ترى المتحرك ساكنًا والساكن متحركًا، فهاهم سحرة فرعون ألقوا حبالاً عادية وعصيًّا ألقوها في الأرض ثم سحروا أعين الناس حتى جعل الوادي كله حيات وثعابين، حتى أوجس موسى ﷺ في نفسه خيفة، فأمره الله تعالى أن يلقي عصاه ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ٣٢]، حية عظيمة فجعلت تمشي على هذه الحبال والعصي تلقفها فعرفوا أنه صادق؛ لأنه التهم كل سحر، ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٥].

فالحاصل أن هذه الظلة التي حصلت لهذا القارئ الذي كان يقرأ سورة الكهف هذه كرامة له، وهي شهادة من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بالفعل

على أن هذا القرآن حق تنزل السكينة لقراءته وتلاوته. نسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم به، وأن يجعله حجة لنا وقائدًا لنا إلى جنات النعيم.

* * *

٩/٩٩٩ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لا أَقُولُ: ألم حَرفٌ، وَلَكِنْ: أَلفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وميمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[١].

١٠/١٠٠٠ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الْخَرِبِ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[٢].

الشرح

هذان الحديثان في بيان فضل قراءة القرآن وثوابه، والحديث الأول عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من

---

(١) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر...، رقم (٢٩١٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/٢٢٣)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر...، رقم (٢٩١٣).

قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها» ثم بيَّن ذلك في قوله: «لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» فتكون ثلاثة فيها ثلاثون حسنة. وكذلك بقية الكلمات، فإذا قرأ الإنسان القرآن العظيم، ففي كل حرف من كل كلمة عشر حسنات وهذه نعمة عظيمة وأجرٌ كثيرٌ، فينبغي للإنسان أن يكثر ما استطاع من تلاوة كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وليس بلازم أن تكون قد حفظت القرآن كله، اقرأ ما تيسر، حتى لو فرض أنك لم تحفظ إلا سورة الفاتحة وجزء عم وتبارك وما أشبه ذلك، كل القرآن خير حتى إن الرسول ﷺ أخبر بأن من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. فكأنما قرأ ثلث القرآن.

كذلك أيضًا الحديث الذي بعده بيَّن الرسول ﷺ أن الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب، يعني أن القرآن يعمر القلب ويجعله مستنيرًا بالعلم وبنور الكتاب العزيز، وإذا فقد القرآن من قلب العبد فإنه يكون كالبيت الخرب ـ والعياذ بالله ـ ليس فيه خير، وهذا أيضًا فيه التحذير من عدم قراءة القرآن، والحرص عليه نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يتلونه حق تلاوته.

*　*　*

١٨١ـ باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

١/١٠٠١ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآن فوَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبلِ في عُقُلِهَا» متفقٌ عليه(١).

٢/١٠٠٢ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبلِ المُعَقَّلَةِ: إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا، ذَهَبَتْ» متفقٌ عليه(٢).

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في باب الأمر بتعاهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان، يعني أن كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا منَّ الله عليك فحفظته فتعاهده، وذلك لأنه ـ أي القرآن الكريم ـ كما شبهه النبي ﷺ كالإبل في عقلها يعني كالإبل المعقولة إذا تعهدها الإنسان أمسكها، وإن أطلقها ذهبت

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده...، رقم (٥٠٣٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية...، رقم (٧٩١).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده...، رقم (٥٠٣١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية...، رقم (٧٨٩).

وضاعت، وقد أقسم على ذلك النبي ﷺ حين قال كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**» فينبغي لك أن تجعل لك حزبًا معينًا تتعاهده كل يوم ـ مثلاً ـ تقول: كل يوم أقرأ جزءًا فتحفظ القرآن في شهر، أو جزأين فتحفظه في خمسة عشر يومًا، أو ثلاثة أجزاء فتحفظه في عشرة أيام إلى سبعة أيام إلى ثلاثة أيام، تعاهد هذا حتى لا تنساه، وقد وردت أحاديث في التحذير من نسيانه لمن أهمله، أما من نسيه بمقتضى الطبيعية فإن ذلك لا يضره، لكن من أهمل وتغافل عنه ـ بعد أن أنعم الله عليه بحفظه ـ فإنه يخشى عليه من العقوبة فأنت ـ يا أخي ـ إذا منَّ الله عليك بالقرآن فتعاهده بالقراءة بتلاوته بتكرار التلاوة وكذلك أيضًا بالعلم به؛ لأن العمل بالشيء يؤدي إلى حفظه وبقائه، ولهذا قال بعض العلماء: قيد العلم بالعمل به، فإن العمل بالعلم يقتضي بقاءه؛ لأنه لا يزال على قلبك وعلى جوارحك، فإذا صار هكذا فإنه يبقى ولا ينسى، أما إذا أهمل فإنه يضيع وينبغي لمن قرأ القرآن أن يقرأه بتدبر وتمهل، ولا يحل له أن يسرع السرعة التي توجب إسقاط بعض الحروف؛ لأنه إذا أسقط بعض الحروف فقد غير كلام الله عن موضعه، وحرفه أما العجلة التي لا تستوجب سقوط الحروف فإنه لا بأس بها، والله الموفق.

١٨٢- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

١/١٠٠٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ» متفقٌ عليه[١].

مَعَنَى «أَذِنَ اللهُ» أي اسْتَمَعَ، وَهُوَ إشَارَةٌ إلى الرِّضَا وَالقَبُولِ.

٢/١٠٠٤ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهُ ﷺ قَالَ له: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُد» متفقٌ عليه[٢].

وفي رواية لمسلم: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لَهُ: «لَوْ رَأيْتَني وأَنَا أَسْتَمِعُ لِقَرَاءَتِكَ البارِحَةَ»[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر...»، رقم (٧٥٤٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن...، رقم (٧٩٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، رقم (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن...، رقم (٧٩٣)

(٣) ؟؟؟

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في آداب القراءة: باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها، هاتان مسألتان:

المسألة الأولى: استحباب تحسين الصوت في قراءة القرآن، وتحسين الصوت في قراءة القرآن ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: تحسين الأداء بحيث يبيّن الحروف ويخرجها من مخارجها حتى يبدو القرآن واضحًا بينًا، فلا يدغم ولا يحذف شيئًا من الحروف؛ لئلا ينقص شيء مما أنزل الله على رسوله ﷺ.

والثاني: تحسين الصوت يعني النغمة نغمة الصوت يحسن صوته بذلك، وكلاهما أمر مطلوب، ولكن الأمر الأول الذي هو تحسين الأداء، لا ينبغي المبالغة فيه والغلو فيه بحيث تجد الرجل يقرأ القرآن يتكلف ويحمر وجهه، ويتكلف في الغنة وفي الإدغام وفيما أشبه ذلك، فإن هذا من إقامة الحروف المتكلفة، ولكن لتكن قراءته طبيعية ويبين فيها الحروف والحركات هذا هو المطلوب، وأما الغلو والمبالغة فإن هذه ليست بمطلوبة، وبه نعلم أن تعلم التجويد ليس بواجب؛ لأنه يعود إلى تحسين الصوت بدون غلو ولا مبالغة، فهو من الأمور المستحبة التي يتوصل بها الإنسان إلى شيء

مستحب لا إلى شيء واجب.

وأما القسم الثاني: وهو تحسين الصوت فهذا قد يقول قائل: حسن الصوت ليس باختيار الإنسان؛ لأن الله تعالى هو الذي يمنُّ على من يشاء من عباده فيعطيه حنجرة واسعة وصوتًا طيبًا، فيقال: نعم، الأمر كذلك، ولكن يحسن الإنسان الصوت بالتعلم؛ لأن حسن الصوت غريزي ومكتسب، فلا يزال يقرأ بصوت حسن حتى يتعلم ويؤدي بصوت حسن، ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» «أذن» قال العلماء معناه: استمع، يعني ما استمع الله لشيء من الأشياء التي يسمعها ـ جلَّ وعلا ـ مثل استماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به.

يعني: نبي ـ والأنبياء هم أفضل طبقات الخلق ـ «يتغنى بالقرآن» يعني: يقرؤه بصوت حسن «يجهر به» يعني: يرفع صوته به، فهذا هو الذي يأذن الله له ـ أي: يستمع له جلَّ وعلا، فهو جلَّ وعلا يستمع؛ لأنه يحب الصوت الحسن بالقرآن والأداء الحسن، ثم ذكر حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو عبد الله بن قيس أحد خطباء النبي ﷺ أن النبي ﷺ استمع إلى قراءته ذات ليلة فأعجبته، فقال النبي ﷺ لأبي موسى «لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»

وآل داود يعني بذلك داود عليه الصلاة والسلام. داود عنده صوت حسن جميل رفيع حتى قال الله تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

فكانت الجبال ترجع مع داود وهو يتلو الزبور لحسن صوته، تجاوبه جبال وهي أحجار جامدة، وكذلك الطير تؤوب معه - سبحان الله - تأتي فإذا سمعت قراءته تجمعت في جو السماء وجعلت ترجع معه ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ يعني رجّعي معه ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] يعني كذلك أمرنا الطير بذلك، فكانت الجبال والطيور إذا استمعت إلى قراءة داود الزبورَ قامت ترجع معه، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي موسى: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**» يعني صوتًا حسنًا كصوت آل داود، يقول أبو موسى لما قال له الرسول: «**لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة**».

قال: لو علمت أنك تستمع - أو قال تسمع - لحبرته لك تحبيرًا يعني: كان يزينه أحسن مما سمعت، قال العلماء: وفي هذا دليلٌ على أن الإنسان لو حسن صوته بالقرآن لأجل أن يتلذذ السامع ويسر به فإن ذلك لا بأس به ولا يعد من الرياء يعني لا يُقال هذا الرجل حسن صوته حتى يتلذذ الناس بقراءته يكون رياءً، بل هذا مما يدعو إلى الاستماع لكلام الله - عزَّ وجلَّ - حتى يسر الناس به، ولهذا يوجد

بعض الناس إذا ضاق صدره استمع إلى قراءة إنسان حسن القراءة، حسن الصوت، وهذه متوفرة الآن في أشرطة لبعض القراء الذين لا يتكلفون القراءة، وأصواتهم حسنة وأداؤهم حسن، إذا استمع الإنسان إليهم لا يكاد يمل؛ لأن كلام الله له تأثير إذا جاء من إنسان حسن الصوت وحسن الأداء لا يمل فيستفاد من هذين الحديثين أنه ينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن على أكمل ما يمكنه أن يقرأه عليه من حسن الصوت وحسن الأداء، ونسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يقيم حروفه وحدوده حتى يكون حجة لنا لا علينا، والله الموفق.



٣/١٠٠٥ ـ وعَنِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرَأَ في العِشَاءِ بِالتِّينِ والزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوتًا مِنْهُ. متفقٌ عليه[(١)].

٤/١٠٠٦ـ وعنْ أَبي لُبَابَةَ بَشِير بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا» رواه أبوداود بإسناد

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء...، رقم (٧٦٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء...، رقم (٤٦٤).

جيد[١].

ومعنى: «يَتَغَنَّى» يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ.

١٠٠٧/٥ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. قال: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفتُّ إِلَيْهِ، فَإِذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان. متفقٌ عليه[٢].

الشرح

هذه الأحاديث في بيان استحباب تحسين الصوت والقراءة بالقرآن الكريم فحديث البراء ابن عازب رضي الله عنه أنه صلَّى مع النبي ﷺ صلاة العشاء فقرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]، قال: فما سمعت قراءة أحسن من قراءته، أو قال: صوتًا أحسن من صوته، وكلاهما صحيح؛ فالنبي ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن وهو أول وأولى من يدخل في قوله فيما سبق في الحديث: «ما أذن الله لشيء

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة...، رقم (١٤٦٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك...، رقم (٥٠٥٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه...، رقم (٨٠٠).

إذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[١] فرسول الله ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وأحسن الناس أداءً في القراءة؛ لأن القرآن عليه أنزل، والقرآن هو خُلقُه ﷺ.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن صلاة العشاء لا بأس أن يقرأ فيها بقصار المفصل؛ لأن التين من قصار المفصل ولكن الأكثر أن يقرأ فيها من أوساطه؛ لأن النبي ﷺ أمر معاذ بن جبل أن يقرأ فيها بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، «هل أتاك حديث الغاشية»، «والليل إذا يغشى»، «والشمس وضحاها»[٢] وما أشبه ذلك؛ لكن لا حرج أن يقرأ بقصار المفصل (كالتين، وإذا زلزلت وما أشبه ذلك، وكذلك أيضًا حثّ النبي ﷺ على التغني بالقرآن فقال: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» قال العلماء: وهذه الكلمة لها معنيان:

المعنى الأول: «من لم يتغن به» أي: من لم يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدى في سواه فليس منا، وهذا لا شك ـ أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله الله والعياذ بالله.

والمعنى الثاني: «من لم يتغن» أي من لم يحسن صوته بالقرآن

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب مَن شكا إمامه إذا طوَّل...، رقم (٧٠٥)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء...، رقم (٤٦٥).

فليس منا، فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن وأن يستغني به عن غيره.

وأما الحديث الثالث: فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ طلب منه أن يقرأ عليه فقال عبد الله بن مسعود: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال ﷺ: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»؛ لأن الإنسان الذي يستمع قد يكون أقرب إلى تدبر القرآن من القارئ، فالقارئ تجده مركزًا على ألا يخطئ في القراءة، والمستمع يتدبر ويتأمل ولهذا قيل «القارئ حالب والمستمع شارب» يعني القارئ يحلب الناقة أو الشاة، والمستمع شارب هو الذي يستفيد.

والمهم أن النبي ﷺ طلب من عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأ بسورة النساء حتى إذا جاء إلى قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، يعني: كيف تكون الحال؟ فقال ﷺ: «**حسبك الآن**» يقول: فالتفت فإذا عيناه تذرفان يبكي ﷺ أن يؤتى به يوم القيامة شهيدًا على أمته؛ لأنه يؤتى يوم القيامة من كل أمة بشهيد، الأنبياء شهداء، العلماء شهداء، لأن العلماء واسطة بين الرسل وبين الخلق، هم الذين يحملون شريعة الرسل إلى الخلق، فهم شهداء،

فالعالم يشهد بأمرين:

أمر أعلى، وأمر أسفل، الأمر الأعلى: يشهد بأن هذا حكم الله، والأمر الأسفل: يشهد بأنه قد بلغ الناس؛ لأن العالم يبلغ فمثلاً يقرأ آية يقرأ حديثاً، ويقول للناس معناها كذا وكذا اعملوا بها، فيشهد عليهم، فهو شاهد من طرفين: طرف أعلى وطرف أسفل:

الطرف الأعلى: أنه يشهد بأن هذا حكم الله بلغه إلى العباد.

والطرف الأسفل: أنه يشهد أنه بلغ الناس إياه، فقامت عليهم الحجة.

فيوم القيامة يؤتى من كل أمة بشهيد، أول من يشهد الرسل: نشهد أننا بلغنا رسالة ربنا إلى خلقه، ويؤتى من هذه الأمة بـ «محمد» ﷺ يستشهده الله فيشهد أنه بلغ مع أن النبي ﷺ استشهد ربه في أكبر مجمع للمسلمين في ذلك الوقت في يوم عرفة، لما خطب الناس الخطبة الطويلة البليغة العظيمة قال: «**ألا هل بلغت**»، قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد**»[1].

قال: «**ألا هل بلغت؟**» قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد**»، قال:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى...، رقم (١٧٤١)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديَّات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال...، رقم (١٦٧٩).

«ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد».

لما وصل هذه الآية بكى ﷺ لأنه تصور هذه الحال، تخيلها، حالاً عظيمة، كل أمة جاثية، وكل أمة تدعى إلى كتابها، كل أمة تأتي على الركب من شدة الهول وعظمته، كل أمة تدعى إلى كتابها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]. ولهذا قال في الآية الكريمة التي وقف عليها عبد الله بن مسعود: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. يعني: يودون أنهم ما بعثوا ولا خلقوا ولا قبضوا ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١ - ٤٢]. يودون أنهم بقوا في الأرض، أو أن يكونوا ترابًا، ولكن لا ينفعهم، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

فالحاصل أنه يجوز للإنسان أن يطلب من شخص قارئ يقرأ عليه ولو كان هذا القارئ أقل منه علمًا؛ لأن بعض الناس يعطيه الله تعالى حسن الصوت وحسن أداء وإن كان قليل العلم؛ فلا بأس أن تقول: يا فلان جزاك الله خيرًا - اقرأ علي، إما أن تُعَيِّن له ما يقرأ، وإما أن تدع الأمر إليه، فتستمع، وفي هذا الحديث بركة القرآن أنه ينتفع به القارئ والمستمع، ولا شك أن القرآن أعظم الكتب بركة، وأفيدها،

وأصلحها للقلب، وأرضاها للرب نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين يعملون به ظاهرًا وباطنًا، يموتون عليه ويحيون عليه.

والإنسان إذا كان محتاجًا للحديث فلا يفتح المذياع على القرآن ولا المسجل أما إذا كان فارغًا ويستمع فهذا طيب.

فإذا كان الإنسان يتحدث أو في شغل عن القرآن؛ فلا تفتحه؛ لأن القرآن أعظم من أن يتحدث الناس ويهجروه، فإما أن تتكلم مع الناس، أو تستمع إلى القرآن، أو تغلق المذياع، فالأمر واسع والحمد لله.



١٨٣ـ باب الحث على سور وآيات مخصوصة

١/١٠٠٨ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بْنِ المُعَلَّى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورة فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّك أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرآنِ؟ قال: «الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالْقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتيتُهُ» رواه البخاري[(١)].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الحث على سور وآيات مخصوصة، وفيما سبق ذكر الحث على القرآن عمومًا، أما هذا الباب ففيه ذكر آيات وسور معينة لها فضل خاص، فمن ذلك سورة الفاتحة فهي أعظم سورة في كتاب الله، ولهذا تسمَّى أمَّ القرآن، والأم: هو الذي يرجع إليه الشيء فسورة الفاتحة ترجع إليها معاني القرآن كلها، ومعاني القرآن كلها لذلك أوجب الله قراءتها في كل ركعة من الصلوات فقال النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن أو بفاتحة الكتاب»[(٢)] وهذه السورة لها

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ...﴾، رقم (٤٧٠٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات...، =

خصائص منها:

أن الإنسان إذا قرأها على مريض فإنه يشفي بإذن الله، لكن بشرط أن يقرأها بإيمان مؤمن ـ يعني يقرؤها وهو مؤمن ـ بأنها رقية نافعة.

والشرط الثاني: أن يقرأها على مريض مؤمن أيضًا مصدق بأنها رقية ونافعة، ويدلّ على هذا أن النبي ﷺ بعث سرية، فنزلوا على قوم فاستضافوهم ولكن القوم لم يضيفوهم فسلط الله على سيدهم ـ أي سيد القوم ـ أن لدغته عقرب، وتأذى منها أذًى شديدًا، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا إلى هؤلاء الرهط لعل فيهم قارئًا يقرأ، فجاؤوا إلى السرية، وقالوا لهم: إن سيدهم لدغته عقرب فهل منكم أحد يقرأ؟ قالوا: نعم، لكن لا نقرأ عليكم إلا إذا أعطيتمونا مكافأة غنمًا فقالوا: نعطيكم، فتقدم أحد القوم من الصحابة، فجعل يقرأ على هذا الرجل سورة الفاتحة ـ وهو أشد ما يكون من الألم من لدغ العقرب فقرأ عليه، فقام الرجل اللديغ كأنما نشط من عقال، يعني: كأنه بعير فكَّ عقاله، ليس فيه بأس، فأعطوهم الغنم، ثم قال بعضهم لبعض: نخشى أن تكون الغنم حرامًا، لا نأكل منها حتى

= رقم (٧٥٦)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه...، رقم (٣٩٤).

نصل إلى النبي ﷺ، فلما وصلوا المدينة وأخبروا النبي ﷺ قال لهم: «خذوها واضربوا لي بسهم»[(١)] يعني اجعلوا لي سهمًا منها، وإنما قال ذلك تطييبًا لقلوبهم، وإلا فهو ﷺ في غنًى عن هذا وبيانًا لحل هذا الشيء، ثم قال للذي قرأها: وما يدريك أنها رقية، فإذا قرأ الإنسان على مريض مؤمنًا بأنها رقية ـ والمريض مؤمن كذلك بأنها نافعة بإذن الله فإن الله تعالى ينفع بها نفعًا عجيبًا، هذا من فضائل سورة الفاتحة، وهي أعظم سورة في كتاب الله كما في هذا الحديث، والله الموفق.

* * *

٢/١٠٠٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ في قراءة: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ».

وفي رواية: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لأصحابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرأَ بِثُلُثِ القُرآنِ في لَيْلَةٍ» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ: فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ثلث القرآن» رواه

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب...، رقم (٥٧٣٦)، ومسلم، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار...، رقم (٢٢٠١).

البخاري[١].

٣/ ١٠١٠ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إلى رسول الله ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتقَالُّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ» رواه البخاري[٢].

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله من الأحاديث في باب الحث على سور معينة من كتاب الله في فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١، ٤]، وهذه السورة تسمَّى سورة الإخلاص؛ لأن الله سبحانه وتعالى ـ أخلصها لنفسه، فلم يذكر فيها شيئًا إلا من أسماء الله وصفاته، وأيضًا من قرأها مؤمنًا بها معتقدًا لما دلَّت عليه فإنه مخلص لله ـ عزَّ وجلَّ ـ سالم من الشرك هذه السورة كلها أسماء لله وصفاته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . يُقال إن المشركين سألوا النبي ﷺ وقالوا: انسب لنا ربك؟ يعني ما نسبه؟ يعني: كأنهم يقولون: من

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١...﴾، رقم (٥٠١٤، ٥٠١٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبيّ ﷺ...، رقم (٦٦٤٣).

هو ابن له ـ والعياذ بالله ـ أو أنهم سألوه: من أي شيء هو؟ أمن ذهب أو فضة أو ما أشبه ذلك. فأنزل الله هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. أحد يعني: واحد منفرد عن كل مخلوقاته ـ جَلَّ وعلا ـ لا يشبهه شيء من مخلوقاته و«أحد» اسم مختص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يطلق على غيره ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾.

﴿الصَّمَدُ﴾. اختلفت عبارات المفسرين في معناه، لكن المعنى الجامع لها أن الصمد هو الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، فهو الكامل في علمه، وفي قدرته، وفي رحمته، وفي حلمه، وفي غير ذلك من صفاته وكذلك هو الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، كل الخلائق تصمد إليه في حاجتها وتسأله حتى المشركون إذا كانوا في البحر وماجت بهم الأمواج فإنما يدعون الله وحده، فهو ـ جلَّ وعلا ـ مرجع الخلائق كلها فالصمد إذًا: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ليس له أولاد ـ عزَّ وجلَّ ـ؛ لأنه غني عن كل أحد، قال الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. وفي هذا رد وإبطال لما ادعته اليهود والنصارى والمشركون، اليهود قالوا: عزير ابن الله يعني قالوا: إن الله يلد وابنه عزير، والنصارى

قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، فأبطل الله ذلك كله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾. وذلك لأنه ـ جلَّ وعلا ـ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فهو الأول وما بعده كائن بعد أن لم يكن، أما الرب ـ جلَّ وعلا ـ فإنه أول أزلي أبدي ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

يعني: لا أحد يكافئه ويكون ندًّا له لا في علمه ولا في قدرته ولا في غير ذلك، ولما افتخرت عاد بقوتها وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

ريحًا: هواء من ألين المخلوقات دمرهم تدميرًا وهم يقولون: مَن أشد منَّا قوة؟! والله عزَّ وجلَّ لا يكون له كفوًا أحد، واعلم أن كفوًا فيها ثلاث قراءات: كفوًا بضم الفاء والواو، يعني أنها بالواو وضم الفاء كفوًا ولا يصلح أن تكون كفْوًا بسكون الفاء ـ وفيها قراءتان أخريان: بالهمز مع سكون الفاء، وبالهمز مع ضم الفاء كُفْئًا، وكُفُئًا ـ وأما مع الواو فإنها مضمومة، ونسمع كثيرًا من القراء يقرؤونها بالسكون مع الواو، وهذا لحن، فأنت إذا قرأتها بالواو ضُم الفاء، وهذه السورة أقسم النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، وقال

لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق عليهم ذلك، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] **تعدل ثلث القرآن**».

يعني: في الأجر كأجر ثلث القرآن، لكنها لا تجزئ عن القرآن، ولهذا لو قرأها الإنسان مثلاً ثلاث مرات بدل قراءة الفاتحة في الصلاة لم تجزئه؛ لأن هناك فرقًا بين المعادلة في الأجر والمعادلة في الإجزاء، قد يكون الشيء معادلاً للشيء في أجره ولكنه لا يعادله في إجزائه، أرأيتم مثلاً الإنسان إذا قال «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[1] عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل يعني يعادل عتق أربعة رقاب، لكن لو كان على الإنسان عتق رقبة وقال هذا الذكر عشر مرات ما أجزأت، فيجب أن نعلم الفرق بين المعادلة في الثواب والمعادلة في الإجزاء، فهي تعدل ثلث القرآن في الثواب ولكنها لا تعدل ثلث القرآن في الإجزاء، ولهذا لو قرأها الإنسان في صلاته ثلاث مرات لم تجزئه عن الفاتحة، والله الموفق.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، فضل التهليل والتسبيح والدعاء...، رقم (٢٦٩٣).

٤/١٠١١ - وَعَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»: إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» رواه مسلم(١).

٥/١٠١٢ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، قال: «إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. ورواه البخاري في صحيحه تعليقًا(٢).

٦/١٠١٣ - وَعَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» رواه مسلم(٣).

٧/١٠١٤ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أَخَذَ بِهِما وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا، رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾... رقم (٨١٢).

(٢) ذكره البخاري في «صحيحه»، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة... تعليقاً، ووصله الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ما جاء في سورة الإخلاص...، رقم (٢٩٠١).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين...، رقم (٨١٤).

(٤) رواه الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين...، رقم (٢٠٥٨).

٨/١٠١٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مِنَ الْقُرآنِ سُورَةٌ ثلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وفي رواية أبي داود: «تَشْفَعُ»[1].

٩/١٠١٦ ـ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَينِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرةِ في ليلة كَفَتَاهُ» متفقٌ عليه[2].

قيل: كَفَتَاهُ المَكْرُوهَ تِلْكَ اللَّيلَةَ، وقيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب الحث على قراءة سور وآيات معينة من سور القرآن ما سبق في سورة الفاتحة وسورة الإخلاص، وقد تقدَّم الكلام عليهما، ومن ذلك المعوذتان، فإن المعوذتين ـ وهما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ما تعوذ بهن معوذ عن إيمان وصدق إلا أعاذه الله ـ عزَّ

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب في عدد الآي...، رقم (١٤٠٠)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك...، رقم (٢٨٩١)، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن...، رقم (٣٧٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة...، رقم (٥٠١٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة...، رقم (٨٠٧).

وجلَّ ـ أما سورة الفلق فيقول الله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢]. يعني: قل أيها الإنسان مستعينًا بربك: أعوذ برب الفلق من شر ما خلق.

﴿الْفَلَقِ﴾ فلق الصبح، وفلق الحب والنوى، قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. فهو عزَّ وجلَّ رب الفلق، لا يستطيع أحد أن يفلق شيئًا من هذه التي ذكرها الله إلا الله عزَّ وجلَّ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: كل ما خلق، ومنهم ـ أي مما خلق ـ نفسه كما جاء في الحديث الصحيح: «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**»(١) والنفس أمارة بالسوء فتستعين بالله من شر ما خلق: أي من شر كل ما خلق من الإنس والجن والنفس وغير ذلك ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

الغاسق: الليل؛ لأن الليل تكثر فيه الهوام وتخرج فيه السباع، وتكون فيه الشرور فتستعين بالله من شر الليل ـ الغاسق إذا وقب ـ يعني إذا دخل ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ يعني: الساحرات

(١) رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح...، رقم (١١٠٥)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة...، رقم (١٤٠٤)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح...، رقم (١٨٩٢).

اللاتي ينفثن في العقد ليسحرن الناس، ونص على النساء وإن كان السحر يكون في النساء وفي الرجال؛ لأنه هو الغالب فيهن، ويجوز أن يكون المراد من ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ . أي: النفوس النفاثات فتشمل الرجال والنساء ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ هذه العين، صاحب العين ـ والعياذ بالله ـ الشرير الذي لا يحب الخير للغير تجده إذا منَّ الله على أحد بشيء من مال أو جاه أو علم أو ولد أو زوجة أو غير ذلك يخرج من نفسه الخبيثة كما يخرج السهم فيصيب الرجل، وهذا السهم لا ينفعه شيئًا، لكن نفسه خبيثة ـ والعياذ بالله ـ لا تحب الخير للغير، فيصاب الإنسان بالعين، قال النبي ﷺ: «لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»[1] فالعين تدرك وهي حق حتى قال بعض العلماء: إنها هي المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١].

ثم قال: ﴿ إِذَا حَسَدَ﴾ ؛ لأن الحاسد قد لا يحسد يعني: العائن لا يصيب كل إنسان، لكن إذا حسد ـ والعياذ بالله ـ تعدى شره غيره يعني تعدى إلى غيره، ويجوز أن يكون المراد بالآية: الحاسد العائن والحاسد غير العائن؛ لأن بعض الناس حسود والعياذ بالله

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٦/٤٣٨)، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين. . .، رقم (٢٠٥٩).

يحسد إذ أنه لا يحب الخير للغير، والحسد هو كراهة ما أنعم الله به على غيرك أن تكره ما أنعم الله به على غيرك، وإن كنت لا تتمنى زواله فإن تمنيت زواله صار أشد والعياذ بالله ـ والحاسدون ـ نسأل الله العافية ـ لا يحرقون إلا أنفسهم، الحاسد يحترق كلما أنعم الله على عباده نعمة احترق قلبه، لماذا فلان يحصل له كذا، أو يصير كذا فهذا الحاسد ـ والعياذ بالله ـ أحيانًا إذا حسد بغى على الغير واعتدى عليهم؛ إذا صار الحسد في قلبه جمرة والعياذ بالله، مثلاً افترض أن إنسانًا مَنَّ الله عليه بمالٍ وصار ينفقه في سبيل الله، وهناك رجل حسود والعياذ بالله ـ فإن قلبه يحترق، لماذا أنعم الله على هذا الرجل بالمال، وجعله ينفقه في سبيل الله، فتجده مثلاً: يتحدث في المجالس كلما أثنى على هذا الرجل، قال: هداه الله، أنه يرائي ما يقصد وجه الله والدار الآخرة. إذا مَنَّ الله على إنسان بعلم أيضًا وصار له قبول عند الناس صار ـ والعياذ بالله ـ يحسد يحب أن يخفى ما أنعم الله به على الإنسان، وهلم جرًّا، والحسد والعياذ بالله ـ من كبائر الذنوب، وقد ذم الله اليهود عليه فقال: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]. فالفضل لله وليس لأحد سواه يؤتيه من يشاء، تحسد الناس إذا أعطاهم الله من فضله جنيت على من أعطاهم الله الفضل، وجنيت واعتديت على حق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ

كأنك تقول: لماذا ينال هذا الرجل هذه النعمة التي لا يستحقها؟

والحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يتعوذ بهاتين السورتين، وذكر الترمذي ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من الجان ومن عين الإنسان حتى نزلت ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فصار يتعوذ بهما وترك ما سواهما، والله الموفق.

* * *

١٠/١٠١٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» رواه مسلم[١].

١١/١٠١٨ ـ وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: «اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ»، فَضَرَبَ في صَدْرِي وقَالَ: «لِيَهْنكَ الْعِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ» رواه مسلم[٢].

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في. . .، رقم (٧٨٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي. . .، رقم (٨١٠).

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل آيات أو سور من القرآن الكريم منها: سورة البقرة:

سورة البقرة نقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر**» قال العلماء: معنى ذلك لا تتركوا الصلاة فيها ـ يعني صلوا في بيوتكم ـ وإنما سمَّى البيوت حال عدم الصلاة فيها مقابر؛ لأن المقبرة لا تصح الصلاة فيها كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**»(١) وقال ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**»(٢).

فالمقبرة لا تصح فيها صلاة النافلة ولا صلاة الفريضة ولا سجدة التلاوة ولا سجدة الشكر، ولا أي شيء من الصلوات إلا صلاة واحدة وهي صلاة الجنازة إذا صلَّى على الجنازة في المقبرة فلا بأس سواء كان ذلك قبل الدفن أم بعد الدفن، لكن بعد الدفن لا

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام...، رقم (٣١٧)، وابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة...، رقم (٧٤٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه...، رقم (٩٧٢).

يصلي عليها في أوقات النهي: يعني: مثلاً لو جئت لحضور جنازة بعد صلاة العصر ووجدت أنهم قد دفنوها فلا تصلِّ عليها؛ لأنه يمكنك أن تصلي في وقت آخر غير وقت النهي كالضحى مثلاً، وأما إذا جئت وهم لم يدفنوها، لكن قد وضعت في الأرض للدفن فلا بأس أن تصلي عليها ولو كان ذلك بعد العصر؛ لأنها في هذه الحال تكون صلاة لها سبب، والصلاة التي لها سببٌ ليس عنها وقت نهي، ثم أخبر ﷺ أن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، يعني إذا قرأت في بيتك سورة البقرة فإن الشيطان ينفر منها ـ من البيوت ـ ولا يقربها، والسبب أن في سورة البقرة (آية الكرسي).

ويدلّ لهذا ما بعد الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: آية الكرسي فضرب النبي ﷺ على صدره وقال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**» يعني هنأه حيث علم أن أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي)؛ لأن هذه الآية مشتملة على عشر صفات من صفات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ففي هذا إخلاص التوحيد لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومعنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. أي: لا معبود حق إلا هو ـ جلَّ وعلا ـ فجميع المعبودات من دون الله معبودة بغير حق ـ حتى ولو سميت آلهة ـ

فإنما هي أسماء سمّوها ما أنزل الله بها من سلطان: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. يعني: الكامل في حياته وفي قيوميته، فهو الحي الكامل في حياته لم يسبق حياته عدم ولا يلحقها فناء؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، قال بعض السلف: ينبغي لمن قرأ هذه الآية ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ألا يقف بل يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ لأجل أن يتبين في ذلك نقص المخلوقات وكمال الخالق ـ جلّ وعلا ـ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ الحي الكامل في حياته، كذلك حياته لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، وحياة غيره كلها نقص انظر حياتك أيها الإنسان: إن جئت بالسمع فسمعك ناقص، لا تسمع كل شيء، البصر كذلك، الصحة كذلك، ما أكثر الأمراض التي تصيب الناس وهكذا بقية أسباب الحياة ناقصة أما الرب ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو كامل الحياة.

﴿الْقَيُّومُ﴾ معناها: القائم بنفسه القائم على غيره، يعني معنى القائم بنفسه لا يحتاج لأحد ـ عز وجل ـ ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧]. فهو غني، وفي

الحديث القدسي أنه قال جلَّ وعلا «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»[١] فهو قائم بنفسه لا يحتاج لأحد، قائم على غيره. كل مَنْ سواه فإن القائم عليه هو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]. يعني كمن لا يملك شيئًا والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذًا معنى ﴿القَيُّومُ﴾ له معنيان: هما القائم بنفسه يعني: لا يحتاج لأحد، القائم على غيره يعني: كل شيء يحتاج إلى الله ـ عز وجل .

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السِّنة: هي النعاس هو مقدمة النوم، والنوم معروف، فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا تأخذه سنة، ولا نوم، والإنسان تأخذه السنة ويأخذه النوم اختار أم لم يختر، أحيانًا ينام الإنسان وهو يصلي، ينعس وهو يكلم الناس، لا يقدر؛ لكن الربّ ـ عزَّ وجلَّ ـ لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته سبحانه وتعالى وكمال قيوميته، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**»[٢] يعني:

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم. . .، رقم (٢٥٧٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «**إن الله لا ينام. . .**»، رقم (١٧٩).

مستحيل غاية الاستحالة أن ينام ـ عزَّ وجلّ ـ؛ لأنه كامل الحياة كامل القيومية، من يقوم على الخلق لو نام الخالق! لا أحد فهو جلَّ وعلا لا تأخذه سنة ولا نوم. والله أعلم.

* * *

١٢/١٠١٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ، وبي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُك الْبَارِحَةَ؟» فقلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّه سَيَعُودُ لِقَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرحِمتُهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُول اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُريرةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُول الله شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتَ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فقلتُ: لأرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لا

تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ! فقال: دَعْنِي فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قلتُ: مَا هُنَّ؟ قال: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فاقْرأْ آية الْكُرْسِي، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، ولن يَقربكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبيلهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُك البَارِحَة؟» فقلت: يَا رَسُولَ الله زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُني كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بها، فَخَلَّيْتُ سَبيله، فقال: «مَا هِيَ؟» فقلت: قالَ لي: إِذَا أَوَيْتُ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرأْ آية الكرسي مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآية: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ﴾ وقال لي: لا يَزَال عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فقال النبيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّه قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تَخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثٍ يَا أَبَا هُرَيرة؟» قلت: لا، قال: «ذَاكَ شَيْطَانٌ» رواه البخاري[1].

الشرح

هذه القصة قصة عجيبة عظيمة، وذلك أن النبي ﷺ وكَّلَ أبا هُريرة رضي الله عنه على صدقة رمضان يعني على الفطر يحفظها وكانوا يجمعونها قبل العيد بيوم أو بيومين، وكان أبو هريرة وكيلاً عليها، وفي ليلة من الليالي جاء رجل يحثو من الطعام، فأمسكه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فخاف وقال: إنه محتاج

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكّل فهو جائز. . .، رقم (٢٣١١).

وذو عيال وذو حاجة، فرحمه وأطلقه فلما أصبح وجاء إلى رسول الله ﷺ قال له ﷺ «ما فعل أسيرك البارحة؟» وهذه من آيات الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن عنده ولكنه علم بذلك عن طريق الوحي، قال: «ما فعل أسيرك البارحة»؟ قلت: يا رسول الله إنه قال: إنه ذو حاجة وذو عيال وإني رحمته وأطلقته، فقال النبي ﷺ «كذبك» - يعني كذب عليك فما له عيال ولا حاجة - «وسيعود» يقول: فعلمت أنه سيعود لقول النبي ﷺ إنه سيعود وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤمنون بما أخبر به الرسول ﷺ كما يؤمنون بما يشاهدونه بأعينهم أو أكثر يقول: فرصدته، فجاء، فجعل يحثو من الطعام، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فاشتكى شكايته الأولى أنه محتاج وذو عيال فرحمه رضي الله عنه وإنما رحمه مع أن الرسول ﷺ قل إنه: «كذبك»؛ لأن أبا هريرة يعلم حلم النبي ﷺ وسعة صدره، وأنه لن يؤنبه وفعلاً لم يؤنبه أطلقه فلما أصبح وجاء إلى النبي ﷺ وأخبره، قال: إنه كذبك وسيعود.

في المرة الثالثة فرصده وجعل يترقبه، فجاء يأخذ من الطعام، فقلت: لأرفعن أمرك إلى النبي ﷺ في هذه المرة؛ لأنك قلت: لن تعود ثلاث مرات وعدت، فقال: دعني وإني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، قال: وما هن؟ قال: آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ

ﭐلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. إذا أويت إلى فراشك للنوم فاقرأها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، كلمات يسيرة تحفظك، لو جعلت عليك حراسًا كثيرين ما استطاعوا أن يمنعوا الشياطين عنك، ولكن هذه الكلمات اليسيرة يحفظك الله بها. فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ وقال له الخبر، فقال: إنه صدقك وهو كذوب ـ يعني: هذه المرة ما قاله لك صادق فيه وهو كذوب ـ أتدري من تخاطب منذ ثلاث ليال؟! قلت: يا رسول الله لا أعلم.

قال: «**ذلك الشيطان متلبس في صورة آدمي**» وأن له أولاد.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة، منها:

أولاً: أنه لا بأس أن الناس يخرجون صدقات الفطر إلى ولي الأمر يعني إلى السلطان أو نائبه فلو شكلت لجنة تقبض زكاة الفطر من الناس فإن الإنسان إذا دفعها إلى هذه اللجنة برئت ذمته.

ثانيًا: جواز تصرف الوكيل فيما وكِّل فيه إذا وافق على ذلك الموكل؛ لأن أبا هريرة تصرف هذا التصرف وأعطى هذا الرجل أو الشخص أقول الرجل أو الشخص لأن الجن يسمون رجال كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، فأبو هريرة تصرف في الليلة الثانية مع أن الرسول ﷺ قال: «**أما إنه كذبك وسيعود**» فأعطاه.

ثالثًا: أن الشيطان قد يتمثل بصورة الإنسان، وهو كذلك، فالشياطين تتمثل بصورة الآدميين وتتمثل بصورة الإنسان، ويتمثل بصورة الكلاب، حتى قال بعض العلماء في قول الرسول ﷺ: «**الكلب الأسود شيطان**»(١) أي: أن الشياطين تتمثل فتكون كلابًا سودًا. ولكن الصحيح أن معنى الحديث أن الكلب الأسود شيطان ـ يعني هو شيطان الكلاب ـ وأخبثها وأشدها ضررًا وتمردًا وتتمثل الشياطين بالحيوانات فتتمثل في القط، وتتمثل أيضًا بالحية كما في الحديث الصحيح: أن رجلاً من الأنصار شابًّا تزوج حديثًا فلما جاء إلى بيته وجد زوجته على الباب فسألها لماذا؟ قالت: ادخل فلما دخل وجد على الفراش حية، فأخذ الرمح فوكزها فماتت، ولما ماتت مات هو في الحال، فلا يُدرى أيهما أسرع موتًا: الحية أم هذ الرجل؟ لأن الحية هذه صارت جنية، فلما قتلها قتله أهلها في الحال؟ ولهذا نهى النبي ﷺ عن قتل الحيات التي في البيوت، فلا يجوز للإنسان أن يقتل الحية إذا رآها في بيته، ولكن حرج عليها ثلاثة أيام: قل لها: أنت مني في حرج، لا تقعدي في بيتي، إذا جاءت بعد الثالثة اقتلها؛ لأنها إن كانت جنية فهي إذا حرجت لا تأتي، وإن كانت غير ذلك ـ أي: كانت دابة من بعض الحيوانات ـ

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يُستر المصلي...، رقم (٥١٠).

فإنها لا تدري، تأتي بعد الثالثة وحينئذ تقتل، إلا أن الرسول ﷺ استثنى نوعين من هذه الدواب تقتل ولو في البيوت وهي: «الأبتر وذو الطفيتين»، والأبتر يعني قصير الذنب وهو نوع من الحيات فهو يقتل ولو في البيت، وذو الطفيتين: يقول العلماء: إنهما خطان أبيضان على ظهر الحية هذه تقتل ولو في البيوت؛ لأنهما كما قال النبي ﷺ: «يخطفان البصر»[1] من شدة قبحهما، ويدفعان ما في بطون النساء من حمل ـ يعني: يسقطن الحمل ـ، فلهذا أمر النبي ﷺ بقتل هذين النوعين ولو في البيوت، فالشاهد من هذا أن الشيطان والجن يتصوران ويتمثلون بصور غير صورهم الأصلية.

٤ ـ وفي هذا الحديث أيضًا من الفوائد أنه يجوز تقديم زكاة الفطر قبل العيد ولو بأكثر من يومين إذا كانت تدفع إلى ولي الأمر، وولي الأمر يجب عليه ألا يصرفها إلا في وقتها.

٥ ـ ومن فوائد الحديث أنه آية من آيات الرسول ﷺ وهو علمه بما جرى مع أنه لم يطلع ـ لكن جاءه الوحي من الله ـ عزَّ وجلَّ.

٦ ـ ومن فوائده أنه ينبغي للإنسان كلَّما جاء إلى فراشه للنوم في الليل أن يقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها، وليس منها قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. هذه آية خارجة عن آية

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها...، رقم (٢٢٣٢).

الكرسي، آخر آية الكرسي: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فتقرأ كلما أويت إلى فراشك كل ليلة حتى لا يقربك الشيطان حتى تصبح، ولا يزال عليك من الله حافظ، وحدثني بعض الثقات أنه كان يقرؤها كل ليلة وأنه نسيها ليلة من الليالي فلدغته عقرب؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لم يزل عليه من الله حافظ» وهو نسي أن يقرأها فلم يوجد الحافظ فلدغته العقرب، فاحرص إذن على أن تقرأ آية الكرسي كل ليلة وخصوصًا إذا أويت إلى فراشك.

٧ - ومن فوائده: قبول الحق - ولو جاء من أي إنسان - حتى ولو كان شيطانًا أو مشركًا، حتى لو كان يهوديًا أو نصرانيًا، فإن الله قبل الحق من المشركين، والنبي ﷺ قبل الحق من اليهودي، وأقر الحق من الشيطان كما في هذا الحديث أما قبول الله من المشركين: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]. فتعللوا بعلتين: الأولى: أنهم وجدوا عليها أباءهم، والثانية - أن الله أمرهم بها فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ . وسكت عن قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ ؛ لأن قولهم هذا حق صحيح، غذ أنهم وجدوا آباءهم على هذه الفاحشة، لكن الله لم يأمرهم بها ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ. . .﴾ .

وأما قبول النبي ﷺ من اليهودي: فإنه جاءه حبر من أحبار

اليهود ـ يعني عالم من علمائهم ـ فقال: إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، وذكر تمام الحديث، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول هذا اليهودي الحبر، ثم قرأ ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] [الزمر: ٦٧].

وأقر الحق الذي قال به الشيطان كما في هذا الحديث، فيجب عليك أيها المسلم أن تقبل الحق من أي إنسان، وأن ترد الباطل من أي إنسان، من قال الباطل قوله مردود، ومن قال الحق قوله مقبول؛ ولهذا كان من الكلمات المأثورة عند العلماء: أنَّ الرجال يعرفون بالحق، والحق لا يعرف بالرجال. يعني: لا تجعل مدار قبولك الحق على الرجال، صحيح أن العالم تثق في قوله أكثر من غيره، فتقبل ما يقوله، لكن ليس كل ما يقول العالم حقًّا، فإنه قد يخطئ وقد يصيب، ولكن العالم أقرب إلى الصواب بلا شك؛ ولهذا قالوا: إنما يُعرف الرجال بالحق، وأما الحق فلا يعرف بالرجال؛ لأن الرجل قد يخطئ وقد يصيب، والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾، رقم (٤٨١١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب منه...، رقم (٢٧٨٦).

ونعود إلى شرح آية الكرسي حيث وقفنا عند قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ والسنة: النعاس، والنوم معروف. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. هذه الجملة تفيد عموم ملك الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه منفرد بالملك سبحانه وتعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، والدليل على عموم ملكه أن «ما» في قوله ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. اسم موصول ـ يعني له الذي ـ واسم الموصول يفيد العموم، والدليل على انفراده بالملك: أنه قدم فيها الخبر ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وتقديم الخبر يدلُّ على الحصر، فلا أحد يملك شيئًا في السموات، ولا في الأرض إلا الله وما يملكه الإنسان من ثياب وعقارات ونحو ذلك ملك مقيد، لا يستطيع أن يتصرف فيه كيف يشاء لو أراد إنسان أن يحرق ثوبه منع، إذًا فملكي الذي هو ملكي لست حرًّا في تصرفي فيه إلا على حسب الشرع، ولهذا لا يجوز لنا أن نرابي في أموالنا، مع أنه ربما يكون الذي أعطى الربا موافقًا راضيًا بذلك، لكن لا يجوز، لأننا لسنا أحرارًا في أملاكنا، نحن لا نملكها إلاَّ ملكًا مقيدًا، الملك التام المطلق الذي يفعل فيه المالك ما يشاء هو ملك الله عزَّ وجلَّ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ «من»: اسم استفهام بمعنى النفي يعني: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذن الله، والشفاعة معروفة

وهي التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة، من المعلوم أن ملوك الدنيا مهما عظم ملكهم يأتي الإنسان يشفع عندهم بدون أيِّ استئذان، حتى إن الملك الكبير الملك تشفع عنده زوجته ولا تستأذن منه، لكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه أكرم عباده عنده لا يشفع إلا بإذن الله، وهذا دليلٌ على كمال سلطانه ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه من كمال سلطانه لا أحد يستطيع أن يتكلم عنده ولا بالشفاعة التي هي خير إلا بإذنه، مَنْ أكرم الخلق من بني آدم عند الله؟ إنه محمد ﷺ ويوم القيامة لا يمكن أن يشفع إلا بعد أن يستأذن من الله ثم يسجد سجودًا طويلاً يفتح الله عليه من المحامد ما لم يفتحه عليه من قبل ثم يشفع، ومن كان دون محمد ﷺ، فهو من باب أولى، لا أحد يشفع إلا بإذن الله لماذا؟ لكمال ملكه وسلطانه عزَّ وجلَّ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، يعلم الله عزَّ وجلَّ ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ كل الأمور المستقبلة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ كل الأمور الماضية، وهذا دليلٌ على كمال علمه ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه محيط بكل شيء: ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، فما بين يديك: ما تستقبله ولو بلحظة، وما خلفك: ما خلفته ولو بلحظة، فمثلاً الآن كلامنا اليوم بعد صلاة العصر هل هو من بين أيدينا أو من خلفنا؟ من خلفنا، كلماتي الآن

أنا أقول الآن، وما بعد الآن هو المستقبل، والآن حاضر وما مضى ماضٍ من خلفك فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ يعلم ما يكون بين أيدينا الحاضر والمستقبل وما خلفنا وهذا يدل على كمال علمه ـ جلَّ وعلا ـ لأن علم غيره ناقص.

أولاً: نجهل كثيرًا من الأمور ثم يتجدد لنا العلم.

ثانيًا: إذا علمنا شيئًا فهناك آفة لعلمنا وهي النسيان، أما علم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فليس فيه نسيان ولا جهل سابق، كما قال موسى ﷺ لما قال له فرعون: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١، ٥٢]. لا يضل: يعني لا يجهل، ولا ينسى: ما مضى فعلمنا نحن محفوف بآفتين: آفة سابقة وهي الجهل، وآفة لاحقة وهي النسيان، وعلم الله عزَّ وجلَّ ـ خال من ذلك كله.

وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ يعني: أن الخلق لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، والعلم هنا بمعنى المعلوم يعني: أننا لا نحيط بشيء مما يعلمه الله إلا بما شاء الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهذا كقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

كذلك أيضًا لا نحيط بشيء من علمه ـ أي من علم ذاته وصفاته ـ إلا بما شاء، فلا نعلم ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته إلا بما شاء، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إن الأسماء والصفات توقيفية، بمعنى أنه يتوقف إثباتها أو نفيها على ما جاء به الشرع؛ لأننا لا نعلم من صفات ربنا إلا ما علَّمنا ولا من أسمائه إلا ما علَّمنا ولا في ذاته إلا ما علَّمنا ـ عزَّ وجلَّ ـ وفي هذه الجملة دليلٌ على افتقار الإنسان إلى علم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله تعالى أن يعلمه ما لم يكن يعلم مما فيه مصلحة دينه ودنياه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. الكرسي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو موضع قدمي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو دون العرش، والعرش أعظم منه، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة»(١) ـ حلقة الدرع صغيرة إذا ألقيتها في فلاة من الأرض يعني في أرض واسعة لم تكن شيئًا فهذا السموات السبع والأرضون بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض ـ وإن فضل العرش على الكرسي كفضل

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها...، رقم (٣٦١).

الفلاة على هذه الحلقة، العرش أعظم بكثير من الكرسي، وخالق العرش ـ جلَّ وعلا ـ أعظم وأعظم ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا كان هذا شأن الكرسي أنه واسع ومحيط بالسموات والأرض، فالعرش أعظم، والرب أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾. يعني: لا يثقل ويعجز الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يحفظ السموات والأرض على ما فيهما من الخلائق وعلى كبرهما واتساعهما وعلى علوّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فوق كل شيء، فهو لا يغيب عنه شيء، لا يثقله أن يحفظ السموات والأرض، ولا يثقله أن يحفظ ما في السموات والأرض ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]. ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ مع علوه تبارك وتعالى فوق كل شيء لا يَئُودُه أي: لا يثقله أن يحفظ السموات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾. وهو العلي ـ جلَّ وعلا ـ فوق كل شيء، وهو العظيم على كل شيء، قال بعض أهل العلم: والعلو نوعان: علو ذاته ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو فوق وعلو صفاته، فصفاته فوق كل شيء، والعظيم يعني ذو العظمة والعزة والكبرياء والعزة والجلال، وبهذه المعاني بالنسبة لهذه الآية العظيمة يتبين أنها أعظم آية في كتاب الله، والله الموفق.

* * *

١٣ / ١٠٢٠ ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ أوَّل سُورَةِ الْكَهْفِ؛ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ» وفي رواية: «مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكهْفِ» رواه مسلم(١).

١٤ / ١٠٢١ ـ وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ، وَلَمْ يُفْتَح قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ فقالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلَى الأرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فَسَلَّمَ وقال: «أَبشِرْ بِنورَين أُوتِيتَهمَا، لَمْ يُؤْتِهمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحةِ الكِتَابِ، وخَواتِيم سُورَةِ البَقَرةِ، لَنْ تَقرَأَ بحَرْفٍ منها إلاَّ أُعْطِيتَهُ» رواه مسلم(٢).

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في سياق الأحاديث في باب الحث على سور وآيات وسور معينة من كتاب الله ما يتعلق بسورة الكهف وما يتعلق بفاتحة الكتاب وآخر سورة البقرة.

أما الأول: فإن النبي ﷺ أخبر أنه من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها عُصم من الدجال، والدجال رجلٌ كافرٌ

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي. . .، رقم (٨٠٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة. . .، رقم (٨٠٦).

يبعث في آخر الزمان يدَّعي النبوة أولاً يعني أنه نبي ثم يدَّعي أنه إله ـ والعياذ بالله ـ وفتنته أعظم فتنة كانت على الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ وقال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم»[١] وقد حذَّر النبي ﷺ من فتنته وما من نبي من الأنبياء إلا أنذر قومه حتى يستعد بنو آدم لهذه الفتنة العظيمة، وإلا فمن المعلوم أنه لن يأتي إلا في آخر الزمان، لكن لأجل التنبيه لعظم فتنته وأنها كبيرة عظيمة، لا ينجو منها إلا من أنجاه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذا الدجال يجعل الله على يديه آيات خوارق فتنة للناس: منها أنه يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، فيأتي إلى القوم ممحلين ليس في أرضهم رعي، ومواشيهم ضعاف عجاف فيدعوهم ويمنِّيهم، فيتبعونه فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ثم تروح عليهم مواشيهم وهي أوفر وأغزر ما تكون لبنًا وما تكون لحمًا، ثم يأتي إلى آخرين فيدعوهم، ولكنهم ينكرونه فيصبحون ممحلين ليس في أرضهم نبات، هل تجدون أعظم من هذه الفتنة؟!

لا سيما في البادية، فيتبعه أُنَاسٌ كثيرون فمن تبعه أدخله جنته،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه...، رقم (٢٩٣٧).

ومن أنكره أدخله ناره، وهي جنة فيما يبدو للناس لكنها نار ـ والعياذ بالله ـ وناره نارٌ فيما يبدو للناس لكنها جنة وماء عذب، ولكن الناس ليس لهم إلا الظاهر، إلا أن الله سبحانه وتعالى بين لنا آياته: أنه كاذب يعني ـ هذا الدجال ـ بما أخبرنا به ﷺ من أن هذا الرجل مكتوب بين عينيه كافر «كاف ـ فاء ـ راء» يقرأها كل مؤمن حتى الذي لا يستطيع القراءة ـ ويعمى عنه كل منافق، فلا يرى هذا المكتوب بين عينيه؛ لأنه قد أضل ـ والعياذ بالله ـ؛ كما أن الإنسان في القبر إذا كان مؤمنًا ـ أجاب بالصواب وقال: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد، وإذا كان منافقًا ـ ولو كان قارئًا ـ لم يجب ـ والعياذ بالله ـ وأعطانا نبينا ﷺ آية أيضًا بينة وهي أنه أعور ليس له إلا عين واحدة وربنا ـ جلَّ وعلا ـ ليس بأعور، منزه عن كل عيب ونقص، فمن وفق سلم من فتنته ونجا، يبقى في الأرض هذا الدجال الخبيث، يبقى في الأرض أربعين يومًا أول يوم كسنة ـ يعني اثنا عشر شهرًا ـ انظر، سبحان الله، الآن الشمس تدور بـ٢٤ ساعة حول الأرض، لكن أول يوم من أيام الدجال لا تدور إلا باثني عشر شهرًا، أي سنة كاملة؟ واليوم الثاني كشهر ـ ثلاثون يومًا ـ والثالث كالأسبوع ـ سبعة أيام ـ وبقية الأيام كأيامنا، يبقى هذه المدة ثم ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتل هذا الدجال، المسيح

الصادق النبي الطاهر يقتل هذا المسيحَ الخبيث الدجال، يسلطه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عليه فيقتله، ومن أجل عظم فتنته أمرنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله منه في كل صلاة فقال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»(١)؛ لأن فتنته عظيمة، فينبغي لنا أن نستعيذ بالله ـ عزَّ وجلّ ـ بقلب صادق من فتنة هذا المسيح الدجال، ثم إنه أيضًا من أسباب الوقاية من فتنته: أن من حفظ عشر آيات من سورة الكهف من أولها أو آخرها وقرأهن عليه عصم من فتنته.

ومن السور المعينة والآيات المعينة سورة الفاتحة وآيتان من آخر سورة البقرة فإنهما ما قرأهما واحد من هذه الأمة مؤمنًا موقنًا إلا آتاه الله تعالى ما فيهما من الطلب، وفي سورة الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، قال الله تعالى لعبده إذا قرأها في الصلاة: قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. وأما آخر سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة...، رقم (٥٨٨).

مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. سبع جمل دعائية لا يدعو بها مؤمن موقنًا إلا استجاب الله له، وهذه ميزة وفضل عظيم نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنكم وأن ينصرنا على القوم الكافرين.



١٨٤ ـ باب استحباب الاجتماع على القراءة

١ /١٠٢٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَه بَيْنَهُمْ؛ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيهِمِ السَّكِينة، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُم اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» رواه مسلم(١).

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب استحباب الاجتماع على القراءة: يعني بذلك أنه من المستحب أن الناس يجتمعون على تلاوة القرآن، ويعلمونه، فإن هذا مما ندب إليه النبي ﷺ وذلك فيما رواه أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» هذه أربعة أشياء تترتب على هذا الاجتماع يقول عليه الصلاة والسلام: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله» وبيوت الله في الأرض المساجد، قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. . .، رقم (٢٦٩٩).

وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وأضاف الله هذه الأماكن إلى نفسه تشريفًا وتعظيمًا، ولأنها محل ذكره، وتلاوة كلامه، والتقرب إليه بالصلاة، وإلا فهو - سبحانه وتعالى - فوق عرشه فوق سمواته لا يحل في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه - جلَّ وعلا - لكن هذه الإضافة للتشريف، وقد قال العلماء - رحمهم الله - المضاف إلى الله نوعان:

الأول: صفة لا تقوم إلا بمحل، فهذه تكون من صفات الله - عزَّ وجلَّ - مثل: عزة الله، وقدرة الله، وكلام الله، وسمع الله، وبصر الله، هذه صفة لا تقوم إلا بموصوف فتكون من صفات الله - عزَّ وجلَّ.

الثاني: شيء بائن من الله - عزَّ وجلَّ - مخلوق، فهذا ليس من صفات الله وإنما هو مضاف إليه - عزَّ وجلَّ - على سبيل التشريف والتكريم مثل: مساجد الله، وبيوت الله، وناقة الله، ومثل قوله تعالى في آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. كذلك في عيسى بن مريم، فإن الروح شيء بائن من الله - عز وجل - منفصل، مخلوق من مخلوقاته؛ لكن أضيف إليه على سبيل التشريف والتكريم، وقوله ﷺ: «**يتلون كتاب الله**»: تلاوة كتاب الله - عزَّ وجلَّ - تنقسم

إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ تلاوة اللفظ.

٢ ـ وتلاوة المعنى.

٣ ـ وتلاوة العمل.

أما تلاوة اللفظ: فمعروف يقرأ هذا وهذا وهذا وهي على نوعين:

النوع الأول: أن يقرأ القارئ صفحة أو صفحتين ثم يتابع الباقون يقرؤون نفس ما قرأ، وهذا غالبًا يكون في التعليم.

النوع الثاني: أن يقرأ القارئ صفحة، أو صفحتين ثم يقرأ الثاني بعده صفحة أو صفحتين غير ما قرأه الأول، وهلم جرًّا.

فإن قال قائل: هذا النوع الثاني يفوت فيه ثواب بعضهم؛ لأن ما قرأه هذا لم يقرأه هذا، فيُقال: لا يفوت شيء؛ لأن المستمع كالقارئ له ثوابه، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى في سورة يونس في قصة موسى ﷺ حين دعا على آل فرعون: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨]، القائل هذا موسى كما في أول الآية: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ الْعَذَابَ

ﭐلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩]. الداعي واحد، لكن قال العلماء: إن هارون كان يستمع ويؤمِّن على دعائه، فكان الدعاء لهما جميعًا.

أما التلاوة المعنوية: فأن يتدارس هؤلاء القوم كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويتفهموا معناه، وقد كان السلف الصالح لا يقرؤون عشر آيات حتى يتفهموها وما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

أما القسم الثالث من التلاوة فهي التلاوة العملية وهذه هي المقصود الأعظم للقرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. العمل بما جاء في القرآن وذلك بتصديق ما أخبر الله به، والقيام بما أمر به، والبُعد عما نهى عنه، هذه التلاوة العملية لكتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول ﷺ: «إلا نزلت عليهم السكينة» السكينة شيء يقذفه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في القلب فيطمئن، ويوقن، ويستقر، ولا يكون عنده قلق، ولا شكٌّ ولا ارتياب، فهو ساكن مطمئن، وهذه من أكبر نعمة الله على العبد أن ينزل السكينة في قلبه بحيث يكون مطمئنًا غير قلق ولا شاكٍّ راضيًا بقضاء الله وقدره، مع الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في قضائه وقدره إن أصابته

ضرَّاء صبر وانتظر الفرج من الله، وإن أصابته سرَّاء شكر وحمد الله على ذلك مطمئن، مستقر، مستريح، هذه السكينة نعمة عظيمة نسأل الله أن ينزل في قلوبنا وقلوبكم السكينة ـ وقد قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

فهي من أسباب زيادة الإيمان «إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة» غشيتهم يعني: غطتهم، والغشيان بمعنى الغطاء كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [الليل: ١]. يعني: يغطي الأرض بظلامه، غشيتهم الرحمة أي: رحمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ «وحفتهم الملائكة» أي: أحاطت بهم يستمعون الذكر، ويكونون شهداء عليهم.

والرابع: «وذكرهم الله فيمن عنده»: يذكرهم الله تعالى في الملأ الأعلى، وهذا كقوله تعالى في الحديث القدسي: «من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(١)، فالحاصل أن هذا الحديث يدل على فضيلة الاجتماع على كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ... ﴾ رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار...، باب الحث على ذكر الله تعالى...، رقم (٢٦٧٥).

تم الجزء الرابع بحمد الله وتوفيقه
ويليه الجزء الخامس إن شاء الله
ويبدأ بباب فضل الوضوء.



فهرس الآيات الواردة في الكتاب

فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

كتاب آداب الطعام